مأساة فلسطين

بين الانتداب البريطاني ودولة إسرائيل



أحمد زكي الدجاني

مأساة فلسطين

بين الانتداب البريطاني

ودولة إسرائيل

أحمد زكي الدجاني

فهرس

إهداء

إلى أرواح المجاهدين الصادقين من أبناء فلسطين الـذين جادوا بالمهج والأرواح في سبيل وطنهم.

ولكل فلسطيني يعيش خارج وطنه صامدا مترقبـا يـوم العودة يحمل في جيبه مفتاح بيته أو وثيقة ملكية أرضه.

مُقدّمة

مقتطفات من ملف القضية الفلسطينية

لم تحظَ قضية كما حظيت القضية الفلسطينية من حصاد هائل من الكتب والوثائق والمعلومات، والتي أثارت اهتمام الكُتاب والمؤرخين، بعضهم كان يبحث عن الحقائق التاريخية وهم قلة، وأكثرهم كان يلوي ذراع تلك الحقائق وينحاز إلى الجانب المعادي للعرب والفلسطينيين سواء بتأثير الدعاية الصهيونية المسيطرة على وسائل الإعلام في أوربا وأمريكا أو بالتعاطف الديني الذي يربط الديانتين اليهودية والمسيحية.

إن أكثر لغات العالم كتبت عن القضية الفلسطينية وتجاوز ما صدر عن دور النشر المختلفة عدة مئات أو آلاف من الإصدارات ولكن الكثير من تلك الكتابات كانت تخضع لميول المؤرخ واجتهاداته الشخصية التي كانت تبحث عن الأسباب والمبررات لتلك المأساة الفلسطينية.

وقد ثبت أن الأحداث التاريخية الموثقة لا تكفي أحياناً لإثارة اهتمام المؤرخ بقدر ما تؤثر عليه وسائل الإعلام والأحداث التاريخية المشوهة.

صحيح أن بعض تلك المؤلفات التي صدرت عن القضية الفلسطينية كانت زاخرة بكافة التفاصيل، وأن الصحف والمجلات والدوريات قد أسهمت ولا تزال تسهم بشرح أبعاد تلك القضية التي لا تزال تشغل أكثر بلاد العالم وبصفة خاصة عالمنا العربي والإسلامي.

لا يجب أن نغفل العامل السياسي وأطماع الدول الاستعمارية التي لعبت دورا آخر هاما في هذه القضية وفي تحقيق الأهداف الصهيونية ومصلحة الدول الغربية لغرس هذه الدولة في قلب العالم العربي، وتحويل المنطقة طيلة أكثر من قرن من الزمان إلى نوع من عدم الاستقرار والمنازعات وإلى استنزاف العالم العربي وإبقائه متخلفًا.

إن اختيار مواقف معينة وأحداثًا هامة في صورة مبسطة ومختصرة هي التي رغبت من خلالها في تقديم هذه القضية البالغة التعقيد إلى الشباب من أبناء وطننا العربي الذي لا يستطيع أو لا يجد الإمكانيات للاطلاع على المؤلفات المتخصصة والمراجع الأكاديمية.

وهكذا يستطيع جيل الشباب الإلمام بقضيته ومـا يحـاك حولها من مؤامرات وما يكتب ضدها من أبحاث مغرضة من خلال الدراسة المبسطة.

إن الانتقال بتركيز بين جوانب هذه القضية يسهل علـى القارئ العادي الإلمام بأحداثها الهامة منذ نشأتها في أواخـر القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين.

ولعلي أحاول بهذه المقتطفات التقاط الملامح الرئيسية لما شهدته فلسطين طيلة قرن من الزمان ولكني لا أزعم أننـي غطيت كل الأحداث والتفاصـيل؛ لأن ذلـك يحتـاج إلـى الموسوعات المفصلة.

أتحدَث في هذا الملف عن قضية فريدة أُقْتُلِعَ فيها شـعب من أرضه ليمنح لمجموعة من الناس تعتنق الديانة اليهوديـة ولا أقول الشعب اليهودي؛ لأنه لم يكن هناك شعب متجـانس يسكن في أرض واحدة، ويتكلم لغة واحدة، ويعتنق عـادات وتقاليد واحدة.

وقد لاحظت أن أكثر الأسـاتذة والمـؤرخين والمحللـين السياسيين مشغولون في السنوات الأخيـرة بالحـديث عـن أسباب ضياع فلسطين بعد سنة ١٩٤٨ مع إهمال جانب آخر

من القضية وهي الأحداث الأولى التي مرَت بها فصول هذه المأساة منذ العهد العثماني في القرن الماضـي، والمراحـل المختلفة بداية بالاحتلال البريطـاني العسـكري لفلسـطين، وفرض الانتداب، والتصميم على إنشـاء الـوطن القـومي اليهودي.

ومن الأخطاء التي يقع فيها الكثيرون لضحالة اطلاعهـم على جميع المراحل التي مـرَت بهـا القضـية الفلسـطينية ولتأثرهم أحيانًا بالدعاية الصهيونية والغربية فردَدوا مثلاً أن الفلسطينيين هم الذين بـاعوا أرضـهم وسـلموها لليهـود، وأشاعوا أيضا أن الفلسطينيين لم يحاربوا ولم يضـحوا فـي سبيل المحافظة على وطنهم وأنهم غادروا ديارهم وبيـوتهم هربا من مواجهة اليهود طيلة مراحل الصراع في فلسطين.

إن الصراع العربي الإسرائيلي الذي بدأ مع نهاية القـرن الماضي ولم تنتهِ فصوله بعد وهو في جوهره صراع علـى الأرض ـ أرض فلسطين ـ التي هي قلب الوطن العربـي، إنه صراع شعب يدافع عن أرضه ووطنه في مواجهة أعتى غزوة صهيونية استعمارية تبناها الانتداب البريطـاني فـي البدء ثم انتقل إلى رحاب القوة الأمريكية وسطوتها في هـذا

العالم، ويبرز من خلال هذا الصراع الذي تمـرُ بـه هـذه القضية دائما الضعف والتخاف العربي؛ مما سهل كثيرا مهمة الصهيونية العالمية والدول الاستعمارية لتحقيق أهدافها فـي هذه المنطقة.

ولا شك أن الفجـوة الواسـعة فـي المسـتوى الثقـافي والاجتماعي والعسكري بين العرب وإسرائيل لعب دورا هاما في تحقيق الحلم الإسرائيلي حتى الآن.

يجب أن نتذكر أن وعد بلفور هو الأساس الذي بِني عليه الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وأن هذا الوعـد لقـي استحسان أكثر الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكيـة ورغم الانتفاضات والثورات التي اجتاحت فلسـطين طيلـة عشرات السنين والخسائر فـي الأنفـس والأمـلاك ظلـت الحكومة البريطانية جامدة لا تتحرك، وأصبحت منقادة تماما لضغوط الصهيونية، حتى إن لجان التحقيق التي كانت تعينها الحكومة البريطانية للبحث والتحقيق في المشكلة الفلسـطينية لم تكن تقاريرها تحظى بالقبول لدى المسئولين فـي لنـدن، وكانت الأوساط البريطانية تشيع دائما أن الاضطرابات فـي فلسطين نتيجة إثارة مدبرة تُعـزَى إلـى طبقـات الأفنديـة

والعائلات أو المطامع السياسية لدى مفتي فلسـطين الأكبـر الحاج أمين الحسيني أو من عملاء من إيطاليا وألمانيا قبـل وأثناء الحرب العالمية الثانية، وتغفل تلك الأوسـاط النتـائج الاقتصادية التي قام بها الصهيونيون من أعمال ومشروعات أدت إلى أفدح الأضرار بالفلاح الفلسطيني وهو يشكل لـب المشكلة التي كانت دومـا تـؤدي إلـى قيـام الانتفاضـات والثورات.

تركزت الدعاية الصهيونية بقوتها وسطوتها بأن فلسـطين هي المكان الوحيد المهيأ لإنشاء الدولـة اليهوديـة وأخـذت الدعاية الصهيونية تربط العلاقـة التاريخيـة بـين اليهـود وفلسطين، وتزعم أن لليهود الحق في العودة إلـى وطـنهم القديم، واستندت تلك الدعاية إلـى نسـيج مـن الأسـاطير وقصص التوراة واستغلال العاطفة الدينية في الدول الغربية المسيحية، وأصبحت القضية في أذهان الجماهير هناك تبـدأ دائما من أن الصهيونية تجسد الحنين اليهودي القديم للـبلاد المقدسة، وأن ما يجري هو تحقيق التنبؤات التي وردت فـي التوراة (لا بد أن نذكر أن التوراة كتبت بعد مائتي سنة مـن نزولها وكتبها اليهود بأيديهم) وتحاول إسرائيل دائما وكـذلك

الكثير من المراجع الغربية المهتمة بالقضية الفلسطينية طمس الهويـــة العربيـــة لفلســطين، والتــرويج للمقولـــة: " شعب بلا أرض يحتل أرضا بلا شعب " أو كمـا ادّعـت جولدا مائير الزعيمة اليهودية: " أيـن هـم الفلسـطينيون؟! لا يوجد شعب يحمل هذا الاسم ".

وكذلك تحاول إسرائيل نزع الهوية العربيـة، وطمـس التراث الفلسطيني، وراحت تنسب الكثير منه لنفسها ورأينـا كيف سطت على فنون الفلكلور ورغـم كثـرة الحفريـات والتنقيب عن الآثار في فلسطين ومنطقة الشـرق الأوسـط بهدف توضيح قصص التوراة فإن النقوش والحفريات التي تم اكتشافها لم تظهر في غالبها إلا آثار الكنعانيين والآشـوريين واليبوسيين وما استخرج من آثار العبرانيين كان زهيدا جدا؛ لقصر المدة التي أقاموها في فلسطين.

رأيت تقسيم هذه المقتطفات إلى أربعة فصول:

الفصل الأول:

القضية الفلسطينية منذ أن عرفت كقضية سياسية، ويسير هذا الفصل مع القضية الفلسطينية منذ أن حـوّلتهـا القـوى الاستعمارية والصهيونية العالمية إلى قضية سياسية وكيـف

وقع هذا البلد الصغير الآمن في ظل ضغوط القوى العظمـى وبراثن الصهيونية، وموقف الشعب الفلسـطيني وتضـحياته طوال نصف قرن للتصدي لهذه الهجمة الاستعمارية الشرسة وكيف أن جميع محاولاته لم تستطع الصمود أمام ذلك التيار المتدفق المدعم بالقوانين الجائرة التي سنتها حكومة الانتداب المقترن بالتفوق العلمي والتكنولوجي.

الفصل الثاني:

الصهيونية العالمية وإنشاء دولة إسرائيل.

يتناول هذا الفصل نشأة الصهيونية وبداية التفكير بإنشـاء الوطن القومي اليهودي منذ أن كانت فكرة إلى أن أصـبحت دعوة وحركة ثم وطنًا قوميا وأخيرا دولـة، وكيـف أسـهم التخطيط السليم والتصميم والتنظيم واستغلال كافة الظـروف والإمكانيات المتاحة وكيف تحوّل إلى حقيقة.

الفصل الثالث:

إسهام الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في إقامة دولة إسرائيل.

منذ قرنين والدول الأوربية تحاول العودة إلى فلسـطين، وكيف تلاقت أهدافها مع الصهيونية العالمية، وماذا قدمت كل من بريطانيا ـ ألمانيا ـ فرنسا ـ سويسـرا ـ الولايـات المتحدة الأمريكية ـ السـوق الأوربيـة المشـتركة لدولـة إسرائيل، والتصريحات التي تصـدر لشخصـيات أوربيـة وأمريكية هامة متعاطفة مـع الحركـة الصـهيونية ودولـة إسرائيل.

وأخيرا وهو الأهم تطوُّر النفوذ اليهودي فـي الولايـات المتحدة حتى وصل مرحلة السيطرة علـى صـنع القـرار الأمريكي فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط.

الفصل الرابع:

مدينـة القـدس والمقدسـات الإسـلامية والإجـراءات الإسرائيلية المتواصلة لتهويد القدس.

في هذا الفصل الحديث عن تهويـد القـدس والمقدسـات الإسلامية في فلسطين، وتاريخ المسـجد الأقصـى وحـائط البراق (حائط المبكي) وهيكل سليمان، والموقـف السياسـي للفاتيكان بشأن القدس، والتحديات التي تواجه المدينة المقدسة والخطوات التي تتخذها إسرائيل منـذ سـنة ١٩٦٧ لتهويـد

المدينة المقدسة حتى بات البحث عن سقف للتفاوض بشأن القدس صعبا وشبه مستحيل.

بعد عبور هذه السنوات واستعراض أحداث القضية الفلسطينية أرى أن هذه القضية هي التحدي الأكبر الذي يواجه الأمة العربية والشعوب الإسلامية وهي ما تفتقر إليه الآن، وما دامت الأمة العربية تعتمد على الإدانة والاحتجاج والشجب وعقد المؤتمرات واتخاذ القرارات والتمسح بالمؤسسات الدولية وهو ما دأبت عليه منذ بداية المأساة الفلسطينية، وإسرائيل مستمرة في تنفيذ مخططاتها في التوسع، والاستيلاء على الأرض، وتشجيع الهجرة فلن يطول الزمن ويأتي لنترحم على أطلال فلسطين وذكريات المسجد الأقصى.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول:

القضية الفلسطينية

بين الماضي والحاضر

موجز تاريخ فلسطين

كشفت الحفريات أن إنسان العصر الحجري عـاش فـي فلسطين قبل حوالي عشرة آلاف سـنة قبـل المـيلاد، وأن فلسطين منذ فجر التاريخ كانت موطنًا لحضـارة مزدهـرة ولا يزال الأثريون حتى اليوم يكتشفون معالم تلك الحضـارة وتطورات الحياة في فلسطين من حيث الاعتماد على الصـيد واستئناس الحيوان، ثم الاعتماد علـى الزراعـة واسـتخدام الآلات الحجرية البسيطة، ومنذ حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد أنشئت مدينة أريحا، وكانت أول مدينـة تنشـأ فـي فلسطين؛ وبهذا تكون أريحا من أقدم مدن العالم.

ومع بداية القرن الثلاثين قبل الميلاد وخلال المـدة مـن ٣٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ ق. م هاجر الكنعانيون العرب من الجزيرة العربية إلى أرض كنعان التي عرفت فيما بعد باسم فلسطين، وأخذوا ينشئون المدن مثل القدس والخليل، وازدهـرت فـي زمانهم التجارة والصناعة، وموقع فلسطين الجغرافي جعـل أرضها مسرحا لحروب متتالية، ومعظم الغزاة كانوا عابرين ومن استقر اندمج مع السكان الأصليين وأشـهرهم القبائـل

الكريتية (الفلسطينية) التي استقرت على الشواطئ بين يافـا وغزة وسميت تلك المنطقة باسم فلسطين، وبعـد أن انـدمج الكريتيون مع الكنعانيين أُطْلِقَ اسم فلسطين على المنطقة كلها ولكن بقي العنصر الكنعاني العربي هو السائد.

وحـوالي سـنة ٢٠٠٠ ق. م أقـام العموريـون - وهم قبائل كنعانية - حضارة مزدهرة بالزراعة والتجارة والصناعة، وشيدوا مدنًا جديدة ـ الخليل، وديـر ديـوان- وأعادوا بناء القدس، وبنوا حولها الأسوار.

وبين سنتي ٢٠٠٠ ـ ١٧٨٨ ق. م أصـبحت فلسـطين جزءا من دولة موحدة مـع مصـر تحـت حكـم الأسـرة ١٢ الفرعونية، وظلت تلك الوحدة قائمة حوالي ٢١٢ عاما.

وفي سنة ١٩٠٠ ق. م وبعد حـوالي ١٠٠٠ سـنة مـن استقرار القبائل العربية في فلسطين دخـل سـيدنا إبـراهيم الخليل عليه السلام إلى أرض فلسطين- وهو تاريخ مشـكوك فـي صحته- ثم ارتحل إلى مصر مع عائلته بسبب القحط الـذي أصاب البلاد، ثم عاد من مصر ومعه جارية اسمها هـاجر ووصل إلى أرض كنعـان وبقـي بـين القـدس والخليـل (هذا ما أوردته التوراة) ودخل العبرانيون لأول مرة لأرض

فلسـطين، وبعـد حـوالي ١٠٠ سـنة أي مـن حـوالي ١٨٠٠ ـ ١٥٨٠ ق. م سـيطر الهكسـوس علـى الدولـة الموحدة التي تضم مصر وفلسطين إلى أن عـاد وهـزمهم أحمس فرعون مصر جنوبي مدينة غزة سنة ١٥٨٠ ق. م.

وبـين سـنتي ١٤٠٠ ـ ١٢٢٠ ق. م غـادر بعـض العبرانيين فلسطين إلى مصر وانضموا إلـى موسـى نبـي الله عليه السلام، ثم هاجروا معه إلى صحراء التيه في سيناء هربـا من الحكم الفرعوني، وفي سنة ١١٩٠ ق. م دخل العبرانيون فلسطين من ناحية الشرق بقيادة يوشع، واحتلوا أريحا ومـدنًا أخرى، ونجحوا في تقليص نفوذ العرب، وأسس الملـك داود المملكة العبرانية، واستولى على القدس وجعلهـا عاصـمة ملكه، واتخذ لها الاسم الكنعاني "أورشليم".

وبين سنتي ٩٧٦ ـ ٩٣٦ ق. م بنى الملك سليمان الهيكل في القدس وأكمل فتوحات أبيه " داود " وهزم العرب واهـتم بالزراعة والصـناعة، وبـين سـنتي ٩٣٦ ـ ٧٢٢ ق. م انقسمت المملكة العبرانية إلى مملكتين صغيرتين: "إسرائيل" في الشمال وعاصمتها "السامرة"، و"يهـودا" فـي الجنـوب وعاصمتها "أورشليم"، وفي سنة ٧٢٢ تمكن سرجون الثـاني

ملك الآشوريين من الاستيلاء على مملكة "إسـرائيل" وأسـر معظم رعاياها.

وفي سنة ٥٨٦ ق. م انهارت دولة "يهودا" على يد ملـك بابل "نبوخذ نصر" ودمر الهيكل ومدينة "أورشـليم"، وسـبى أهلها ونقلهم إلى بابل عاصمة ملكه؛ وهكذا انتهـت الدولـة العبرانية في فلسطين.

وبعد البابليين قام الفرس باحتلال فلسطين وضـمها إلـى المملكــة الفارســية، وفــي ســنة ٣٢٢ ق. م اســتطاع "الإسكندر المقدوني" غزو فلسطين لتنتقل إلى حكـم اليونـان حتى جاء القائد الروماني "بومبي" وقضى على الحكم اليوناني سنة ٦٤ ق. م.

ومع بداية القرن الجديد يولد السيد المسيح عليه السلام في بيـت لحم، ويتحالف اليهود مع الرومان ضده بعد أن بشر بالـدين الجديد (المسيحية) وسنة ٧١ ميلاديـة يحتـل الإمبراطـور الروماني "طيتس" مدينة القدس ويدمر الهيكل للمرة الثانية.

ومن الغزاة الذين اجتاحوا فلسطين "زينوبيا" ملكة تـدمر، وعاد الرومان بعد هزيمتها سنة ٢٧٢ ميلادية واحتلوا البلاد، وفي سنة ٣١٢ ميلادية بنت الملكة "هيلانـة" والإمبراطـور

الرومـانـي قسـطنطين ـ وكانـا قـد اعتنقـا الديانة المسيحية ـ كنيسة القيامة في القدس، وكنيسة المهـد في بيت لحم.

وعند انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين شـرقية وغربية تبعت فلسطين القسم الشرقي المسمى الإمبراطوريـة البيزنطية.

وفي عام ٦٣٦ ميلادية حرَرت جيوش الفـتح الإسـلامي فلسطين بعد هزيمة الدولة البيزنطية، وصارت جزءا هامـا من الدولة العربية الإسلامية ونظرا لمكانتها الدينية وموقعها الهام بين شطري الدولة فقد شهدت فلسطين في العهد العربي الإسلامي الانتعاش والازدهار فكثرت فيها المعاهد العلميـة والدينية، وأنجبت العديد من العلماء والمفكرين ورجال الفكر والقضاء والقادة.

ورغم تغيير عاصـمة الخلافـة بـين دمشـق وبغـداد أو مصر في ظل الطولونيين أو الإخشـيديين أو الفـاطميين بقيت فلسطين جزءا هاما من الدولة الإسلامية، وفـي سـنة ١٠٩٩ ميلادية بدأت الحملة الصليبية الأولى التي اسـتولت على فلسطين واحتلت القدس وأنشأت الدولة الصليبية الأولى

في فلسطين، واستمرت الحملات الصليبية المتتاليـة حتـى تمكن صلاح الدين الأيوبي من توحيد الشام ومصر واستطاع هزيمة الجيوش الصليبية في معركة حطين؛ وبانتصار حطين سقطت أكثر المدن الفلسطينية بيده وتمكن من تحرير القـدس سنة ١١٨٦ ميلادية.

وتتعرَض فلسطين لهجمة شرسـة مـن المغـول ولكـنَ السلطان " قطز" يتمكن من هزيمتهم في معركة عين جالوت سنة ١٢٥٨ ميلادية، وتنتهي الحروب الصليبية بتحرير آخر معقل لهـم فـي عكـا سـنة ١٢٧٩ م علـى يـد الملـك الأشرف "خليل".

وهكذا طُويت صفحة هامة من تاريخ فلسـطين بانتهـاء الحملات الصليبية التي دامت حوالي قرنين من الزمن، وتظل فلسطين تتبع السلطنة العربية المملوكية في مصر حتى الغزو العثماني عام ١٥١٦ م. بقيادة السلطان سليم الأول الذي احتل بلاد الشام ومصر، وأصبحت فلسطين جزءا من ولاية الشام.

وبين سنة ١٦٣٥ ـ ١٧٧٥ يسيطر على فلسطين بعـض الأمـراء العـرب بـرغم السـيادة العثمانيـة؛ فيسـيطر آل رضوان على منطقة غزة، ويحتل الشيخ "ضاهر العمـر"

مناطق طبرية وصفد وعكا ونابلس والناصرة، ويتحالف مـع "علي بك الكبير" ضد الدولة العثمانية ولكن السـيادة تعـود للدولة العثمانية، ويخلـف "أحمـد باشـا الجـزار" الشـيخ "ضاهر العمر" في ولاية عكا ويوسعها ويحصنها ويبني فيها جامع الجزار الشهير.

وفي سنة ١٧٩٩ م يزحف نابليون بعد احتلالـه لمصـر على فلسطين ويحاصر يافا ويقضي على حاميتها، ويحاصر عكا ولكن صمودها لم يمكنه من إقامة إمبراطورية فرنسـية في المنطقة.

وفي سنة ١٨٣١ تتبع فلسطين حكم "محمد علي باشا" في مصر بعد أن نجح ابنه "إبراهيم باشا" في الانتصـار علـى العثمانيين؛ وهنا تتحرك الـدول الغربيـة لمسـاندة الدولـة العثمانية التي عرفت في ذلك الوقت باسم "الرجل المريض"؛ وذلك خوفًا من الدولة الإسلامية الناشئة، واضطرت جيـوش "محمد علي باشا" إلى الانسحاب مـن فلسـطين، وأعيـدت لسيطرة الدولة العثمانية الضعيفة.

وبدأ اليهود بإنشاء أول مدرسـة زراعيـة قـرب يافـا " نيتر " سنة ١٨٧٠ كجزء من المخططات اليهوديـة لبنـاء المستوطنات في فلسطين، وبدأ التسال اليهودي في فلسـطين يزداد خصوصا بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ وفـي سـنة ١٨٩٨ تنبهـت السـلطة العثمانية صاحبة الولاية على فلسطين للأمر، وفرضت قيودا على هجرة اليهود إلى فلسطين.

ولما أخذ الضعف يدبُّ في أوصال الدولة العثمانية بـدأت الدولة الاستعمارية وخصوصا بريطانيـا وفرنسـا يعـدون أنفسهم للاستيلاء على منطقة المشرق العربي، وتلاقت هـذه الرغبة الاستعمارية مع مطامع الصـهيونية العالميـة التـي استغلت أيضا العاطفة الدينية لدى بعض الطوائف المسـيحية وخصوصا البروتسـتانتية التـي كانـت تعتقـد أن لليهـود - حسب تعاليم التوراة- الحق فـي العـودة إلـى وطـنهم فلسطين.

وحاول هرتسل الزعيم الصهيوني إغراء السـلطان عبـد الحميد لكي يحصل منه على الموافقة بإقامة وطـن قـومي لليهود في فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد رفض العرض

الصهيوني رغم إغراءاته، إلا أن الانقلاب العثماني وعـزل السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ ومجيء حكـام جـدد فـي استانبول سمح بهجرة اليهود وشـرائهم الأرض منـذ سـنة ١٩٠٨.

وبدأ التسلل اليهودي إلى فلسطين يزداد خصوصـا بعـد ظهور الجمعيات الصهيونية في أوربا- وخصوصا روسيا- وأهمها جمعية أحباء صهيون.

وبعد مؤتمر بازل بدأت الخطط العملية للاسـتيلاء علـى فلسطين وبدأ الاستيطان البطيء يزداد، وأخذت المستوطنات اليهودية تنشئ أنظمة للحراسة المسلحة أمام المقاومة العربية، وكان ذلك بداية حركة الدفاع الذاتي اليهـودي (الهاجانـاه) وخلال الحرب العالمية الأولى مـن سـنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ حاولت بريطانية استمالة العرب لجانبها ضد الدولة العثمانية وقدمت الوعود لشريف مكة " حسين بن علي " باسـتعدادها لمنح البلاد العربية الاستقلال بعد طرد الحكم العثماني، وفي نفس الوقت اتفقت بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاق "سايكس ـ بيكو" سنة ١٩١٦ على تقسيم الدول العربية بينهما، وحصلت

فرنسا على سوريا ولبنان، وحصلت بريطانيا على فلسـطين والأردن والعراق.

وفي ٢٢/ ١١/ ١٩١٧ قبل أن يحتل الجيش البريطـاني فلسطين أصدر "آرثر بلفور" وزير خارجية بريطانيا يوم ذاك ما عرف بوعد بلفور وذلك بشكل رسالة موجهة إلى اللـورد اليهودي روتشلد وكانت الرسالة تعد اليهود بإنشـاء وطـن قومي لهم في فلسطين.

وهناك عدة عوامل تضافرت لحمل الحكومة البريطانيـة على الإقدام والتعهد بهذا الوعد منها: كسب عطف اليهود في المجهود الحربي البريطاني، واستخدام نفوذهم لـدى الـدول الأخرى وخصوصا الولايات المتحدة للانضمام إلـى جانـب الحلفاء، وأيضا خوفًا من أن تسبق ألمانيـا وتضـغط علـى حليفتها الدولة العثمانية لمنح مثل هذا الوعد لليهود.

انتهــت الحــرب مــع الدولــة العثمانيــة فــي ٣٠/ ١٠/ ١٩١٨ وقرر مؤتمر الصلح سـنة ١٩١٩ عـدم إعادة الأقاليم العربية إلى الحكـم التركـي، وابتـدع كلمـة " الانتداب "، وفرضت بريطانيا نفسها الدولة المنتدبة علـى فلسطين، وضمت في صك الانتداب نص وعد بلفور على أن

تكون بريطانيا مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسـية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القـومي اليهـودي، واعترف صك الانتداب كذلك بتأليف الوكالة اليهودية كهيئـة عمومية مستقلة لإسداء النصح لحكومة فلسـطين والتعـاون معها في كافة الشئون التي تؤدي وتؤثر في إنشـاء الـوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وعند وضع الانتداب البريطاني على فلسـطين موضـع التنفيذ تقررت حدود فلسطين تحت الانتداب ضمن مساحة من الأرض تبلغ ١٠٤٣٥ ميلاً مربعا بما في ذلـك المسـطحات المائية، وفي سنة ١٩١٨ كان عدد سكان فلسـطين حـوالي ٧٠٠ ألف نسمة منهم: ٥٧٤ ألفًا من المسلمين، و٧٠ ألفًا من المسيحيين، و ٥٦ ألفًا من اليهود.

وبدأ الصراع العربي الصهيوني منذ سنة ١٩١٩، واستمر حتى انتهاء الانتداب البريطاني، ودخول الجيـوش العربيـة بحجة تحرير فلسطين.

تفجرت الأحداث والثورات في فلسطين، وبـدأ الشـعب الفلسطيني يدفع الثمن غاليا بعد مـا عينـت بريطانيـا أول مندوب سامٍ في فلسطين " هربرت صموئيل " وهو اليهـودي

المتعصب للصهيونية والمتحمس لإنشـاء الـوطن القـومي اليهودي، وأخذت القوانين تصدر لصالح اليهـود، وازدادت حدة المقاومة الفلسطينية، وأُعـدِمَ عشـرات الفلسـطينيين، وهدمت مئات البيوت، وأُنْتُزعت الأراضي مـن الفلاحـين بالقوة.

ورغم الاحتجاجات والتظاهرات والاضطرابات وأعمـال العنف والثورات منذ ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ لم تستجب حكومة الانتـداب وارتفـع معدل الهجرة اليهودية فبلغ سنة ١٩٣٥ " ٦٢ " ألف مهاجر، وازداد انتقال الأرض العربية من ٥٤٤ ألـف دونـم إلـى ١,٣٠٠,٠٠٠ سنة ١٩٣٦.

وكان ظهور الحركة الثورية الفلسطينية بزعامة الشيخ عز الدين القسام سنة ١٩٣٥ التمهيد للثورة الفلسطينية الكبرى من سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، واستدعت بريطانيا أكثر من عشـرة آلاف جنـــدي والطـــائرات والـــدبابات بقيـــادة كبـــار القادة البريطانيين أمثال الجنرالات دل ـ وويفل ـ وولسـن واشتدت المعارك في مواقع مختلفة من فلسطين وخصوصـا في مثلث نابلس ـ طول كرم ـ جنين الـذي أطلـق عليـه

الإنجليز اسم مثلث الرعب إلى جانب المناطق المحيطة بالقدس وحيفا، واشترك اليهود بجانب الجيش البريطاني بقوات الهاجاناه وقوات البوليس الإضافي اليهودي، وكانت تلك القوات قد تدرَّبت على أيدي رجال المخابرات وبعض الضباط المتقاعدين من البريطانيين.

وتصاعد تدفق القوات البريطانية حتى تجاوز عشرين ألف جندي يعاونهم أكثر من خمسة آلاف من القوات اليهودية، وأعلنت الأحكام العرفية في البلاد، وبدأت أعمال المصادرة والهدم والإعدام، ونذكر هدم البلدة القديمة يافا وإقامة المخافر [1] المحصنة في طول البلاد وعرضها، وعرفَت باسم حصون تيجارت.

ورغم اللجان التي أرسلتها الحكومة البريطانية لتهدئة الموقف في فلسطين إلا أن الثورة استمرت وبعنف أشد، وعادت بريطانيا وأرسلت العديد من النجدات والطائرات وقطع المدفعية، ومن تقرير الحكومة البريطانية إلى لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية بلغت حوادث العنف سنة ١٩٣٨.

---

(1) مخفر: قسم شرطة.

٩٨٦ هجوما على البوليس والجيش.

٧٢٠ هجوما على المواصلات البرية.

٣٤١ حادثة تخريب في السكك الحديدية.

١٠ حوادث تخريب في خط أنابيب نفط العراق الموصلة إلى حيفا.

٤٣٠ اغتيالاً ومحاولة اغتيال.

٦٥١ حادثة هجوم على المستوطنات والأحياء اليهودية.

وفشلت مشاريع التقسيم؛ لأنها كانت دائما منحازة للجانب اليهودي، ولأن فكرة التقسيم نفسها لم ترق للجانب الفلسطيني وكانت المطالب العربية وخلال طيلة فترة الانتداب:

١- التخلي عن فكرة الوطن القومي لليهود.

٢- وقف الاستيطان والهجرة اليهودية.

٣- منح الشعب الفلسطيني حقه في الاستقلال.

ولم تفلح جميع العروض التي قدمتها بريطانيا؛ لأنها كانت تصرُّ باستمرار على الهجرة وانتقال الأرض إلـى اليهـود. وحتى الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ الذي حدد الهجرة اليهودية بـ ٧٥ ألفًا خلال خمـس سـنوات وأن لا يسـمحَ

بهجـرة أخـرى إلا إذا وافـق عليهـا عـرب فلسـطين لم ينفذ.

اشتد النشاط الصهيوني بعد الحرب العالمية الثانية وأخذت فرق الهاجاناه والأجون وعصابة شتيرن في القيـام بأعمـال إرهابية منها نسف جناح فندق الملك داود في القـدس، وراح ضحية الحدث حوالي مائة شخص من البريطانيين والعرب، وتصاعد الضغط اليهـودي علـى الحكـومتين البريطانيـة والأمريكية بإنشاء الدولة اليهودية وفـتح أبـواب فلسـطين للهجرة بدون قيد أو شرط.

وحين تظاهرت بريطانيا بفشلها في إيجاد حـل للقضـية الفلسطينية أعلنت أنها سوف تتخلى عن الانتداب، وأحالـت القضية إلى هيئة الأمم المتحدة.

في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ أصدرت الأمم المتحـدة قرارهـا بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية وجعـل منطقـة القدس دولية، وكان ذلك بأغلبية ٣٣ صوتًا ضد ١٣ صـوتًا وامتناع ١٠ دول عن التصويت، وقد بذلت أمريكا الضـغوط على الدول التي كانت غير موافقة على التقسيم، والدول التي

عارضت التقسيم بجانب الدول العربية (أفغانستان ـ كوبا ـ اليونان ـ الهند ـ إيران ـ باكستان ـ تركيا).

وجاء توزيع الأراضي في قرار التقسيم كما يلي:

الدولة العربية مساحتها ١١٥٩٠٠ دونم بنسبة ٤٢,٨٨ ٪.

الدولة اليهودية مساحتها ١٥٢٦٠٠٠ دونم بنسبة ٥٦,٤٧ ٪.

القدس الدولية ١٧٥٠٠ دونم بنسبة ٠,٦٥ ٪.

وقد رفض العرب التقسيم واعتبروه خرقًا لميثـاق الأمـم المتحدة الذي يعطي كل شعب الحق في تقرير مصيره بنفسه، وكيف أن حصة اليهود تزيد عن حصة العرب رغم أنهـم لا يملكون إلا أقل من ١٠ ٪ من الأرض.

وبعد قرار التقسيم سعى اليهود لتحقيق أمر واقـع علـى أرض فلسطين بإثارة أعمال الإرهاب ضـد العـرب، وبـدأ صراع غير متعادل عسكريا وماليا وسياسيا، ورغـم عـدم التكافؤ استطاعت الوطنية الفلسطينية أن تعيد تشكيل القـوات الشعبية لحماية السكان، وتألفت لجان محلية لتنظـيم شـئون الدفاع ومع بدء صدور قـرار التقسـيم قُتِـلَ ٧٩ يهوديـا و ٣٢ عربيا وكانت القوات البريطانية تمدُ اليهود بالسـلاح، وتنحاز إلى جانبهم أثناء الاشتباكات.

وقُدرت الخسائر في شهر يناير ١٩٤٨ كما يلي:

١٠٥١ عربيا

٧٥٠ يهوديا

١٠٣ إنجليزي

واستمرت المصادمات والمعارك ونسف الأحياء والشوارع في المدن حتى شهر إبريل، وتمكنت القوات اليهودية بعد أن حصلت على مزيد من السلاح والدعم العسكري والطائرات وجميع أنواع مدافع الهاون والرشاشات الثقيلة والمصفحات المسلحة من الاستيلاء على العديد من المدن الفلسطينية الهامة (يافا - حيفا - جميع أحياء القدس الجديدة - صفد - طبرية - عكا - جميع قرى الجليل الغربي والشرقي) وقامت بعملية إجلاء واسعة للمناطق التي احتلتها؛ وازدادت كثيرا خسائر الفلسطينيين لمواقفهم الباسلة في الدفاع عن مدنهم وقراهم.

وفي ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ دخلت الأحداث منعطفًا جديدا بدخول الجيوش العربية إلى فلسطين في نفس اليوم الذي انسحبت فيه بريطانيا من الأرض الفلسطينية، وكانت حرب ١٩٤٨ حربا محسومة قبل أن تبدأ، الوجود الصهيوني أصبح

حكومة قائمة ومدججا بالسلاح، والشعب الفلسطيني يشكو نقصا في التنظيم والتعبئة والمقدرة العسكرية، والدول العربية إما حديثة الاستقلال أو تخضع للنفوذ الأجنبي؛ ولذلك لم تستطع القوات العربية أن تحقق الأهداف التي دخلت فلسطين من أجلها.

وفي شهر يونيو ١٩٤٨ قبلت الجيوش العربية وقف إطلاق النار، وتم تعيين الكونت برنادوت وسيطًا دوليا، وسحبت الحكومات العربية أسلحة أهل فلسطين التزاما بقرار الهدنة، وبعد أقل من شهر استُؤنف القتال، واستطاع اليهود هزيمة الجيوش العربية وتم توقيع اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن ولبنان، ورفضت إسرائيل الالتزام بقرار التقسيم، واعتبرت الحدود حيث تقف جيوشها.

وفي إبريل ١٩٥٠ يصدر البرلمان الأردني قرارا بضم الضفة الغربية لنهر الأردن إلى المملكة الأردنية الهاشمية.

وفي ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ أعلنت مصر تأميم قناة السويس؛ وأعقب ذلك الاعتداء الثلاثي على مصر، واحتلال القوات اليهودية سيناء وقطاع غزة.

وفي يناير ١٩٥٧ تنسحب إسرائيل من سيناء ثم من غزة في مارس من نفس العام.

وفي مايو ١٩٦٤ ينعقد المؤتمر الفلسـطيني الأول فـي القدس، ويقرُّ الميثاق الوطني الفلسطيني والنظـام الأساسـي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتعتمد الدول العربيـة منظمـة التحرير الممثلة المعتمدة للشعب الفلسطيني، ويعلَـن مـيلاد جيش التحرير الفلسطيني، ومنذ أول يناير ١٩٦٧ يسـتأنف الشعب الفلسطيني نضاله المسلح ضد الكيان الصهيوني.

وفي شهر مايو سنة ١٩٦٧ طلبت مصر سـحب قـوات الطوارئ الدولية من سيناء وشرم الشيخ، وتعلن مصر إغلاق مضيق العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية، وفـي ٥ يونيـو ١٩٦٧ تنهزم القوات المصرية والسورية والأردنيـة وفـي ٢٢ نوفمبر من نفس العام يصدر مجلس الأمن القـرار ٢٤٢ الذي اختلف العرب والأجانب على تفسيره.

وفي السادس من سبتمبر سنة ١٩٧٠ يحدث الصدام بـين القوات الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية، ويتم انسـحاب القوات الفلسطينية من الأردن نهائيا، وتتوالى الأحداث بوفاة الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

وفي السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ بدأت حرب التحرير العربية، وشاركت القوات الفلسطينية أثناء الحـرب بالقتـال على الجبهتين المصرية والسورية.

وقامت بمهاجمة المستعمرات اليهودية في " الجليل الأعلى "، وفي ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ يصدر مجلس الأمن القرار رقـم ٣٣٨ بوقف القتال، ورفضت إسرائيل الالتزام به واخترقـت قواتها الجبهة المصرية عند ثغرة الدفرسوار، وتمكنت مـن محاصرة الجيش الثالث المصري.

وفي ١٤/ ١٠/ ١٩٧٤ وافقت الأمم المتحدة على قـرار بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى المشاركة في مناقشات الجمعية العامة حول قضية فلسطين؛ وهكذا بعد أن طويـت القضية الفلسطينية عدة سنوات عادت وظهرت على السطح، وبدأت منظمة التحرير تمـارس واجباتهـا ممثلـة للشـعب الفلسطيني.

وتتوالى الأحـداث ويوقـع الـرئيس السـادات اتفاقيـة " كامب ديفيد "، ويعلن إنهاء الحرب وتطبيع العلاقـات مـع إسرائيل، وبدأت مفاوضات الانسحاب من سيناء، وتقـرر أن يتم ذلك على عدة مراحل، وأن تبقى سيناء منزوعة السلاح.

واستمر الكفاح المسلح الفلسطيني وأخذ شـكل المواجهـة المباشرة مع إسرائيل في سنوات ١٩٧٢ـ ١٩٧٨ـ ١٩٨٢ واستمر بناء المستوطنات الإسرائيلية وإجراءات تهويد القدس والسطو على مصادر المياه الفلسطينية.

ومع حلول سـنة ١٩٨٧ وعلـى وجـه التحديـد يـوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٨٧ تفجرت مرحلة جديدة مـن مراحـل الكفاح الفلسطيني، وهو ما أُطْلِقَ عليه انتفاضـة الحجـارة، وانطلق الشعب الفلسطيني في كافة أنحـاء الأرض المحتلـة يقاتل العدو الإسرائيلي بالعصي والأظافر بجانـب الحجـارة وخلال سنتين من بدء الانتفاضة قـدَم الشـعب الفلسـطيني ١٣٠٠ شهيد ـ ٥٥ ألف جريح ـ ٦٢ ألف معتقل في أبشع معتقلات إسرائيل، و ٧ آلاف حامل أجهضتها قنابل الغازات، وعشرة آلاف كسرت أيـديهم وأرجلهـم أو فقـدوا السـمع والبصر، ومئات أبعدوا عن وطنهم وطردوا إلـى خارجـه ودمر العدو ٥٠٠ بيت واقتطع وصادر وأحرق ١٠٠ ألـف فدان من الأراضي الزراعية، واقتحم المساجد وعلى رأسـها المسجد الأقصى يعيث فسادا ويضرب ويقتل المصلين كمـا اقتحم الكنائس..

ورغم ذلك استمرت الانتفاضة، وتصاعد نضال الشـعب الفلسطيني يقاتل وحده والأمة العربية من حوله تقف متفرجة.

وتدخلت أمريكا وقام وزير خارجيتها جيمس بيكر بزيارة المنطقة عدة مرات، وقدمت أمريكا دعـوة باسـمها وباسـم الاتحاد السوفيتي إلى أطراف النزاع والدول المحيطة التـي أطلق عليها "دول الطوق" وهـي سـوريا ولبنـان والأردن ومصر إلى ما عرف فيما بعد " بمؤتمر مدريد " الذي انعقـد سنة ١٩٩١ وكان الوفد الفلسطيني ممثلاً من ضـمن الوفـد الأردني لرفض إسرائيل إعطائه الشرعية لتمثيـل الشـعب الفلسطيني مستقلاً، واشتراطها أن لا يتضمن الوفد الفلسطيني أحدا من خارج الضفة وغزة.

وفي مقابل اعتراف منظمة التحرير بقراري مجلس الأمن ٢٤٢ ـ ٣٣٨ والتخلي عن المقاطعة العربية لإسرائيل ونبذ الإرهاب لم تقدم إسرائيل سوى قبولها الفـاتر بـأن منظمـة التحرير الفلسطينية هي ممثلة للشعب الفلسطيني.

وبدأت مفاوضات عقيمة في واشنطن لم تحرز أي تقـدم، وقام وزير الدولة للشئون الخارجية النرويجي بزيارة إسرائيل حيث اقترح إقامة جسر سري بين إسرائيل وقيـادة منظمـة

التحرير، وتمت موافقة الطرفين وبدأت مفاوضات "أوسلو١" في يناير ١٩٩٣، وأفرزت إعلان ورقة مبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية التي عرِفَت باسم غزة - أريحا وتم ذلك في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.

ومضت الأحداث ووقع عرفات على اتفاقيـة "أوسـلو٢"، وكانت تحتوي على ٤٠٠ صفحة من التعقيـدات القانونيـة، وبدأ أسلوب التفاوض الفلسطيني الإسرائيلي المعقد صادرت إسرائيل خلاله أكثر من ٨٠ ألـف دونـم مـن الأراضـي الفلسطينية غالبيتها في منطقة القدس، ثم انتهت الانتخابـات الإسرائيلية بهزيمة حزب العمال ومجيء كتلة الليكـود إلـى الحكم وعلى رأسها نتنياهو الذي أخذ في إبطـاء التفـاوض حتى وصل إلى طريق مسدود وتوقف تماما؛ وبقيت العناوين التالية معلقة.

انتقال السلطة والسيادة - المسـتوطنات - المعتقلـون - - القدس - التنقل بين الضفة وغزة - المعابر - الانسحاب - وغيرها.

وكان يظن أن اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي بشـقيه "أوسلو ١" و"أوسلو ٢" سوف يرفع أو على الأقل يخفف مـن

معاناة الشعب الفلسطيني ولكن الحقيقة أن الأمور سارت إلى الأسوأ.

وهل ننسى أن من يعطـي يملـي، ومـن يأخـذ لا بـد أن يدفع؟.

جغرافية فلسطين

تبلغ مساحة فلسطين ٢٧ ألف كيلو متر مربع=١٠٤,٢٩٠ ميلاً مربعا بما في ذلك بحيرتي طبرية والحولة ونصف مساحة البحر الميت، وشكل فلسطين مستطيل يبلغ طولها من شمال بحيرة طبرية حتى العقبة ٤٣٠ كيلو مترا، ويتغير عرضها فهو في أقصى الشمال يتراوح بين ٥٠ و ٧٠ كيلو مترا، ثم يزداد جنوبا حتى يصل إلى ٨٢ كيلو مترا عند القدس، وأقصى عرض للبلاد عند رفح وخان يونس حيث يصل إلى ١١٧ كيلو مترا؛ وعلى ذلك فإن طول فلسطين يساوي ست مرات عرضها.

أما أطوال حدودها فهي كما يلي:

طول حدودها على البحر الأبيض المتوسط	٢٤٠ كيلو مترا
طول حدودها مع لبنان	٧٩ كيلو مترا
طول حدودها مع سوريا	٧٠ كيلو مترا
طول حدودها مع الأردن	٣٦٠ كيلو مترا
طول حدودها مع مصر	٢٤٠ كيلو مترا

أهمية موقع فلسطين:

الموقع الممتاز لفلسطين في قلب العالم العربي جعل منها طريق القوافل المتجه من الشرق إلى الغرب؛ فالتجارة كانت تأتي من الهند وما جاورها من البلاد، وتمر بطرق مختلفة معظمها شمال الجزيرة العربية لتصل إلى موانئ فلسطين، وأي حركة أو هجرة بشرية أو حملة عسكرية لا بد أن تمرَ من فلسطين وشواهد التاريخ كثيرة على ذلك، ووجود الموانئ الطبيعية على طول الساحل الفلسطيني مكن من نقل الجيوش، والتجارة عبر فلسطين إلى غرب آسيا وأوربا، ويلاحظ حديثًا أهمية موقع فلسطين حيث تمرُ فيها أنابيب البترول وبقربها خط التابلاين السعودي.

المناخ والتضاريس والتركيب الجيولوجي:

وقوع فلسطين في المنطقة المعتدلة الشمالية بين دائرتي عرض ٢٩,٣٠° و ٣٣,١٥° درجة جعل مناخها معتدلاً على وجه العموم، ولكن طبيعة تضاريسها جعلت كل قسم من أقسامه الطبيعية يتميز بنوع خاص من المناخ على الرغم من صغر مساحتها نسبيا؛ فبينما تجد فصل الصيف معتدلاً في

بقعة ما تجده حارا في غيرها وكذلك فصل الشتاء فتجده دافئًا في قسم وباردا في قسم آخر.

والمطر يمتد في فلسطين من شهر أكتوبر (تشـرين أول) إلى شهر إبريل (نيسان) والقسم الأكبر من الأمطار يسقط بين شهري ديسمبر (كانون أول) وفبراير (شباط) ويمكن تقسـيم فلسطين إلى الأقاليم المناخية التالية:

١- إقليم السهول الساحلية ـ والمناخ فيه معتدل إجمالاً، ودرجات الحرارة لا تزيد عن ٢٨ درجـة، وينـدر تقريبا سقوط ثلوج في هذا الإقليم.

٢- إقليم المرتفعات ـ الحرارة فيه أبرد، ولا تزيد درجة الحرارة عن ٢٢ درجة، والأمطار فيه أغـزر مـن إقليم السهول، وتسقط الثلوج أحيانًا خصوصا فـوق قمم الجبال في الجليل الأعلى والقدس والخليل.

٣- إقليم غور الأردن ـ أشـد حـرارة مـن سـابقيه، ولا تتجاوز الأيام الماطرة عن ٥٠ يوما، وترتفع فيه درجة الرطوبة خصوصا في منطقة بحيرة طبرية.

٤- وادي بيسان ـ مناخه قاري جدا؛ فهو شديد البرودة شتاء، وشديد الحرارة صيفًا بسبب انخفاضـه عـن

سطح البحر وسقوط الأمطار فيه غير منتظم؛ لـذلك فكثيرا ما يتعرض لحالات الجفاف.

٥- مرج ابن عامر ـ درجة حرارته معتدلة، وبعـض أجزائه غزيرة المطر.

٦- غور الأردن والبحر الميت ـ مناخه جـاف وكلمـا اتجهنا جنوبا ترتفع درجة الحـرارة ويقـل سـقوط المطر، والبحر الميت أكثر بقاع الكـرة الأرضـية انخفاضا عن سطح البحر، وفي بعض مناطق البحر الميت ترتفع كثيرا درجة الحرارة لتصل في بعـض الأحيان إلى ٥٠ درجة في الظل.

٧- إقليم النقب ـ يمتاز بشدة الحـرارة فـي الصـيف والبروة في الشتاء، والجفاف طيلـة العـام؛ لنـدرة سقوط المطر، أكثر أجزائه صحراوية.

الثروات الزراعية والمعدنية والحيوانية:

تُزرَع في فلسطين أكثر أنواع الحبوب، وتقـوم إسـرائيل بزراعة الأرز في سهول الحولة وكذلك زراعة القطن فـي

منطقة بيسان والنقب، ونجحت إسرائيل في زراعـة القطـن الطويل التيلة المشهورعالميا.

أما الحمضيات (الموالح) فتشتهر زراعتها فـي فلسـطين وخصوصا السهل الساحلي، ولا يزال اسم " برتقـال يافـا " يحتل الكثير من الأسواق العالمية خصوصا في أوربا.

وتزرع فلسطين جميع أنواع الخضار التي تنتج في جميع فصول السنة، وتنتشر زراعة الزيتون والذي يستَخْرَج منـه الزيت ويعتبر مادة أساسية في الغذاء وفي صناعة الصابون.

أما الفواكه فأشهرها زراعة الموز فـي منطقـة الغـور وأريحا وبيسان وطبرية، والعنب وقد أخذت إسـرائيل فـي استعماله في صناعة النبيذ والكحول، وتزرع فلسطين الخوخ والتفاح والأجاص والدراق والتين والمشمش.

أما عن الثروة الحيوانيـة فتكثـر تربيـة البقـر والإوز والدواجن والخنازير، وتنتج سواحل فلسطين وبحيرة طبريـة والأحواض الصناعية كمية من الأسماك، وتكثر أيضا تربية الأغنام؛ للاستفادة من لحومها وأصوافها.

والثروة المعدنية: تستخرج من البحـر الميـت وأهمهـا البوتاس والماغنيسيوم وكربونات الكالسيوم، وقـد اكتشـفت

إسرائيل تراب الحديد في حدودها الشمالية وفي وسط النقب، ويوجد الفوسفات بقرب أريحا، وقد أُكْتُشِـفَ الـنفط قـرب عسقلان وغزة.

وتمتاز فلسطين بتوفر طرق المواصلات التي تصل بـين مدنها المختلفة وبين مصر وسوريا ولبنـان والأردن سـواء الطرق العادية أو السكك الحديدية.

أنهار فلسطين قصيرة وضحلة وأغزرها مياها نهر العوجا الذي تتجمع مياهه في رأس العين قرب طولكرم، ويصبُّ في البحر الأبيض على بعد حوالي ستة كيلو مترات من مدينـة يافا، وهنالك أنهار الأردن الذي يصبُّ فـي البحـر الميـت والمقطع والنعامين ويقعان في خليج عكا وروبين، ويقع نهر الشريعة على بعد ١٤ كيلو مترا جنوب يافـا وفـي شـمال فلسطين على الحدود مع سوريا الذي يصـبُّ فـي بحيـرة طبرية.

وفي فلسطين ثلاث بحيرات: الحولة في الشـمال وقـد جففها الإسرائيليون، وبحيرة طبرية وتنخفض عـن سـطح البحر وتمتاز بوفرة أسماكها وجمال شواطئها وتقـع ينـابيع

الحمة المعدنية في طرفها الجنوبي، وبحيرة طبرية غنية بالمياه؛ لعمقها نسبيا.

والبحر الميت ومياهه مالحة لا تعيش فيه الحياة ولكنه غني في الأملاح المعدنية: البوتاس والفوسفات والكبريت، وعمق مياهه يزيد عن ٣٨٥ مترا، وملوحة المياه فيه أعلى درجات الملوحة في العالم.

تكثر الجبال في مناطق مختلفة من فلسطين ولكنها محدودة الارتفاع، وأعلى قمة في فلسطين قمة جبل الجرمق شمال غرب مدينة صفد ويبلغ ارتفاعه ١١٩٨ مترا، يليه جبل حلحول قرب الخليل ويبلغ ارتفاعه ١٠١٣ مترا، وباقي الجبال يتراوح ارتفاعها بين ٤٥٠ ـ ٩٥٠ مترا.

ومن الجبال الشهيرة جبل كنعان قرب صفد، وجبال الكرمل قرب حيفا، وجبل النبي داود ويعرف باسم جبل صهيون، وجبل الزيتون وكلاهما يشرف على مدينة القدس، وجبال الخليل وتنحدر حتى قرب البحر الميت، ثم جبال الجليل وتقع في أقصى شمال فلسطين.

وتكثر التلال في فلسطين ومن أشهرها تل يونس قرب يافا، وتل الفخار ويعرف بتل نابليون قرب مدينة عكا، وتل

السلطان قرب أريحا وكانت تقوم عليه مدينة أريحا القديمـة، وتل العجول قرب غزة، ويرجح أن موقع غزة قبل التـاريخ كان عليه، وتل القنطور شمال مدينة يافا قبر سيدنا علي وهو من المواقع الأثرية.

وأشهر السهول في فلسطين سهل مرج ابن عامر وتشكل رءوسه بين حيفا والناصرة وجنين، وسهل سارنا ويمتد بـين حيفا شمالاً ويافا جنوبا وتربته خصـبة ويشـتهر بزراعـة البرتقال والحبوب والبطيخ، وسهل عكا ويمتد مـن شـمال حيفا حتى الحدود اللبنانية ويمتاز بزراعة البرتقـال والتبـغ والزيتون، وسهل غزة وتُزرَعُ أكثر أراضيه برتقالاً وشعيرا، وسهل يافا وتزدهر فيه زراعة البرتقال.

كانت فلسطين في سنوات الحكم العثمـاني تنقسـم إلـى قسمين إداريين:

١- متصرفية (سنجق) القدس المستقلة المرتبطة بوزارة الداخلية في اسطنبول، وتضم أربعة أقضية بئر سبع ـ الخليل ـ غزة ـ يافا، بالإضافة إلـى نـاحيتي بيت لحم، و أريحا.

٢- شمال فلسطين وكان يتبع لواءين:

أ- لواء نابلس ويضم طـولكرم، وجنـين، وطوبـاس وبيسان.

ب- لواء عكا ويضم صفد، وطبرية، والناصرة، وحيفـا وكان اللواءان المذكوران يتبعان متصرفية بيروت.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني اتفقت بريطانيا وفرنسا على تقسيم أملاك الدولة العثمانية، وفي معاهدة باريس الموقعـة بينهمـا فـي ديسمبر سنة ١٩٢٠ أقرَت الدولتان تخطيط الحدود، وعرفت فيما بعد حدود فلسطين الحالية بعد إجـراء عـدة تعـديلات لمعاهدة ١٩٢٠ لصالح الانتداب البريطاني الذي كان يخطط لتسليم البلاد إلى اليهود مستقبلاً.

فلسطين تحت الحكم العسكري البريطاني
منذ الاحتلال سنة ١٩١٨ ـ
إعلان الانتداب سنة ١٩٢٢

بداية الحكم العسكري البريطاني لفلسطين منذ سنة ١٩١٨ كان يهدف إلى إرساء قواعد الوطن القومي اليهـودي فـي فلسطين، ورغم التعتيم الذي حاولـت القيـام بـه الحكومـة العسكرية وحظر النشر أو الإشارة إلى وعد بلفـور؛ خشـية تولد ردود فعل عربية عنيفة تعكر صفو السلام في الـبلاد، رغم ذلك أخذت الضغوط الصهيونية سـواء علـى الحكـم العسكري في فلسطين أو على حكومة لنـدن تفصـح عـن مطالبها بإدخال اللغة العبرية كلغة رسمية للـبلاد، وإنشـاء قضاء يهـودي مسـتقل، وإعطـاء امتيـازات للشـركات والمؤسسات اليهوديـة وخصوصـا المؤسسـات الزراعيـة والمالية، وقطع وسائل الاتصـال التـاريخي بـين السـكان الفلسطينيين وبقية العرب في الأماكن المجاورة.

أخذت الإدارة العسكرية تستجيب تدريجيا لتلك الطلبات؛ فحرمت الشعب الفلسطيني من حق تقرير المصير، ومنحت مساحات واسعة من الأراضي الأميرية - وهي التابعة للدولة - لليهود لتوطين آلاف المهاجرين الذين أخذوا يتدفقون على البلاد.

ورغم الظروف القاسية التي مرّت بها فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى، واستنزاف موارد البلاد، وهلاك الماشية، وقطع الأشجار- وخصوصا شجر الزيتون- لأغراض الوقود، وإهمال بساتين البرتقال وهو المحصول الزراعي الرئيسي في البلاد بسبب ندرة الوقود والافتقار إلى الأيدي العاملة - قامت الإدارة العسكرية بإقفال المصرف الزراعي العثماني وفروعه الثلاثة عشرة التي كان يعتمد عليها الفلاح الفلسطيني للاقتراض بشروط ميسرة؛ وهذا أدى إلى معاناة الفلاح من ضائقة خانقة، وعدم تمكنه من دفع الضرائب المستحقة، واضطراره إلى الاستدانة بالربا الفاحش.

وأخذت أسعار البضائع في الزيادة، وأصبحت وسائل المواصلات في غاية التخلف.

ألغت الإدارة العسكرية مجلس المعارف في القدس وكـان رأسه عربيا وأقامت إدارة جديـدة - دائـرة المعـارف - يرأسها بريطاني، ولم تفتح الإدارة البريطانية المدارس بعـد الاحتلال، واقتصر الأمر على بعض الكتاتيب فـي المـدن والقرى وأكثرها كان يتبع التعليم الديني، ثـم أخـذت الإدارة العسكرية في فتح بعض المدارس دون تقـديم أي مسـاعدة لا بالنسبة للكتب فقط بل للأدوات الكتابية والمقاعد ولـوازم التدريس.

وظهرت إرادة الشعب " الفلسطيني نحـو التعلـيم بقيـام جمعيات وطنية في المدن والقرى أخذت على عاتقها مساعدة تلاميذ المدارس، وإنشاء الصفوف التعليمية.

وحتى سـنة ١٩٢٠ لـم تـزد ميزانيـة التعلـيم عـن ٦,٣٪ من الميزانية العامة.. ومما زاد المشاكل تعقيدا رفض السلطة العسكرية جميع المطالب والاحتجاجـات والشـكاوى العربية، وتدخلت اللجنة الصهيونية في منع السلطة العسكرية من إصدار صـندوق لمسـاعدة المـزارعين الفلسـطينيين وإقراضهم بسعر فائدة معقول، وأصروا علـى أن إصـدار القروض يجب أن يتم عن طريق بنـك "أنجلـو فلسـطين"

اليهودي بفوائد مضاعفة؛ وهكذا وجد الفلاح الفلسطيني نفسه بلا حولٍ ولا قوة فريسة للمرابين.

وفي ظل الظروف القاسية كان الفلاح الفلسـطيني يجـد نفسه مضطرا إما للتخلي عن أرضه أو بيعها.

وطالب اليهود بعدم تطبيـق النظـام الـديمقراطي فـي فلسطين؛ لأنهم يعلمون الفارق الكبير بين عدد العرب وعـدد اليهود ٩٢ ٪ و ٨ ٪، ولأنه عند استشارة أهل البلاد لا بـد سيصوتون ضد الاحتلال واليهود، وأصرَّ اليهود على تسمية فلسطين بالعبرية أرض إسرائيل، وتم لهم ذلك فـي جميـع أوراق الدولة.

وهكذا انتهكت الإدارة العسكرية والحكومـة البريطانيـة قواعد القانون العسكري، وسلكت سياسة محاباة الصـهيونية، وفي مؤتمر الصلح في باريس فشل الحلفاء في الاتفاق علـى مستقبل فلسطين؛ لأن النية كانت مبيتة بين بريطانيا وفرنسـا على تقسيم البلاد بينهما وإقامة الوطن القومي اليهودي فـي فلسطين وهذا ما باركته الحركة الصـهيونية؛ لأنـه يمثـل الخطوات الأولى لتحقيق الأهداف الصهيونية.

واتفقت الدولتان على تحديد حـدود فلسـطين، وأخـذت الهجرة اليهودية تتدفق على فلسطين، وتم تشكيل قوة الـدفاع اليهودية (الهاجاناه) ولم تلتفـت حكومـة لنـدن إلـى كـل الاحتجاجات الفلسطينية ولا إلى تقارير اللجان التي أرسـلتها أمريكا، ووافق مجلس الـوزراء البريطـاني علـى تعيـين هربرت صموئيل كأول مندوب سامٍ في فلسطين وهـو مـن غلاة اليهود المتحمسين والمتعصبين لإنشاء الوطن القـومي لليهود في فلسطين؛ وبهذا خطط اليهود لانتقال الصهيونية من عالم الأحلام إلى عالم الواقع، وأن المحصلة النهائية لكل هذه الإجراءات الاستحواذ على فلسطين وإقامة الدولة اليهوديـة فوق أرضها.

ولا شك أن تعيين أول مندوب سامٍ على فلسطين يهـودي متعصب كان المقصود منه دعم بريطانيا للصهيونية العالمية، وقد نُقِلَت صلاحيات المندوب السامي من وزارة الخارجيـة إلى وزارة المستعمرات، وكان يرأسها فـي ذلـك الوقـت البريطاني المتعصب للصهيونية ونستون تشرشل.

بدأ هربرت صموئيل عمله بملء الإدارة المدنيـة بكبـار المتعاطفين مع اليهود والصـهيونية وخصوصـا المناصـب

القيادية مثل: السكرتير العام الإداري، النائب العـام، مـدير التجـارة والهجـرة والأراضـي، وجمـيعهم مـن اليهـود البريطانيين.

وهكذا ظلت فلسطين تُحكَم طيلة مدة الهدنة حكما عسكريا متعسفًا ومنحازا كلية إلى جانب اليهود حتى تم توقيع معاهدة الصلح سنة ١٩٢٢، وانتقلت إدارة فلسطين إلى حكم الانتداب البريطاني وهو ما سمي بالحكم الشرعي لفلسطين.

ومع بداية حكم الانتداب أخذت السياسة البريطانية تـزداد شراسة وانحيازا لليهود ولهذا الموضوع حديث آخر.

ويمكن تلخيص فترة الحكم العسكري في فلسطين إلى عدة مراحل رئيسية:

أولاً: الحكم المطلق؛ وفيه خضعت البلاد للأحكـام العرفيـة لمدة تزيد عن ثلاثة وثلاثين شهرا.

ثانيا: سيطرة العناصر اليهوديـة علـى الإدارة العسـكرية وزيادة عددهم زيادة كبيرة حتى إن الإدارة العسكرية كانت تطرد الموظفين العرب؛ ليحل محلهم موظفون يهود.

ثالثًا: حافظت الإدارة العسكرية على بعض الأنظمة العثمانية التي تخدم أهداف ومصـالح الاحـتلال العسـكري ومخططات إقامة الوطن القومي اليهـودي، وأبقـت نظام البلديات والمخاتير (العمد) ولكن الاختيار كـان يتم دائما من طبقة الأعيان وكبـار المـلاك وهـم أصحاب المصلحة الحقيقية في التعاون مـع الإدارة البريطانية عسكرية أو مدنية.

الانتقال إلى الإدارة المدنية في فلسطين بعد انتهاء الحكم العسكري

بعد أن استتب الأمر للإدارة المدنية في فلسطين، وأُعلِـنَ الانتداب البريطاني رسميا سنة ١٩٢٢ تم تعيـين هربـرت صموئيل اليهودي البريطاني مندوبا سـاميا فـي فلسـطين، وانتقلت إدارة البلاد لوزارة المستعمرات البريطانية وأُطْلِـقَ عليها اسم " حكومة فلسطين ".

بدأ هربرت صموئيل اليهـودي المتعصـب والمـتحمس لإنشاء الوطن القومي اليهـودي فـي فلسـطين فـي بنـاء المؤسسات المدنية، وجعل أهم واجباتها اسـتعمار فلسـطين وتهيئتها لإنشاء الوطن القومي دون أدنى اهتمـام بمطالـب الشعب الفلسطيني والنهوض بالتنمية الوطنية لشـعب يمثـل غالبية السكان.

أُعلِنَ عن تعيين مجلس تنفيـذي جميـع أعضـائه مـن البريطانيين وأكثره يخضع بشكل مفضوح للنفوذ الصهيوني، وتم بعد ذلك تشكيل دوائر الحكومة المدنية وأجهزتها وفـق

صيغة تضمن سيطرة النفوذ اليهودي في المواقع الحساسة مثل أنشطة الهجرة والأراضي والاستيطان.

رؤساء الإدارات المدنية:

جرى تعيين رئيس دائرة الهجرة من اليهود وكذلك رئيس الدائرة المالية، وعين بريطاني رئيسا لدائرة الأراضي يساعده ثمانية موظفين اثنان من العرب والباقي من اليهود، وترأس دائرة تسوية الأراضي (وهي من الإدارات الهامة) يهودي هو فريدريك سالمون يساعده اثنا عشر موظفًا أربعة من العرب والباقي يهود، أما دائرة الأحراج فكان جميع موظفيها من اليهود باستثناء عربي واحد.

كان عدد موظفي دائرة الهجرة ٦١ موظفًا منهم ٤٤ من اليهود، وكان العرب يشغلون وظائف هامشية حتى أن دائرة الزراعة خلت تماما من العرب.

وكانت جميع القرارات الاقتصادية، وميزانية حكومة فلسطين، وفرض الضرائب يستلزم موافقة وزارة المستعمرات البريطانية في لندن، وكان يشغل وزارة

المستعمرات الوزير تشرشل المعروف بانحيازه وتعاطفه مع اليهود، وكرهه للعرب.

ورغم أن عدد اليهود كان أقلية في البلاد فقد أُدخِلَت اللغة العبرية بشكل رسمي إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية، وكان يكتب في كل ورقة أو مستند رسمي إلى جانب حكومة فلسطين باللغة العبرية (أرض إسرائيل) أ ـ إ؛ وهكذا وجـد الشعب الفلسطيني نفسه في مواجهـة إجـراءات تسـتهدف وجوده ومستقبله خصوصا بعد أن أخذت موجـات الهجـرة اليهودية تتدفق على البلاد، وأصبحت جميع القـوانين تتسـم بالتنسيق مع الوكالة اليهودية لخدمـة الاسـتيطان والهجـرة اليهودية.

ومن أخطر القوانين إيذاء للشعب الفلسطيني كانت القوانين الزراعية وقوانين تسوية الأراضـي، وكانـت تعمـل تلـك القوانين على تشريد الفلاح الفلسـطيني بتحميلـه الأعبـاء المرهقة ومنعه من تطوير الإنتـاج الزراعـي الفلسـطيني، وتسلبه أرضه التي عاش فيها مئـات السـنين، ثـم وجـد الحرفيون العرب أنهم أمام منافسة غير متكافئة مع الصناعة اليهودية التي كانت تحظى بدعم وتأييد الحركة الصـهيونية

سواء بالدعم المالي أو الخبرة الفنية العالية بجانب الانحيـاز التام للسلطة البريطانية في فلسطين والحيلولـة دون إنشـاء مدارس صناعية أو مراكز للتدريب الصناعي والمهني.

وقد أدت تلك الظروف إلى المواجهـات المتعاقبـة مـن الثورات والانتفاضات سنوات ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ ـ ١٩٢٩ـ ١٩٣٣ ـ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.

ورغم محاولة سلطة الانتداب البريطاني إدخـال بعـض التعديلات الهامشية في تلك القـوانين فقـد اسـتمر تـدهور الأوضاع الاقتصادية الفلسطينية، واستمرت رغم ذلك حكومة الانتداب في فرض المزيد من القـوانين واللـوائح المتعلقـة بملكية الأرض ـ الهجرة ـ الجنسية ـ حقـوق اسـتغلال الموارد، وكلها تصب في مصلحة اليهود.

وهكذا أخذ الاقتصاد الفلسطيني يفقد قدرته على النمو في ظل تلك السياسات التعسفية، وأخذ الاقتصاد الصهيوني ينمو ويزدهر، واستولى اليهود على أكثر الهياكل الاقتصادية فـي البلاد ولا شك أن الإطار السياسي والاقتصـادي والقـانوني والإداري الذي سارت عليه حكومة الانتداب البريطانية فـي

فلسطين خلال ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨ أدى إلى الكارثة وضـياع فلسطين.

المجالس التشريعية الاستشارية في عهد حكومة الانتداب ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧

بدأت محاولة حكومة الانتداب البريطاني علـى فلسـطين تقديم بعض المشروعات؛ بقصد إقامـة مجـالس تشـريعية استشارية بعد أن تم تعيـين هربـرت صـموئيل اليهـودي البريطاني مندوبا ساميا على فلسطين.

وكانت الحكومة تعتقد أن ذلك يرضي العرب السـاخطين على الانتداب وعلى وعد بلفور.

لكن جميع تلك المحاولات فشلت لسبب هام وهو أن أكثر سكان فلسطين من العرب؛ فأي مجلـس ينتخـب تحـت أي شروط يجب أن يكون للعرب الفلسطينيين أكثرية عددية وهو ما يرفضه الإنجليز واليهود على السواء، وكان العقل المفكر في تخطيط تلك المحاولات النائب العام اليهودي في فلسطين نورمان بنتويتش الذي طالما حاول العـرب إقالتـه بـدون جدوى، وجرت محاولة فاشلة لاغتياله، وعمل أستاذًا للقانون الدولي في الجامعة العبرية بالقدس.

كان الانتداب المفروض على منطقـة الشـرق الأدنـى - العراق، والأردن، وسوريا، ولبنان- حسب قرار عصـبة الأمم في جنيف يعتبر من درجة(أ) الـذي يفـرض إنشـاء حكومات وطنية لإدارة شئون البلاد تحت إشـراف الدولـة المنتدبة لإعدادهم للاستقلال التام، وتم ذلك فيما عدا فلسطين فبدلاً من إنشاء حكومة وطنية أقامت الحكومـة البريطانيـة إدارة سمتها حكومة فلسطين، وحرمت أهل البلاد من حقوقهم المشروعة، وألحقت تلك الحكومـة بـوزارة المسـتعمرات البريطانية بدلاً من إتباعها لوزارة الخارجية.

جرت المحاولة الأولى بعد إلغاء الحكم العسـكري سـنة ١٩٢٠ وتعيين هربرت صموئيل اليهودي أول مندوب سـامٍ مدني على فلسطين - حيث تم تعيين أول مجلس استشـاري عدد أعضائه عشرين نصفهم من الإنجليـز، وسـبعة مـن العرب، وثلاثة من اليهود، وكانت اجتماعات المجلس شكلية ولم يسمح له بالتصويت على أي قـرار؛ فرفضـه العـرب وأصرُّوا على إقامة حكم ذاتي كما نصَّ عليه صك الانتداب؛ فأوقفت حكومة فلسطين نشاط المجلس.

وفي سنة ١٩٢٢ وضعت الحكومة البريطانيـة دسـتور السياسة التي تعتزم اتباعها في إدارة شئون فلسطين وهو مـا سمي بالكتاب الأبيض وعلى أساسه أُبرِمَ صك الانتداب الذي تضمن أخطر وأهم بندين: إقرار وعد بلفور، وإنشاء الوكالة اليهودية وهي التي أنيط بها إدارة الشئون التعليمية والصحية وجميع متطلبات الحياة اليومية لليهود في فلسطين مـا عـدا المالية، والجمارك، وشئون الأمن.

وصرح تشرشل- وكان وزيرا للمستعمرات- أن تصريح بلفور لا يمكن العدول عنه، وأن الحكومة البريطانية ملتزمة بإنشاء الوطن القومي لليهود بمساعدة اليهود الموجودين فـي أنحاء العالم، ويلاحظ أن الكتاب الأبيض أضاف تعهدا جديدا لليهود- بالإضافة إلى التعهدات السابقة- باسـتعمال كلمـة "وتنمية الوطن القومي" وهي لم ترد في نص وعـد بلفـور؛ ومعناه تزايد واتساع الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وأعطى الكتاب الأبيض الحق للجمعية الصهيونية في إبداء النصح والمشورة لحكومة فلسطين في جميع التـدابير التـي تؤثر على السكان اليهود، وأن سياسة الهجرة تعتمـد علـى مقـدرة الـبلاد علـى الاسـتيعاب، وأن مراسـلات

مكماهون - حسين لم تتضمن وعدا للعرب بإدخال فلسـطين في حدود الدولة العربية المستقلة، وجرى أول تنظـيم إداري في فلسطين على أساس استعماري يهودي، وأسندت الدوائر الرئيسية إلى أشخاص بريطانيين أو يهود من أصل إنجليزي فكان مدير المعارف ـ الأمن العام ـ المالية ـ الجمارك ـ العدل ـ الزراعة جميعهم من الإنجليز، ومـديرو الهجـرة، والسفر، والأراضي من اليهود الإنجليز، وكـذلك مستشـار الحكومة، والنائب العام " بنتويتش " يهودي، ولكـن الشـعب الفلسطيني قرّر عدم التعامل مع الحكومة على أساس الكتاب الأبيض والدسـتور الجديـد، ورفـض مشـروع المجلـس التشريعي.

ومن أهم الأسباب التي حملت العرب على رفـض هـذا المجلس أنه بني على أساس الاعتـراف بالانتـداب وبوعـد بلفور، ولأنه كان لا يمثل البلاد تمثيلاً صحيحا؛ فقد أعطـى العرب الذين كانوا يمثلون ٩١ ٪ من السكان عشرة أعضـاء من مجموعة أعضاء المجلس البـالغ عـددهم ٢٢ عضـوا، والباقي من الإنجليز واليهود.

وأعادت حكومة الانتداب المحاولة سنة ١٩٢٣ علـى أن يسمحَ باختيار الأعضاء بالانتخاب وليس التعيين ولكن بقيت المشكلة في عدد الأعضاء العرب البالغ أقل مـن النصـف؛ وهكذا رفِضَ هذا المشروع أيضا.

وفي دورتين لعصبة الأمم ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ في جنيـف نوقشت الحكومة البريطانية بسـبب عـدم تأسـيس مجلـس تشريعي في فلسطين فأجاب مندوبها بكل صـراحة وجـلاء بأنه: " لا يمكن إنشاء مجلس تشريعي في فلسـطين يكـون العرب فيه ممثلين حسب عـددهم؛ لأن ذلـك يحـول بـين الحكومة وبين تنفيذ الواجبات المفروضة عليها بإنشاء الوطن القومي اليهودي ".

ثار العرب وقاموا بعدة ثـورات للـدفاع عـن حقـوقهم ومصالحهم واندلعت ثورة ١٩٢٩ الكبيرة، وسـمِعَ صـوت فلسطين في أنحاء مختلفة من العالم.

فقامت الحكومة البريطانية في محاولة لإرضـاء وتهدئـة العرب وأصدرت كتابا أبيض جديدا في أكتوبر سـنة ١٩٣٠ أعلنت فيه أنها ستتقدم خطوة أخرى في سـبيل مـنح أهـل فلسطين درجة من الحكم الذاتي.

وعلى الرغم من أن الكتاب الأبيض الجديد لم يشمل الجديد بالنسبة للعرب، وبني أيضا على أساس الانتداب ووعد بلفور على الرغم من ذلك لم يرفضه كليا العرب، وأعلنوا أنهم على استعداد للتعاون مع الحكومة البريطانية في تنفيذ بعض المشروعات التي انطوى عليها ذلك الكتاب.

ولكن ما إن أعلنت الحكومة البريطانية عن عزمها تنفيذ بنود الاتفاق حتى هب اليهود وغلاة البريطانيين المؤيدين لهم مثل تشرشل - سمطس - إيمري تشمبرلان - بلدوين وغيرهم وطالبوا بإلغائه ونجحوا في ذلك؛ وهكذا فشلت محاولة الفلسطينيين هذه المرة في التعاون مع الحكومة بعد أن تراجعت عن وعودها، وأرسل رئيس الوزراء البريطاني رسله إلى وايزمان يطمئنه عن توطيد دعائم الوطن القومي اليهودي.

وفي سنة ١٩٣٥ عرض المندوب السامي البريطاني على ممثلي الأحزاب الفلسطينية وكذلك ممثلي اليهود مشروع تأسيس مجلس تشريعي جديد على أن يتألف من ٢٨ عضوا ٥ موظفين، و١١ معينين غير موظفين، و١٢ منتخبين على

أن يعين رئيس المجلس من خارج فلسطين، ويكون حياديـا، ولن يشترك في التصويت، وله خبرة سابقة بالعمل القضائي.

يتمتع المجلس التشريعي بالسـلطات والواجبـات التاليـة بشرط وفاء الحكومة البريطانية بالتزاماتها الدوليـة، وقيـام المندوب السامي بالسلطات المخوَلة لـه، ولـن يصـبح أي مشروع قرار نافذًا إلا بعد موافقة المندوب السـامي عليـه، وفي حالة اتخاذ إجراءات سريعة للمحافظـة علـى الأمـن والنظام أو اعتماد نفقات عاجلة فإن من حق المندوب السامي إصدار قوانين تمكن من اتخاذ الإجراءات الضرورية، ولـه أيضا الحق في تمديد أو حل المجلس أو تأجيـل الانتخابـات العامة، ويظل موضوع الهجرة اليهودية إلى فلسطين منوطًـا بالمندوب السامي وحده، ولا يجوز مناقشة صحة الانتـداب البريطاني على فلسطين أو موضوع الوطن القومي لليهـود في البلاد - ولم يتفق الزعماء العرب على موقـف موحـد ولم يرفضوا المشروع، وطالبوا بإدخال بعـض التعـديلات، وأعربوا عن رغبتهم في التعاون على أساسه، ولكن الضغوط الصهيونية، وموقف حكومة الولايـات المتحـدة أجهضـت المشروع.

وقامت الثورة العربية الكبـرى سـنة ١٩٣٦، وأرسـلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق في أسباب الثورة؛ مما أدى في النهاية إلى إصدار كتاب أبيض جديد سنة ١٩٣٩ تضمن سياستها الجديدة في فلسطين، واعترفت فيه بمبدأ تأسيس دولة فلسطينية مستقلة خلال ١٠ سنوات بشرط موافقـة العـرب واليهود على ذلك ولكنها تحت ضغط النفوذ اليهودي عـادت وتراجعت عن أكثر بنود المشروع ومـع انـدلاع الحـرب العالمية الثانية، ومحاولة إرضاء العرب والمحافظـة علـى الظروف الأمنية في المنطقة أعلنت عن عدم السماح للبواخر المحملة باليهود بالدخول إلى الشواطئ الفلسـطينية، وقيـدت قليلاً موضوع انتقال الأراضي إلـى اليهـود ورغـم ذلـك استمرت الهجرة غير المشروعة، وكانت حكومـة الانتـداب تتغاضى عن تسربهم إلى داخل البلاد.

وبدأ اليهود يستعدون للقيام بأعمال عنف ضد السـلطات البريطانية في فلسطين، وأخذت العصـابات اليهوديـة فـي مهاجمة دوائر البوليس، ونسف الدوائر الحكومـة، واغتيـال الضباط والجنود الإنجليز، وحاولوا قتل المنـدوب السـامي

البريطاني، ونسفوا فندق الملك داود في القدس؛ وراح ضحية ذلك عشرات الجنود والموظفين البريطانيين.

ورغم ذلك فإن حكومة الانتداب لـم تتخـذ الإجـراءات الصارمة ضد الأعمال الإرهابية اليهودية وكما كانت تفعـل مع العرب الفلسطينيين من إعدام ومصادرات ونسف بيـوت واعتقالات ونفي، وكان اليهود قد توصـلوا أثنـاء الحـرب العالمية الثانية إلى درجة عاليـة مـن القـوة الاقتصـادية والصناعية وخاصة صنع بعض أنواع السلاح الذي كان يقدَم لخدمة المجهود البريطاني.

وفي سنة ١٩٤٦ تخلت بريطانيا تماما عن سياسة الكتاب الأبيض، ولم تعد هناك أسباب تجعل حكومة الانتداب تعمـل حسابا للعرب بعـد أن انتهـت الحـرب العالميـة الثانيـة بانتصارها.

واندلعت الاضطرابات العربية ضد الحكومة فـي بـادئ الأمر ثم تحوَل الصراع بين العرب واليهود، وباتت الحكومة تلعب دور المتفرج ظاهريا والمساعد الأكبر لليهـود سـرا، وأصبح التدخل الأمريكي السافر المؤيد للموقف اليهودي يزيد

من ضغطه على الحكومة البريطانية؛ بحيث أصبحت لا تتخذ أي قرار دون موافقة الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان إعلان أمريكا ضرورة إدخال مائة ألف يهودي إلى فلسطين سنة ١٩٤٦ توطئة لـرفض المشـروع البريطـاني الجديد الذي قُدم إلى مؤتمر لندن باسم مشـروع موريسـون رئيس مجلس اللوردات البريطاني، وكان المشروع الجديـد يرتكز على ما يلي:

لا دولة يهودية ولا دولة عربية ولا دولة ثنائيـة وإنمـا إعطاء كل فريق منطقة خاصة يمارس فيهـا حكمـا ذاتيـا خاضعا للحكومة المركزية في القدس، ويتم تقسيم فلسـطين إلى كانتونات تُقسم بين العرب واليهود، ومن سخرية القـدر أن هذا المشروع أباح لليهود استقبال أي عدد من المهاجرين: أي أنه فتح باب الهجرة على مصراعيه أمام دخول اليهـود إلى فلسطين دون قيد أو شرط.

ولكن الوفود العربية الموجودة في لندن والتي كانت تمثل مصر، والعراق، ولبنـان، والأردن، والسـعودية، والـيمن، وسوريا، والجامعة العربية رفضت المشروع وكذلك رفضته أمريكا، وأعلنت دعمها لسياسية الوكالة اليهودية بإقامة دولة

يهودية مستقلة، ووافقت بريطانيا على إدخـال مائـة ألـف يهودي إلى فلسطين.

وتقدمت الوفود العربية بمشروع مضاد ولكـن بريطانيـا رفضته؛ لأنه لا يقبل قيام دولة يهودية في فلسطين.

وأخيرا: عادت بريطانيا وقدمت مشروعا جديـدا عـرِفَ باسم "مشروع بيفن" تضمن عدة نقاط ارتكزت على استمرار الانتداب لمدة خمس سنوات، وإقامة مجالس عربية ويهوديـة تتمتع باستقلال ذاتي ولكن حجر العثـرة دائمـا: موضـوع الهجرة؛ حيث لم تقبل بريطانيا إيقافها تماما بل أبقت البـاب مواربا..

وهكذا أُسدِلَ الستار عن آخر مؤتمر وآخر المشاريع التي عقِدَت بشأن القضية الفلسطينية.

لجان التحقيق ـ الكتاب الأبيض ـ القرارات البريطانية أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين

دأبت الحكومـة البريطانيـة فـي أعقـاب كـل ثـورة أو انتفاضة شهدتها فلسطين ضد الحكم البريطاني في فلسطين على إرسال لجان تحقيق لدراسة الأوضاع في فلسطين وتقديم توصياتها إلى الحكومة البريطانية، وإثر تلك التقارير التـي كانت تقدمها تلك اللجان كانت الحكومة البريطانية تعمد إلـى إصدار ـ عدة قـرارات ـ صـدر منهـا ثلاثـة سـميت بالكتاب الأبيض.

الأول صدر سنة ١٩٢٢، والثاني صـدر سـنة ١٩٣٠، والثالث صدر سنة ١٩٣٩.

الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٢٢

بعد ثورة ١٩٢١ التي بدأت في مدينة يافا، وامتد لهيبهـا إلى أنحاء فلسطين، وقُتِلَ فيها أعداد من العـرب واليهـود، وسقط العديد برصاص الجيش البريطاني أرسلت الحكومـة

البريطانية لجنة تحقيق يرأسها السير توماس هايكرفت حيث أثبتت في توصياتها أن سبب الاضطرابات يعود إلى الشعور السائد ضد اليهود بسبب خطط حكومة الانتداب المنحازة إلى اليهود، وحرمان العرب من الاستقلال وحكم أنفسهم؛ وعلـى أثر ذلك قرَّر العرب إرسال وفد فلسطيني إلى لندن للدعايـة للقضية الفلسطينية والاتصـال بالمسـئولين فـي الحكومـة البريطانية.

لم تستجب بريطانيا لمطالب العرب الفلسطينيين وأصـدر وزير المستعمرات ونستون تشرشل ما سمي بالكتاب الأبيض في ٢٢/ ٦/ ١٩٢٢ تضمن رفض توصيات لجنة التحقيـق، وعدم تلبية المطالب الفلسطينية؛ لأنها تتعارض مع تعهـدات بريطانيا لليهود، وتضمن الكتـاب اقتراحـا بمـنح دسـتور لفلسطين، ومشروع تأليف مجلس تشريعي، وقد رفض عرب فلسطين تلك المقترحات التي جاء بها الكتاب الأبيض؛ لأنهـا لا تحقق شيئًا من مطالبهم، وقد اعترف الـزعيم اليهـودي وايزمان وكذلك نورمان بنتويتش مستشار حكومة الانتـداب أن المندوب السـامي البريطـاني اليهـودي فـي فلسـطين

هربرت صموئيل هو الذي وضع صيغة تلك المقترحات، ولم يكن أمام تشرشل إلا توقيعها.

وافق اليهود على الكتاب المذكور؛ لأنه يحقق للصـهيونية أكثر مما كانت تتطلع إليه، ورفض الفلسـطينيون مشـروع الدستور وكذلك الاشتراك في الانتخابات المزمعـة لتشـكيل المجلس التشريعي؛ لأن نصوص المشروع والاشتراك فـي الانتخابات كانت تعني القبول الكامل للانتداب ووعد بلفـور، ولأنه يخالف أماني ومطالب الشعب الفلسطيني، ويحول البلاد إلى وطن قومي لليهود.

ومما جاء في الكتاب الأبيض المذكور أن تصريح بلفـور لا يمكن البحث في العدول عنه، وأن تأسيس وطـن قـومي لليهود في فلسطين يأتي في المرتبة الأولى، وحماية حقـوق السكان غير اليهود تأتي في المرتبة الثانية، وادعى التصريح الوارد في الكتاب الأبيض أن هدفه حل المشاكل التي تثيـر قلق وتخوف السكان، وأضاف أن بريطانيا لا تريـد جعـل فلسطين دولة يهودية برمتها وأن الهدف النهائي فـي وعـد بلفور زيادة نمو الطائفة اليهودية ؛ حتـى تصـبح فلسـطين مركزا يكون فيه للشعب اليهودي اهتمام وفخر من الوجهتين

الدينية والقومية، وأن لا تزيد الهجرة اليهودية إلى فلسطين عن قدرة البلاد الاقتصادية لاستيعابها، وأخيرا جاء فيه أن الحكومة البريطانية سوف تمنح فلسطين بعض مؤسسات الحكم الذاتي على أن يتم ذلك تدريجيا على يد المجلس التشريعي الذي أشرنا إليه.

الكتاب الأبيض الثاني الصادر سنة ١٩٣٠

عينت الحكومة البريطانية- جريا على عادتها بعد كل ثورة أو انتفاضة فلسطينية- لجنة تحقيق لمعرفة أسباب ثورة ١٩٢٩ يرأسها القاضي " شو " للنظر في شكاوى العرب، ولجنة ثانية لبحث موضوع الأراضي والهجرة يرأسها الخبير البريطاني " سمبسون "، ولجنة ثالثة فنية رفعت جميعها تقاريرها إلى الحكومة البريطانية حيث كشفت النقاب عن المآسي السياسية والاقتصادية والتشريعية التي تنزل بالعرب الفلسطينيين، واشتملت التقارير عدة توصيات لتحسين حالة أهل فلسطين العرب، وحماية حقوقهم، والمحافظة على أراضيهم، واشتراكهم في الحكم والإدارة لعدم تكرار الاضطرابات.

أثر ذلك أرسل الفلسطينيون وفدا آخر إلى لندن للتباحث مع الحكومة البريطانية حيث اجتمعوا مع عدد كبير من رجال الدين والسياسة والصحافة والمعاهد العلمية، ونشرت الحكومة البريطانية نصّ الكتاب الأبيض الجديد في أكتوبر سنة ١٩٣٠ حيث أكدت عزمها على الأخذ بتوصيات لجان التحقيق خصوصا بالنسبة للخطوات الدستورية والأراضي والهجرة رغم أن الكتاب لم يحقق رغبات العرب ولكنه مع ذلك متوازن وقريب من وجهة النظر العربية - وقبله العرب مع بعض التحفظات؛ لأن التقرير تمسك بنصوص صك الانتداب، وتسهيل بناء الوطن القومي، والتعهد بالمحافظة على الحقوق المشروعة لليهود، وتنظيم الهجرة على قدر استيعاب البلاد.

ثارت ثائرة اليهود وبدءوا حملات شرسة ضد الكتاب الأبيض بجميع نصوص، وتركزت حملاتهم في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفي فرنسا وغيرها من العواصم الأوربية، واستطاعت الصهيونية العالمية أن تفرض على حكومة بريطانيا سحب الكتاب وإهماله.

وقد حاولت حكومة الانتداب في فلسطين أن تُدخِلَ علـى الكتاب العديد مـن التعـديلات التـي أفقدتـه تمامـا كـل ما فيه مصلحة الفلسطينيين العرب حتى أن أهـل فلسـطين أطلقوا عليه "الكتاب الأسود".

وهكذا رغم أن هذا الكتاب لـم يقـرر صـراحة إيقـاف الهجرة، ومنع بيع الأراضي فقد اعتبره العرب أول بصيص من النور يلوح لهم.

الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩

إثر انتهاء الثورة الفلسطينية الكبرى من سنة ١٩٣٦ إلـى سنة ١٩٣٩، ونتيجة لفشل الحكومة البريطانية في التوصـل إلى حل بشأن القضية الفلسطينية، ولعدم توصل المحادثـات العربية البريطانية إلى نتيجـة مرضِـية أعلنـت بريطانيـا سياستها الجديدة في كتاب أبيض صدر في ١٧ مـايو سـنة ١٩٣٩ جاء فيه أن حكومة بريطانيا ترمي إلى تشكيل (خلال عشر سنوات) حكومة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيـا بمعاهدة، وطلب من عصبة الأمم في جنيف إلغاء الانتـداب، وكذلك السماح بدخول ٧٥ ألف مهاجر يهودي إلى فلسـطين خلال الخمس سنوات القادمة، وخوّلت المندوب السامي كيفية

منح وتنظيم انتقال الأراضي؛ استقبل اليهود الكتاب الأبـيض بالرفض التام، وقامت مظاهرات يهودية معادية لبريطانيا في كل من القدس وتل أبيب وحيفا، واعتبر العرب أن الكتـاب الأبيض ربما يكون خطوة على الطريق رغم ما فيـه مـن فجوات، واشتد الخلاف بين الفئات الفلسـطينية، وانقسـمت اللجنة العربية العليا بين مؤيد ومعـارض، ورأس الجانـب المعارض المفتي (الحاج أمـين الحسـيني) ورغـم بعـض الضغوط العربية تمكن الحاج أمين الحسيني من إقناع أعضاء اللجنة العربية العليا برفض الكتاب المذكور.

واختلفت آراء الكُتاب المؤرخين حول الظروف التي أدت إلى رفض الكتاب المذكورة وخصوصا أن الثورة الفلسطينية الكبرى كانت في مراحلها الأخيرة حيث بدأت تعاني العجـز في السلاح والذخيرة والتمويل، وبدأ قادة الثورة ينسحبون من ميادين القتال خصوصا بعد مقتل القائد العظيم (عبد الـرحيم الحاج محمد).

قضية الأرض الفلسطينية

تمهيد:

رغم الأهمية البالغة التي تمرُّ بها القضية الفلسطينية، وتأليف عشرات بل مئات الكتب والمقالات والأحاديث والمؤتمرات التي تتحدث عنها فإن قضية الأرض لم تحظَ بمزيد من الدراسة المتخصصة من قبل الدارسين والباحثين العرب مع العلم أن أية دراسة عن القضية الفلسطينية كانت تشير بشكل أو بآخر إلى موضوع الأرض.

تطل علينا بين الحين والآخر تصريحات في الصحافة العربية تنحي باللائمة وتتهم الفلسطينيين بأنهم باعوا أرضهم لليهود؛ مما أدى إلى إنشاء دولة إسرائيل.

والأرجح أنها حملة تقوم بها وسائل الإعلام الإسرائيلية والغربية لتنفث السموم ضد سمعة الفلسطينيين واتهامهم بالخيانة وهذا بلا شك يشير إلى مدى الألم الذي يعتصر الشعب الفلسطيني الذي ناضل وكافح ضد أعتى قوتين في العالم: الإمبراطورية البريطانية والصهيونية العالمية، ونقصد

كذلك إصابة الشباب الفلسطيني بحالة من الإحباط وفقدان الأمل والتشكيك بتاريخه ونضاله الطويل.

إن الهدف من إعداد هذه الدراسة هو إيضاح الحقيقة، وتكذيب ما يقال بأن الفلسطينيين باعوا أرضهم، وإظهار أن سياسة حكومة الانتداب البريطاني لتهويد فلسطين، وأخطاء الحكم العثماني، وتخلف الأمة العربية هي الأسباب الرئيسية لضياع أرض فلسطين وإعطائها لليهود.

كانت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى جزءا من الدولة العثمانية، وهي رقعة صغيرة من الأرض مساحتها ٢٦ ألف كيلو متر مربع تعيش فيها جالية يهودية جنبا إلى جنب مع السكان العرب من مسلمين ومسيحيين كمواطنين لهم كافة الحقوق السياسية والدينية والاقتصادية بصفتهم من أهل البلاد، وهو ما كان يحصل في الأقطار العربية الأخرى كمصر وسوريا والعراق والمغرب العربي، وفي بعض تلك الدول وصل اليهود إلى أعلى المراكز، وكانوا يملكون أكبر المحلات التجارية والمؤسسات الاقتصادية، ولم يكن أحد يدري في فلسطين أو في الدول العربية ما كانت تبيته

الصهيونية العالمية من أهـداف للوصـول إلـى فلسـطين، والسيطرة عليها، وإقامة دولة إسرائيل.

سنت الدولة العثمانية سنة ١٨٣٩ قوانين تنظـيم ملكيـة الأرض، وشكلت تلك القوانين تطورات الحيـازة، واتسـمت تلك الفترة بتثبيت حقوق الفلاحين فوق الأرض التي حازوها دون الالتفات إلى الطريق التي حازوها بها، ودون الالتفـات إلى الطريقة التي تمت الحيازة من خلالها؛ فقد كـان يكفـي الفلاح زراعته للأرض مدة عشر سـنوات متتاليـات حتـى يصبح من حقه حيازتها وتوريثها لأبنائـه وأقاربـه، وكـان الهـدف مـن ذلـك تشـجيع الزراعـة طبقًـا لقاعـدة " الأرض لمن يزرعها "، وحاولت الدولة العثمانية تشـجيع الفلاحين الفلسطينيين بتسجيل أراضيهم ولكنهم عزفوا عـن ذلك؛ خوفًا من الضرائب، ومن ملاحقتهم للالتحاق بالجيش.

وتميزت الفترة من ١٨٣٩ - ١٨٥٩ بوقـوف الدولـة العثمانية في وجه محاولات اليهود للاستيطان في فلسـطين ولكن بدأ التغلغل الأجنبي في أثناء ضعف الدولـة العثمانيـة وخصوصا تدخل بريطانيا في محاولات لإقنـاع الحكومـة العثمانية بتبني مشروع وطن قومي لليهود في فلسطين مقابل

نفوذ اليهود وثرواتهم ومساعداتهم المادية والسياسية للدولـة العثمانية.

ولكن حتى نهاية القرن التاسع عشر لم تنجح كثيرا تلـك المحاولات، وقامت بريطانيا بفتح قنصلية لهـا فـي القـدس أخذت تهتم بجمع اليهود وتمنحهم جوازات سفر بريطانيـة؛ ليتمتعوا بالحماية الأجنبية، ونجحت في أن تفتح لهم الأبواب المغلقة من خلال الباب العالي في استنبول.

أخذ نزوح اليهود الأوربيين إلى فلسطين يزداد تـدريجيا عقب تغيير النظام السياسي في الدولة العثمانية سـنة ١٩٠٩ بعد الانقلاب العثماني وعزل السلطان عبد الحميد الذي كـان يرفض أية مساومة بخصوص فلسطين.

بدأ الموقف يتغير، وبدأت السلطات العثمانية تتساهل فـي تطبيق قوانين الهجرة وامتلاك الأرض التي كانت سائدة فـي العهد السابق للانقلاب، وأخذ اليهـود فـي شـراء الأرض والتسلل إلى فلسطين.

لم يفهم الشعب الفلسـطيني حقيقـة أهـداف الصـهيونية العالمية التي تؤازرها الدول الغربية، ولـم يعلـم بإصـدار الحكومة البريطانية لوعد بلفور أو باتفاقية " سايكس - بيكو"

بين بريطانيا وفرنسا، وتقضي بتقسيم الوطن العربي، والغدر بالوعود التي قطعت للشريف " حسين بن علي " أمير الحجاز في ذلك الوقت، وتم كل ذلك لندرة وسائل الإعلام والاتصال والتخلف والظلام الذي أشاعه العهد العثماني في شتى أنحاء الوطن العربي.

كان عدد اليهود سنة ١٨٨٠ حوالي ٢٤ ألفًا في فلسـطين قفز إلى ٥٦ ألفًا في أعقاب الحرب العالميـة الأولـى سـنة ١٩١٨.

وكان انشغال الدولة العثمانية بتلك الحرب قد مكن اليهود من مضاعفة حيازتهم للأرض بما لديهم من إغراءات ماديـة ضخمة.

وعقب انهيار الدولة العثمانية وقعت فلسطين بين مخالـب الاستعمار البريطاني من ناحية، وجشع الصهيونية العالميـة من ناحية أخرى، وباتت تتخبط بين هاتين القوتين العظميـين وهما أقوى قوتين في العالم في ذلك الوقت.

وكان المنعطف الحقيقي للمتغيرات الجذرية في موضـوع الأرض الفلسطينية بدأ منذ صدور وعد " بلفور"؛ حيث قامت حكومة الانتداب البريطانية بقلب القوانين العثمانية رأسا على

عقب، وبدأت تسن القوانين الهادفة إلى خدمة الوطن القـومي اليهودي في فلسطين.

لم يتيسر لأهل فلسطين الوسائل الكفيلة للمقاومة والـدفاع ورغم ذلك فقد بذلوا من الجهود المتوفرة لديهم طيلة حـوالي ثلاثين عاما، وقدّموا أثناء المقاومة آلاف الضحايا الشـهداء، وتم تعليق العشرات منهم على أعواد المشانق التـي أقامهـا الانتداب البريطاني في فلسطين، وتم تشريد آلاف الفلاحـين بعد انتزاع أراضيهم بحجج مختلفـة اخترعهـا الاسـتعمار البريطاني.

وكان السكان الريفيون من الفلاحين يشكلون حوالي ثلثـي السكان في فلسطين أي أن نسبة كبيرة من السـكان كانـت تعتمد على الزراعة رغم أن عددا كبيرا من الفلاحين كـانوا لا يملكون الأراضي التي يفلحونها كما أن عددا آخر كـانوا يملكون قطعا صغيرة لا تكفيهم.

ومن أسباب ازدياد سوء أحوال الفلاحـين خـلال فتـرة الانتداب البريطاني بعد زوال الحكم العثمـاني مـا خلفتـه الحرب العالمية الأولى من آثار مرهقة كإلغاء البنك العثماني الزراعي الذي كان يـزود المـزارعين بـبعض القـروض

الزراعية، وازدياد تحصيل الضرائب الباهظـة، والاعتمـاد على التخمين في تقدير الكثير من تلك الضرائب حيث وجـد الفلاح نفسه يدفع حوالي ٢٥ ـ ٥٠ ٪ من دخله؛ مما اضطر معظم الفلاحين إلى الاقتراض من المـرابين بفوائـد عاليـة أجبرتهم إما على رهن الأرض أو بيعها أو تسـجيلها باسـم آخرين.

وكذلك زاد مأساة الفلاح الفلسـطيني ومعاناتـه إصـرار حكومة الانتداب على تنفيذ وعد " بلفور " ببنوده المجحفـة، واتجاهها إلى إقامة الوطن القومي لليهـود فـي فلسـطين، ورفضت تقديم أي دعم للتجارة أو الصـناعة أو المنتجـات الزراعية الفلسطينية، ورفضت تأسـيس أي بنـك زراعـي أو مصرفي عادي، وتركت لفروع البنوك الأجنبية التحكم في مصالح السكان وفرض الفوائد بنسب عالية، وكان همُّ تلـك البنوك جني أكبر نسبة من الربح، وتشجيع الواردات الأجنبية إلى فلسـطين، وحالـت دون أكثـر المحـاولات لتشـجيع الصادرات الفلسطينية بينما كانت هناك المؤسسات والبنـوك اليهودية التي ترعى الفلاح اليهودي وتدعمه وترشـده فـي امتلاك الأرض، وتدعم الصناعة اليهودية، ونستطيع القـول

إن جميع الإمكانيات الاقتصادية والمالية كانـت محصـورة بيد الأجانب واليهود كما كان الحال في كثيـر مـن البلـدان العربية الأخرى لوما استطاع طلعت حرب تأسيس بنك مصر سنة ١٩٢٠، وكان أول بنك عربي يؤسـس فـي المشـرق العربي حاول بطلب من الفلسطينيين إنشاء فرع لبنك مصـر في فلسطين ولكن حكومة الانتداب رفضت طلبه، ولـم يـتم تأسيس أول بنك عربي في فلسطين إلا سـنة ١٩٣٠ وهـو البنك العربي المحدود.

ولا شك أن اهتمام حكومة الانتداب البريطانية الأساسـي كان خدمة المصالح اليهودية، وتنفيذ وعد بلفور؛ لذلك كـان أول إجراء قامت به الحكومة البريطانية بعد إلغاء الأحكـام العسكرية في أعقاب الحـرب العالميـة الأولـى، وإعـلان الانتداب البريطاني على فلسطين تعيين السـير " هربـرت صموئيل " كأول مندوب سامٍ بريطاني في فلسطين، وهو من غلاة اليهود الصهيونيين؛ عينته بريطانيا خصيصـا ليسـاعد ويمهد لإنشاء الوطن القومي اليهودي، وأخذت القوانين تُسنُ بهدف تمكين الصهيونية من انتزاع الأرض العربية، وإبقـاء الفلاحين في حالة من الفقر والتخلف، ومن أشد تلك القوانين

التي فرضتها حكومة الانتداب وأصدرها المنـدوب السـامي اليهودي:

١- قانون انتقال الأرض، وصدر سنة ١٩٢٠ ويشمل:

أ- ممنوع انتقال الأرض الفلسطينية لغير الفلسـطينيين، ويجب موافقة الحكومة على أي استثناء لهذا القانون؛ والمقصود من هذا القانون منع العـرب والمسـلمين وغير الفلسطينيين من شراء أرض في فلسطين.

ب-كل من أصلح أرضا بدون الحصول على إذن مسبق من الحكومة لا يجوز له الحصول على سند ملكيـة (كوشان) وهو ما يعادل التسجيل في الشهر العقاري في مصر، وتطرح تلك الأرض للمزايدة؛ وبطبيعـة الحال كانت تقع في أيدي الشركات اليهوديـة التـي تموُّلها الصهيونية العالمية.

٢- قانون امتلاك الأرض للجيش، وصدر سـنة ١٩٢١ حيث تم الاستيلاء على أراضٍ واسعة يملكها العرب والأوقاف الإسلامية وخصوصا في القدس، وصرفند التي تقع بين يافا والرملة.

٣- قانون نزع الملكية الصادر سنة ١٩٢٦ الذي سمح لحكومة الانتداب البريطانية بالاستيلاء على أية أراضٍ لازمة للاستيطان اليهودي، وقد صدر القانون رغم الاحتجاجات واعتراض الفلسطينيين عليه، ومن أكثر المناطق التي تم نزع الملكية فيها مناطق غزة، والناصرة، وشمالي فلسطين.

٤- قانون تسوية حقوق ملكية الأرض، وقد ادعت الحكومة بأن هدف القانون تقسيم الأراضي، وإزالة نظام المشاع، وتحديد الملكية، ومن سخرية القدر أن المسئول الذي عينته الحكومة لتنفيذ هذا القانون كان يهوديا صهيونيا متعصبا.

ولما كانت أعداد كبيرة من الفلاحين الفلسطينيين لا يملكون سندات ملكية (كواشين) تثبت ملكيتهم للأرض رغم أنهم يعيشون فوقها منذ عشرات السنين جاء هذا القانون لينتزع آلاف الدونمات منهم وتحويلها إلى أملاك الدولة (أملاك أميرية) وقد تسربت أكثر تلك الأراضي فيما بعد إلى اليهود سواء بالهبة، أو بالبيع بسعر بخس، أو التأجير لمدد طويلة جدا.

٥- قانون ضم آلاف الـدونمات إلـى تنظـيم المـدن:
ضمت حكومة الانتداب آلاف الدونمات من الأرضي الزراعية التي تجاور المـدن- وخصوصـا مـدن القدس، ويافا، وحيفا، وبئر سبع- إلى تنظيم المـدن بحجة أنها أراض صالحة للبناء؛ وبذلك تضـاعفت الضرائب عليها كثيرا؛ مما اضطر الفلاحـين إلـى بيعها، والهجرة إلى المدن.

وفي بيان صدر في فلسطين سـنة ١٩٢٤ تحـدَث عـن شكلين من ملكية الأرض الفلسطينية:

١- الملكية الكبيرة تتضمن:

أ- كبار الملاك (ويطلق عليهم " الإقطاعيون ").

ب- الشركات اليهودية التي تدعمها ماليا المؤسسات الصهيونية العالمية.

ج- الأوقاف الإسلامية.

د- أملاك الكنائس المسيحية.

٢- الملكية الصغيرة، وتشمل الأراضي التي تم تحديدها بموجب قانون تسوية الأرض ـ وتم إصداره لخدمة المصالح اليهودية ـ أو القطع الصغيرة المفروزة.

الأراضي التي يملكها كبار الملاك الفلسطينيين:

١- أسرة عبد الهادي وتملك ١٧ قرية حوالي ٦٠ ألف دونم، أسرة الجيوشي ٢٤ قرية، أسرة البرغوثي وتملك ٢٩ قريـة، أسرة الحسيني وتملك ٥٠ الف دونم، أسرة التاجي الفـاروقي وتملك ٥٠ ألف دونم، أسرة الشوا وتملك ١٠٠ ألف دونـم، بجانب عائلات الغصـين ـ أبـو خضـره ـ الفـاهوم ـ الطبري ـ الماضي ـ الدجاني، وكانـت تملـك مسـاحات واسعة.

الشركات الصهيونية ـ الكارن كايمت ـ الكارن هايسود وكانت تلك الشـركات تشـتري الأراضـي بتمويـل مـن الصهيونية العالمية والهبات والتنازلات التي قدَمتها الحكومة الفلسطينية لهم.

الأوقاف الإسلامية: قُدرت أملاكها بحـوالي ١٠٠ ألـف دونم من الأراضي الزراعية.

أملاك الكنيسة المسيحية:

وأكثرها عقارات في المدن وخصوصا القدس ويافا بجانب بعض الأراضي الزراعية.

وبالرغم من جميع التقارير التي أصدرتها اللجان المختلفة التي أرسلتها حكومة لندن للتحقيق في مشـاكل الأرض فـي فلسطين- وكانت تلك اللجان تفد إلى فلسطين بعد كل انتفاضة للشعب الفلسطيني ومنذ أوائل العشرينات- وكانت تقاريرهـا تشير إلى الظروف الصـعبة التـي يعـاني منهـا الفـلاح الفلسطيني، وتضع بعض الحلول التي تقيد انتقـال الأرض، ومساعدة الفلاح الفلسطيني، وفرض بعض القيود على هجرة اليهود إلى فلسطين التي كانت تتدفق دون توقف رغم ذلـك فإن جميع التقارير أُهمِلَت واستمرت سياسة حكومة فلسـطين كما هي دون الالتفات إلى تلك التوصيات؛ ونتيجة لذلك قامت أشـهر الثـورات الفلسـطينية التـي اشـتعلت منـذ ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩.

ورغم جميـع تلـك القـوانين والمسـاعدات والهبـات والتسهيلات التي قدَمتها حكومة الانتداب فقد جاء في إحصاء رسمي من سجلات حكومة فلسطين مؤرخ في ١/ ٤/ ١٩٤٦ أي قبل قيام دولة إسرائيل بفترة وجيزة أن اليهود لم يملكـوا إلا ستة في المائة ٦ ٪ مـن مجمـوع أراضـي فلسـطين ومساحته ١,٤٩١,٦٩٩ دونما مـن أصـل ٢٦,٣٢٣,٢٣٠

دونما مساحة أراضي فلسطين، وباقي المسـاحة إمـا أراضٍ عربية فلسطينية أو أراضٍ أميرية أي تملكهـا الدولـة مثـل الصحارى والطرق والبحيرات والجبال.

وجاء فـي إحصـاءات الوكالـة اليهوديـة أن مجمـوع مـا قـدَمتـه حكومـة الانتـداب للوكالـة اليهوديـة (وهي التي كانت تمثل يهود فلسطين) بلغ ٥٠٠ ألف دونـم منها ٣٢٥ ألف دونم كمنحة، و ١٧٥ دونما بالإيجار، وبلـغ مجموع الأراضي التي اشتراها اليهود من أصحابها اللبنانيين والسوريين ٦٢٥ ألف دونم، وبلغ ما أُكْرِه عـرب فلسـطين على بيعه أيام الانتداب البريطاني ٢٦١ ألف دونم؛ وكان ذلك نتيجة القوانين الجائرة والمصادرات والضرائب والإغراءات المادية، وكانت المؤسسات الصهيونية تدفع أكثر من أربعـة آلاف جنيه ذهبا ثمنًا للفدان الواحد وذلـك فـي العشـرينات والثلاثينات من هذا القرن (والفدان يساوي أربعة دونمات).

الحركة الصهيونية التي تحوَلت بعد مـؤتمر بـازل فـي سويسرا سنة ١٨٩٧ إلى حركة سياسية أهـدافها الرئيسـية الاستيلاء على الأراضي، وتشجيع الهجرة إلـى فلسـطين؛ ولتحقيق ذلك قامـت بإنشـاء مؤسسـتي الكـارون كيمـت

(الصندوق القومي لشراء الأرض في فلسطين)، والكـارون هايسود (الصندوق التأسيسي لشراء الأرض فـي فلسـطين) الأولى سنة ١٩٠٧، والثانية سنة ١٩٢٠، ووضـعت تحـت تصرفهما الأموال بلا حدود، وكان بنـك روتشـلد العـالمي اليهودي من أكبر المساهمين والممولين.

وتمكنت هاتان المؤسستان اليهوديتان من شراء عشـرات الآلاف من الدونمات أثناء الاحتلال العثماني، وفـي فتـرة أواخر عهده وأوائل الاحتلال البريطاني لفلسطين وفي تلـك الأثناء باعت أسرة القباني في بيروت ١٦ ألف دونم تقع إلى الغرب من طولكرم، وبـاع الأميـر " سـعيد الجزائـري " من دمشق قرية المنشية شمالي عكا، وباعت أسرة المارديني قسما كبيرا من أراضي مدينة صفد في الشمال، وباعت أسرة اليوسف من دمشق عدة قرى ومناطق في ناحيـة الجـولان، وباع علي سليم العمري ورفيق العمري من دمشق أراضـي قريتي إجليل والحرم التابعة ليافـا، واشـترى اليهـود مـن آل سرسق في بيروت ١٨ ألف دونـم، ومـن آل التـويني ١٨ ألف دونم في قضاء عكا، وباعت أسرة التـويني أيضـا منطقة نهاريا في شمال غرب فلسطين، وآل سـلام بـاعوا

أراضي بحيرة الحولة في الشمال الفلسطيني، وجميع هذه الأسر من خارج فلسطين.

ولعل أبشع صورة لمأساة الأرض في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني هي طرد عرب وسكان وادي الحوارث قرب الساحل الفلسطيني، وكانت مساحتها ٤٠ ألف دونم ومسجلة باسم عائلة التيان البيروتية وتسكنها ٢٥٤٦ عائلة من أسر الفلاحين، وقد اشترتها شركة الكارون كيمت الصهيونية، وقامت سلطات الاحتلال البريطانية بطرد السكان وهدم بيوتهم بقوة السلاح حينما رفضوا الجلاء عن أرض يعيشون فيها منذ عشرات السنين، كما باع آل سرسق أراضي مرج ابن عامر وهي من أجود الأراضي الزراعية في فلسطين ومساحتها حوالي ٨٠ ألف دونم.

وإلى جانب هؤلاء باع بعض كبار الإقطاعيين الفلسطينيين وهم من عائلات معروفة عدة آلاف من الدونمات إلى اليهود، وتم أكثر عمليات البيع أثناء الحكم العثماني: أي قبل معرفة العرب بصدور وعد بلفور.

كيف استولت تلك العـائلات سـواء خـارج فلسـطين أو داخلها على تلك المسـاحات الواسـعة مـن الأراضـي الفلسطينية؟

لقد تم ذلك عن طريق الالتزام ومعناه دفع ضرائب عـن تلك الأرض أو الشراء بأبخس الأثمان حينما كـان الفـلاح الفلسطيني لا يقبل على تسجيل أرضـه للهـرب مـن دفـع الضرائب.

والضرائب في العهد العثماني كانت كما يلي:

ضريبة الويركو - وهي ضريبة تقديرية علـى الأرض وقد وصلت إلى أكثر من ١٦ ٪.

ضريبة الأعشار - وهـي ضـريبة تؤخـذ مـن قيمـة المحصول سنويا بنسبة ١٠ ٪.

ضريبة الجهاد - ضريبة أضافتها الدولة العثمانية وقيمتها حوالي ٢,٥ ٪.

أما نظام الالتزام فهو كمـا ذكرنـا أن تُوكِـلَ الحكومـة العثمانية إلى بعض الأشخاص دفع الضـرائب عـن أراضٍ معينة، وتسمح له بتحصيلها مـن الفلاحـين ويسـمى هـذا الشخص " الملتزم" فهو يدفع الضريبة المقررة إلى الدولـة،

ويقوم بتحصيلها بكافة الطرق من الفلاحين؛ مما دفعهم في أحيان كثيرة إلى الإقرار بعدم ملكيتهم لتلك الأرض.

وقد لجأ بعض الأغنياء والإقطاعيين الكبار إلى تسجيل تلك الأراضي باسمهم وبقي الفلاح يعيش فوق تلك الأرض يعمل فيها وهو لا يدري أنه لا يملكها.

وتمت مأساة الأرض في فلسطين حين أقرَّت الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى قسمين: عربي ويهودي، وحظي القسم اليهودي على نسبة ٥٦,٤٧ ٪ من أراضي فلسطين: أي ١٤٩٤٢ ألف كيلو متر مربع ويضم أجود الأراضي وأكثرها خصوبة، والقسم العربي على نسبة ٤٢,٨٨ ٪ من الأراضي أي ١١٢٠٢ كيلو متر مربع، والقدس الدولية بنسبة ٠,٦٥ ٪ من الأرض وهي ١٧٧ كيلو مترا مربعا؛ وبذلك جاءت أكبر المدن الفلسطينية العربية وهي يافا وغيرها ضمن القسم اليهودي.

وقد جرت الموافقة على هذا القرار بضغوط مكثفة من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا خصوصا على الدول الصغيرة حديثة الاستقلال.

وفي آخر إحصاء لموضوع الأرض في فلسطين جاء في سجلات الحكومة البريطانية- وهـي مودعـة لـدى وزارة الخارجية في لندن ونسخًا منها موجودة في الأردن والقدس- كانت فلسطين مقسمة إلى عدة ألوية (ويطْلَقُ على اللواء فـي مصر محافظة):

١- لواء الجليل ومساحة أرضه نحو ٢,٨٠١,٠٠٠ دونـم للفلسطينيين مـنهم ٢,٢٢٥,٠٠٠ دونمـا، ولليهـود ٥٦٧,٠٠٠ دونما أي حوالي ٢٠ ٪ فقط.

٢- لواء حيفـا مسـاحة أرضـه ١,٠٣١,٠٠٠ دونمـا للفلسـطينيين منهـا ٦٦٧,٤٨٠ دونمـا، ولليهـود ٣٦٤,٢٧٥ دونما أي ٣٥ ٪.

٣- لواء نـابلس مسـاحة أرضـه ٣,٢٦٢,٣٠٠ دونـم للفلسـطينيين منهـا ٣,١١٦,٧٠٠ دونـم، ولليهـود ١٤٥,٦٢٥ دونما بنسبة ٤,٤ ٪ فقط.

٤- لـواء اللـد مسـاحة أرضـه ١,٢٠٥,٥٦٠ دونمـا للفلسـطينيين منهـا ٩٥٣,٩٦٠ دونمـا، ولليهـود ٢٥١,٥٩٨ دونما أي حوالي ٢٠,٨٠ ٪.

٥- لواء القدس مساحة أرضه ٤,٣٣٣,٥٣٠ دونما للفلسطينيين منها ٤,٢٩٣,٨٥٥ دونما، ولليهود ٣٩,٦٧٩ دونما- أي أقل من ١ في المائة- ٠,٩ ٪، ويلاحظ هنا ضآلة ما يملكه اليهود في منطقة القدس.

٦- لواء غزة مساحة أرضه ١٣,٦٨٨,٥٠٠ دونم للفلسطينيين منها ١٣,٥٧٤,٠٠٠ دونم، ولليهود ١٤٤,٤٩٠ دونما- أي أقل من واحد في المائة- ٠,٠٨ ٪.

وبعد انتصار اليهود في حرب ١٩٤٨ بدأت إسرائيل فور إعلان دولتها في سن القوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين الفلسطينيين ومنها:

١- قانون الطوارئ وصدر عام ١٩٤٩، وتم بموجبه مصادرة الأراضي العربية في مناطق الحدود، وكانت نسبة السكان العرب بها ٨٠ ٪ وتشمل مناطق الجليل الأعلى ومنطقة المثلث: نابلس - طولكرم - جنين والنقب؛ وذلك بحجة المحافظة على أمن الدولة، وكانت تلك الأراضي من أجود أراضي فلسطين الزراعية.

٢- قانون الأراضي البور وقد خوّل هذا القانون وزيـر الزراعة الإسرائيلي الاستيلاء على الأراضي التـي لم تُزرَع خلال مدة معينة وكان أصحابها قد هجروا أراضيهم خوفًا من الإرهاب اليهودي؛ وبذلك تم نزع ملكية الأراضي، ومنحها للمزارعين اليهود.

٣- قانون أملاك الغائب صدر سنة ١٩٥٠، وقد اعتبـر كل عربي غادر قريته إلى قرى أخرى تحت ضغط الظروف غائبا وتتم مصادرة أملاكه ولو كان يقـيم على بعد بضعة كيلو مترات من قريته؛ وبموجـب هذا القانون فقد العرب أكثر من ٣٠٠ ألـف دونـم وضِعت تحت تصرف الهيئات اليهودية.

٤- الاستيلاء للأغراض العسكرية صدر سـنة ١٩٥٢، وهو يجيز مصادرة الأراضي اللازمة للمشـروعات العسكرية؛ وبهذا القانون تم الاستيلاء علـى أراضٍ واسعة من أملاك الفلسطينيين.

٥- قانون نسف القرى بحجة التضييق على المـواطنين الفلسطينيين وحملهم على ترك البلاد، ومن الأمثلـة نسف قرية إقرت القريبة من الحدود اللبنانية، وتدمير

قرية الريحانة قرب الحدود السورية، وقد صودرت أراضي تلك القرى بموجب قـانون تملّـك الأرض الذي أقرَه الكنيست سنة ١٩٥٣، وتم ترحيـل بـدو منطقة النقب، وبلغ مجموع القرى التي تم الاستيلاء على أراضيها ٢٣ قرية عربية، وتم طرد سكانها.

٦- قانون ضريبة التحسينات، يقضي بفـرض ضـريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها ٥٠ ٪ من قيمة التحسين بحجة تزويـدهم بالتكنولوجيـا الزراعيـة الحديثة؛ وأدى ذلك بكثير من المزارعين إلى تـرك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

٧- قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة؛ وأدى ذلـك إلى طرد المزارعين الفلسطينيين من أراضي الدولة (الأراضي الأميرية) التي كانوا يستغلونها منذ العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني لأنهم لا يملكون الوثائق التي تثبت ملكيتهم للأرض، وتم مصـادرة حوالي ١٥٠ ألف دونم من ١٧ قرية عربية بموجب هذا القانون.

٨- قانون أراضي التدريبات العسكرية، وصـدر سـنة ١٩٨٢؛ وبموجبه أغلقـت السـلطات الإسـرائيلية حوالي ٣٥ ألف دونم في منطقة المثلث، و ٢٥ ألف دونم من قرية شفا عمرو وذلك بحجة تخصيصـها للتدريبات العسكرية.

وقد وصف المؤرخ البريطاني الشهير " أرنولد تـوينبي " هذه القوانين والإجراءات بأنها أكبر عملية نهـب جماعيـة عرفها التاريخ.

ومنذ حرب سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٨٢ بلغ مجموع ما صادرته إسرائيل في الضفة الغربية ٢,٢١٣,٧٨٤ دونما أي حوالي ٤٠ ٪ من مساحة الضفة البالغة ٥,٥ مليـون دونـم، والقول إن الفلسطينيين بـاعوا أرضـهم لليهـود معنـاه أن إسرائيل اشترت فلسطين بالمـال دون أي حـرب أو قـوة أو ضغوط دولية وكأننا ننفي صدور وعد بلفور، ومحاولات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا في إنشـاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ومدها بكافة المسـاعدات المادية والعسكرية، والوقوف بجانبها في المحافـل الدوليـة،

والحيلولة بين الأمة العربية والنهوض عسـكريا واقتصـاديا بكافة الطرق.

وهل ننسى بلايين الدولارات التي تم ضخها في إسرائيل بدءا من التعويضات الألمانية والمساعدات الأمريكية التي لا تزال تصبُ في إسرائيل بلا حدود.

من جميع ما تقدَم يتضح أن إسرائيل قامـت علـى أرض اشترتها من العرب غير صحيح، والأرض القليلة التي باعها العرب لليهود من خلال ظروف صـعبة وقـوانين جـائرة فُرِضت على فلسطين منذ الانتداب البريطاني سنة ١٩١٧.

وكم من وقـائع وشـواهد وقـرارات دوليـة وإدانـات لا تُحصىَ ضد إسرائيل وكيفية تصرفها للأراضي الفلسطينية المغتصبة حتى أنهم أصـبحوا يملكـون الآن ٩٤,٥ ٪ مـن الأراضي الفلسطينية، ولا شك أن الفلسطينيين لم يبيعوا كـل هذه الأراضي بما فيها من السـهول والجبـال والبحيـرات والغابات والصحارى.

والصورة أمامنا الآن بعد أن اكتملت تبدو واضحة بظهور الحقائق الدامغة المدعمة بالأرقام تُكذب الادعاءات المغرضة التي تقول إن فلسطين بيعت لليهود.

ولا زالت المحافل اليهودية تغذي مثل هذه الادعاءات كما كانت تشيع سابقًا الصهيونية العالمية أن فلسطين أرض بـلا شعب، وأنها أعطيت لشعب بلا أرض.

صراعنا مع إسرائيل بدأ بالأرض واستمر هذا الصـراع حـول الأرض، وسـيبقى صـراعنا حـول أمـر واحـد لا غير وهو الأرض وكل ما تبقى تفاصيل لا أهمية لها.

ويبقى إنشاء الدولة اليهودية في قلب العالم العربي الهدف الأساسي للدول الغربية لإبقاء الأمـة العربيـة والحكومـات العربية في حالة من الضعف والتخلف، وتمكين إسرائيل من السيطرة على المنطقة تكنولوجيا واقتصاديا وهو ما يجـري الآن تنفيذه، ولن يطول الزمن حتى تتحـوَل فلسـطين إلـى أندلس أخرى، ويقوم العرب بزيارة القدس لمشـاهدة آثـار المسجد الأقصى كما يزورون قرطبة في أسبانيا لزيارة قصر الحمراء والآثار الإسلامية.

المشاريع التي أنشئت لإنقاذ الأراضي الفلسطينية خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧

على أثر الأخطار المتزايدة حول انتقال بعض الأراضـي الفلسطينية إلى المؤسسات اليهودية التي قويت شوكتها؛ بسبب دعم المؤسسة الصهيونية العالمية لها ماديا ومعنويا، وازدياد نفوذها وسطوتها لدى حكومـة الانتـداب البريطانيـة فـي فلسطين، ومن تلك المؤسسات التي اهتمت بشراء الأراضي.

١- الكارن كايمت (الصندوق القومي اليهودي).

٢- الكارن هايود (المؤسسة اليهودية لجباية الأموال).

٣- الجمعية الصهيونية لاستعمار فلسطين (بيكا).

٤- صـندوق الائتمـان اليهـودي للاسـتعمار. وغيرها من المؤسسات اليهودية الأخرى.

بدأت تظهر بعض المشاريع والمؤسسات التـي أنشـئت لمحاولة إنقاذ الأراضي الفلسطينية المعروضة للبيع وأهمها:

مشروع صندوق الأمة:

دعا المجلس الإسلامي الأعلى، والمؤتمر العربي الفلسطيني الذي انعقد بالقدس سنة ١٩٣٥ إلى إنشاء صندوق قومي، وتكوَّنت لجنة صندوق الأمة؛ بهدف إنقاذ الأراضي المعروضة للبيع واستغلالها لصالح العرب، وكانت خطة اللجنة ترمي إلى تطويق الأراضي التي يمتلكها اليهود بحزام من الأراضي العربية، وتشجيع الملاك العرب على تحويل أراضيهم إلى ممتلكات وقفية، وتمثلت موارد اللجنة من التبرعات والرسوم المالية على بعض المشتريات كتذاكر السفر والسينما وغيرها، واستطاعت إنقاذ حوالي ألف دونم في لواء غزة، وبعض المساحات في قرية عاقر بمنطقة يافا؛ ونظرا لعدم وجود بنك زراعي عربي في ذلك الوقت حاولت اللجنة منح قروض صغيرة لبعض الفلاحين لزراعة الأرض واستغلالها، ولكن هذه الجهود لم تكن مثمرة لوقف بيع الأراضي لليهود بل باءت بالفشل؛ نتيجة عدم استجابة حكومة الانتداب البريطاني لمطالب العرب المتكررة لوقف بيع الأراضي لليهود حتى تقارير الخبراء واللجان التي أوصت بتقييد بيع الأراضي لليهود لم تأخذ بها حكومة الانتداب

بل حصل العكس، وسنت القوانين المتعددة المنحـازة إلـى اليهود وتسهيل انتقال الأراضي العربية إلى أيديهم.

وعلى أثر اندلاع الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٩٣٦، ونفي الزعماء العرب سنة ١٩٣٩ إلى خارج فلسطين توقفت أعمال صندوق الأمة مع بداية الحرب العالمية الثانية، وفـي عام ١٩٤٣ حينما كثفت المؤسسات اليهودية من نشاطها تـم إحياء لجنة صندوق الأمة إلا أن الموارد المالية التي حصلت عليها كانت ضعيفة ولم تكن تفي بالاحتياجات الضـرورية، وفي هذه الأثناء ظهرت حركـة موسـى العلمـي لتأسـيس المشروع الإنشائي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة سـنة ١٩٤٥، وبدأ التنافس بين المشروعين؛ مما أدى إلـى شـل حركة صندوق الأمة والمشروع الإنشائي معا!!!

المشروع الإنشائي:

طُرحت مشكلة إنقاذ الأراضي الفلسطينية علـى جامعـة الدول العربية منذ المؤتمر التحضيري لإنشاء الجامعـة فـي الإسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية حيث تقـدم منـدوب فلسطين السيد "موسى العلمي" باقتراح تأسيس صندوق عربي

عام تشترك فيه جميع الدول العربية من أجل الحفـاظ علـى الأراضي الفلسطينية بإشراف عربي على إدارته، وأن يقـوم الصندوق بالإضافة إلى شراء الأراضي بتقديم المسـاعدات إلى الفلاح الفلسطيني، وسمي الاقتـراح باسـم الصـندوق الإنشائي العربي.

تألفت في القدس جمعية المشروع الإنشائي العربي يرأسه موسى العلمي وسكرتارية " أنور الخطيـب "، وضـمت ١٧ عضوا من رجال السياسة والقـانون والاقتصـاد والتجـارة والمهن الحرة من مختلف أرجاء البلاد.

الصراعات السياسية في فلسـطين أبطـأت مـن سـير المشروع، ولم تنجح الجهود التي بذِلَت لتوحيد صندوق الأمة والمشروع الإنشائي، وأصدر " أحمد حلمي عبـد البـاقي " رئيس مجلـس إدارة صـندوق الأمـة بيانًـا هـاجم فيـه "موسى العلمي" وانحاز الحزب العربي التابع لمفتي فلسطين إلى جانب العلمي وأيدَ مشروعه ولكن للأسف عنـدما عـاد "جمال الحسيني" رئيس الحزب العربي من المنفـى، وكـان العراق قد تعهد بدفع مبلغ مليون جنيه للمشروع، عاد الحزب العربي وهاجم المشروع بسبب تبني العـراق لـه، وكانـت

حكومة العراق خصما للمفتي في ذلك الوقت؛ وهكذا أحبط النزاع الداخلي كلا المشروعين المعدين لإنقاذ الأرض الفلسطينية.

بيت المال العربي:

ظهرت فكرة إنشاء بيت المال العربي وانبثقت عن الهيئة العربية العليا لفلسطين، وجرى إنشاء الهيكل التنظيمي لبيت المال العربي من عدد من الفلسطينيين الذين كانوا يتمتعون بالخبرة والثقة والكفاءة العلمية والسلوك الوطني، وأُفْتُتِحَ أول مكتب لبيت المال في القدس سنة ١٩٤٧ ثم أُضِيفَ خمسة مكاتب أخرى تم إنشاؤها في يافا - حيفا - نابلس - الناصرة - غزة، وأخذت اللجان تجمع المساهمات من التجار وأصحاب الأعمال، وبلغ قيمة الإيرادات والمدفوعات سنة ١٩٤٨ - ٢٢٠ ألف جنيه، وتعتبر قيمة ذات أهمية بمعيار القوة الشرائية، وكان تبرع الشعب الفلسطيني يتم عن طيب خاطر، وقد أصدر بيت المال ميزانية ١٩٤٨ وظهر فيها كيف تم صرف هذه المبالغ:

١١٠ ألف جنيه لمساعدة الفلاح الفلسطيني.

٢٥ ألف جنيه للتنظيم الاقتصادي.

١٠ آلاف جنيه للمسجونين والمعتقلين.

٩ آلاف جنيه للإعلام والدعاية.

٢٥ ألف جنيه للتنظيم الرياضي.

٣٠ ألف جنيه دفعات متفرقة.

وقد نجح بيت المال، وكان أهم إنجاز له دوره الرئيسـي بالمساهمة في إنقاذ القـدس العربيـة بمعابـدها الإسـلامية والمسيحية المقدسة من الضياع والسقوط بأيدي اليهود سـنة ١٩٤٨ أثناء معركة القدس.

وهناك مؤسسات صغيرة أخرى مثل:

غرفة التجارة العربية تأسست سنة ١٩٣٦.

شركة التأمين العربية تأسست سنة ١٩٤٤.

البنك الصناعي العربي تأسس سنة ١٩٣٥.

البنك العربي تأسس سنة ١٩٣٠.

البنك الزراعي العربي تأسس سنة ١٩٣٣.

شركة الأبنية وبيعها للعرب تأسست سنة ١٩٣٥.

اليهود يسرقون المياه الفلسطينية والعربية

تحتل قضية المياه في منطقتنا العربيـة مركـزا حيويـا واستراتيجيا وقبل كل شيء هي قضية أمن قـومي؛ فبـدون المياه لا تقدُّم ولا تنمية ولا رخاء.

وقضية المياه بالذات بند هام جـدا مـن بنـود الخـلاف الأساسية بين إسرائيل والفلسطينيين والبلاد العربية المجاورة -لبنان وسوريا والأردن- ولا شـك أن محاولـة إسـرائيل الاستيلاء والسطو على المياه الفلسطينية تقـع فـي مقدمـة اهتماماتهم، وفي إطار الدراسات المتعددة والتغيرات الفعليـة التي تمت على الطبيعة يجري الحديث فـي هـذا البحـث، ويحسن قبل ذلك أن نقدم عرضا سـريعا لمصـادر الميـاه الفلسطينية.

مصادر المياه الفلسطينية:

تنحصر هذه المصادر في الأنهار، والجداول، والوديان - حيث تتجمع مياه الأمطار- ثم البحيرات والبـرك، وأخيـرا العيون والينابيع والآبار والمياه الجوفية.

وكثير من تلك المصادر ما حوّله الإسرائيليون إلى أطلال أو محــوه تمامــا أو غيــروا أكثــر أســمائه العربيــة أو حوّلوا مساره؛ لحرمان الفلسطينيين مـن الاسـتفادة مـن مياهه.

نهر الأردن:

ينبع من جبل الشيخ (حرمون) في سوريا علـى ارتفـاع ٢٠٠٠ متر عن سطح البحر، ويصبُّ في البحر الميت الذي يقع على انخفاض ٣٩٥ مترا عن سطح البحر. يتكون هـذا النهر من روافد الحاصباتي - دان - بانياس، وأهم الروافد التي تصبُّ فيه نهر اليرموك في منطقة جنوبي طبرية، وينبع الحاصباني وبانياس من لبنان، بينما ينبع الدان (تل القاضي) واليرموك من سوريا، وطول نهر الأردن نحـو ٢٥٢ كيلـو مترا ولا يصلح للملاحة.

نهر روبين:

تتجمع مياهه من عدة أودية آتية من جبال القدس، وأهمها وادي الصرار ووادي قطرة يصب جنوبي يافا على بعد ١٥ كيلو مترا من المدينة، واشتهر بوجود مقام النبـي روبـين، وهو المصيف الشهير لأهالي يافا واللد والرملة، ويصبُ في البحر الأبيض المتوسط.

نهر العوجا:

ويسمى عند مصبه "نهر اليركون" ينبع من مساقط الميـاه المحيطة بمدينة نابلس حيث تتجمع في رأس العـين، وهـو أطول أنهار فلسطين ويبلغ ٢٦ كيلو مترا، وعلى بعـد سـتة كيلو مترات من مدينة يافا شمالاً وبعـض أجزائـه صـالح للملاحة، ويقع بين متنزهات جريشة ومصبه، نقـل اليهـود مياهه سنة ١٩٥٥ في أنابيب إلى صحراء النقب، وتوجد عند مصبه محطة ضخمة لتوليد الكهرباء تزود تل أبيـب ويافـا بالطاقة الكهربائية.

نهر المقطع:

ينبع شمالي مدينة جنين، ويخترق سهل مرج ابن عـامر، ويصبُّ في خليج عكا على بعد ٤ كيلومترات شمالي حيفـا، وطوله ١٣ كيلومترا.

نهر النعامين:

ينبع من ناحية شفا عمرو، ويصب في خليج عكا جنـوبي مدينة عكا بحوالي ٢ كيلومترا، وطوله ٨ كيلومترات.

الجداول والوديان:

كثيرة وتكون غنية بالمياه في فصل الشتاء، وهي منتشرة في جميع أنحاء فلسطين حتى صحراء النقب ومن أشـهرها وادي بـاب الـواد ووادي البيـرة ووادي عـين جـالوت ـ " واشتهر بالمعركة التاريخية التي جرت قرب بيسان بين العرب والتتار وانتهت بهزيمة التتار " ـ وادي الجوز قرب القدس ـ وادي الحفير في النقب ـ وادي الحوارث بين يافا وحيفا، واشتهر بخصوبة أراضيه التي باعتها عائلة لبنانيـة إلى اليهود ـ وادي الخضيرة ـ وادي نهر الزرقـا قـرب

جنـين ـ وادي الشـريعة قـرب الضـاهرية بالخليـل ـ وادي الصرار من منابع نهر روبين ـ وادي العربة جنوبي البحر الميت ـ وادي العوجا في النقب، ويسير إلـى حـدود سيناء المصرية ـ وادي غزة يسير من جبال الخليل مـارا ببئر سبع إلى غزة ـ وادي النمل قرب عسقلان (المجدل).

البحيرات والبرك:

بحيرة الحوله:

تقع في أقصى شمال فلسـطين مسـاحتها ١٤ كيلـومترا مربعا اشتهرت بمياهها العذبة ولم يعد لها وجود الآن بعد أن أتمَ الإسرائيليون تجفيفها سنة ١٩٥٨، وتحوَلت إلـى أراضٍ زراعية.

بحيرة طبريا:

وتُعرَفُ أيضا ببحيرة الجليل، مسـاحتها ١٧٠ كيلـومترا مربعا، تنخفض عن سطح البحر ٢١٢ مترا، تمتـاز بـوفرة أسماكها ولطاف مناخها، وتقع في طرفهـا الجنـوبي ينـابيع الحمة بمياهها الساخنة التي تنحدر إليها من هضبة الجـولان وعدة جداول في سوريا.

البحر الميت أو بحيرة لوط:

مساحتها حوالي ١٠٤٠ كيلومترا مربعا، تـنخفض عـن سطح البحر ٣٩٨ مترا، ومياهها- بسبب ملوحتها الفائقـة- لا أثر للحياة فيها، وتعود تلك الملوحة إلى كثرة البخر بسبب ارتفاع درجة الحرارة، وهي غنية بالأملاح المعدنية، وتشتهر بإنتاج البوتاس، ويستغلها العرب واليهود من ناحيتيها.

ومن أشهر البرك في فلسطين برك سليمان، وتقع جنوبي بيت لحم، وتتكون من ثلاث برك.

العيون والينابيع والآبار:

ويزيد عددها عن ألف وخمسمائة نبع وعـين، وتتفـاوت كمية المياه التي تصرفها حسب هطول الأمطار وكميتها فـي مختلف فصول السنة، ومن أشهر العيون في فلسطين عـين الطابغة شمالي بحيرة طبريا، وتشـتهر الطابغـة ببسـاتينها وموقعها الجميل ولها مكانة خاصة لدى المسيحيين؛ (يقال إن السيد المسيح بدأ السير على الماء في بحيرة طبريا من ناحية الطابغة).

عيون رأس العين التي تغذي نهر العوجا، ومنها تم سحب المياه إلى مدينة القـدس سـنة ١٩٣٥؛ لخدمـة التجمعـات اليهودية.

عين بحيرة طبرية ـ عين فارة شمالي القـدس ـ عـين القسطل قرب الناصرة ـ عين مالح قرب نـابلس ـ منـابع الحمة الكبريتية.

أما الآبار الجوفية: فتكثر في السهل الساحلي والمنـاطق الوسطى من فلسطين حيث تنتشر بساتين (بيارات) البرتقـال والزراعات المختلفة التي تعتمد على الميـاه الجوفيـة، أمـا المناطق الجبلية الشمالية فكانت تعتمد بالدرجة الأولى علـى ميـاه الأمطـار والزراعـة البعليـة أو ميـاه الينـابيع والعيون الجارية.

تتميز المسألة المائية في فلسطين بارتباط ظهورها كمسألة أو مشكلة بنشوء الحركة الصهيونية العالمية والتعاون الوثيق بينها وبين الاستعمار البريطاني، وقـد بـدأت الاهتمامـات الصهيونية بالتحري عن الإمكانيات المائية منذ سـنة ١٨٧٣ وذلك بوصول أول بعثة إنجليزية يهودية عرِفَت باسم بعثـة (شارلي وارن) حيث جاء تقرير البعثة بعد دراسة دامت مدة

طويلة في طول فلسطين وعرضها مشجعا للصهيونية بإمكان فلسطين أن تستوعب عدة ملايين من اليهود حتى في صحراء النقب بعد إيصال المياه إليها من شمال فلسطين.

ولوحظ أن هجرة اليهود الأوائل إلى فلسطين كانت تتعمد اختيار الأماكن الغنية بالمياه لإقامة المستوطنات الأولى مثل روشبينا في شمال فلسطين والخضيرة، وريشـون ليتسـيون (عيون فارة)، وبتاح تكفا (ملبس) في وسط البلاد.

وبعد إعلان الانتداب على فلسطين أخـذت الصـهيونية بمعاونة السلطات البريطانية في تنفيذ مخطط ـات اسـتثمار المياه والسيطرة على مصادرها؛ وهكذا في غيـاب الـوعي العربي بدأت الصهيونية تثبت استثماراتها وتنفـذ المشـاريع المائية ومن أهمها:

١- مشروع روتنبرج سنة ١٩٢٦ وتم تنفيـذه لتوليـد الكهرباء جنوبي بحيرة طبريـا عنـد التقـاء نهـر اليرموك بنهر الأردن، وعرِفَ فيما بعد كم أساء هذا المشروع إلى محاولات العرب الاستفادة من ميـاه نهر اليرموك.

٢- استثمار نهر النعامين الذي يصبُّ قرب عكا وذلك؛ لخدمة المستعمرات الإسرائيلية وحجب المياه عـن العرب.

٣- المشاريع التي أقيمت عنـد نهـر العوجـا شـمال مدينة يافا.

٤- تجفيف بحيرة الحوله؛ مما أدى إلى تدمير وتشـتيت ١٤ قرية عربية في شمال فلسطين، وأتاح لليهـود الاستفادة مـن آلاف الـدونمات مـن الأراضـي المستصلحة الجيدة الخصوبة.

٥- مشروع الجليل الغربي، ومشروع طبريا - النقـب وقد تم الانتهاء من تنفيذه بعد إعلان دولة إسرائيل.

٦- مشروع جر مياه رأس العين إلـى القـدس لخدمـة التجمعات اليهودية- وأشـرنا إليـه سـابقًا- وتـم سنة ١٩٣٥.

وقد تم جرُّ مياه نهر العوجا إلى النقب بعد إعـلان دولـة إسرائيل.

ومنذ حرب ١٩٦٧ استولت إسرائيل على كافة أراضـي الضفة الغربية وقطاع غزة، وأخذت تنـتهج سياسـة مائيـة

جديدة على العرب، وتفـرض علـيهم القـوانين واللـوائح والأوامر بكل ما يتعلق بالمياه خصوصا ما يتعلق بالزراعة.

وبدأت إسرائيل البحث عن مصـادر الميـاه المسـطحة والجوفية في الأراضي العربية، وفرضت سيطرتها عليهـا، وأول عمل قامت به منع السكان من ضخ المياه مـن نهـر الأردن، ونسف عدد كبير من المضخات بحجة الضـرورات الأمنية؛ وبدأت الحقول العربية تبور.

أما فيما يتعلق بالآبار والينابيع في الأراضي العربية فقـد قامت إسرائيل بحفر آبار عميقة ضخمة، وزودتها بمضخات كبيرة أدت إلى سحب المياه من كثير من الآبار الفلسـطينية؛ مما اضطر العرب الفلسطينيين إلى شراء المياه من الجمعيات الصهيونية التي أصبحت لها السيطرة على ضخ المياه.

وهكذا انخفض مستوى المياه الجوفية للآبار العربية وقـل موردها المائي، ولم تكتف السلطات الإسرائيلية بهذه التدابير بل فرضت وضع عدادات على بعض الآبار العربية؛ لتحديد كمية المياه المسحوبة، ورفضت منح العرب رخصـا لحفـر آبار جديدة؛ مما أدى إلى جفاف الكثير من أراضي وبساتين البرتقال وهو أشهر محصول زراعي كانت تنتجه فلسـطين،

وكانت جملة " برتقال يافا " مشهورة ومعروفة في كافة أنحاء أوربا، ولا يزال اليهود يستخدمون نفس الجملة لتصدير برتقالهم.

ومن المناظر المفجعة أن يقف المزارع الفلسطيني فوق أرضه العطشى إلى الماء ويرى على مسافة قريبة سكان المستوطنات الإسرائيلية ينعمون ببرك السباحة والنافورات المائية؛ وهكذا انخفض عدد العاملين في الزراعة سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة، وانخفض كثيرا الإنتاج الزراعي خصوصا في قطاع غزة.

ولا يتسع مجال البحث هنا للحديث عن مشاريع الري في وادي الأردن ومناطق الحدود بين سوريا ولبنان وإسرائيل، ووقوف إسرائيل أمام أي مشروعات إنمائية عربية مثل: منع تحويل نهر اليرموك، وإقامة بعض السدود.

وكذلك المخططات الإسرائيلية بالنسبة لنهر الليطاني في لبنان.

وهكذا وفي غياب الوعي والتضامن العربي أخذت الصهيونية تثبت استثماراتها المائية بحيث تسيطر على المصادر الهامة للمياه.

وأخيرا بالنسبة للأهـداف المسـتقبلية للسياسـة المائيـة الصهيونية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: ما تم تنفيذه فعلاً وهو ما أشرنا إليه سابقًا.

الثاني: يتمثل في أطماع مستقبلية يعمل الكيـان الصـهيوني على تحقيقها بشـكل تـدريجي مسـتغلاً أوضـاعا وظروفًا عربية ضعيفة ومتفرقة، ومستغلاً أوضـاعا دولية مهيأة دائما لمساعدة إسرائيل والوقوف جانبها.

الأحزاب السياسية والنقابات الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨

أثناء الحكـم العثمـاني كانـت فلسـطين جـزءا مـن الإمبراطورية العثمانية؛ ولهذا لم يكن لها وحـدة جغرافيـة مستقلة ولا كيان سياسي منفرد؛ وبالتـالي كانـت الحركـة الوطنية الفلسطينية تعمل في إطار الحركة الوطنية في كـل سوريا (بلاد الشام) وعند انتهاء الحكم العثماني بهزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ بـدأ يقـود الحركـة السياسية في فلسطين بعض الوجهـاء وأصـحاب الأمـلاك وبعض أصحاب المهن الحرة، وأُعلِنَ الانتـداب البريطـاني على فلسطين، وبدأت تظهر ملامـح المـؤامرة البريطانيـة اليهودية بإصدار وعد بلفور والبدء في إعداد الـبلاد لتنفيـذ الوطن القومي اليهودي.

وكان أول مظهر منظم للوعي السياسـي فـي فلسـطين ظهور الجمعيات الإسلامية المسيحية في عدة مدن وذلك منذ سنة ١٩١٨، وكانت أهداف تلك الجمعيات المعلَنة المحافظـة على حقوق الوطن المادية والأدبية، وترقية الشئون الزراعية

والاقتصادية، وإحياء العلم والاهتمام بالناشئة الوطنية، ولكن الهدف الأهم والحقيقي كان بـلا شـك الاهتمـام بـالنواحي السياسية، وأخذت تلك الجمعيات تطالب بالاستقلال، وحماية حقوق العرب ومقدساتهم.

بلغ عدد تلك الجمعيات خمـس عشـرة جمعيـة أهمهـا وأكثرها نشاطًا جمعيتا يافا والقدس، وأهم دور لعبتـه تلـك الجمعيات دعوتها لعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول في مدينة القدس، وعندما أحست السلطة البريطانية بتعاظم تلـك الجمعيات وأهدافها السياسية الحقيقية وهـي إنشـاء الحكـم الذاتي، وحق تقرير المصير، والوقوف ضد إنشـاء الـوطن القومي اليهودي وضد الهجرة اليهودية إلى فلسطين رفضـت حكومة الانتداب عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني الـذي كـان يأمل أن يصل صوته إلى مؤتمر السلام وعصبة الأمم في ذلك الوقت.

وأول حزب تألف في فلسطين سنة ١٩١٨ في مدينة حيفا، واتفق المؤسسون على تسميته الحـزب العربـي المـوالي لبريطانيا؛ وبهذا الاسم سمحت له سلطات الانتداب البريطاني بمزاولة نشاطه، وحاول المؤسسون نشر الدعوة إلى الحزب

في بعض المدن الفلسطينية ولكن الدعوة فشلت وخصوصا أن أهداف الحزب نفسه- كما أعلنوها- كانت تطـابق أهـداف الجمعيات الإسلامية المسيحية؛ وهكذا حـل الحـزب نفسـه وانضم أعضاؤه إلى الجمعيات المذكورة، وبهذا انتهـى أول حزب سياسي في فلسطين.

بدأت ممارسة الحياة السياسية الفعلية في فلسـطين سـنة ١٩٢٠ حينما تولت اللجنة التنفيذية والتي انبثقت عن المؤتمر الفلسطيني السابع قيادة الحركة الوطنية بقيادة " موسى كاظم الحسيني " وكانت الناطقة باسم الشعب الفلسطيني، واستمرت حتى سنة ١٩٣٤ حين وفاة رئيسها "موسى كاظم الحسـيني"، والحقيقة أن اللجنة التنفيذية لم تكن تكفل التضامن والتنظـيم بين أعضائها؛ لعدم وجود اتجاه سياسي ومنهج محدد تسـير عليه فيما عدا الميثاق الوطني الفلسطيني؛ وهكـذا ظهـرت أولى الحركات الوطنية الفلسطينية فاقدة الانسجام والتجـانس وخصوصا بعد وفاة رئيسها، وبسبب عدم الاتفاق على تعيين رئيس جديد للجنة رأى الأعضاء منعا للفوضى دعوة الأمـة إلى مؤتمر عام في ٢ سبتمبر (أيلول) سـنة ١٩٣٤ ولكـن

انعقاد المؤتمر تأجل أكثر من مرة، وكان آخرها إلـى أجـل غير مسمى.

وهكذا انشقت الصفوف الفلسطينية، وبـدأ التنـازع بـين القيادات، وظهرت الخلافات العائلية والشخصية ومنـاورات بعض المتعاونين مع حكومة الانتداب، وأشـعلت الحكومـة البريطانية هذه الخلافات وقررت إجـراء انتخابـات عامـة للمجالس البلدية؛ وكانت تقصد زيادة شُـقة الخـلاف بـين الطوائف الفلسطينية، ولكن حدثت المفاجأة وفـازت الجبهـة الوطنية بأكثر المقاعد ورغم الجهود التي بـذلتها الحكومـة لإنجاح رجال المعارضة، وفازت الجبهة الوطنية في أكثـر المدن الفلسطينية " إلا " أن المندوب السامي البريطاني قـام بتعيين رؤساء البلديات من أحزاب المعارضة مـن الأقليـة الناجحة في الانتخابات وخصوصا في مدن القدس - يافا - نابلس - الخليل - غزَّة - بيت لحم - رام الله - وجنين.

أخذ الوطنيون يتداولون لتنظيم جهاز حزبي جديد لقيـادة الحركة الوطنية، وأحست جماعات المعارضة أن مصـلحتها أيضا تشكيل أجهزة حزبية ينتظم فيها زعماؤها ورجالها.

وهكذا تأسست ابتداء من سنة ١٩٣٤ و ١٩٣٧ الأحزاب التالية:

١- الحزب العربي الفلسطيني تأسس سنة ١٩٣٥ يرأسه " جمال الحسيني "، ومقره الرئيسي مدينة القدس.

٢- حزب الدفاع الوطني يرأسه " راغب النشاشـيبي " تأسس سنة ١٩٣٤، وهـو مـا عـرِفَ بـالحزب المعارض، ومقرُّه الرئيسي مدينة القدس.

٣- الكتلة الوطنية يرأسه " عبد اللطيف صلاح " سـنة ١٩٣٥، ومقرُّها مدينة نابلس.

٤- حزب الإصلاح يرأسه " حسين فخـري الخالـدي " سنة ١٩٣٥، ومقرُّه مدينة القدس.

٥- حزب مؤتمر الشباب العربـي الفلسـطيني يرأسـه " يعقوب الغصين "، ومقرُّه مدينة الرملة.

٦- حزب الاستقلال يرأسه " عوني عبد الهادي "، وكان الحزب قد تأسس سنة ١٩٣١ ولم يـزاول نشـاطه الفعلي إلا سنة ١٩٣٤، ومقرُّه القدس.

وظهر بجانب تلك الأحزاب بعض المؤسسات الدينية والاجتماعية والعمالية ومنها:

المجلس الأعلى الإسلامي - جمعيات الشبان المسلمين - مؤسسات الشبيبة كالكشافة والنجادة والفتوة.

والجمعيات العمالية مثل جمعية العمال العرب - عصبة التحرر القومي - مؤتمر العمال العرب - لجنة صندوق الأمة - المكاتب العربية.

وكان هناك اختلاف في الرأي في كيفية توجيه الحركة الوطنية وطرق المقاومة؛ فكان رأي الحزب العربي أن الكفاح والجهاد ضد الاستعمار والصهيونية هو السبيل الوحيد لتحقيق أماني البلاد والقضاء على المؤامرة البريطانية - اليهودية، واعتبرت الأحزاب الأخرى هذا الرأي بأنه يمثل التطرف، وأن التفاهم مع حكومة الانتداب هو الطريق الوحيد للتخفيف من حدة الخطر اليهودي، وتبنى هذا الرأي حزب الدفاع الوطني الذي أُطْلِقَ عليه حزب المعتدلين أو " حزب المعارضة " وأما الأحزاب الأخرى الصغيرة فلم يكن لها رأي محدد، تارة تظهر التشدد وتارة

أخرى تتجه نحو المهادنة والانضمام إلى المعارضة؛ وهكـذا دبَّ الخلاف بين الأحزاب، وانحازت العائلات الكبيرة تؤيـد وتعارض حسب موقف كبير العائلة، وانطبق المثـل الـذي يقول "انصر أخاك ظالما أو مظلوما" على تلـك العـائلات، وتمكن الحزب العربي من استقطاب أكثر الفئات الشعبية من سكان فلسطين وتبني سياسة أو وعود بريطانية لا تؤدي إلى تحقيق أهداف الميثاق الوطني وما تلك الوعـود إلا سياسـة اللف والدوران والمواربة لخدمة الأهداف اليهودية، وأصـبح الحزب العربي الفلسطيني وقد أُطْلِقَ عليـه حـزب المفتـي ـ " الحاج أمين الحسيني " ـ وأصبح يمثل الجبهة الوطنيـة المتشددة كما أُطْلِقَ على حزب الدفاع الوطني اسـم حـزب المعارضة.

وما أن بدأت اضطرابات سـنة ١٩٣٦ حتـى توحـدت الأحزاب بسبب الضغط الشعبي، وتشكلت اللجنـة العربيـة العليا، وأُنْتُخِبَ الحاج " أمين الحسيني " رئيسا لهـا بإجمـاع الآراء، وكان يشغل في نفس الوقت رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى ومفتي فلسطين الأكبر.

وهكذا أصبح الحاج " أمين الحسيني " الـرئيس الفعلـي لكفاح الشعب الفلسطيني، واستمرَ كذلك إلى أن وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨.

وتولت اللجنة العربية العليا التي كانت تتشكل من رؤساء الأحـزاب الفلسـطينية قيـادة الحركـة الوطنيـة إلـى أن أصدر المندوب السامي البريطاني أمرا بحلها، والقـبض على أعضائها، ونفي بعضهم إلى خارج فلسـطين، وتمكـن الحاج " أمين الحسيني " من مغادرة البلاد سرا، وأخذ يـدير الحركة الوطنية وهو خارج البلاد حتى بداية الحرب العالمية الثانية، واضطر لمغادرة البلاد العربية؛ ليستقر فـي ألمانيـا طيلة مدة الحرب.

جرت عدة محاولات لإعادة بناء البنية السياسية بعد اللجنة العربية العليا ولكن تفرُق الكثير من رجال البلاد سواء خارج فلسطين أو في السجون والمعتقلات حال دون الاتفاق علـى عملية التمثيل في اللجنة الجديدة المقترحة.

حاول الحزب العربي بعد اعتقال رئيسه "جمال الحسيني" ونفيـه إلـى روديسـيا تنظـيم صـفوفه وأُنْتُخـب "توفيق صالح الحسيني" وكيلاً لرئيس الحزب، وأُعتُبِرَ ذلـك

تنظيما مؤقتًا توقعا لعودة الرئيس من منفاه، وأخـذ الحـزب يدعو إلى ضرورة إعادة المبعدين السياسيين خارج الـبلاد، وإطلاق سراح المعتقلين في سجون فلسطين، هـذا بجانـب المطالبة بتنفيذ الميثاق الوطني، وفي سنة ١٩٤٥ أُطْلِقَ سراح "جمال الحسيني" وعاد من روديسيا، وتولى رئاسة الحـزب وبقي حتى إنشاء الهيئة العربية العليا وعودة المفتي الحـاج "أمين الحسيني" وتوليه رئاسة الهيئة العربية العليا.

أما حزب الدفاع الوطني برئاسة " راغب النشاشيبي" فإن استمرارية وجوده كانت تعتمد على رؤساء البلديات المعينين من قبل حكومة الانتداب وخصوصا رؤساء بلديات يافـا - الرملة - نابلس - غزة وعلى بعض العائلات الكبيرة، أمـا الأحزاب الأخرى فلم يكن لها قاعدة شعبية.

انطلقت الحركة العمالية في فلسطين مـن مدينـة حيفـا وانتشرت في عدة مدن فلسطينية، وكان أقوى فروعها فـي مدينـة يافـا الـذي قـاد عـدة إضـرابات بـين سـنتي ١٩٤٢ - ١٩٤٣ واضطر الحكومة إلى تحقيق المساواة في الأجور بين العمال العرب والعمال اليهود، ومنـع العمـال اليهود من الاشتراك في المشاريع العربية.

وقد انقسمت الحركة العمالية إلى عدة جبهات بعد انتهـاء الحرب العالمية الثانية: اتجاه يساري وآخر غربـي، وأخـذ الصراع يشتد بين العمال العرب وخصوصا الفئة الشيوعية، وقد اعتبرت الهيئة العربية العليا جمعية العمال العرب هـي الممثلة لعمال فلسطين، وباركت اتجاهها السياسـي المؤيـد للخط الوطني في البلاد.

اللجان القومية:

في مستهل العام سنة ١٩٣٦ تألفت اللجان القومية في مدن فلسطين، ولم يكن للقيادة السياسية الفلسطينية أي تدخل فـي تأليف تلك اللجان؛ لأن الانتفاضة الشعبية الفورية هي التـي تمخضت عنها اللجان القومية في مدن وقرى فلسطين، ولكن موقف تلك اللجان أخذ يضعف على أثـر سـيطرة القـوات المسلحة الفلسطينية- وأكثرها من الفلاحين- على تيسير دفة الأمور في فلسطين؛ ونتج عن ذلك عـدة أخطـاء انحرفـت بالثورة عن خطها الأساسي، وكثرت التجاوزات، وحصـلت عدة مآسٍ واغتيالات كل ذلك باسم الثورة.

وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت البلاد تخضع للأحكام العسكرية، وقوانين الطوارئ، والمصادمات بين المنظمات اليهودية المسلحة والقوات البريطانية، والصراع بين الأحزاب والتكتلات العائلية؛ وأدت الانقسامات إلى شبه توقف للعمل السياسي الفلسطيني.

وما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أخذت الاضطرابات تشتد سنة ١٩٤٦، ومقاومة الشعب الفلسطيني تزداد حدة، والصدامات العربية الإسرائيلية تزداد وتأخذ طابع الخطر؛ لأن الجانب الفلسطيني كان ينقصه التنظيم والتسليح.

وفي هذه الأثناء انعقد مؤتمر جامعة الدول العربية في مصيف بلودان بسوريا وقرر في ١٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩٤٦ دعوة رؤساء الأحزاب الفلسطينية؛ حيث تم تأليف الهيئة العربية العليا من عضوين من اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا برئاسة الحاج "أمين الحسيني"، وضمت الهيئة " جمال الحسيني " و " أحمد حلمي عبد الباقي" و " حسين فخري الخالدي " و " إميل الغوري "، وكان الحاج أمين الحسيني غائبا في ألمانيا ولما عاد إلى مصر تولى

رئاسة الهيئة التي أجمعت الهيئـات والأحـزاب والنقابـات الفلسطينية على تأييدها.

وبعد عودة المفتي من ألمانيا قرر ضم خمسة أعضاء جدد وجميعهم من أنصاره وأعوانـه ومـنهم " عـزَة دروزة " ، و"معين الماضي" اللذين استقالا من الهيئة سنة ١٩٤٧؛ وهكذا أصبحت الهيئة العربية العليا مقتصرة على المفتـي الحـاج "أمين الحسيني" وأتباعه عدا اثنين وهمـا "حسـين فخـري الخالدي" و "أحمد حلمي عبد الباقي" ولكن وجودهما الدائم في القدس حال دون اشتراكهما في اجتماعات مكتب الهيئة فـي القاهرة.

ورغم أن زعيم الهيئة كان يتمتع بتأييـد جـارف داخـل فلسطين وخصوصا من القيادات الشعبية إلا أن الهيئة العليـا لم تكن تمثل القوى السياسية الحقيقية في البلاد مثل القيـادات العمالية اليسارية والقيادات التقليدية الأخرى، وبسـبب عـدم تواجد المركز الرئيسي للهيئة داخل فلسطين- لعـدم سـماح حكومة الانتداب بدخول أعضائها إلى البلاد، وعلى رأسـهم "أمين الحسيني"- لم تتمكن الهيئة من إحكام قبضـتها علـى الموقف السياسي والعسكري خصوصا عندما بـدأ الوضـع

العسكري يميل إلى جانب اليهود؛ بسبب تنظيماتهم العسكرية المدربة، وامتلاكهم لأنواع متعددة من السلاح.

وكان المفتي يرغب ويلحُ فـي دخـول فلسـطين بعـد أن غادرها الإنجليز ولكن الجامعة العربية إرضاء لموقـف الأردن نصحته أو منعته من دخول البلاد وكان هـذا خطـأ لا يغْتَفَر وكيف تدار المعارك وتسير الحياة السياسـية فـي البلاد وقياداتها تعيش في القاهرة ودمشق وبيروت؟!

إلا أنه للحقيقة فإن الهيئة- رغم كـل هـذه الظـروف، وبقدراتها المحدودة، وبالاعتماد على بعض التبرعات التـي كانت تصلها من بعض البلدان الإسلامية، وما تجمعـه مـن بيت المال الفلسطيني- استطاعت فصائلها المسلحة أن تصمد لأكثر من سبعة شهور أمام التفوق اليهودي بمساعدة القوات البريطانية، وتمكنت من إرسال كميات من السلاح سواء عن طريق البر أو البحر أو بواسطة الطائرات، **وأعظـم عمـل حققته قواتها في الداخل إنقاذ القدس القديمة من السـقوط في أيدي اليهود.**

ولم يستطع جيش الإنقاذ التـابع للجنـة العسـكرية فـي دمشق- والذي دخل فلسطين لإنقاذها- الحيلولة دون سـقوط

العديد من المدن وعشرات القرى الفلسـطينية فـي شـمال فلسطين بيد اليهود.

قد انبثق عن الهيئة العربية العليا عدة مؤسسات:

١- بيت المال العربي.

٢- اللجان القومية (الثانية).

٣- القيادة العسكرية، وقوات الجهاد المقدس.

ولهذه المؤسسات حديث آخر.

التعليم في فلسطين أثناء الانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨

أُنْتُدِبت بريطانيا على فلسـطين؛ لتكـون مسـئولة عـن أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية، وتحدد في وثيقـة الانتداب التي أقرتها عصبة الأمم في جنيـف تثبيـت وعـد بلفور، والتزام بريطانيا بوضع كافة القوانين التي تؤدي إلـى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وما إن مارست حكومة فلسطين البريطانية إدارة شئون البلاد حتى بدأت فـي سـن القوانين التي تخدم الهدف لإقامة الوطن القومي لليهود وكذلك إعاقة تقدُّم البلاد ونموها نحو الاستقلال.

وقد أشرفت الإدارة البريطانية إشرافًا تاما علـى شـئون التعليم، ولم يكن من أهدافها تحقيق التعليم الشـامل للشـعب الفلسطيني أو إعطاء الفرص للفلسطينيين لتولي شئون التعليم في بلادهم ـ كما كان الحال بالنسبة لليهود ـ فكـان مـدير المعارف ومساعدوه أكثرهم من البريطانيين يضعون السياسة العامة للتعليم دون أية مشاركة من جانب المختصين من أهل البلاد.

وهكذا اتصف التعليم أيام الانتداب بالقصور مـن نـواحٍ عدة:

مراحل التعليم ـ المبالغ المخصصة له ـ المناهج ـ عدد الطلاب المقبولين.

ولم يشمل التعليم رياض الأطفال، ولم يتـوفر للطـلاب التعليم العالي بعد الثانوي؛ ليسد الفراغ الذي تحتاجه المدارس والمؤسسات المختلفة.

وميزانية دائرة المعارف لم تكن تتجاوز ٥ ٪ من الميزانية العامة بينما كانت ميزانية التعليم في العراق مثلاً تزيد عـن ١٠ ٪؛ فكان الأهالي العرب ينفقون على المـدارس سـنة ١٩٣٤ ـ ١٥٠ ألف جنيه حينما كانـت ميزانيـة التعلـيم الحكومية ١٨٠ ألف جنيه أي بزيادة ٣٠ ألـف جنيـه عمـا يتبرع به الأهالي.

أما المناهج فقد شابها عيوب كثيرة؛ فقد اقتصرت في بدء الانتداب على تدريس اللغة العربية/ الدين/ الحساب/ التاريخ الجغرافيا، وكان التاريخ يتركز على شرح التاريخ اليهـودي وخصوصا الدولة اليهودية في القدس، والجغرافيا توصي بأن فلسطين قطر مستقل ومنعزل عن البلاد العربية، ولما احـتج

الأساتذة العرب على هذه المنـاهج وكـادت تتحـول إلـى اضطرابات شعبية اضطرت الحكومة إلى استبعاد هذه المواد من الكتب الدراسية ولكنها بقيت مقصرة عن التاريخ الوطني الفلسطيني والتاريخ القومي العربي ولكـن وعـي الأسـاتذة والمدرسين الفلسطينيين كان كفيلاً بسد هذا الفراغ خصوصا في مادتي التاريخ والجغرافيا، وبدأت تظهر بعـض الكتـب لمؤلفين عرب مثل الأستاذ " عـزَة دروزة " فـي التـاريخ، والأستاذ " سعيد الصباغ " في الجغرافيـا توضـح ارتبـاط فلسطين بالتاريخ العربي وبأنها جزء من سوريا حتى جـاء الانتداب البريطاني وتم فصلها لأغراض سياسية.

وكانت البرامج التعليمية بصفة عامة بعيدة عن حاجـات الفرد الفلسطيني؛ والغرض منها سلخ المثقفين عن مجتمعهم، وربطهم بأهداف بعيدة عن الطموحـات الوطنيـة للشـعب الفلسطيني.

هذا في الوقت الذي أُعطِي اليهود الحرية التامة في إقامة مدارسهم وتحديد مواد الدراسة، وكانت المسـاعدات التـي تقدمها حكومة الانتداب للمدارس اليهودية وخصوصا مدارس الأطفال تفوق مساعداتها للمدارس العربية.

كانت فلسطين مقسمة إداريا على أربعة ألوية يدير الشئون التعليمية في كل لواء مفتش للمعارف، وهذه المناطق هي:

١- منطقة القدس ومركزها القدس.

٢- المنطقة الجنوبية ومركزها يافا.

٣- منطقة السامرة ومركزها نابلس.

٤- منطقة الجليل ومركزها حيفا.

ونظرا للضعف الواضح في ميزانية التعليم والمصروفات الإدارية الباهظة التي تختص بهـا الأعـداد الكبيـرة مـن الموظفين البريطانيين أخذ الشعب الفلسطيني يقوم بمبـادرات فردية لتقديم المال اللازم لتوسيع حركة التعليم، وقام الأهلون ببناء المدارس الوطنية، وبـرز دور الأوقـاف الإسـلامية والجمعيات الدينية والمجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يقدم الإعانات للمـدارس الأهليـة، وقـد سـاهمت الجمعيـات الأرثوذكسية بإنشاء مدارس أهلية.

وتميزت مدينة يافا أثناء الحرب العالمية الثانيـة بتقـديم الغذاء للأطفال وإيواء المشردين وتعليمهم، وأقامـت مدينـة الخليل منزلاً لإيواء الطلاب الغرباء، وكانت دائرة المعارف

ترضخ في بعض الأحيان لإرادة الشعب بتزويـد المـدارس الجديدة بالمعلمين والأدوات.

لم يكن السلم التعليمي يبدأ برياض الأطفال لندرتها ولكنه كان يبدأ بالتعليم الابتدائي ومدته سبع سـنوات فـي المـدن وأربع سنوات في القرى، أما التعليم الثانوي فكانـت مدتـه أربع سنوات، وتقول الإحصاءات عن مقدار إهمـال الإدارة للتعليم الثانوي:

ففي الفترة من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٨ لم يكن في فلسـطين إلا عدد قليل من المدارس الثانوية الكاملة، وفي نهاية الدراسـة الثانوية كان الطلاب العرب يؤدون امتحانًا باسم المتركوليشن Matriculation (وتسمى شهادة الاجتياز إلى التعليم العالي) وكان إلى جانب المدارس والكليات الأجنبيـة التـي كانـت منتشرة في أنحاء فلسطين بعض الكليات الوطنية مثل: النجاح في نابلس، وكلية الروضة في القدس، وقد اهتمتـا بتـدريس آداب العرب وتاريخهم.

والمعلمون الفلسطينيون اهتموا بإثـارة الـروح الوطنيـة والنضال، وشارك الكثير منهم في الحركة الوطنية وعمليات الجهاد، ولا ننسى الشاعر الفلسطيني الكبير "عبـد الـرحيم

محمود" الأستاذ بكلية النجاح الذي استشهد وهو يناضل مـع إخوانه في ثورة ١٩٣٦، والسيد " أبو شرخ " الأسـتاذ فـي مدارس غزَّة الذي قاد الهجوم على عدة مستعمرات يهوديـة وأشهرها مستعمرة " بيـار تعبـين" والتـي تـم تـدميرها، و "سامي الأنصاري" الأستاذ بالكلية الرشيدية الـذي هـاجم الضباط البريطانيين وأصابهم بجراح بالغة ثم استشـهد بعـد ذلك وهنالك غيرهم كثيرون.

ومن المدرسين من كان يتبرع بجزء من راتبـه لشـراء السلاح والعتاد، حتى المعلمات اشتركن في الأعمال الوطنية والمشاركة في معالجة المرضى ورعايتهم.

وكانت بعض القرى المحرومة من التعليم تقدم تعهدا إلى إدارة المعارف بدفع راتب المعلم، وبناء حجرات المدرسـة، وشراء الأثاث، وكانت الدراسة في بعض القرى تبدأ تحـت شجرة أو تحت الخيام أو في المسجد إلى أن يتم البناء الجديد.

اهتمَ الفلسطينيون كثيرا بإنشـاء مكتبـات صـغيرة فـي المدارس وخصوصا مدارس القرى؛ لتكـون فـي متنـاول المعلمين والطلاب، وكانوا يمولون تلك المكتبات بالتبرعـات الشخصية.

ومن رجال الإدارة الذين ساعدوا مساعدة فعالة في بنـاء المدارس وترميمها وحث الفلاحين على استمرار أولادهم في تلقي العلم نذكر السادة:

عبد الرزاق قليبو ـ نعيم عبد الهادي ـ عارف العـارف ـ بطرس ناصر ـ وديع عيساوي، ومن رجال التعليم الذين تركوا بصماتهم المؤثرة في مجال التعليم خليل السكاكيني ـ خليل طوطح ـ إسعاف النشاتيبي ـ أحمد سامي الخالدي ـ مصطفى مراد الدباغ ـ عارف البديري ـ أحمد طوقـان ـ إسحق موسى الحسيني ـ رفيق التميمي ـ أولفـا وهبـة ـ ليندا شاهين.

المؤسسات التعليمية الهامة في فلسطين:

الكلية العربية في القدس:

كانت تُعرَفُ سابقًا باسم دار المعلمـين، وكانـت تقبـل المتفوقين ممن أنهوا الصف الثاني ثـانوي فـي المـدارس الأميرية، وفي سنة ١٩٣٩ تأسس فيها صفان إضافيان وهما الخامس والسادس ثانوي (وما يعادل سنة أولى وثانيـة فـي الجامعة) ويدخلهما الطالـب بعـد حصـوله علـى شـهادة

المتركوليشن، وبالإضافة إلى العلوم العادية كان الطالب يدرس فن التربية وأصول التعليم؛ للإعداد للتدريس في المدارس الحكومية.

كلية دار المعلمات في القدس:

وكانت الدراسة فيها لمدة أربع سنوات؛ لإعداد المدرسات للتدريس في المدارس الأميرية، وكانت تعلم بالإضافة إلى المناهج الدراسية العادية التدبير المنزلي، أشغال الإبرة والخياطة وقد بلغ عدد الخريجات حتى سنة ١٩٤٦ ـ ٣٠٠ خريجة يشكلن معظم معلمات مدارس البنات في المدن.

دار المعلمات القروية:

كانت تعد بناتها للتدريس في المدارس الريفية، ومدة الدراسة فيها ٤ سنوات بعد الابتدائي.

مدرسة حيفا الصناعية:

تأسست سنة ١٩٣٧ وكانت مزودة بمعدات جيدة تناسب منهجها الصناعي، وكانت تعلم الحدادة ـ النجارة ـ الخراطة ـ تصليح الأدوات الكهربائية ـ إصلاح السيارات ـ تجليد الكتب، ولكن للأسف وضع

الجيش البريطاني يده على المدرسة لمدة طويلة وحرم البلاد من خريجيها.

مدرسة خضوري الزراعية:

أنشئت ١٩٣١ في مدينة طولكرم، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات، وقد شمل التعليم فيها زراعة الخضر - الحبوب - الفاكهة - تربية النحل - صناعة الألبان - تربية الدواجن - تربية المواشي، وكان الطلاب ومعلمو الزراعة هم الذين يقومون بالأعمال الزراعية في مدرستهم، وكان الفلاحون الفلسطينيون كرماء جدا بتقديم الأرض اللازمة للتعليم الزراعي.

المدارس الثانوية الخاصة:

كلية النجاح - نابلس.

الكلية الأرثوذكسية - يافا.

النهضة - القدس.

مدرسة الثقافة - يافا.

مدرسة الأمة - القدس.

كلية غزَّة - غزَّة.

الكلية الإبراهيمية ـ القدس.

مدرستا بيزريت الوطنيتان واحدة للبنين وأخرى للبنات.

المدرسة الأسقفية ـ حيفا (البصة).

التعليم اليهودي في عهد الانتداب:

كان هدفه الأساسي دمج اليهود في بوتقة يهودية واحـدة، وإحياء التراث اليهودي وبث الأمل في إنشاء دولة يهودية في فلسطين حتى لو احتاج الأمر إلى القتال لتحقيق هذا الهدف.

وأهم المعاهد اليهودية "الجامعة العبرية" في القدس، وقـد تأسست سنة ١٩٢٥، وافتتحها اللورد بلفور صاحب الوعـد المشئوم، وكان مستوى التعليم فيها مرتفعا؛ بسـبب وجـود عشرات من الأستاذة والدكاترة الوافدين من الدول الغربيـة، واهتمت بتدريس الآداب العربية، والثقافة اليهودية، والتربة، وعلم النفس وكذلك الرياضيات، والطبيعيـات، والكيميـاء، وعلم الحيوان، والنبات والصحة، وكانت مكتبتها تضم ٤٠٠ ألف مجلد، ثم معهد الهندسة التطبيقية في حيفـا (التخنيـون) وكانت تدرس الهندسة المعمارية/ الكهربائيـة/ الكيماويـة/ المدنية.

مدارس فلسطين في عهد الانتداب البريطاني

قضاء يافا:

في ١/ ١/ ١٩٤٨ كان في مدينة يافـا ١٦ مدرسـة ١٠ بنين، ٦ بنات عدا المدارس الأهليـة والتابعـة لمؤسسـات أجنبية، ومدارس الأوقاف الإسلامية، والمجلـس الإسـلامي الأعلى، والجمعيات الوطنية.

أما قضاء يافا ويضم ٢٣ قرية كـان منهـا ١٦ مدرسـة رسمية، والباقي مدارس أهلية كان أهل القـرى يقيمونهـا، ويدفعون رواتب المعلمين.

قضاء القدس:

وهو يشمل مدينتي القدس وبيت لحم و ٧٠ قرية.

وفي العام الدراسي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ كان عدد المدارس الحكوميـــة فـــي مدينـــة القـــدس ٩ مـــدارس منهـــا: ٥ للبنين، ٤ للبنات عدا عن الكلية العربية، ودار المعلمـات،

والمدارس الأجنبية التي امتازت بكثرة عددها وتنوُّع الدراسة فيها، وفي بيت لحم كان هنالك مدرسـتان: واحـدة بنـين، والثانية بنات إلى جانب ٨ مدارس خاصة، أما قضاء القدس فكان فيه ٢٦ مدرسة، وقد أنشيء في أواخر عهد الانتـداب عدة مدارس أهلية.

قضاء الرملة واللد:

يضم قضاء مدينتي الرملة واللد سبعين قرية.

وفي مدينة الرملة مدرسة واحدة للبنين، وأخرى للبنـات بجانب مدارس أخرى تابعـة للمجلـس الإسـلامي الأهلـي وجهات أجنبية، وفي اللد مدرسة واحـدة للبنـين وأخـرى للبنات، و٩ مدارس خاصة، أما القرى فكان فيها ٣٢ مدرسة ابتدائية غير مكتملة.

قضاء رام الله:

وهو يضم مدينتي رام الله والبيرة و ٥٨ قرية.

وفي رام الله أنشئت أول مدرسة داخلية للبنات في فلسطين سنة ١٨٨٩، وكذلك أول مدرسة داخلية للبنين سـنة ١٩٠٠

أسســهما الفرنــدز الأمريكــان، وكــان فــي رام الله ٣ مدارس حكومية إلى جانب ٦ مدارس خاصة، وفي البيرة مدرستان مدرسة للبنين وأخرى للبنات، أما القضـاء فكـان يضم ٢٠ مدرسة حكومية، ونخصُ بالـذكر هنـا مدرسـة بيرزيت؛ بسبب ازدهار الناحية التعليمية فيها فكانت النسـبة في آخر الانتداب ٩٠ ٪ للذكور و ٥٠ ٪ للإناث.

قضاء الخليل:

يضـم قضـاء الخليـل مدينـة واحـدة هـي الخليـل، و ٣٥ قرية، و ١٠٩ مزارع، وقبيلتين.

وفي عام ١٩٤٣ كان في مدينة الخليل ٥ مدارس، وبلـغ عدد مدارس القرى ٢٥ مدرسة رسمية.

قضاء بئر السبع:

يعدُ قضاء بئر السبع أكبر أقضية فلسـطين مـن ناحيـة المساحة، ويضم مدينة واحدة وهي بئر السبع، وسبع قبائـل بدوية، وقُدر عدد هؤلاء البـدو سـنة ١٩٤٦ ـ ٩٠ ألفًـا، وكان عدد المدارس في بئر السبع في عهد الانتداب مدرستين

رسميتين: واحدة للبنات والثانية للبنين، في سنة ١٩٤٧ أُفْتُتِحَ أول فصل ثانوي في المدينة، وكذلك أنشيء سنة ١٩٤٦ أول بستان للأطفال أقامه الأهالي، أما مدارس البدو فبلغ عـددها ١٥ مدرسة، وللعلم فإن البدو أبدوا رغبة شديدة جدا لتعلـيم أبنائهم، ولم يجدوا الأماكن الكافية لاستيعابهم.

قضاء غزة:

يضم القضاء مدينتي غزة والمجدل و ٥٤ قرية، وكان في غزَّة أربع مدارس للأولاد، ومدرسة واحدة للبنـات، وفـي المجـدل مدرسـتان: واحـدة للبنـين، والثانيـة للبنـات، أما مدارس القرى فكانت ٣٨ مدرسة.

قضاء جنين :

يضم قضاء جنين ٧٠ قرية صغيرة وكبيرة ومدينة واحدة، وكان في جنين مدرستان: واحدة للبنات والأخرى للبنين، أما مـدارس القـرى فبلـغ عـددها ٢٣ مدرسـة عام ١٩٤٤.

قضاء طولكرم:

يتألف هذا القضاء من ٨٠ قرية ومن مدينة طولكرم، كان في طولكرم مدرستان للبنين، ومدرسة واحدة للبنات بالإضافة إلى مدرسة خضوري الزراعية، أما مدارس القـرى فبلـغ عددها ٣٥ مدرسة، وكان سكان بعض القرى يدفعون رواتب المعلمين.

قضاء بيسان:

أول أقضية البلاد سكانًا، وكان يضم ٣٠ قريـة وبعـض مضارب القبائل، وفي سنة ١٩٤٥ كان في بيسـان مدرسـة واحدة للبنين وأخرى للبنات.

قضاء طبريا:

ويضم ٢٦ قرية وبعض البدو، وكان للحكومة مدرستان: واحدة للبنين والثانية للبنات، أما اليهـود فكـان لهـم سـت مدارس، وفي سمخ كانت مدرسة للبنين وأخـرى للبنـات، وعدد محدود في مدارس القرى.

قضاء الناصرة:

في عام ١٩٤٣ كانت الناصرة تضم ٣ مـدارس: اثنتـين للبنين وواحدة للبنات، وبلغ عدد المدارس غير الحكومية ١١ مدرسة، وضم قضاء الناصرة ٢٣ قرية وعشيرة واحدة، بها ١٤ مدرسة.

قضاء صفد:

في سنة ١٩٤٧ كان في صفد ٣ مدارس للبنين ومدرسـة واحدة للإناث إلى جانب مدرستين أهليتين للصبيان واشتهرت صفد بالكلية الاسكتلندية، وكانت ثانوية كاملة يؤدي طلابهـا امتحان المتركوليشن؛ ووجود تلك الكلية أدّى خدمات تعليمية كثيرة إلى أهالي المدينة ولكنها انتقلت إلى حيفا سنة ١٩٣٧، وبلغ عدد مدارس القرى في صفد ١٦ مدرسة.

قضاء حيفا:

ضم قضاء حيفا في عهد الانتداب ٥٢ قرية و ١٤ عشيرة إلى جانب مدينة حيفا، كان للحكومة مدرسة ثانوية واحـدة، ومدرسة للبنات، ومدرسة صناعية واحدة، وكان فيها عشـر

مدارس إسلامية، و ١٨ مدرسة للمسيحيين بمـا فـي ذلـك المدارس الأجنبية وفي أواخر عهد الانتداب كان في قضـاء حيفا ٢٣ مدرسة.

قضاء عكا:

وفي أواخر العهد البريطاني كان في عكا مدرسة ثانويـة كاملة، ومدرسة ابتدائية، ومدرستان للبنات، وتضم قرى عكا ٥٢ قرية و ٨ عشائر فيها ٣٠ مدرسة، وفي قرية البصـة- إحدى قرى عكا- كان هناك مدرسة ثانوية كانت تُعرَفُ باسم المدرسة الأسقفية الوطنية الثانوية.

قضاء نابلس:

وفي عهد الانتداب بلغ عدد المدارس الرسمية خمس للبنين وأربع للبنات بجانب كلية النجاح الوطنية، وقد تخـرَّج فيهـا أكثر من ٣٠٠ خريج حتى سنة ١٩٤٤، وبها مدارس أجنبية خاصة.

ويضم قضاء نابلس ١٣٠ قرية كبيرة وصغيرة فيهـا ٣٧ مدرسة، وبعض القرى أقامت مدارس، وتعهدت بدفع رواتب المعلمين، وقد وجِدَ في بعض القرى مدارس أجنبية تبشيرية.

المؤسسات الثقافية والاجتماعية والرياضية أثناء الانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨

لم تعرف فلسطين إبان الحكم العثماني المؤسسات الثقافية والاجتماعية؛ لأنها كانت جزءا من سوريا الجنوبية، ولم يكن المجتمع الفلسطيني مهيئًا لإقامة تلك المؤسسات حيث لم يكن هناك الوعي الفلسطيني بالانتماء إلى فلسطين والولاء لهـا؛ لتدني المستوى الثقافي في البلاد، ولإهمال الدولة العثمانيـة لها، وكانت مقسمة إلى ثلاثة ألوية مبعثرة، ولم تتحول القدس إلى لواء مستقل قبل سنة ١٨٨٧ في عهـد السـلطان عبـد الحميد حيث أصبحت تتبع العاصمة العثمانية فـي اسـتنبول مباشرة؛ ومنذ ذلك التاريخ أخذت فلسطين تتحوَل تدريجيا إلى ولاية قائمة بذاتها لها شخصية خاصة.

كان مولد أولى الجمعيات في فلسطين جمعيـات سياسـية بوحي من الحركة الوطنية؛ طمعا في أن تتبع فلسطين الدولة الوليدة في دمشق بنهاية الحرب العالمية الأولى، وكان تأسيس

أول جمعية سياسية في مدينة يافا يرأسه الشيخ "راغب أبـو السعود الدجاني" سنة ١٩١٨، وتبعتها جمعية القدس وبعـض المدن الفلسطينية الأخرى.

أشرنا إلى هذه الجمعيات رغم أنها لا تدخل في بحثنا الذي يقتصر على المؤسسات والجمعيات والاتحـادات والنـوادي ذات النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي؛ وذلـك لإلقـاء بعض الضوء على الحياة الثقافية قبل انفصال فلسطين عـن سوريا.

وقبيل الانتداب البريطاني ظهرت بعض الجمعيات الأدبية والخيرية وأغلبها كانت مسيحية؛ بسـبب وجـود المـدارس الخاصة الأجنبية والجمعيات التبشيرية.

مرحلة الانتداب ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨

أخذت الجمعيات والنوادي والاتحادات في الظهور؛ بسبب زيادة عدد المثقفين، وظهرت سنة ١٩٢٢ الجمعية الإسلامية فـي حيفـا، وتلتهـا الجمعيـة الإسـلامية فـي الرملـة، ثم جمعية الشبان المسلمين في يافا، وفي سنة ١٩٢٦ تأسست

الجمعية الإسلامية في نابلس ثم توالت الجمعيات والنـوادي التي تمثل الاتجاهات الفكرية والدينية المختلفة.

وأخذت شبكة جمعيات الشبان المسلمين تنتشر في أنحـاء البلاد، وكان لها في الخفاء- إلى جانب الطابع الاجتمـاعي- اتجاهات سياسية ضد مواقف حكومة الانتـداب وبرامجهـا وانحيازها إلى اليهود على حساب الشعب الفلسطيني، وفـي سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٣١ تأسست شبكة أخرى مـن النـوادي الأرثوذكسية في كثير من المدن الفلسطينية، وأُنْتُخِبـت لهـا لجنة عليا سنة ١٩٢٩.

وشهدت الثلاثينيات والأربعينيـات مولـد عـدة أنديـة وجمعيات منها جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر في يافا تأسست ١٩٣٧، وتلتها جمعيات الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر في غزَّة وطولكرم، ثم جمعية الاعتصـام في حيفا، وجمعيات التضامن النسائي في القدس ويافا وعكـا وغيرها من المدن.

وقد أدى ظهور الأحزاب السياسية في فلسطين إلى تركيز الجمعيات على النشـاطات الثقافيـة والرياضـية وأعمـال

المساعدة خصوصا خلال الثورة الكبرى سنة ١٩٣٦، وكادت النوادي تتواجد في كل مدينة وقرية كبيرة في البلاد.

وقد تأسست عدة جمعيات فلسطينية خارج فلسطين أسسها المهاجرون إلى الولايات المتحدة والمكسيك وتشيلي وغيرها من دول أوروبا الوسطى.

جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين:

كانت جمعيات الشبان المسلمين منذ أن بدأ تأسيسها سـنة ١٩٢٨ من أهم الجمعيات وأوسعها انتشارا فـي فلسـطين، والظروف التي أدّت إلى ظهور هذه الجمعيات: تعاظم النشاط التبشيري المسيحي، وتكـاثر جمعيـات الشـبان المسـيحية وبجانب اهتمام تلك الجمعيات بالأمور الدينيـة وبـث روح التعاون بين الشباب المسلم أخذت تلـك الجمعيـات تنتصـر للقضايا الوطنية؛ لهذا حظرت السـلطات البريطانيـة علـى الموظفين الانضمام إليها، ولقد لقيت تلك الجمعيـات إقبـالاً كبيرا في الأوساط والهيئات الإسلامية، واسـتقطبت عـددا كبيرا من الشباب المثقف، ومن أبرز أعضائها "عـز الـدين القسام" حيفا، و "يعقوب الغصين" في الرملة، و"أحمد سـامح

الخالدي" ،و"عوني عبد الهادي" في القدس، و" أحمد الشقيري" في عكا، والشاعر "إبراهيم طوقان" فـي نـابلس، و"علـي الدباغ"، و"كامل الدجاني" في يافا.

ومن أنشطة جمعيات الشبان المسلمين في فلسطين جمعية الشبان في يافا؛ حيث نشطت في جمـع التبرعـات وفـتح المدارس، وكذلك مدارس مكافحـة الأميـة وتعلـيم اللغـة الإنجليزية، وإنشاء مستوصف للعـلاج، وقامـت بمسـاعدة المدارس الأهلية في يافا.

ومع حلول سنة ١٩٤٨ كانت فلسـطين تزخـر بمئـات الجمعيات والنوادي والاتحادات، وقد ساهمت في نشر الوعي الوطني ونشره في أنحاء البلاد، ولا شك أن هذه المؤسسات دفعت بعجلة الثقافة في فلسطين خطوات كبيرة إلـى الأمـام بفضل المحاضرات والمدارس والنـدوات التـي افتتحتهـا، ومن أشهر الجمعيات:

جمعية الشبان المسلمين ـ جمعيـة الشـباب العـرب ـ جمعية الإخاء الأرثوذكسية ـ جمعية التضامن الإسـلامي ـ جمعية الشبان المسيحية، وبلغ عدد الجمعيات فـي فلسـطين سنة ١٩٤٨ ـ ٢٥٤ جمعية.

ومن أشهر النوادي:

النادي الأرثوذكسي وفروعه المختلفة في المدن الرئيسية.

النادي الرياضي الإسلامي في يافا - نادي شباب العرب في حيفا.

نادي الشبيبة الإسلامية في يافا - النادي العربي في حيفا - النادي العربي في القدس - النادي العربي في يافا - وقد بلغ عدد الأندية المنتشرة في مدن وقرى فلسطين حوالي ١٥٠ ناديا سنة ١٩٤٨.

وكان للطلبة الفلسطينيين نشاط متميز منذ الثلاثينيات فألفوا فرق الكشافة التي كانوا يتدرّبون فيها سرا على استعمال السلاح، وشاركوا في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩، وفي حرب ١٩٤٨ خاضوا معاركها وقاموا بمظاهرات؛ الأمر الذي دفع السلطات البريطانية إلى اعتقال بعضهم والزج بهم في السجون، واستشهد عدد منهم.

وتعتبر الحركة العمالية الفلسطينية من الحركات العمالية الأولى في الوطن العربي؛ فقد عرف العمال العرب الفلسطينيون التنظيم النقابي في سنة ١٩٢٢ عندما تأسست

أول نقابة عمالية في مدينة حيفا ثم أنشئت عدة فـروع فـي فلسطين.

ومن أشهر الاتحادات اتحاد العاصمة النسائي.

تأسـس فـي القـدس سـنة ١٩٢٩، وترأسـته السـيدة "زليخة الشهابي" وله عدة إنجـازات اجتماعيـة ورياضـية وصحية، ودرج علـى دعـوة الأدبـاء والفنـانين؛ لإلقـاء محاضرات علمية ووطنية وموسيقية، كما درج على إقامـة أسواق خيرية.

وهناك الاتحاد النسائي في عكا، وتأسـس سـنة ١٩٢٩، وترأسته السيدة "رقية حقي" زوجة الشـاعر "أبـو سـلمى"، والاتحاد النسائي العربي في نابلس وتأسس سنة ١٩٢١ وهو أقدم الاتحادات النسائية في فلسطين، وأول رئيسة له السـيدة "مريم عبد الغني هاشم"، وكان له عدة نشـاطات اجتماعيـة وتعليمية، وقد أنشئت عدة جمعيات نسائية في حيفا ـ رام الله ـ يافا ـ طولكرم ـ غزة.

الشعر في فلسطين

كانت فلسطين تُعرَفُ بجنوب بلاد الشام، وكادت أن تسقط من سلسلة تاريخنا الأدبي قديمه وحديثه، ولم يؤلـف كتـاب واحد يؤرخ حياتها الأدبية، وجميع الكتب التي تحدَثت عـن النهضة الأدبية في البلاد العربية لم تتسع صـفحاتها لـذكر أديب واحد أو شاعر واحد من فلسطين رغم أنه ظهر أعلام في الأدب نثره وشعره - وإن لم يكونوا ذوي الأثر الفعـال في الحياة الأدبية الحديثة في البلاد العربية- إلا أنهم كـانوا ذوي مكانة مرموقة في بلادهم، وبعضهم لا يقل مكانة وأثرا عن بعض من ذُكِرَ في تلك المؤلفات إن لم يفوقهم.

كانت فلسطين خلال القرن التاسع عشر ترزخ تحت وطأة الحكم العثماني بقساوته واستبداده وإهماله؛ وقـد أدى فقـدان التعليم الثانوي والعالي إلى الجهل الذي كان يخيم على السواد الأعظم من السكان، وحتى سنة ١٨٨٩ لم يكن في فلسـطين أية مدرسة إعدادية أو ثانوية متوسطة، ولم تُنْشَـأ مدرسـة ثانوية مدرسة ثانوية كاملة إلا سنة ١٩١٣، وكانت المدارس إما كتاتيب أو مدارس رسمية ابتدائية قليلة العدد التعليم فيهـا باللغة التركية لا العربية.

لذلك يجب أن تعتبر بداية النهضة الحديثة بعد القرن التاسع عشر، ويقتصر حديثنا على الشعر والشعراء منذ نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويمكن اعتبار انتهاء الحرب العالمية الأولى وزوال الحكم التركي وانفصال فلسطين عن بقية الوطن العربي بإعلان الانتداب البريطاني محلها بداية جديدة، وأخذت الوسائل العصرية تدخل في التعليم، وكثرت المدارس الأهلية، وأخذ أولياء الأمور يرسلون أبناءهم للتعليم في الجامعات العربية والأوربية والأمريكية، وازداد اتصال فلسطين بالعالم الخارجي وخصوصا مع البلاد العربية، وكانت هذه الفترة عامرة بالشعر الوطني الذي يستمد وحيه من الحركات الوطنية والثورات والاضطرابات.

ونذكر فيما يلي شعراء أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين:

١- **يوسف النبهاني**: ولِدَ في شمال فلسطين سنة ١٨٤٩، ـ ١٩٣٢ تعلم في الأزهر والآستانة، امتاز شعره بمدح الرسول وأولياء الله الصالحين، وعرِفَ بهجومه على الشيخ محمد عبده، وجمال الدين

الأفغاني، ورشيد رضا ورفض أفكارهم الحديثة في التطوير.

٢- **سعيد الكرمي**: وِلدَ في طولكرم وعاش ١٨٥٦ - ١٩٣٥ درس في الأزهر، اشترك في تأسيس المجمع العربي العلمي في دمشق.

٣- **علي الريماي ١٨٦٠ - ١٩١٩**: وِلدَ في القدس، ودرس في الأزهر، اشتغل في الصحافة، واشتهر شعره قبل الحرب العالمية الأولى.

وفي الفترة الانتقالية ظهر أبو الإقبال اليعقوبي ١٨٨٠ - ١٩٤٦.

وسمى نفسه "حسان فلسطين".

قضى مدة طويلة في مصر، وتحدث في شعره عن المرائي والتهاني والحوادث الاجتماعية، ثم نظم عدة قصائد في النبويات.

وكذلك **إبراهيم الدباغ** الذي وِلدَ في يافا ١٨٨٠ - ١٩٤٦، وعاش وتوفي في القاهرة، وامتاز شعره بأنه شعر القوة والعنفوان ورقة القلب وكرامة النفس.

وديع البستاني وإن كان لبناني المولد إلا أنه نشأ وعـاش في فلسطين منذ سنة ١٩١٧، وامتاز شعره بحث المسـلمين والنصارى على الاتحاد، وضم الصفوف، وتوحيد الكلمة.

وقبل النكبة ظهر **إبراهيم طوقان** ١٩٠٥ ـ ١٩٤١ فارس شعراء فلسطين وشاعرها الأول وِلِدَ في نابلس، تأثر شـعره بمعرفته العميقة بالناس، وتقلبه في وظائف مختلفـة وثقافتـه العالية، وتفجر بلاده بالحركـات القوميـة مـن مظـاهرات وثورات ضد الاستعمار والصهيونية، وإحساسه العميق بمـا يعانيه وطنه.

مطلق عبد الخالق: وِلِدَ في الناصـرة ١٩١٠ ـ ١٩٣٧ شارك في الحركات الوطنية، وتوفي في عنفوان شبابه إثـر حادث أليم، وكان شعره صورة مصداقة لحياته.

عبد الرحيم محمود: وِلِدَ في قريـة عنبتـا مـن قـرى طولكرم، واشترك في ثورة ١٩٣٦، واستقرّ في العراق مدة ثم عاد لفلسطين، والتحق بقوات جيش الإنقاذ برتبة ضـابط، واستشهد في معركة الشجرة قرب الناصرة، امتـاز شـعره بمعاني الجهاد والعدالة الإنسانية، وكان استشهاده هو قصيدته الكبرى.

بعد النكبة:

عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) من أسـرة علـم وأدب، امتاز شعره بالغزل والوطنية، ويعتبر عبد الكريم الكرمي من الشعراء المعدودين المميزين في فلسطين، وحث في شـعره الشعب على الجهاد والثورة، ولوم زعماء البلاد وحكومـات الدول العربية على تخاذلهم وخياناتهم.

فدوى طوقان: كانت تلجأ إلى الرمز في شعرها، وتحدثت عن الموت والخلود والفناء والطبيعة وشجرة الزيتون وسنابل القمح، ولها قصائد في نكبة فلسـطين منهـا قصـيدة نـداء الأرض.

وهنالك شعراء آخرون ـ محمود سليم الحوت ـ سـلمى الخضراء الجيوشي ـ محمد العدناني ـ هارون هاشم رشيد ـ كمال ناصر ـ حسني فريز ـ حسن البحيري ـ محيـي الدين الحاج يحيى ـ عيسى الناعوري ـ يوسف الخطيـب ومحمد العزى.

أما الشعر بين النكبتين ١٩٤٨، ١٩٦٧ وكـذلك الشـعر الفلسطيني المعاصر بعد سنة ١٩٦٧ فله حديث آخر.

من التراث الفلسطيني

عمدت إسرائيل بعد أن تمكنت من اغتصـاب الأراضـي الفلسطينية إلى طمس وسرقة التاريخ والتـراث الفلسـطيني، وأخذ اليهود ينتحلون من تراثنا ويقيمـون المعـارض فـي عواصم أوربا وأمريكا، ويعرضون أزياءنا الشعبية المطرزة، وفنوننا التطبيقية المتمثلة فـي فـن الزجـاج ـ الفخـار ـ الصدفيات ـ التطعيم بالعاج والعظم ـ المنحوتات الخشـبية ـ النحاسيات ـ الحصير، وكذلك رقصاتنا الشعبية وبعـض الأغاني والموسيقى وينسبون ذلك لأنفسهم.

وهذا شرح مختصر لبعض فنوننا الفلسطينية المختلفة:

الفلكلور الفلسطيني بتفرعاته المختلفة:

الأدب الشعبي ـ الحرف اليدوية ـ المعتقدات الشعبية ـ التاريخ الشعبي ـ الغناء الشـعبي ـ الـرقص الشـعبي ـ الموسيقى الشعبية ـ الأزياء الشعبية.

وجميع هذه الفنون تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل، وهي بمجموعها تشكل الوجـدان الحضـاري القـومي للشـعب الفلسطيني.

وقد عرض باحثون فلسطينيون ومؤسسات فلسطينية بالإضافة إلى المكتبات العالمية والدراسات الأجنبية لجمع المعلومات عن مادة الفلكلور الفلسطيني، وأمكن تصنيفها وتبويبها ونشرها؛ لتكون في متناول المواطن الفلسطيني والعربي والأجنبي ولتأخذ مكانتها في المكتبة العالمية وتشير:

" إن الشعب الفلسطيني صاحب هذا التراث الضخم ليس حفنة من اللاجئين بل هو شعب عاش على أرضه العصور الطويلة، ونتج التفاعل بينه وبين التراث الفني والشعبي العريق ".

الأدب الشعبي:

ويشمل حكايات - أشعار - ألفاظ عامية - أخبار القرية والعشيرة - الحياة اليومية - معلومات عن الزي والفنون اليدوية، والحرف، ودواوين الشعر.

التعبير الغنائي الشعبي: وله مساحات واسعة في حياة الشعب الفلسطيني وخاصة في المناطق الريفية والزراعية.

الرقص الشعبي:

الرقص الشعبي في فلسطين كان ولا يزال مرتبطًا بالغناء الشعبي بمختلف ألوانه ومناسباته.

ومن أشهر الرقصات الشعبية رقصة الدبكة، وهـي ذات طابع جماعي يعتمد بشكل أساسي على الرجـال وبـالأخص الشباب؛ لأنها تحتاج إلى جهد ورشـاقة، والدبكـة رقصـة مشتركة بين فلسطين وسوريا ولبنان والأردن، وفي بعـض الرقصات أنواع يشترك فيها النساء وبعضها يزيد ويقل عدد المشتركين في الرقصة.

السامر والسحجة: وتقام هذه الرقصات أثنـاء الحفـلات الشعبية بمناسبة الأفراح، ورقصة السامر منتشرة في جنوب فلسطين، أما السحجة فمكانها شمالي البلاد ويصاحبها أنمـاط مختلفة من الأغاني تغنى بصورة جماعية، وتمتاز السـحجة بالتصفيق بإيقاع موسيقي معين، وبوجود الشاعر الشعبي.

وفي حلات الزفاف تشارك عدة قرى في الحفلة المقامـة، وينشد الشاعر الشعبي أغانيه بين الابتهاج والتصفيق الحاد.

وهنالك رقصات أخرى أكثرها نسائية متداولة في بعـض قرى فلسطين خصوصا في منـاطق رام الله وبيـت لحـم،

ويصحب الرقص الأغاني الشعبية المعروفـة، والراقصـات المحترفات يقدمن رقصاتهن الفردية أمام العريس والعـروس ويطلق عليهن اسم الجناكي (ومفردها جنكية).

وحلقات الذكر (الدراويش) ويصحبها الغناء الديني ولكنها لم تنتشر كثيرا في فلسطين كما هو الحال في لبنان وسوريا.

وأخيرا هنالك عدة رقصات مثل رقصة السف، ورقصـة الخيول وكانت شائعة في جنوب فلسطين؛ لقربها من مصـر التي كانت تنتشر فيها تلك الرقصة.

الغناء الشعبي ـ الأدب الشعبي:

من الصعب الفصل بين الغناء الشعبي والأدب الشـعبي؛ لأن أكثرها يتحدث عن السير الشعبية التي تتلـى مقاطعهـا مغناة، وكثير من الأغنيات الشـعبية مجهـول المؤلـف أو الملحن، وكانت تنتقل من جيل إلى جيـل؛ لسـهولة مادتهـا الشعرية واللحنية.

وكثير من نماذج الغناء الشعبي فـي فلسـطين ورد مـن مصر مثل: يا شـادي الألحـان ـ يـا عزيـز عينـي ـ سلم علي ـ وبعضها كان مشتركًا مع سوريا ولبنـان مثـل الميجنا والعتابا والدلعونا والأغاني مثل: ع اليادي اليادي ـ ـ

واتمخترى يا زينة ـ يا حنينا ـ مرمر زماني ـ ليـا وليـا يا ليا ـ أسمر اللون.

ويمكن تصنيف الموسيقى الشعبية الفلسطينية المتداولة في القرنين الأخيرين بأنها موسيقى عربية شرقية، وأنهـا أكثـر حيوية وتوترا، وأقل ليونة وانسيابا من الموسـيقى الشـعبية المصرية؛ ويرجع ذلك إلى اختلاف البيئة الجغرافية. حتـى داخل فلسطين نفسها كان لاختلاف البيئة بين الجبل والسـهل أثره في الغناء الشعبي الفلسطيني.

واختلاف بعض اللهجات الفلسطينية أثر على طريقة أداء الغناء الشعبي؛ فالقروي الفلسطيني يقلب حرف الكاف إلى ما يشبه حرف Ch باللغة الإنجليزية فيقول تشيف حالتش بـدلاً من كيف حالك.

وبعضهم يقول " لع " بدلاً من لأ أي لا، وبينما أهل المدن يقولون "أتلَ " بدلاً من قتل يقول القرويون كتل، وفي بعض المناطق- وخصوصا شمال فلسطين- يقولون انطيني بـدل اعطيني، وكلمة إسه بدلاً من كلمة الآن؛ فيقولون مش إسسه أي ليس الآن، وفي قطاع غزة يقولون جال وجلنا بدلاً مـن قال وقلنا.

الأغنية الشعبية الفلسطينية تتضمن عدة مجموعـات ذات قوالب مختلفة ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

الدلعونا ـ العتابا ـ الموشح ـ المـوال ـ المعنـى ـ القرادي (الكرادي).

القصيدة ـ وكذلك أغاني الزواج ـ الطهور ـ الأغـاني الدينية (الإسلامية والمسـيحية) أمـا الزغاريـد فتسـتعمل لأغراض كثيرة منها التحية ـ المعـايرة ـ المباركـة ـ ـ التباهي وخاصة في حفلات الزفاف.

أما عن الموسيقى المحترفـة ويمكـن تسـميتها المتقنـة وأكثرها وارد مـن مصـر مثـل الموشـحات والقصـائد والطقاطيق ومن أعلامها في مصر عبده الحامولي، محمـد عثمان، وسيد درويش، ومحمد عبد الوهـاب إلـى جانـب أبو خليل القباني والشيخ سلامة حجازي، وكان هـذا الكـم الموسيقي الغنائي يزحف على المدن الفلسطينية وخصوصـا الكبرى مثل يافا ـ القدس ـ حيفا حيث كانت تزدهر حفلات المطربين المصريين والسوريين، وقد تبلور كل ذلك بظهور محطة الإذاعة العربية وإذاعة الشرق الأدنى.

ومن أشهر الموسيقيين العرب الذين مرُّوا بفلسطين وأثروا الحياة الموسيقية فيها ملحن الموشحات الحلبي المشهور عمر البطش الذي كان يعد مرجعا في الموشحات والقدود الحلبية، والشيخ أحمد حسنين، والشيخ محمود صبح.

ومن أشهر الموسيقيين المحترفين في أوائل هذا القرن في فلسطين:

١- فرقة أولاد "أبو السباع"، اشتهرت في إحياء الليـالي الموسيقية وليالي الأفراح.

٢- عبد السلام الأقرع، اشتهر بإنشاد التواشيح.

٣- خيزران- من النساء- اشـتهرت بجانـب إجادتهـا للغناء بالعزف على القانون.

٤- حسن وحسين القرعان، ورجب الأكحـل، وفرقـة الحاج جمعة من مدينة يافا، ومن الـذين اشـتهروا بالعزف على آلة العود عبد الحميد قطينة ـ حسـين النشاشيبي نعمان عقل ـ عبـاس أبـي عـوني ـ درويش السكسك ـ واصف جوهرية الـذي كـان تلميذًا لعمر البطش.

وفي مرحلة الثلاثينات والأربعينيات بعد أن ازداد اتصال فلسطين بمصر وسوريا، وكانت قد انتشـرت الأسـطوانات والجرامافون بدأت تظهر نماذج مـن الموسـيقى الأوربيـة الكلاسيكية عن طريق اليهود القادمين من الخارج.

وامتازت مدرسة تارسـنتا Tera Santa بالقـدس أنهـا أدرجت دراسة الموسيقى ضمن الدراسـة فـي المدرسـة، وتخرج فيها الفنان رياض الندك، وعدد آخر ممن لمعوا فـي مجال الموسـيقى المحترفـة فـي فلسـطين، وقـد تـولى يوسف بتروبي أستاذ الموسيقى فيها قيادة الفرقة الموسـيقية في إذاعة فلسطين الرسمية بالقدس، ولعب"سلفا دورعرنبيطه" الذي درس الموسيقى في رومـا دورا هامـا فـي تـدريس الموسيقى ثم أصبح رئيس القسـم الموسـيقي فـي المعهـد الموسيقي الوطني اللبناني، وقد ضمت جمعيـة Y.M.C.A في القدس قاعة مغلقة للحفلات الموسيقية بهـا تسـعة آلاف كرسي، وكانت أكبـر قاعـة موسـيقية بعـد دار الأوبـرا المصرية.

الإذاعة الفلسطينية:

أنشئت في القدس في ١/ ٤/ ١٩٣٦ برئاسة الشاعر إبراهيم طوقان أي بعد سنتين من إنشاء إذاعة القاهرة، وقد استقطبت الإذاعة الفلسطينية موسيقيين بارزين مثل: جميل عويس عازف الكمان الشهير، ومحمد عطية أستاذ القانون في مصر، وعبد الفتاح منسي عازف الكمان الشهير.

ومن سوريا الشيخ علي درويش أحد أشهر ملحني الموشحات، وعازف البزق محمد عبد الكريم، ومن لبنان يحيى اللبابيدي، ويوسف رضوان الذي اشتهر بالموال البغدادي.

ومن العازفين الفلسطينيين الذين استقطبتهم إذاعة القدس:

إبراهيم عبد العال - يحيى السعودي - روحي الخماش - ماري عكاوي - فهد نجار - محمد غازي.

إذاعة الشرق الأدنى:

كان تفكير السلطات البريطانية بإنشاء محطة الشرق الأدنى سنة ١٩٤٠؛ لتغطية الحاجات الإعلامية البريطانية في المشرق العربي أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد تطوَّر القسم

الموسيقي والغنائي في المحطة، واجتذب العديد من الفنانين المصريين مثل مدحت عاصم - عبد الحليم نويرة والمغنية الشهيرة فتحية أحمد، وعبد العزيز محمود، وكارم محمود، وشهرزاد، ومحمد عبد المطلب ولا شك أن القسم الموسيقي في إذاعة الشرق الأدنى كان البؤرة التي تجمع فيها أبرز الموسيقيين اللبنانيين منهم: إخوان رحباني - عفيفي رضوان - صابر الصفح، أما الفنانون الفلسطينيون فقد لمع منهم المغني المعروف حليم الرومي، ويحيى السعودي، وروحي خماش، وكان الرومي وخماش قد تخرجا في المعهد الموسيقي في القاهرة، وكذلك إحسان فاخوري.

وبعد مرحلة سنة ١٩٤٨ انتقل معظم الفنانين والموسيقيين الفلسطينيين إلى إذاعات بيروت والشام وبغداد، وكانت فلسطين في مرحلة ما قبل ١٩٤٨ همزة الوصل في المجال الموسيقي بين مصر والمشرق العربي، وأصبحت بعد ١٩٥٨ بنزوح فنانيها إلى البلاد العربية حيث ساهمت في تأسيس النهضة الموسيقية التي قامت في المشرق العربي خلال العقود الأخيرة.

وفي تعليق للدكتور حسن محمود أبو عليوي أستاذ الأدب العربي والبلاغة في الجامعة اللبنانية يقول:

لقد تبين لنا أن الشعب الفلسطيني يملك تراثًا غنيـا مـن الأغاني الشعبية، وقد أتاح تـراب الأرض المحتلـة ثـروة ضخمة من تلك الأغاني مختلفة الأشكال امتـازت بالغنائيـة الدائمة، والحنين المتدفق، والصراحة في القـول، ورد فعـل سريع للأحداث داخل الوطن المحتل أو خارجـه، والتعلـق بالأرض فلا تجد مناسبة بين اللاجئين تخلو من أغاني الألـم والبعد والغربة..

ولعل الميزة الأساسية للشعر الشعبي الفلسطيني هي أنـه تلخيص لمراحل النضال الطويـل التـي خاضـها الشـعب الفلسطيني، ثوراته المتتالية ضد الاستعمار والصهيونية؛ فقد واكبت القصائد الشعبية مسيرة الثورات الوطنية فأرّخت لها، وأبرزت حوادثها وأبطالها منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ وحتى يومنا هذا.

كما نلمس في هذا الشعر روح الصمود في وجـه العـدو الاستيطاني الذي يعمل جاهدا لطرد الشعب الفلسـطيني مـن أرضه ومدنه وقراه.

ويفتخر الشاعر الشعبي الفلسطيني بأصله العربي ويتغنى بالشيم العربية الأصيلة: النخوة، والكرم، ومساعدة المظلوم، والزود عن العرض والأرض، والشجاعة في خوض غمار الحروب.

وقد صوَّرت القصائد الشعبية جوانب الحياة الفلسطينية من جميع النواحي فيمكن اعتبارها سجلاً حافلاً بالعادات والتقاليد الشعبية في مختلف المناسبات كالأعراس، والأفراح، والأعياد، والمآتم، والمناسبات الدينية، وأغاني الطفولة، والعمال.

وأخيرا ترجمت الأغاني الشعبية مشاعر المواطنين بمختلف انتماءاتهم؛ فقد وحدت الموقف بين المسلمين والمسيحيين والأقليات في رفض الاحتلال الصهيوني والعمل على استعادة الحقوق المغتصبة.

طوابع البريد والعملة الفلسطينية

من حق الشعوب والدول الحفاظ على تراثها سواء كـان تاريخيا أو ثقافيا أو فنيا؛ لأن التراث هو الذي يربط تـاريخ تلك الشعوب في عصورها المختلفة.

ومن حق الأجيال الشابة الفلسطينية أن تتطلع إلى كل مـا يتعلق بتراث بلادها من كافة نواحيه، ومـن أكثـر الأخطـاء الشائعة عند تناول القضية الفلسطينية التركيز على الناحيـة السياسية من تاريخ البلاد، وعدم الاهتمام بالنواحي الأخـرى الثقافية والفنية.

وتحاول إسرائيل منذ أن اسـتولت علـى جميـع أرض فلسطين أن تنزع هويتها العربية وتطمس تراثها، بل راحـت تنسب الكثير منه لنفسها، ورأينا كيف سـطت علـى فنـون وفولكلور وتقاليد الشعب الفلسطيني، وعمدت كذلك إلى جمع ما تبقى من طوابع البريد الفلسطينية والعملة الفلسطينية حتى تقطع الصلة بين الفلسطينيين وهذين التراثين وصلتهما بالعالم الخارجي.

وعندما نتحدث عن طابع البريد أو العملة الفلسطينية فليس الموضوع قصاصة صغيرة من الورق اسمها طابع بريـد أو قطعة معدنية كانت تُتداولُ كعملة؛ فالحديث عنهما يمثل جزءا من التراث الفلسطيني وحتى لا يندثر هذا التراث من ذاكـرة الجيــل الحــالي الفلســطيني فــي الــداخل والخــارج وهو ما نرجو أن يتحقق في هذا البحث.

كيف صدر طابع البريد الفلسطيني وكيف تم سك العملـة الفلسطينية وإلى أي مدى تدخلات السياسة الصهيونية بفـرض توجيهاتها على حكومة الانتـداب الإنجليزيـة فـي كيفيـة إصدارهما وألوانهما وفئاتهما المختلفة؟.

وقد استمر استعمال طوابع البريد والعملة العثمانيـة فـي فلسطين حتى سنة ١٩١٧ بصفتها جـزء ـ ولايـة ـ مـن الدولة العثمانية.

ومع بداية القرن التاسع عشر أخذت الدولة العثمانية تزداد ضعفًا حتى أن الدول الأجنبية تمكنت من فتح مكاتب بريـد خاصة بها في بعض المدن الفلسطينية؛ ففتحت فرنسا وتبعتها بريطانيا مكاتب بريدية في القدس ويافا وحيفـا، واسـتعملت

طوابع البريد الخاصة بها في نقل الرسـائل مـن فلسـطين وإليها.

وعندما احتل الجيش البريطاني فلسطين أثنـاء الحـرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧ أخذت الجيوش العثمانية تتراجع وتنسحب نحو الشمال.

ويجب أن لا ننسى التصريح المشهور الذي أعلنه الجنرال اللبني قائد القوات البريطانية في فلسطين عندما دخل مدينـة القدس " الآن انتهت الحروب الصليبية ".

ومع الاحتلال البريطاني لفلسطين توقف استعمال طوابـع البريد والعملة العثمانية، وعمدت قوات الاحتلال إلـى فـتح مكاتب بريد عسكرية، وأصدرت طابعا خاصا لمنطقة الشرق الأدنى؛ ليستخدم بجانب فلسطين في سوريا ولبنان وجنـوب تركيا كتب في أعلى الطابع ثلاثة حروف EEF [٢] وترمـز إلى قوات الحملة الآتية من مصر، وكتب في وسطه خـالص

---

(2) Egyptian Expeditionary Force. (E. E. F.) الخـاص بقوات الحملة المصرية.

الأجرة، ثم أصدرت القوات البريطانية مجموعة من الطوابع بفئات وألوان مختلفة تحمل نفس الحروف.

وما إن انتهى الحكم العسكري في فلسطين وتسلم المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل وهو يهودي صـهيوني مسئولية الحكم المدني سنة ١٩٢٢، وأُعلِن الانتداب بواسطة عصبة الأمم رسميا حتى طلب المندوب من مـدير البريـد البريطاني إضافة كلمة فلسطين فورا بالطوابع العسكرية على أن تكتب باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والعبريـة، وأن يضاف إلى كلمة فلسطين بالعبرية حرفين صغيرين أ إ وهي اختصار لكلمتي أرض إسرائيل " إيرتز إسرائيل ".

لم يمر الأمر بسـهولة وقامـت مظـاهرات وأرسـلت احتجاجات من كافة المدن الفلسطينية، ووصل الأمـر إلـى وزارة المستعمرات ومجلس الدولة البريطاني في لندن ورغم التعديلات الطفيفة التي أُدخِلَت على شكل الطابع فـإن كلمـة فلسطين الموشحة Over Printed، باللغات الـثلاث بقـي الحرفان الإسرائيليان بجانب كلمة فلسطين بالعبرية، وفي عام ١٩٢٧ أصدرت حكومة الانتـداب أول مجموعـة طوابـع مصوَرة عن فلسطين تألفت من أربعة عشر طابعـا يحمـل

بعضها رسوما لأماكن دينية، واختيرت التصميمات والفئـات لإبراز الوجهـة اليهوديـة والإنجـاز الكامـل للتوجهـات الصهيونية.

الطابع الأول يصور قبة راحيل وهو رمز ديني يهـودي، والثاني يصور قلعة باب العامود ويطلق عليها اليهود بـرج داوود، والثالث يصور قبة الصخرة، أمـا الرابـع فيصـور جامعا غير مشهور في مدينة طبريـا، واختيـرت الفئـات ٢ ـ ٣ ـ ١٠ ملأت لطابع قبة راحيـل؛ ليكـون الأكثـر استعمالاً وتداولاً لأنها الطوابع المطلوبة للبريد العـادي فـي الداخل والخارج.

واختيرت فئتا ٥ ـ ٧ ملأت لطابع قلعة القدس أما فئـات ٤ ـ ٦ ـ ١٣ ـ ١٥ ملأ التي تستعمل في البريد المستعجل والمسجل فقد اختير لها طابع بريد قبة الصخرة وهي الأقـل انتشارا واستعمالاً، واختير طابع جامع طبريا للفئات العليـا ٥٠ مل حتى جنيه فلسطيني.

وهكذا صدر طابع البريد الفلسطيني محققًا رغبة اليهـود كما أصرَت دائما حكومة الانتداب على تحقيق رغباتهم فـي كافة المجالات الأخرى.

وقد أصدر الفلسطينيون أثنـاء ثـورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ طوابع خاصة تحمل شعار فلسطين للعرب تم تداولها لفتـرة قصيرة، وكذلك قامت بعض الدول العربية بإصدار طوابـع بريد تحمل اسم فلسطين.

وبعد عام النكبة سنة ١٩٤٨ جزئت فلسطين إلـى ثلاثـة أجزاء:

جزء تحت الاحتلال الصهيوني ـ جـزء تحـت الإدارة المصرية في قطاع غزَّة ـ وجزء تم ضمه إلى إمارة شرقي الأردن، وأصبح يعرَف بالمملكة الأردنية الهاشمية، وأدخلت الأردن طوابعها موشحة بكلمة فلسطين لتستعمل في الضـفة الغربية، ثم أصدرت الطوابع التي تحمل اسم المملكة الأردنية الهاشمية، واستمرت الإدارة المصـرية فـي قطـاع غـزة باستعمال الطوابع المصرية الموشحة بكلمة فلسطين، ثم ألغت الحكومة المصرية كلمة التوشيح سنة ١٩٦٠، وأدخلت اسـم فلسطين ضمن التصميم الأصلي للطابع؛ وهكذا مضى تاريخ الطابع الفلسطيني منذ الانتداب حتى سنة ١٩٦٧ وتوقف بعد أن احتلت إسرائيل كافة الأراضي الفلسطينية.

وبالنسبة للمسكوكات (العملة) كانت العملة العثمانية هـي المتداولة في فلسطين بالإضافة إلى بعض العملات الذهبيـة الأجنبية، واستمر الحال كذلك حتى دخول الجيش البريطاني فلسطين حيث أدخل معه العملة المصرية التي بقيت متداولـة في فلسطين وشرق الأردن، واستمر ذلك حتى سـنة ١٩٢٧، وكـان السـكان فـي فلسـطين يطلقـون عليهـا كلمـة "المصاري" أي الفلوس نسبة إلى مصر.

وكانت العملة العثمانية تشمل مسـكوكات مختلفـة مـن نحاسية ومعدنية وفضية وذهبية وكما سمعت من شيوخنا في فلسطين كانت العملة النحاسية والمعدنية تشـمل (القبـق ـ السحتوت ـ البشلك ـ الزلطـة ـ القـرش العثمـاني ـ ـ الغرش).

والعملة الفضية تشمل الريال والمجيدي، والعملة الذهبيـة تشمل الليرة العثماني ونصف الليرة العثماني، وكذلك بعـض المجيديات الذهبية، وكانت تحوَّل في بعض الحـالات إلـى عقود تلبسها النساء.

وظلت العملة المصرية تُتَدَاولُ كما ذكرنـا حتـى سـنة ١٩٢٧ حيث أصدرت حكومة الانتـداب البريطانيـة أولـى

مسكوكات العملة الفلسطينية، وقد صاحب إصـدارها نفـس مشاكل طابع البريد؛ حيث أصرَت الحكومـة علـى وضـع حرفي أ إ (أيرتز إسرائيل) بجانب كلمة فلسطين بالعبريـة، ولم تفلح الاحتجاجات الفلسطينية في تغيير النتيجة.

وكانت مسكوكات العملة الفلسطينية مكوَنة مـن الفئـات التالية:

(مل واحد ـ ملان ـ خمسة ملات ـ عشرة ملات).

ثم عشرين وخمسين ملاً، ومائة ملٍ، وكان وجههـا الأول يحمل صورة غصن الزيتون، ووجهها الآخر يحمـل اسـم فلسطين باللغات الثلاث كما ذكرنا.

وبجانب العملة المعدنية صدرت عملة ورقية تحمل الفئات التالية ٢٥ جنيها فلسطينيا ـ ٥٠ جنيهـا فلسـطينيا ـ ١٠٠ جنيه فلسطيني بالإضافة إلى ورقة الجنيه، ونصف الجنيـه، وربع الجنيه.

وهكذا مضى تاريخ طابع البريد والعملة الفلسطينية حتـى استولى اليهود على الأرض الفلسطينية، وتوقف التداول بهما.

منظمات فلسطينية قبل سنة ١٩٤٨
النجادة ـ الفتوة ـ الشباب ـ جمعية الكشاف العربي

فيما كانت القضية الفلسطينية تمـرُ بمـا يشـبه اليـأس والضياع والإحباط في أواخر ١٩٤٥، والمنظمات اليهوديـة تتحدى حكومة الانتداب وتزيد من قوتها العسكرية التنظيمية وتستغل ظروف الحرب لتقوية الاقتصاد والصناعة اليهودية في هذا المناخ بدأت منظمة النجادة انطلاقها، وانضـم إليهـا الشباب الذي كان يتطلع إلى منظمة تضمه وتنظمه وتدربـه؛ وهكذا تحمس الشباب لفكرة النجادة وأهدافها بعد أن أعلنـت أن غايتها توحيد صفوف العرب، والعمل على النهوض بهـم خلقيا وعلميا ورياضيا، وأخذت هـدفها الحقيقـي بتـدريب الشباب عسكريا، واتخذت زيا موحدا يشبه الزي العسـكري، وتألفت من عدة فرق وأفواج وكتائب، وانضم إليهـا فريـق كبير من الشباب الفلسطيني المثقف وحملة الشهادات العليـا والثانوية، ووصل عدد أعضائها في المدن والقرى إلى عـدة

آلاف، وكانت يافا المركـز الرئيسـي للمنظمـة ورئيسـها المحامي محمد نمر الهواري.

وتمكنت المنظمة من الحصول علـى إذن رسـمي مـن حكومة الانتداب البريطاني لمباشرة نشاطها باعتبـار أنهـا منظمة شبابية اجتماعية، وفي بادئ الأمر أعلنـت النجـادة ولاءها لمفتي فلسطين "الحاج أمين الحسـيني" ولمـا اشـتد عودها خشي " جمال الحسيني " رئيس الحزب العربي فـي فلسطين - وهو في الحقيقة حزب المفتي - أن تهدد زعامته الشعبية؛ فسحب تأييده لها، وبدأت تظهر حـرب الشـائعات بقصد تحطيم هذه المنظمة، وازداد الصراع السافر بينها وبين الحزب العربي.

قام الحزب العربي بتأليف منظمة جديدة سماها "منظمـة الفتوح" كجناح رسمي للحزب، وأسند قيادتهـا إلـى "كامـل عريقات" أحد ضـباط البـوليس السـابقين فـي فلسـطين، واستطاعت منظمة الفتوة أن تضم إلى صفوفها عددا كبيـرا من الشباب بصفتها امتداد للحزب العربي وهو كمـا أشـرنا حزب المفتي الحاج أمين الحسيني.

ولما اشتد الصراع بين النجادة والفتوة أُستُدعِي الهـواري إلى مصر مقر الحاج "أمين الحسيني"، وهناك تقـرَر دمـج المنظمتين في منظمة واحدة أُطْلِـقَ عليهـا اسـم "منظمـة الشباب"، وتألفـت لجنـة لـدمج المنظمتـين مؤلفـة مـن "رفيق التميمي" و " إميل الغوري " و "محمد نمر الهواري"، وكان من الصعب أن تتخلى النجادة عن اسـمها وشـعاراتها والتصريح الممنوح لها؛ لأن الحصول على تصريح جديد من حكومة فلسطين كان مستحيلاً بعد إعلان قانون الطوارئ في مارس ١٩٤٦، وقررت التمسك باسمها؛ وهكذا فشلت اللجنة بعملية الدمج، وتحولت المنظمتان إلـى ثـلاث منظمـات: النجادة ـ الفتوة ـ الشباب، وأدت هذه الخلافات إلى إضعاف الروح المعنوية للشباب الفلسطيني الـذي اعتبـر أن هـذه الخلافات لا مبرر لها.

وحاولت الهيئة العربية العليا إرسال الضـابط المصـري المتقاعد "محمود لبيب"؛ ليقوم بمهمة تدريب الشـباب إلا أن السلطة الفلسطينية الإنجليزية أصدرت أمـرا بطـرده مـن فلسطين حالما عرفت مهمته، واقتصر التدريب على حركات سطحية.

لمحة عن حياة رئيس النجادة المحامي محمد نمر الهواري:

وِلدَ في مدينة الناصرة سنة ١٩٠٨، وتخرَّج فـي الكليـة العربية بالقدس، واشـتغل مدرسـا لمـدة عشـر سـنوات، ثم تابع الدراسة والتحق بمعهد الحقوق بالقدس حيث تخـرج محاميا نظاميا وشرعيا، وفي سنة ١٩٤٢ بدأ مزاولة مهنـة المحاماة، وقام بتأسيس منظمة النجادة حيث بدأت المشـاكل، ودخل في عراك مع الحزب العربي ومـع الهيئـة العربيـة العليا، وكان من رأيه عدم استعمال العنف في مقاومة التقسيم الذي أقرته هيئة الأمم المتحدة، وتنقل بين الجهات العاملة في الحقل الوطني، وأُنْتُخِبَ سنة ١٩٤٩ ممثلاً لقضية اللاجئـين في البلاد العربية وممثلاً عنهم أمام لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة، وقد عاد إلى الناصرة موطنه سنة ١٩٥٠، وتـوفي هناك.

هنالك بعض الشواهد التي دمغت موقف الهواري بالوقوف ضد التيار الوطني الفلسطيني:

١- لماذا سمحت حكومة الانتداب للهواري بإقامة منظمة شبه عسكرية؟ وسمحت لرجاله بارتـداء الملابـس العسكرية ووضع الشارات العسكرية؟.

٢- محاولاته المستمرة في توجيه الشباب اتجاهات معينة وهجومه المستمر على مفتي فلسطين الحاج "أمـين الحسيني" والهيئة العربية العليا.

٣- موقفه الغامض واتصاله ببعض رجال الهاجاناه فـي مستعمرة "بيت أم" على حدود يافا بحجة إيقاف الفتنة بين العرب واليهود.

٤- تكرار اتصاله بالمسئولين الإنجليز في فلسطين مثل مدير الأمن العام ورئيس المباحث الجنائية وغيرهم.

٥- اعترافه شخصيا بأنه اتصل باليهود في قصر البحر على حدود يافا.

٦- لماذا سمح له اليهود بالعبور إلـى الناصـرة سـنة ١٩٥٠ بعد أن سقطت بأيديهم ولم يكن يسـمح لأي فلسطيني غادر بلده بالعودة إليها؟.

جمعية الكشاف الفلسطيني:

بدأت الحركة الكشفية في فلسطين أثناء الحرب العالميـة الأولى، وقد اهتم الأتراك بتشجيعها، وفـي عهـد الانتـداب البريطاني تطوَرت الحركة الكشفية وانتشرت في المـدارس والنوادي، واستمرت في تصاعد حتى قيام الإضراب العـام والثورة الكبرى سنة ١٩٣٦، واشتركت فرق الكشـافة فـي العديد من الواجبات الوطنية ولكن حكومة الانتداب لم يـرق لها تصاعد تطورها وبدأت في مطاردة الحركة الكشفية حتى توقفت.

وفي سنة ١٩٤٥ اجتمع قادة الحركة الكشفية الفلسـطينية في القدس، واتخذوا قرارا بشأن جمعية الكشاف الفلسـطيني، وفاز " فوزي النشاشيبي" بمنصب الرئيس وهو واحـد مـن الذين رافقوا الحركة الكشفية منذ بدايتها، وبلغ عدد أعضـاء الجمعية عشرة آلاف كشاف في أنحاء فلسطين، وساهمت في جمع الأموال للمشاريع الوطنية، وفي إحياء المناسبات الدينية والقومية، واستمرت في نشاطها وعطائها حتى حلت النكبة.

من شريط الذكريات

لا يملّ الفلسطيني- المبعد بالقوة عن وطنه وأرضه- من التحدث عن ذكرياته أيام الصبا والشباب ويستلهم من شريط تلك الذكريات الأحداث والقصص منذ صدور قرار التقسيم الذي صدر في نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٧، واندلاع أعمال العنف والقتال بين الفلسطينيين واليهود حتى بعد دخول الجيوش العربية في ١٥ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨، وإعلان دولة إسرائيل.

وقبل الدخول في طرح بعض ما وعته الذاكرة خلال تلك الفترة وكنت أعمل في مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين بالقاهرة أرغب في تقديم هذا التمهيد.

تجاهل غير عادل:

دأب أكثر الكُتاب والمؤرخين حين التحدث عن دور الهيئة العربية العليا لفلسطين تحميلها مسئولية كبيرة في نكبة فلسطين وتشريد الأهل، واختصوا الحاج " أمين الحسيني" رئيس الهيئة بالجانب الأكبر من تلك المسئولية، لا شك أن الدعاية وموقف بعض الدول العربية، وتجاهل أعمال الغدر

والخيانة التي قام بها العملاء والمتواطئـون ضـد الشـعب الفلسطيني لعبت دورا مهما في تأصيل تلك التهمة.

وعودة إلى تصريح الرئيس جمال عبد الناصر في عـدة مناسبات قوله: "إن مؤامرات الدول الكبرى، وخيانة العملاء هي التي أضاعت فلسطين، وأطاحت بكيانها العربي" وشـهد في أكثر من مناسبة ببطولة عرب فلسطين، وأشاد بكفـاحهم العظيم ضد قوى عظمى، ولم يكـن للفلسـطينيين الوسـائل والدعم للوقوف ضدها.

لم يستطع الحاج " أمين الحسيني" دخول فلسـطين بعـد عودته من معتقله في فرنسا وذلك بضـغط مـن الإنجليـز وبعض القوى العربية، ورغم ذلك لم يستسلم وبـدأ يسـابق الزمن لمساعدة شعبه داخل البلاد وإمداده بما أمكن الحصول عليه من سلاح وعتاد ومال، وذلك في وقـت تخلـت فيـه الحكومات العربية عن تعهـداتها بتزويـد الهيئـة العربيـة بالأسلحة والأموال.

وفي ظروف صعبة قامت الهيئة العربيـة العليـا وهـي بالقاهرة بعيدا عن أرضها وموطنها بمجهود كبير في دعـم المقاومة الفلسطينية في وقت حبست فيه الجامعـة العربيـة

الأموال التي كانت ترد للهيئة العربية مـن بعـض الـبلاد الإسلامية بحجة تحويلها إلى اللجنة العسكرية في دمشق.

وأعود إلى الذاكرة لأتحدث عن عملي في مكتب الهيئـة بالقاهرة منذ أواخر سنة ١٩٤٧ من خلال العمل الذي كنـت أمارسه.

تقع مكاتب الهيئة العربية العليا في ١٣ شـارع الكمـال بضاحية حلمية الزيتون، وكان ضمن مكاتـب الهيئـة إدارة متخصصة بموضوع شراء وجمع وتوريد وتوزيع السـلاح والذخيرة إلى المناضلين في أرض الوطن، وكانت مهمتـي وبعض الزملاء استلام السلاح والذخيرة ثم نقلها من القاهرة إلى العريش؛ لتسلم إلى المندوبين عن مناطق القتال المختلفة في فلسطين.

كيف كانت تدار تلك العملية؟

تفضلت عائلة حلاوة الفلسطينية الأصل بتقـديم المبنـى الكبير المقام في عزبتهم في ضاحية عزبة النخل التي تبعـد بضعة كيلومترات عن حلمية الزيتون، وقد أُتخِذَ هذا المبنـى الواسع كمخزن يتم فيه تجميع ما يرد من أنواع مختلفة مـن

السلاح والذخيرة، وكذلك تم استئجار فيلا فـي أول شـارع طومان باي أقيمت فيها ورشة كاملة لإصلاح السلاح.

لم يكن سهلاً الحصول على السلاح، وتـوفير الأمـوال اللازمة لشرائه، والأماكن التي أمكن الحصول منهـا علـى السلاح تركزت في:

١- منطقة الساحل الشمالي الغربي لمصر بين مـوقعي الحمام ومرسى مطروح حيث كانت تتوافر بعـض الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانيـة التـي دارت في شمال أفريقيا وجميعها كانـت إنجليزيـة وألمانية وإيطالية.

٢- ما أمكن شراؤه أو تهريبه مـن مخـازن الجـيش البريطاني في منطقة فايد قرب الإسماعيلية، ويتكون غالبيته من ذخيرة البنادق والرشاشات.

٣- ما أمكن شراؤه من تجار السلاح في مناطق مختلفة داخل مصر أو ما يرد من مناطق أخرى.

ويجدر هنا الإشارة والإشادة بالحكومة المصرية في ذلـك الوقت حيث سمحت لنا بشراء وتخزين الأسلحة والذخيرة من كافة المناطق ونقلها إلى العريش، وكذلك ما قدَمـه الجـيش

المصري من مساعدات إما في نقل السـلاح بتقـديم عـدة سيارات نصف نقل لهذا الغـرض، أو بفـتح بعـض ورش الجيش في العباسية؛ لاستقبال دفعات السلاح التي تحتاج إلى إصلاح أو قطع غيار كل ذلك بالإضافة إلى تطـوُّع بعـض الضباط المصريين المتخصصين بمساعدة الفلسطينيين فـي طرق استعمال أنواع السلاح والألغام والقنابل اليدوية والعناية بفرزها وتحضيرها للشحن.

لم يكن جلب السلاح من الساحل الشمالي الغربي سـهلاً؛ بسبب وجود الألغام المنتشرة في مساحات واسـعة، وأمكـن تذليل أكثر المشاكل بمساعدة البدو والأعراب حيث كانت تتم معهم صفقات شراء البنادق والرشاشات والقنابـل اليدويـة والألغام المختلفة سواء ضد الأفراد أو السيارات وصـناديق الـذخيرة وكميـات كبيـرة مـن مكعبـات مـادة T. N. T شديدة الانفجار.

كنا كتيبة صغيرة من الشباب الفلسطيني مهمتنـا اسـتلام السلاح في مخازن عزبة النخل حيث تـتم عمليـة الفـرز، وإرسال ما يحتاج إلى إصلاح إلى الورشة في شارع طومان باي أو ورش الجيش المصري في العباسية إذا كانت تحتـاج

إلى قطع الغيار أو استبدالها، ثم يعود السـلاح إلـى الإدارة المختصة في شارع الكمال حيث يقَيَّدُ في قوائم ويوضع داخل صناديق معدنية وفي كشف خـاص تحـدد محتويـات كـل صندوق، والجهة المراد توصيله إليها.

بعد ذلك تبدأ الرحلة الصعبة لنقلـه مـن القـاهرة إلـى العريش، وكانت تستغرق في بعـض الأحيـان أكثـر مـن ٢٤ ساعة إما بسبب اجتياز قناة السويس، أو الأمطـار فـي منطقة سيناء، وبسبب وعورة الطرق، وطول المسـافة عـن طريق أبو عجيلة في وسط سيناء، وكذلك كثرة الأعطال في سيارات النقل، كنا نصل إلى مدينة العريش ونحن في غايـة الإعياء والتعب ونجد في انتظارنا المندوبين عـن منـاطق القتال المختلفة في فلسطين حيث يتم تسليم كل مندوب سواء من منطقة القدس أو يافا وغيرها، وكانت عملية النقل تتم عن طريق البحر بواسطة قوارب بخارية.

إن هــذا الســلاح وإن كــان معظمــه قــديم هــو ما استطاعت الهيئة العربية العليا لفلسطين في القاهرة توفيره في حدود الإمكانيات التي أتيحت لها وبمساعدة هامة ومؤثرة من الحكومة والشعب المصري، وكما ذكر الأستاذ الراحـل

"أحمد بهاء الدين" إن الفلسطينيين كانوا ينحتـون الصـخر؛ ليتمكنوا من الصمود قدر المستطاع أمام الميليشيات اليهودية التي كان يدعمها السلاح المتدفق من الغرب ومن معسكرات الجيش البريطاني في فلسطين، ولا أنسى المساعدة التي كنـا نجدها من بعض أعيان مدينتي "فاقوس" و "أبو كبير" والذين أسهموا في شراء السلاح أو تهريبه من معسكرات الجـيش البريطاني في فايد، وكذلك مساعدة بعض الأسرى الألمـان الذين يهربون من داخل معسـكرات الجـيش البريطـاني، أو يتقدَمون للتطوع في القتال بجانب المجاهدين في فلسطين.

هذه شهادة حية ولوحة حقيقية لفترة زمنية قصـيرة مـن تاريخ الكفاح الفلسطيني، وهذا تسجيل لواقع حقيقـي يلقـي الضوء على صورة من صور الكفاح المسلح الفلسطيني.

من رواد الكفاح المسلح في فلسطين

الحديث عن الرواد الأوائل الذين قدّموا أرواحهم على أرض فلسطين يعكس قصة الكفاح والبطولة وتصدي الشعب الفلسطيني لأشرس هجمة بربرية من أقوى قوتين في العالم آنذاك: الاستعمار البريطاني، والصهيونية العالمية من ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨، معركة بين شعب صغير لا يملك إلا الإيمان بقضيته ورصاص البنادق أمام المصفحات والدبابات والطائرات، ولم يفقد هذا الشعب قوة اندفاعه ولم يستسلم إلا حينما أوكل الدفاع عن فلسطين إلى الجيوش العربية سنة ١٩٤٨، وما تلى ذلك من سقوط فلسطين وضياعها.

إن الحديث عن هؤلاء الرواد محاولة لإيفائهم بعضا من حقهم، وتخليدا لذكراهم في نضالهم للذود عن وطنهم فلسطين.

ونقصد بتلك الذكرى أن نضع أمام الأجيال الشابة الفلسطينية صورة مضيئة من تاريخ بلادهم؛ وليتعرف على تلك القيادات والمعارك التي قادتها واستشهدت على أرضها.

وتحضرني هنا كلمة وجهها زعيم ألمانيا النازية في بيان رسمي وجهه إلى الألمان السوديت حينما كـانوا يحـاولون الخلاص من حكم تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩٣٨ للانضمام إلـى ألمانيا.

" اتخذوا يا ألمان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكـم؛ إنهم يكافحون إنجلترا أكبر إمبراطورية في العالم، ويكافحون اليهودية العالمية رغم انتشارها وقوتها ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير أو مساعد أما أنتم فإنني أمـدكم بالمـال والسلاح وألمانيا وراءكم ".

وفي كتاب أصدره الجنرال "هنري ولسن" الذي تولى قيادة المعـارك ضـد عـرب فلسـطين أثنـاء ثـورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، وقبل أن يتولى قيادة القوات البريطانية في مصر ذكر أن " خمسمائة من ثوار عرب فلسطين يعتصمون في الجبال، ويقومون بحرب العصابات، ولا يمكـن التغلـب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح أي خمسة عشر ألف جندي ".

وبلغ مـا تكبـده الفلسـطينيون فـي الثـورة الكبـرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ خمسة آلاف شهيد، وخمسـة عشـر ألـف جريح من سكان لا يتجاوز عددهم مليون شخص.

ولو تُرجِمَ هذا العدد إلى ما يقابلـه بالأرقـام البريطانيـة والأمريكية في مطلع السبعينيات (سكان بريطانيا ٤٠ مليونًا، وسكان الولايات المتحدة ٢٠٠ مليون) لارتفـع الـرقم إلـى ٢٠٠ ألف قتيل بريطاني، ومليون قتيل أمريكي عدا الجرحى بنفس التقييم، وهذه الأرقام لا يدخل فيها عـدد الفلسـطينيين المعتقلين في السجون والمعتقلات وبلغ عددهم سـنة ١٩٣٩ ٥٦٠٠ معتقل.

ومن أوائل من قدَموا أرواحهم لقضية بلادهـم فلسـطين وأظهـروا شـجاعة فائقـة فـي معـارك ثـورة ١٩٢٩. "عطا الزير" ، "محمد جمجموم " وهما مـن مدينـة الخليـل و"فؤاد حجازي" من مدينة صفد، وقـد أعـدمتهم السـلطات البريطانية سنة ١٩٣٠، ولم تشفع جميع الوساطات من أكثر من جهة عربية لوقف تنفيذ إعدامهم.

الشيخ عز الدين القسام:

من أبرز أعلام الكفاح المسلح في تاريخ فلسـطين، أدرك بوعيه السياسي وإيمانه الديني العميق أن المؤامرة الإنجليزية ـ الصهيونية في فلسطين تستهدف اقتلاع العرب من قراهم وأراضيهم؛ ليتسلمها اليهود بعد ذلك.

وكان يؤمن إيمانًا عميقًا بأن الكفاح المسلح هـو الوسـيلة الوحيدة القادرة على القضاء على هذه المـؤامرة، وتحقيـق مطالب الشعب الفلسطيني.

وُلِدَ ونشأ عز الدين القسام في محافظة اللاذقية بسـوريا، وحارب الفرنسيين سنة ١٩٢١ في ثورة العلـويين بشـمال سوريا، وحكِمَ عليه بالإعدام غيابيا؛ فغادر سوريا متوجها إلى فلسطين، واستقر به المقام في مدينـة حيفـا سـنة ١٩٢٦، استطاع القسام أن يفجر الغضب ضـد الوجـود البريطـاني وضد اليهود الصهيونية، وأخذ في إعـداد تنظيمـه السـري معتمدا على الفلاحين والعمال، وبدأ فـي إعـدادهم عقائـديا وسياسيا، وبدأ في شراء السلاح والتـدرُّب عليـه بالتمويـل الذاتي، وقد مثلت ثورة القسام انعطافًا جذريا فـي أسـلوب الكفاح الوطني الفلسطيني ونقلتـه مـن تقـديم المـذكرات

والعرائض وتنظيم المظاهرات إلى الكفاح المسلح، واعتبرت "العصبة القسامية" أو "حركة القساميين" من أعظم الحركـات الثورية التي عرفتها الثورة الفلسطينية؛ وهكذا نقـل القسـام أسلوب التفاوض مع الإنجليز إلى المجابهة المسلحة معتقـدا أن المفاوضات لن تصل بنا إلى إنقاذ فلسطين.

ولما اكتملت للقسام ورفاقـه المـؤمنين بدعوتـه القـوة المنظمة، والسلاح اللازم اختار منطقة جنين الغنية بالأحراش والجبال للانطلاق بثورته، وبدأت المناوشات والصدامات بينه وبين رجال الشرطة البريطانية؛ مما أدى إلى قتل العديد منهم واستشهاد بعض رجاله، وبدأت العديد من القرى ومن الرجال ينضمون إلى العصبة القسامية يؤمنون بدعوتها ويتبارون في التصدي للقوات البريطانية والمراكز اليهودية.

ولما أحست السلطة البريطانية بخطر القسـام وعصـبته قامت بتجهيز قوة كبيرة من الجيش البريطاني تدعمها أعداد من رجال الشرطة، وبدأت في تضييق الخناق علـى مواقـع تواجد القسام ورجاله، وأخذت تراقب القرى التي تتعاون معه وتنزل بسكانها أقسى أنواع العقاب، وفي معركة غير متكافئة قرب " يعبد " بقضاء جنين دافع القسـاميون عـن مـواقعهم

واستطاعوا الصمود وإنـزال الخسـائر الكبيـرة بـالجيش البريطاني حتى آخر طلقة إلى أن أُستُشْهِدَ القسـام وبعـض رجاله المقربين وجرحَ عدد آخر.

وهكذا طوى الموت رجلاً عربيا مؤمنًا بدينـه ووطنـه، وترك أعمق أثر في ضمير الشـعب الفلسـطيني ولا تـزال تروى إلى الآن في جميع أنحاء فلسـطين الكلمـة الخالـدة " القساميون " وترمز إلى الكفاح المسلح والاستشهاد ولا تزال حتى اليوم بعض الفصائل الفلسطينية تحمل اسـم " منظمـة قسامية ".

ومن أهم الآثار التي خلفها القسام بعـد وفاتـه انتشـار الحركة الثورية المنظمة وخصوصا في شمال فلسطين والتي أفرزت كبار القادة ورؤساء الفصائل الـذين قـادوا الثـورة الفلسطينية منذ اندلاعها سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩.

ومن أبشع الجرائم التي ارتكبتها السلطات البريطانية إلقاء القبض على المجاهد القسامي الشـيخ " فرحـان السـعدي " ومحاكمته، والحكم عليه بالإعدام، وتنفيذ الحكم فـي شـهر رمضان رغم كونه شيخًا جاوز الثمانين من عمره.

ومن رفاقه الأبطال الذين ساروا على دربه ورفعوا رايـة الجهاد وأبلوا بـلاء حسـنًا فـي أثنـاء الثـورة الكبـرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ خليل العيسى (أبو إبراهيم الكبير) وتوفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) عارف عبد الرازق ـ عبـد الرحيم الحاج محمد ـ سليمان عبد القادر (أبو علي).

واشتد أوار الثورة سنة ١٩٣٨، وكان هؤلاء علـى رأس الجماعات الفلسطينية المسلحة وكبـدوا القـوات البريطانيـة خسائر كثيرة، ولما اتسع نطاق الثورة، وازداد نظاما لتشـمل مناطق كثيرة في فلسطين، أسندت الحكومة البريطانية القيادة العليا لقواتها في فلسطين إلى الجنرال " دل " رئيس أركـان حرب الإمبراطورية البريطانية التي لا تغرب عنها الشمس، وأطلقت يده في اتخاذ ما يراه من الوسائل والتدابير للقضـاء على الثورة والمجاهدين؛ فأحضر معه إمدادات زادت عـن أربع فرق عسكرية بالإضافة إلى قوات البـوليس النظـامي والإضافي وقوات المستعمرات اليهودية، وعدد آخـر مـن الطائرات، وزاد طغيان حكومة الانتـداب، وبـدأت تطبـق عمليات الانتقام الرهيب، تنسف البيوت وتفرض الغرامـات الجماعية على القرى الفلسطينية، وخوّلت المحاكم العسـكرية

بإصدار أحكام الإعدام على كل من يحمل أو يحوز سـلاحا ولو كان مجرد طلقة بندقية أو مسدس.

وقبل أن ننتقل إلى الشخصية الثانية التي اخترناهـا مـن الرواد العظام الذين استشهدوا في فلسطين نعود إلـى ذكـر بعض القيادات الذين روت دماؤهم أرض فلسطين وتركـوا بصمات على أرض الكفاح المسلح.

القائد الشهيد عبد الرحيم الحاج محمد:

تولى قيادة المنطقة الوسطى في طولكرم وطريق حيفـا، ودخل عدة معارك ضد القوات البريطانية وأشهرها معركة " بلعا " حيث تكبدت القوات البريطانية خسائر كبيرة، وأسـقط المجاهدون ثلاث طائرات أثناء المعركـة، وجـرحَ القائـد بإصابة بالغة واستشهد على أثرها بعـد أن حـوّل منطقـة نابلس ـ جنين ـ طولكرم إلى منطقة الرعب كما كان يطلق عليها الإنجليز.

القائد الشهيد سعيد العاص:

تولى سعيد العاص قيادة المنطقة الواقعة بين بيـت لحـم والخليل، كان رجلاً عسكريا بكل ما تحمله الكلمة من معنـى واختار "عبد القادر الحسيني" مساعدا ومستشارا له، وبدأ في الاتصال بسكان القرى وإعداد الثوار، واستجاب له المئـات من سكان منطقة القدس وبيت لحـم والخليـل، ومـن أهـم المعارك التي خاضها ضد القوات البريطانية معركة حلحول التي انتصر بها انتصارا كبيرا وقتل أكثر من أربعين جنـديا بريطانيا وغنم كميات كبيرة من السلاح والذخيرة، والمعركة الثانية معركة الخضر وقد استعدّ لها البريطانيون اسـتعدادا خاصا وبدءوا في حصار المنطقة بأكثر مـن خمسـة آلاف جندي، وبدأ سعيد العاص يحسُّ حراجة الموقف، وأخذ يوزع الرجال ولكن التفوق البريطاني أسفر عن مقتل القائد العظيم وجرح مساعده عبد القادر الحسيني الذي وقع أسيرا في يـد القوات البريطانية.

القائد الشهيد حسن سلامة:

من أشهر القواد الفلسطينيين، ولد بطلنا في منطقة قضـاء اللد وهي منطقة تتحكم في عدة طرق رئيسية تربط بين يافـا وحيفا والقدس، ومع انفجار ثورة ١٩٣٦ تم تعيـين حسـن سلامة قائدا للمنطقة، وظل يناضل إلى أن اضطر لمغـادرة البلاد سنة ١٩٣٩ إلى العراق وألمانيا، وعاد على فلسـطين بعد قرار التقسيم سنة ١٩٤٧، واستطاع أن يحافظ على جميع قرى منطقته وعلى مدينتي الرملة واللد والمطار الدولي إلى أن استشهد في معركة رأس العين في مايو سنة ١٩٤٨، ومن القواد الذين أبلوا بلاء حسنًا في معـارك فلسـطين الشـهيد "يوسف أبو درة" الذي وقع في أسر البريطانيين حيث حكموا عليه بالإعدام ونفذوا الحكم، والقائد " إبراهيم أودية " الـذي خاض عشرات المعارك ضد الإنجليز والقوافـل اليهوديـة وجرح عدة مرات آخرها رصاصة أصابت عموده الفقـري أقعدته مشلولاً إلى أن توفي رحمه الله سنة ١٩٥٢.

وهناك آخرون بذلوا دمـاءهم واستشـهدوا علـى أرض فلسطين لا يتسع المجال في هذا الحديث للإشارة إليهم جميعا

وربما تتاح الفرصة في حديث آخر لنتحـدث عـنهم وعـن أعمالهم وبطولاتهم.

عبد القادر الحسيني:

لن ينسى الشعب الفلسطيني بطله خالد الذكر الشهيد الشاب "عبد القادر الحسيني" الذي روى بدمه أرض فلسطين، فـي شهر إبريل سنة ١٩٤٨ كان "عبد القادر الحسـيني" ظـاهرة فريدة في تاريخ الكفاح المسلح الفلسطيني ضـد الاسـتعمار البريطاني والهجمة الصهيونية الشرسة على فلسطين، كـان والده من زعماء فلسطين المعروفين وتبع الابن خطى والـده في دروب الوطنية والنضال ومنذ مطلع شبابه أسس تنظيمـا سريا باسم الجهاد المقدس وما إن اشتعلت ثـورة فلسـطين الكبرى سنة ١٩٣٦ حتى انضم إلـى المجاهـدين، وعمـل مساعدا للقائد الشهيد سعيد العاص، وأصـيب فـي معركـة الخضر بجرح بليغ وأسره الإنجليز ونقلوه إلـى المستشـفى تحت الحراسة ولكنه استطاع الهرب إلى سـوريا ثـم إلـى ألمانيا حيث تدرَّب على صناعة المتفجرات، عاد بطلنا إلـى فلسطين وخاض مع رفاقه من المجاهدين معركة بني نعـيم

سنة ١٩٣٩ وهي من المعارك الكبرى التي قام بها الجـيش البريطاني ضد المجاهدين الفلسطينيين وفي هذه المعركة قُتِلَ عدد غير قليل من الجنود البريطـانيين، وأسـقطت إحـدى طائراته الحربية، وكذلك فقد المجاهدون عددا لا يستهان بـه من الأبطال، وأصيب "عبد القادر الحسيني" للمـرة الثانيـة برصاصة في صدره ولكن أمكن نقله سرا إلى سوريا حيـث بقي في المستشفى أكثر من شهرين سافر بعدها إلى العراق؛ ليلتحق بدورات عسكرية مكثفة، واشترك بثورة رشيد عـالي الكيلاني وبعد فشلها أُلْقِي القبض عليـه مـن قِبـل القـوات البريطانية، وبقي تحت الإقامة الجبرية ثلاثة أعوام ثم انتقـل إلى السعودية ومنها إلى مصر حيث انضم إلى جماعة الحاج " أمين الحسيني" الزعيم الفلسطيني المعروف، وتولى قيـادة جيش الجهاد المقدس بعد إعادة تنظيمه.

عاد بطلنا إلى فلسطين؛ ليدخل في معارك شرسـة ضـد اليهود، وتمكن من فرض حصار على قواتهم بالقدس لمنعهم من فتح طريق القدس يافا الجديدة، وقـام بعمليـات تفجيـر ضخمة في مناطق متعددة من القدس اليهودية أهمها نسـف

مقر جريدة البالستين بوست، ومقر الوكالة اليهودية، وتفجير حي وشارع بن يهودا.

وأخذت النجدات والمعدات تصل إلى اليهود جوا بمساعدة القوات البريطانية، وأصبحت الحاجة ماسة إلى السلاح؛ ذهب عبد القادر إلى دمشق يحاول إقناع لجنة الدفاع عن فلسـطين بإعطائه بعض السلاح الثقيل حتى يستطيع الصـمود أمـام المدافع والطائرات اليهودية ولكنه أخفق في إقنـاعهم وعـاد ليجد اليهود قد استولوا على قرية القسطل التي تـتحكم فـي طريق القدس ـ يافا.

صمم القائد على استرجاع القسطل فقام بهجوم ابتداء مـن السابع من إبريل ١٩٤٨ وتمكن مع رجاله من استرجاع أكثر مناطق القرية ولكن نفاد الذخيرة، ووصول النجـدات إلـى القوات اليهودية، ورفض عبد القادر التخلي عن مواقفـه أدى إلى استشهاده.

كان موت "عبد القادر الحسيني" نقطة تحوُّل فـي تـاريخ الثورة الفلسطيني حيث تمكن اليهود من إعادة السيطرة على طريق القدس الجديدة، وأخذت القرى العربية تتساقط بأيـدي اليهود؛ وهكذا قضي البطل العظيم حياة حافلة قضـاها منـذ

فجر شبابه يخرج من معركة ليدخل معركـة أخـرى رغـم الجراح ورغم السجن، واستطاع بسلاحه القليل وقوة روحـه والتفاف المناضلين حوله أن يساهم مساهمة فعلية في النضال الفلسطيني ضد القوات البريطانية واليهودية.

أثر حرب ١٩٤٨
على مسار القضية الفلسطينية

لعبت حرب ١٩٤٨ بين الدول العربية والقوات الإسرائيلية دورا هاما في مسار القضية الفلسطينية؛ فقد أدت هزيمة الدول العربية إلى تثبيت الدولة اليهودية الناشئة، وأصبح ميزان القوى في جانب اليهود؛ ونجم عن ذلك تقديم التنازلات العربية والفلسطينية، وازدياد المكاسب اليهودية للاستيلاء على المزيد من الأراضي الفلسطينية التي كانت خارج حدود الدولة اليهودية المقررة في تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية سنة ١٩٤٧.

يمكن أن أطلق على حرب ١٩٤٨ كلمة " حرب تقسيم فلسطين " وذلك أثر صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧، واستمر النزاع داخل فلسطين بين العرب واليهود حتى ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ حينما دخلت الجيوش العربية الأراضي الفلسطينية على أمل تحريرها من العصابات الصهيونية، وقد استطاعت القوات اليهودية أن تحقق عدة

إنجازات أهمها: طرد حوالي ٤٠٠ ألف عربي فلسطيني من مدنهم وقراهم، واحتلال عدة مدن.

كانت القوات الفلسطينية والعربية التي تقاتل اليهود داخل الأراضي الفلسطينية مؤلفة من ثلاثة تشكيلات:

١- جيش الإنقاذ التابع للجنـة الـدفاع عـن فلسـطين والمنبثقة عن جامعة الدول العربية ومقرها دمشق.

٢- جيش الجهاد المقدس الفلسطيني وكان يتبـع الهيئـة العربية لفلسطين بقيادة المفتي الحاج أمين الحسـيني ومقره القاهرة.

٣- القوات الفلسطينية المحلية.

جيش الإنقاذ:

قوامه متطوعون من الدول العربية، وكان مركز التجمـع معسكر " قطنا " قرب دمشق، وتكوّن مـن ثمانيـة أفـواج اليرموك الأول والثـاني والثالـث، والقادسـية، وحطـين، وأجنادين، وفوج العراق، وجبل العرب، وبدأ جيش الإنقـاذ يدخل فلسطين تباعا منذ أوائل سنة١٩٤٨، وكانـت قواتـه تتراوح بين ٥-١٠آلاف مقاتل، والمسجلين فعـلاً ودخلـوا

فلسطين ٤٦٣٠ مقاتلاً ولكن الكثيرين منهم غير مـدرَبـين تدريبا عسكريا ولم يتعرفوا على الخصائص العسكرية مـن الانضباط وطاعة الأوامر أو تحمل المشاق في القتال؛ ومـن أسباب ذلك عدم توافر العدد الكافي مـن الضـباط أوصـف الضباط.

جيش الجهاد المقدس:

نظمته الهيئة العربية العليا من المجاهـدين الفلسـطينيين بقيادة "عبد القادر الحسيني"، وكان عدد العاملين بجيش الجهاد المقدس يتراوح بين ٥ـ ٧ آلاف مقاتل بالإضافة إلى فئـات أخرى من المقيمين في قراهم للدفاع عنها أو للمشاركة فـي القتال في المناطق القريبة، وكان تسليح جيش الجهاد المقدس محدودا رغم ما قدمته الهيئة العربية العليا من أنواع مختلفـة من السلاح من بنادق ورشاشـات ومـدافع هـاون وقنابـل وذخيرة وأكثره تم جلبه من مناطق الحمام والعلمين في شمال مصر، وهو من مخلفات المعارك بين الحلفاء والمحور أثناء الحرب العالمية الثانية، وكان التدخل السياسي مـن بعـض الدول العربية مؤديا إلى حرمان قوات الجهاد المقـدس مـن المساعدات التي كانت تصلها مـن الشـعوب والحكومـات

العربية وخصوصا المساعدات المالية، ومـن أهـم وأبـرز المشاكل التي جابهت قوات الجهاد المقدس الفلسطيني نقـص السلاح وخصوصا الذخيرة هذا إلى جانـب نقـص الخبـرة القتالية.

القوات المحلية:

وهي القوات التي كانت تحمي المدن والقرى، وتتألف من سكان تلك المدن أو القرى، ولم تستطع تلك القوات أن تقـيم ترابطًا عضويا بين أطرافها، وكان معظم المقاتلين يشـكلون مجموعات صغيرة افتقدت إلى التنظيم الجماعي كما حـدث في حرب ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، ورغم ذلك فقد استطاعت تلـك القوات وبالاشتراك أحيانًا مع قوات الجهاد المقـدس القيـام بهجمات هامة على بعض المستوطنات اليهوديـة وخطـوط مواصلات وقوافل القوات اليهودية، وكانت تزرع الألغـام، وتنصب الكمائن، وأنزلت بالقوات اليهودية عـدة خسـائر، وجمدت بعضها للدفاع عن المدن اليهودية.

الموقف اليهودي خلال تلك الفترة:

كانت القوات اليهودية حين صدر قرار التقسيم فـي ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ تتألف من العناصر التالية:

١- الهاجاناه: وهي القوة الرئيسية الفعالة وخصوصا أنها سبق ودفعت بأعداد من الشبيبة اليهودية للانخـراط في صفوف الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية وحاربت فعلاً في صقلية وإيطاليا، وكانت تلك القوات العائدة تشكل نواة القوة المقاتلـة اليهوديـة، والبالغ عددها أكثر من ٢٥ ألف جندي.

٢- منظمة الأرغون تسفاي ليؤمي ومنظمة شتيرن وقد عرفَ عن هاتين المنظمتين ارتكاب عـدة أعمـال وحشية وفظيعة ضد الفلسطينيين في المدن والقـرى العربية، ولا ننسى عملية دير ياسين.

وقد استطاعت الوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية في العالم تسليح تلك القوات بمختلف الأسلحة بجانب ما حصـلت عليه من مستودعات القوات البريطانية في فلسـطين سـواء

أثناء الانتداب أو قبل رحيل القوات البريطانية فـي ١٤/ ٥/ ١٩٤٨.

استطاع رجال المقاومة الفلسطينية رغـم قلـة الخبـرة العسكرية والتدريب القتالي أن يكبدوا المستعمرات اليهوديـة خسائر كبيرة، وتمكنوا كذلك من حماية عشـرات القـرى، وصد العدوان اليهودي ولكن بسبب عدم وجود قيادة موحـدة سواء عسكرية أو سياسية على الأرض الفلسطينية؛ فقـد أدى ذلك إلى سقوط عدة مدن: يافا ـ عكا ـ صفد ـ طبريـا ـ حيفا ـ بيسان بأيدي اليهود.

وفيما أنهت بريطانيـا انسـحابها مـن فلسـطين يـوم ١٤/ ٥/ ١٩٤٨، ورغـم خسـارة بعـض المـدن الهامـة الفلسطينية كان عرب فلسطين يتمتعون بموقف لا بـأس بـه وحدود فلسطين شمالاً وجنوبا وشـرقًا مفتوحـة، ومنـاطق فلسطينية من الجليل إلى نابلس فالخليل فالنقب متصـلة مـع بعض.

أما جيش الإنقاذ الذي يمثل جامعة الدول العربية فقد انتهى مشروعه بهزيمة عسكرية، ولم يحقق الهدف المنشـود مـن دخوله الأراضي الفلسـطينية؛ وهكـذا نجـد أن الخطـوات

العسكرية التي سبقت دخول الجيوش العربية لم تلفت أنظار الدول العربية لتتخذ التدابير والاستعدادات الكافية لمواجهة العدو اليهودي وفي تقييم الموقف الدولي بشكل صحيح.

وطالما طلبت الهيئة العربية العليا لفلسطين من الدول العربية من خلال جامعة الدول العربية، ومن خلال الاتصالات المباشرة أن أمر الدفاع عن فلسطين يخصُّ الشعب الفلسطيني في الأساس مع الترحيب بانضمام متطوعين من أية دولة عربية، وقد تقدَّمت الهيئة العربية العليا لفلسطين في فبراير ١٩٤٨ بالمقترحات التالية للجامعة العربية:

١- تعيين مندوب لفلسطين في القيادة العامة للاهتمام بالقضايا السياسية والمدنية لعرب فلسطين.

٢- إقامة حكومة فلسطينية مؤقتة تتحمل مسئولية الأوضاع في فلسطين حال رحيل الجيش البريطاني أو حتى قبل ذلك.

٣- تسليم المناطق التي يخليها الجيش البريطاني إلى لجان قومية محلية.

٤- إمكانية الحصول على قرض لتمويـل المؤسسـات الإدارية، ودفع تعويضات لمتضرري الحرب.

ولكن جميع هذه المقترحات رفِضت جملة وتفصيلاً بحجة أن الوقـت لـم يحـن بعـد لتحقيـق ذلـك، وجـاء يـوم ١٥/ ٥/ ١٩٤٨، ودخلت القوات العربية فلسطين وبالنسـبة للقوات المصرية لم تكن القيادة العسكرية أو حتـى القيـادة السياسية متمثلة في مجلس الوزراء راضـية عـن دخـول الجيش المصري إلى فلسطين؛ لأنها لم تكـن علـى أُهبـةِ الاستعداد، واقترح " النقراشي باشا" رئيس الـوزراء تأجيـل دخول القوات المصرية حتى تستكمل النقص فـي السـلاح والعتاد ولكن الملك فاروق أصرَّ على دخول القوات المصرية بقيادة اللواء أحمد علي المواوي إلى فلسطين، ودخل الجـيش العراقي بلواءين، وكانت تدعمه قوة جوية لا بأس بها هبطت في مطار المفرق بالأردن، أما الجيش السوري فدخل بثلاثـة ألوية ولكن لم يكن لديه الذخيرة الكافيـة، وكـذلك الجـيش اللبناني دخل بلواءين.

الجيش الأردني دخل فلسطين بقيادة الفريق جلوب باشـا الإنجليزي يساعده ٤٥ ضـابطًا بريطانيـا، و ١٨٠ صـف

ضابط بريطاني، وكانت جميع مراكز القيادة بأيدي الضـباط البريطانيين باستثناء خمسة من الضباط العرب، ومن سخرية القدر أن القوات الأردنية دخلت فلسطين لتجارب اليهود بقيادة إنجليزية صرفة.

ونتيجة لعدم توافر المعلومات، وغياب التنسيق، وخيانـة القيادة، وعدم توحيدها فقد اعتقدت الجيوش العربيـة وهـي على وشك الدخول إلى فلسطين أنها ذاهبة إلـى مـا يشـبه النزهة العسكرية لعدة أيام أو عدة أسابيع لتأديب العصـابات الصهيونية ومنع ولادة الدولة اليهودية، ولم يفطن العرب إلى ميزان القوى عشية معركة ١٩٤٨.

وفيما يلي مقارنة بين القوتين الصهيونية والعربية:

كان عدد اليهود في فلسطين حوالي ٦٠٠ ألـف حشـدوا منهم ٦٧ ألف مقاتل أي بنسبة ١١ بالمائة من السكان، وكان لديهم بنادق حديثة ورشاشات ومدافع من مختلف العيـارات، و٢٥ طائرة عدا عدد من مدافع الميدان الثقيلة.

وكما سبق وأشرنا فإن حوالي ثلث القوات اليهودية تدرّبت مع الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية.

كانت القيادة اليهودية موحدة ذات هدف استراتيجي واحد وهو الدفاع عن قرار التقسيم، والاستيلاء على أراضٍ أخرى من القسم العربي.

خمسون مليون عربي من سبع دول مصر - العراق - سوريا - الأردن - لبنان - السعودية - اليمن حشدوا ٢١ ألف مقاتل أي بنسبة نصف بالمائة من عدد السكان، ولم تكن القيادة العربية موحدة بل كان هناك خمس قيادات؛ وكانت النتيجة النهائية للمواجهة العسكرية معروفة، وتابع العرب تقديم فواتير الهزائم فيما بعد سنة ٥٦، وسنة ٦٧.

دخول الجيوش العربية إلى فلسطين سنة ١٩٤٨ غير مفهوم الاستراتيجية العربية من إسناد مواجهة الغزو الصهيونية إلى رجال المقاومة الفلسطينية والمتطوعين من الأقطار العربية وتدعيمها بالسلاح والمال إلى دخول القوات النظامية العربية.

وليس المجال هنا الدخول في تفصيلات دخول الجيوش العربية النظامية، وظروف القتال، والأخطاء الجسيمة التي تابعت ذلك، وفي تعليق لأحد كبار الضباط البريطانيين بشأن

حرب ٤٨ أنها كانت حربا قصيرة تميـزت بتفـرق كلمـة العرب، وبمساعدات غير محدودة تلقتها إسرائيل من الغرب مكنتها في النهاية من تحقيق مكاسب إقليمية هامة لليهود.

ونتيجة لحرب ١٩٤٨ خسرت الجيوش العربية كثيرا من الأراضي التي كانت بأيـدي الفلسـطينيين، والتـي كانـت مخصصة للدولة الفلسطينية بموجـب قـرار التقسـيم رقـم ١٨١/ ٤٧، وتم اقتلاع معظم الشعب الفلسطيني من أرضـه وتحوّل إلى لاجئين، ويحاول البعض تسمية هزيمـة ١٩٤٨ نكبة، وأنها ترجع إلى الخيانات العربية والأسـلحة الفاسـدة؛ وهكذا أرسيت منذ ذلك الوقت الممارسات العربية في خـداع الذات، وحجب الحقائق، والاستهانة بالعـدو، ولمـا توالـت الهزائم أخذ العقل العربي يبالغ ويهوِّل بقوة العـدو، وتمكـن العدو الإسرائيلي في النهاية من احتلال أراضٍ في ثلاث دول عربية بالإضافة إلى كل فلسطين، العرب دون بـاقي الأمـم الحية لا يبدو أنهم يتعلمون من أخطائهم فالنكبات التي حاقت بهم في التاريخ الحديث واضحة وجلية، ولم تتعلم الحكومات في الوطن العربي من هذه العبر والدروس؛ وكانت النتيجـة أن من سماهم العرب في الأربعينيات العصابات الصـهيونية

تحولوا في التسعينيات إلى أعظم قوة عسكرية فـي الشـرق الأوسط، وإلى قوة نووية كبيرة، وأصـبحنا الآن نسـتجدي السلام، ونطالب من الدول الكبرى أن تضغط على إسـرائيل لقبول السلام مع العرب، ويحـق أن نسـتعيد كلمـة والـدة محمد أبو عبد الله آخر سلاطين غرناطة حين واجهته وهـو يبكي أثناء خروجه النهائي من الأندلس قائلة: "يحق لـك أن تبكي كالنساء ملكًا لم تدافع عنه كالرجال" ونحن الآن نبكـي وطنًا أضعناه ولم ندافع عنه كالرجال.

ذكرى أعتز بها

قصة مدفع

إلى جانب ما صدر عن دور النشر المختلفة من إصدارات لتسجيل وقائع قضيتنا الفلسطينية فهنالـك بعـض الأحـداث والمواقف المثيرة المتفرقة تزخر بها الـذكريات الشخصـية لأناس عاصروا تلك الأحداث لم يجر تسجيلها رغم أهميتهـا وبقيت حتى الآن حبيسة في الصدور، وأنا أطوف في بحـر الذكريات مرَت عليَ وقائع قصة مضى عليهـا أكثـر مـن نصف قرن، تذكرت المعـارك الداميـة التـي دارت بـين الفلسطينيين واليهود في أعقاب إعلان قـرار التقسـيم فـي نوفمبر (تشرين الثاني سنة ١٩٤٧)، وجلاء الأهل في بلادنا عن مدنهم وقراهم، وهزيمة الجيوش العربية بعـد دخولهـا فلسطين سنة ١٩٤٨، وتلك الأحداث لم تكن صدفة بل نتيجة حتمية لتخطيط مرتب بين بريطانيا والهيئـات والمنظمـات اليهودية لتحقيق الهدف وهو: إنشاء دولة إسرائيل.

وصل بي المطاف إلى معركة القدس القديمة وكيف أمكن للمناضلين الفلسطينيين الحيلولة بين اليهود وبين الاسـتيلاء

عليها رغم ما بذلوا من تضحيات بشرية متكررة ليلاً ونهارا، ورغم النجدات التي كانت تصل إليهم باستمرار حتى بلغـت ٤٠٠٠ مقاتلاً، إن أحداث هذه القضية وقعت بين مكتب الهيئة العربية العليا في القاهرة التي كنت أعمل فيها وبين أسـوار تلك المدينة الخالدة.

إن ما أكتبه الآن مرَّ عليه أكثر من خمسين عاما وهو ما وعته ذاكرتي منذ ذلك الأمد البعيد.

إبان الأسابيع الأخيرة قبل إعلان الدولة اليهودية فـي ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ أخذ اليهود يشددون من هجمـاتهم علـى المواقع الفلسطينية؛ مما اضطر القوات المدافعة عن القـدس إلى إخلاء الأحياء التي كانت بحوزتهم خارج الأسوار، وكلما زاد ضغط القوات اليهوديـة زادت الحاجـة إلـى الـذخيرة والسلاح، وفي الأيام العصيبة كانت الـذخيرة تصـل إلـى المناضلين المدافعين عن القدس يوما بيوم.

أحسَّ مفتي فلسطين الحاج "أمين الحسيني" ورئيس الهيئة العربية العليا في مقره بالقاهرة بخطورة الموقف في القدس، وأن الخطر بات يهدد بسقوط المدينة القديمة بأيدي اليهـود، توالت النداءات تطلب بالمساعدة العاجلة؛ وهنا تقدَّم المفتـي

بطلب إلى الحكومة المصرية للسماح له باستئجار طائرة من شركة مصر للطيران؛ لتقوم بنقل بعض المساعدات إلى المدافعين عن القدس، وتم استئجار طائرة من طراز بيتش كرافت البريطاني الصنع لنقل بعض الذخيرة بسرعة إلى منطقة القدس، تحدَّد نزول الطائرة في سهل أريحا، وأُشْعِلَت نار ليرشد دخانها معرفة اتجاه الريح وطريقة هبوط الطائرة، ولكن صغر حجم الطائرة لم يمكنها إلا من نقل كمية محدودة من الذخيرة.

وعرضت الحكومة المتوكلية اليمنية تقديم ثلاث طائرات للمساهمة في نقل السلاح وتدعيم موقف المدافعين عن القدس، وكان الطائرات من طراز يونكرز ألمانية الصنع ومن مخلفات الحرب العالمية الثانية وحجمها أكبر من طائرة البيتش كرافت، ولحسن الحظ أمكن في هذه الظروف الحرجة الحصول على عدة صناديق من الذخيرة تم تهريبها من المعسكرات البريطانية في منطقة فايد بمصر، وتم ذلك بمساعدة بعض الأشخاص المخلصين ممن يعملون في تلك المعسكرات، وكانت الصناديق تحتوي على ذخيرة البنادق والرشاشات، وكمية من ذخيرة المدفع " البويز"، وكان

المجاهدون في أشد الحاجة إليها، أقلعت الطائرة الأولى مـن مطار ألماظة وهي تحمل كمية معقولة من الذخيرة والسـلاح وأفرغت حمولتها في سهل أريحا، وتابعـت رحلتهـا إلـى دمشق؛ لتعود بشحنة أخرى، أما الطائرة الثانية فقـد حملـت مدفع ميدان إيطالي الصنع وتم نقله من المنطقة الواقعة بـين مرسى مطروح والحمام ومعه بضعة قنابل وجـدت بحالـة جيدة، ساعد بعض المهندسين المصريين بتنظيـف المـدفع وإعادة تشغيله وتم تجربته في منطقـة الهايكسـتب قـرب صحراء مصر الجديدة وكذلك تحديد تقريبي لزوايا الإطلاق، أنزلت الطائرة اليمنية المدفع في سهل أريحـا، وتـم نقلـه بسرعة مع خبير في طريقة استعماله إلى منطقة باب الخليل في الناحية الجنوبية من سور القدس، وأثنـاء ذلـك كانـت النداءات تتوالى على عمان تطلب مـن السـلطة الأردنيـة مساعدة المناضلين في القدس، وكانت ترفض تلك النداءات؛ بحجة عدم تمكنها من التدخل قبل ١٥ مـايو ١٩٤٨ وهـو موعد جلاء الإنجليز عن البلاد.

ورغم ذلك تعمد الجنرال جلوب باشا الإنجليـزي وكـان قائدا للجيش الأردني في ذلك الوقت عدم دخول مدينة القدس

حتى ١٨ مايو (أيار) آملاً في سقوطها فـي أيـدي اليهـود، ووضع العالم العربي والإسلامي أمام الأمر الواقـع، وكـان يعتقد أن القوات اليهودية قادرة على اقتحام البلـدة القديمـة واحتلالها خلال بضعة أيام.

وكذلك أصدر الجنرال جلـوب باشـا أمـرا منـذ ليـل ١٤ ـ ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ بمنع الطائرة اليمنية من الهبوط في سهل أريحا، وأن الأمر أصبح بيد القوات الأردنية؛ وأدى ذلك إلى زيادة الضغط على المدافعين عـن القـدس بسـبب حاجتهم الماسة إلى الذخيرة، وزاد مـن خطـورة الموقـف انسحاب الحامية البريطانية من القدس القديمة وكانت تـرابط هناك للمحافظة على الحي اليهودي المحاصر داخل الأسوار؛ مما اضطر المدافعين إبقاء جزء من قـواتهم حـول الحـي اليهودي لحصاره.

وهنا حصلت نقطة تحوُّل هامة عندما بدأ المـدفع يطلـق بعض القنابل على الأحياء اليهودية؛ مما أوجـد حالـة مـن الهلع، ومن هول المفاجأة التي أصابت اليهود توقفـوا عـن مهاجمة المناطق الجنوبية من السور؛ مما أتاح الفرصة لنقل بعض المناضلين إلى الأجزاء الأخـرى لتقويـة دفاعاتهـا،

وتمكنوا من الصمود رغم التفوق اليهودي الكبيـر، وأنقـذوا القدس ببسالتهم النادرة، وبمساعدة هذا المدفع الإيطالي.

ويجب أن نذكر أن القرى الفلسطينية المحيطـة بالقـدس قامت بتقديم ما أمكن توفيره وشراؤه بأغلى الأسـعار مـن الذخيرة للحامية الباسلة التي ظلت تقاوم ليلاً ونهـارا بـدون راحة أو استرخاء.

وهكذا بقيت القدس القديمة عربية حتى سـقطت بأيـدي اليهود سنة ١٩٦٧.

مقتطفات من كتاب العروش والجيوش
حرب فلسطين مايو ١٩٤٨
للكاتب السياسي محمد حسنين هيكل

كان الحلم الصهيوني قد أعدّ نفسه لإقامة دولته في فلسطين، وانتظر تلك اللحظة التاريخية يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ لإعلان تلك الدولة، وكانت الوكالة اليهودية والزعماء اليهود يتحركون بخطة واضحة وحسم ورؤية استراتيجية بينما كانت خطة العمليات العربية في فلسطين لم تزد عن مجموعة تصورات تشير إلى اتجاهات عامة أي أن كل جيش عربي مطلوب منه أن يتقدم عبر الحدود إلى فلسطين وهذا كل شيء.

وفور صدور قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ كان هناك اتفاق مسبق وكامل بين الهاشميين والحركة الصهيونية أن يضمَّ الجزء المخصص للعرب الفلسطينيين إلى شرق الأردن بحيث لا يكون هناك داعٍ لدولة فلسطينية تنشأ بين إسرائيل والأردن وكانت بريطانيا مطلعة وموافقة على هذا الاتفاق

وتراه محققًا لمصالحها ومصلحة اليهود، وكانت سياسة الملك عبد الله في تلك الظروف أن يتمسك باتفاقياته الخفية (مع اليهود والإنجليز) وفي الوقت نفسه أن يساير الملوك والرؤساء العرب وجماهير الشعوب العربية ويتظاهر بالعمل معهم لتحرير فلسطين.

وفي نفس الوقت كان رئيس وزراء مصر إسماعيل صدقي على اتصال بالوكالة اليهودية ومبعوثها "إلياهو ساسون" حيث أبدى موافقته على تقسيم فلسطين (وكان إسماعيل صدقي عضوا في خمسة عشر شركة يملكها أو يسيطر عليها اليهود في مصر) وكان إلياهو ساسون يقوم أيضا بهمزة الوصل بين الملك عبد الله والوكالة اليهودية، ومن سخرية القدر أن جماعات لا يستهان بها من الساسة العرب تولد لهم اقتناع بأن مشروع الدولة الصهيونية في فلسطين سوف يجري إجهاضه من الدول الغربية لاعتقادهم أن المشروع الصهيوني كان في مجمله مشروعا شيوعيا، وقد تلقت تلك الجماعات السياسية هذه النظرية دون فحص وتدقيق وعلقت عليها آمالاً زائفة.

وفي ذلك الوقت من أوائل سنة ١٩٤٨ توجه توفيق أبـو الهدى رئيس الوزارة الأردنية إلى بريطانيا يحرض الإنجليز ضد مفتي فلسطين الحاج "أمين الحسيني"، وأنه عدو مشترك لهم ولبريطانيا، ورأى قائد الجيش الأردني أن واجـب ذلـك الجيش ألا يتجاوز حدود ما هو مخصص للفلسـطينيين وألا يحاول الاقتراب مما هو مخصـص لليهـود، وقبـل نهايـة الانتداب البريطاني وبزوغ يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ كان الجنرال جلوب يتابع المعارك الدائرة بـين قـوات الجهـاد المقدس الفلسطينية وتساعدها قوات جيش الإنقاذ، وبين قوات الهاجاناه للسيطرة على الطرق والمعـابر المؤديـة للقـدس، ويرقب تدفق القوات اليهودية وتفوقها دون أن يحرك سـاكنًا حتى تمكنوا من فتح الطريق إلى القدس، وبعث البريجـادير نورمان لاش ومعه الكلونيل ديزموند جولدي برسـالة إلـى قيادة الهاجاناه قال فيها إنه على استعداد لتأخير تقدم القـوات الأردنية إلى القدس لإعطاء الهاجاناه فرصة لتثبيت سيطرتها على كافة أنحاء القدس الجديدة، وتعهد أنه فيما لو اضطر إلى نوع من المقاومة أن تكون للتمويه وليس أكثر وقـد تمكـن الفلسطينيون من إحباط هذه المؤامرة.

وقبل ١٥/ ٥ قام القائد البريطاني في منطقة حيفا بتسليم المعسكر البريطاني إلى قوات الهاجاناه بعد أن ترك لهم الكثير من المعدات العسكرية حيث تمكنت أثر ذلك من احتلال مدينة حيفا في أقل من ٢٤ ساعة دون أن تتاح الفرصة للقوات الفلسطينية للدفاع عن المدينة، وكذلك سلمت القوات البريطانية مناطق الجليل ابتداء من مارس وإبريل (آذار ونيسان) وهي المخصصة لليهود في قرار التقسيم إلى قوات الهاجاناه، ومنعت قوات المقاومة الفلسطينية من الاقتراب من عدة مناطق مخصصة لليهود.

وفي خطاب للنقراشي باشا رئيس الوزراء المصري في مجلس النواب يوم ١٢ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ قام أهالي فلسطين بمقاومة نبيلة باسلة وكالوا للصهيونيين الصاع صاعين ولفتوا أنظار العالم، وأشار إلى أن الحكومة البريطانية لن تسمح لأي جيش عربي بالتدخل في فلسطين قبل ١٥ مايو، وأن الأوامر صدرت إلى الجيش المصري بالدخول إلى فلسطين لإعادة السلام، وأنه قادر على ردع العصابات اليهودية، ويملك أسلحة وذخائر تكفي للقتال ثلاثة شهور.

ولم يكن هناك أي تنسيق بين القوات الرسمية وبين قوات المتطوعين والمحاربين في فلسطين ودخل الجيش المصـري ليحارب في الشتاء بملابس الصيف وليس لديه معلومات عن القوات اليهودية ولا عن قادتهم وعدتهم العسكرية وأسـلحتهم وقدرتهم على القتال، وكانت معظم أسماء المـدن والمواقـع الفلسطينية والطرق حتى بدء حرب ١٩٤٨ مجهولـة لـدى الذين أوكلت إليهم مسئوليات عسكرية في فلسطين، وحـاول بعض الطيارين المصريين الحصول على بعض المعلومـات من الفلسطينيين الموجودين في القاهرة قبل شهر مايو عـن المواقع اليهودية وخصوصا مدينة تل أبيب.

ولم يكن غريبا إذًا مع تفوق اليهود في العـدد والسـلاح والخبرة والتنظيم أن تتراجع الجيوش العربية كلهـا أمـامهم ولا يزال السؤال قائما كيف وافقت الدول العربية أن يتـولى جنرال بريطاني قيادة الدول العربية في حربها ضد اليهود؟

ذكر الجنرال جلوب في كتابة " المشاهدة المتغيرة للحياة " في صفحة ١٤٨ النص التالي: "إن قوات الجـيش الأردنـي عبرت نهر الأردن في يـوم ١٥ مـايو بموافقـة الحكومـة البريطانية وذلك لمساعدة العرب في الـدفاع عـن الهوديـة

والسامرة!! (يقصد غزَّة والضفة الغربية) المخصصة لهم بقرار التقسيم وقد كنا ممنوعين تماما من دخول القدس الجديدة، وكذلك ممنوعين من دخول أي مناطق مخصصة للدولة اليهودية بمقتضى قرار التقسيم؛ وبالتالي فإن خططنا جميعا كانت بالتوافق مع أوامر الأمم المتحدة وبموافقة من الحكومة البريطانية". وبمناسبة ذكر جلوب فإن من أخطر أسرار حرب فلسطين هو تسليم اللد والرملة الذي بدأ التجهيز له من جانب جلوب بادعاء أن قواته في القطاع الأوسط من فلسطين محاصرة، وأنها تحت نيران شديدة وكثيفة تهددها، ويبدو أن جلوب أراد أن يضع الجميع أمام أمر واقع بأنه لا يستطيع الصمود إلا إذا قام الجيش العراقي أو المصري بنجدته وإمداده بالسلاح بشكل ما، وبطبيعة الحال لم يكن بإمكان أي من الجيشين العراقي أو المصري مساعدته وهو يعلم ذلك تماما، ورغم أن جلوب كان يعلم أن اللد والرملة واقعتان ضمن الجزء المخصص للعرب فقد طلب من الملك عبد الله أن يوجه نداء إلى الحكومات العربية لإمداده بالسلاح أو سيضطر آسفًا إلى إصدار الأمر إلى الجيش الأردني بالانسحاب، وبدأ دخول القوات اليهودية إلى مناطق

مخصصة للعرب مجرد بداية تكررت بعد ذلك فـي الجليـل الأعلى وفي النقب حتى شاطئ خليج العقبة.

إن الاتفاق بين الجيش الأردني وقيـادة الهاجانـاه تأكـد بالشهود المباشرين وهم كما ذكرنا البريجادير نورمـان لاش والكلونيل ديزموند جولدي في أكثر من مرجع ومن أهمهـا كتاب الجنرال جيمس لانت عن قصة حياة جلـوب صـفحة رقم ١٣٦.

وقد تأكد لهيئة المستشارين المصريين في عمان حقيقة أن القوات الأردنية في المنطقة الوسطى وحول القدس لا تحتاج إلى نجدة؛ لأنها من الأصل لا تخوض معركة!!.

وفي ٣٠ مايو وبموجب بلاغ رسمي صادر عن القـوات المصرية جاء ما يلي: ضبِطَ أمس خمسة شبان يهود كـانوا يقتربون من بئر بالقرب من قرية خزاعة وقد أطلق العـرب عليهم النار فأصابوا ثلاثة منهم قتلوا في الحال وهرب الاثنان الآخران ووجِدَ مع القتلى الثلاثة زجاجتان بهما سائل غريب وثبت أن فيهما ميكروبات جرثومية تحتوي على ميكـروب التيفوس والدوسنتاريا.

ومن المذهل أن البترول المصري من آبار رأس غـارب وكذلك البترول العراقي من آبار الموصل ظل يصـل إلـى فلسطين المحتلة وإلى القوات الإسرائيلية طول فترة الحـرب سنة ١٩٤٨ وبعدها، ومن المذهل أيضا أن البترول العربـي استمر حتى بعد انتهاء الحرب وإلى سنة١٩٥٣يتدفق علـى معامل تكرير البترول في حيفا سواء عن طريق النـاقلات من خليج السويس أو عن طريق خط التابلاين إلى حيفا ولـم ينقطع تدريجيا إلا حين حل محله البتـرول الإيرانـي عـن طريق الشركات الأمريكية، وفـي نهايـة كتـاب العـروش والجيوش للأستاذ/ محمد حسنين هيكل يورد الكاتـب ثـلاث شهادات تاريخية: شهادة الحاج " أمـين الحسـيني " مفتـي فلسطين، وشهادة " عبد الرحمن عزّام " باشا أمـين جامعـة الدول العربية، وشهادة اللواء " أحمد علي المواوي " القائـد العام للقوات المصرية في فلسطين.

ويتساءل مفتي فلسطين في رسالته الخطية التي بعث بهـا إلى مؤلف الكتاب لماذا مِنِعَ الجيش العراقي الذي كـان فـي أشد حالات الحماسة والاستعداد مـن التقـدم نحـو أهدافـه ولم يسمح له بالقيام بأي معركة؟ لماذا أخليت اللـد والرملـة

وسحب منهما الجيش الأردني بأمر جلوب؟ وما هي الأسباب التي حالت دون نجدة الجيش المصري في معـارك النقـب؟ ولماذا سلمت مناطق واسعة إلى اليهود بدون حرب؟ وكيـف استولى اليهود على حيفا ويافا وعكـا والناصـرة والقـدس الجديدة في الوقت الذي كان الاحتفاظ بها ميسـورا؟. لمـاذا دخل الجيش المصري فلسطين وكان من المقرر ألا يتخطـى الحدود المصرية؟

وقال المفتي إن لذلك أسـبابا عديـدة أولهـا أن بعـض المسئولين في الدول العربية الذين كانت في أيـديهم مقاليـد الأمور لم يكونوا جادين ولا مصممين على مواجهـة هـذه المشكلة ولم يعالجونها بما تتطلبه خطورتهـا مـن الحـزم والاهتمام بل كانوا هازلين حائرين مترددين بينما كان اليهود جادين كل الجد، وكان بعض المسئولين في بعـض الـدول العربية يعملون إما بوحي من الاستعمار أو بتأثير مصالحهم الخاصة، وطالب المفتي الحاج " أمين الحسيني " بالتحقيق في أسباب النكبة فما من أمة حية ذات كرامة إلا وتجري تحقيقًا في كل نكبة تصيبها، ويسير على نفس الدرب عبد الـرحمن عزّام الذي طالب بتحقيـق ذي اتجـاهين أحـدهما سياسـي

للتحقيق في المسئولية عن دخول الحرب، وآخـر عسـكري لتحقيق أسباب الهزيمة، وتأتي شهادة اللـواء أحمـد محمـد المواوي لتكمل تلك الصورة وهي برأي الكاتب تعتبر أخطر الشهادات ليقول المواوي:

سمعت عن مؤتمر عقده الفريق إبراهيم عطا الله رئـيس هيئة أركان الجيش المصري في ذلك الوقـت، وسـمعت أن للمؤتمر صلة بما يحدث في فلسـطين ولكنـي تأكـدت أن المؤتمر كان هدفه إنشاء معسكر تدريب في العريش، وحضر المؤتمر قواد الأسلحة والتفت عطا الله إلى المجتمعين وقال:

ـ مين حيكون قائد القوة في العريش؟ يا جماعـة يـاللي قاعدين مين يحب يروح؟ فقـال اللـواء محمـود شـاهين أنا أروح، ولكن اللواء موسى لطفي ردّ: شاهين بتاع طوبجية (طوبجية يعني مدفعية) لا يعرف في التدريب ابعثوا مـدير المشاة، وكنت أنا مدير المشاة؛ وهكذا وقع الاختيـار علـيَّ ووصلت العريش فوجدتها خالية من المعدات ومن الأسـلحة الكافية للتدريب لا سيارات ولا معدات ولا ذخائر ولا ضباط ولا صف ضباط، ووقع الاختيار على الكتيبة التاسعة لتبـدأ التدريب ولم تنقض ثلاثة أشهر حتى قفلت الكتيبة عائدة إلـى

مصر قبل أن يتم تدريبها فسألت عن السبب فقالوا إن الكتيبة أصبحت كتيبة أمن عام، وإنها وضـعت فـي الهايكسـتب لمقاومة مظاهرات الطلبة، وظللت أتصل وأقـوم بالاتصـال بوزير الحربية ورئيس مجلـس الـوزراء وحـدثتهما عـن الوحدات غير المدرَّبة وأننا غير مستعدين لـدخول الحـرب وكان تعليق النقراشي باشا: إن موقعنا بين الـدول العربيـة يحتم علينا دخول الحرب.

ملاحظة هامة: جميع المعلومات الواردة في هذا التلخيص من كتاب العروش والجيوش للأستاذ/ محمد حسنين هيكل - جميعها موثقة كما جاء في آخر الكتاب.

مفتي فلسطين الأكبر
الحاج أمين الحسيني

تمهيد:

لا شك أن تاريخ الكفاح الفلسطيني والحركة الوطنية الفلسطينية يرتبطان إلى حد بعيد باسم الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، الذي تولى منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى سنة ١٩٣٧ قيادة الصراع الفلسطيني ضد الاستعمار الإنجليزي والصهيونية العالمية، وكان اسم المفتي هو المحور الذي ترتكز عليه أهم أحداث تلك الفترة، ورغم اضطرار المفتي سنة ١٩٣٧ إلى مغادرة البلاد، وقضاء سنوات الحرب متنقلاً بين المدن الأوربية وخصوصا الألمانية وأثناء غيابه عن فلسطين فقد حظي بمكانة سياسية ودينية مرموقة لدى الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية.

المولد والنشأة:

ولِدَ محمد أمين الحسيني في القدس سنة ١٨٩٧، وتلقـى دراسته الابتدائية والقانونية في المكتب السـلطاني بالقـدس، واهتم والده محمد طاهر الحسيني ـ وكان مفتيا لمدينة القدس ـ بتعليمه العلوم الشرعية واللغة الفرنسية بمساعدة أسـاتذة خصوصيين، وتابع دراسته الدينية في الأزهر الشريف كمـا درس في الجامعة المصرية ـ القاهرة بعدئذ ـ ولكـن لـم يتمكن من إتمام دراسته؛ بسبب الحرب العالمية الأولى، سافر إلى استنبول والتحق بالكلية العسكرية هناك، وتخـرج فيهـا برتبة ضابط وأثناء دراسته تمكـن مـن اللغـات التركيـة والفرنسية والإنجليزية، عاد إلى القدس بعد انتهاء الحـرب، وبدأ يهتم بشئون الوطن، واكتسب لقب الحاج مبكـرا؛ لأنـه رافق والدته للحج سنة ١٩١٣؛ وهكذا بدأ الحاج أمين حياتـه شاباً مثقفًا يتقن عدة لغات، وملما بالخبرة العسكرية، ومتسلحا بالعلوم والأصول الدينية بالإضافة إلى انتمائـه إلـى أسـرة عريقة من الأسرة الفلسطينية.

ولما كان المركز المرموق والممتاز في فلسطين ينبع من مصدرين إما الإفتاء أو القضاء، وكان الإفتـاء فـي مدينـة

القدس محصورا في عائلة الحسـيني كمـا كـان القضـاء محصورا في عائلة الخالدي.

ولما كان جده مصطفى الحسيني ثم والده طاهر الحسيني ثم شقيقه الأكبر كامل الحسيني - كانوا بـالتوالي يحتلـون مركز الإفتاء في القدس، وعندما وقع الاحـتلال البريطـاني لفلسطين كان أخوه كامل الحسيني لا يـزال يحتـل مركـز الإفتاء وبقي في منصبه حتى توفي سنة ١٩٢١.

وهنا يأتي دور المفتي الحاج أمـين الحسـيني بكفايتـه وجداراته لتولي هذا المنصب؛ فخلـع الطربـوش، ولـبس العمامة، وأطلق لحيته.

احتدم الخلاف بين الأسرتين النشاشيبي والحسيني لتـولي منصب الإفتاء، وحسمت إدارة الانتداب ذلك باختيار الحـاج أمين؛ وربما يعود ذلك لأسباب سياسية وهي إزكاء الخـلاف والتنافس بين النشاشيبي والحسيني الذي استمر بعد ذلك طيلة فترة الانتداب البريطاني.

وأعقب انتخاب الحاج أمين مفتيا للقدس أن تولى رئاسـة المجلس الإسلامي الأعلى؛ ومن هنا أخذ لقب المفتي الأكبر.

وكان قيام المجلس الإسلامي الأعلى قد تم بناء على رغبة حكومة الانتداب البريطاني لإيجاد صـيغة معينـة لتنظـيم الشئون الإسلامية، وبناء على لجنة خاصة دعا إليها المندوب السامي البريطاني مكونة من عدة شخصيات إسلامية وبعض الموظفين الإنجليز تم إصدار النظام الذي انبثق عنه المجلس الإسلامي الأعلى، وحـددت صـلاحياته بـإدارة الشـئون الإسلامية، وإدارة المحاكم الشرعية والأوقـاف الإسـلامية، وجرى انتخاب أعضاء المجلس ورئيسه سـنة ١٩٢٢ مـن الحاج أمين الحسيني رئيسا، وعبد اللطيف صلاح عن نابلس، والشيخ محمد مراد عن حيفا، وعبد الله شفيق الدجاني عـن يافا، وسعيد الشوَا عن غزَة، وقد تحوَل المجلس الإسـلامي الأعلى فيما بعد بجانب كونه جهازا إسـلاميا إلـى جهـاز سياسي قوي، وأخذ نفوذ الحاج أمين السياسي ينمو باضطراد في أنحاء فلسطين، وجرى عقـد عـدة مـؤتمرات للـدول الإسلامية في مدينة القدس بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى وأهمها مؤتمر سنة ١٩٣١ الذي جـاء بعـد ثـورة ١٩٢٩ وحوادث حائط البراق ـ المبكي.

ومع ازدياد نفوذ المفتي السياسي، واندلاع ثـورة ١٩٣٦ اتخذت حكومة الانتداب قرارا بعزله من رئاسـة المجلـس الإسلامي الأعلى ومحاولة القبض عليه، ومنذ مغادرته البلاد لم يعين رئيسا للمجلس حتى انتهاء فترة الانتداب البريطـاني سنة ١٩٤٨.

وأصبح أعضاء المجلس لا يملكون حلاً ولا عقدا سـوى الموافقة على مطالب حكومة الانتداب وهذا ما حصل أيضـا مع لجنة الأوقاف الإسلامية العليا.

وكان المجلس الإسلامي الأعلى أثناء تحملـه الإشـراف على الأوقاف الإسلامية قام بعـدة إنشـاءات كالإصـلاحات المتعددة للمسجد الأقصى، وإقامة عدة عمارات ضخمة تابعة للأوقاف الإسلامية مثل الفندق الكبير في القدس، وعمـارات مختلفة في يافا ونابلس واللد والناصرة والخليل وعكا بجانب شراء كثير من الأراضي؛ خشية وقوعهـا بأيـدي اليهـود، وإنشاء معاهد دينية ومدارس وطنيـة إسـلامية ومنهـا دار الأيتام الإسلامية والقدس وكلية الروضة المعروفة بالقـدس، وقام المجلس الإسلامي بنقل القضية الفلسطينية من نطاقهـا المحلي وجعلها قضية إسلامية يهتم بها العالم الإسلامي.

حامت عـدة شـبهات حـول موقـف المفتـي الحـاج أمين الحسيني أثناء قيادتـه للحركـة السياسـية لفلسـطين، ونعرض أهم تلك الشبهات ومحاولة الرد عليها:

١ ـ الشبهة الأولى:

تحميل المفتي أمين الحسيني مسئولية نكبة فلسطين بسبب سياساته الخاطئة والمواقف السلبية المتشددة من الإنجليز.

نسي دعاة ترويج هذه المزاعم والادعـاءات الباطلـة أن مسئولية ضياع فلسطين كانت نتيجة مؤامرة عظمى أدارتهـا بريطانيا والصهيونية العالمية وبعض الدول الغربية ونُفـذت خطواتها منذ أن احتل الجيش البريطاني فلسطين سنة ١٩١٧ ثم بداية الانتداب، وتنفيذ وعد بلفور لتحويل فلسـطين إلـى وطن قومي لليهود، وقد تمت تلك الخطـوات رغـم جميـع الثورات والتضحيات التي قدَمها الشعب الفلسطيني ـ وهـل كان في استطاعة القادة والشعب الفلسطيني التغلب على أعتى قوتين في العالم في ذلك الوقت بريطانيا التي لا تغرب عـن أملاكها الشمس والصهيونية العالمية ونفوذها المتغلغـل فـي مراكز صناعة القرار في الدول الأوربية وأمريكا؟! ونـذكر

ـ كما أكد جمال عبد الناصر ـ أن مؤامرات الدول الكبرى والصهيونية العالمية وخيانات العملاء هي التـي أضـاعت فلسطين وأطاحت بكيانها العربي.

٢ ـ الشبهة الثانية:

أن المفتي الحاج أمين هرب من البلاد تاركًا الفوضى تعمُّ أنحاء فلسطين؛ خوفًا من إغضاب الإنجليز، وحرصا علـى سلامته الشخصية.

والحقيقة أن الحكومة البريطانية ضاقت ذرعـا بصـلابة المفتي، واعتبرته المـؤثر الأول لإشـعال الاضـطرابات، وقررت القبض عليه والتخلص منه بإبعاده خـارج الـبلاد، وأعدوا البارجة الحربية البريطانية ريبالص في ميناء حيفـا لنقله إلى جزيرة موريشوس في المحيط الهادي ليقضي بقيـة حياته منفيا هناك.

لكن المفتي استطاع الإفلات من الشرك المنصـوب لـه، والتجأ إلى المسجد الأقصى معتصما بسـاحته حتـى قامـت الحكومة الإنجليزية بإحضـار قـوة مـن الجـيش الهنـدي البريطاني ضباطها وأفرادها من المسلمين لاقتحام المسـجد

الأقصى والقبض عليه، هنا دبر المفتي طريقة للخروج سـرا من القدس، ووصل إلى مدينة يافا، ومنها سافر بحرا خـلال رحلة خطيرة متجها إلى ساحل لبنان الجنوبي قـرب مدينـة صور - وفي حديث آخر أوردنا التفاصيل الكاملة لهـروب المفتي والطرق التي سلكها حتى استقر أخيرا متنقلاً في مدن أوربا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

ثم محاولات القبض عليه في فرنسا وسفره متخفيـا إلـى مصرن واعتراض الحكومة البريطانية علـى وجـوده فـي مصر، وتعهد من حكومة صدقي باشا بمنـع المفتـي مـن مزاولة أي نشاط سياسي.

٣ - الشبهة الثالثة:

إن الهيئـة العربيـة العليـا يرأسـها المفتـي الحـاج أمين الحسيني أخطأت بإدارة معركة فلسطين من الخـارج؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى وتشتيت المقاومة داخل الـبلاد مما أضعف كثيرا المقاومة الفلسطينية، وأدى إلـى تسـاقط المدن والقرى الفلسطينية بأيدي اليهود.

تألفت الهيئة العربية العليا قبل عودة المفتي من معتقله في فرنسا، وكان على الهيئة بعد عودته واجـب كبيـر لإعـادة التنظيم والإعداد، طلب الحاج أمين من السلطات المصـرية وجامعة الدول العربية أن تسمح له بدخول فلسـطين ولكـن طلبه رفِضَ بضغوط من الحكومة البريطانية ومـن بعـض الدول العربية المجاورة لفلسطين، وقد أصدرت جامعة الدول العربية قرارا بمنعه من دخول فلسطين بحجـة أن القضـية الفلسطينية قد أُوكِلَ ملفها إلى اللجنة الخاصـة التـي ألفتهـا جامعة الدول العربية ومركزها دمشق.

ورغم ذلك قامت الهيئة العربية العليا بمـا تملكـه مـن إمكانيات ضئيلة بإرسال السلاح وتدريب الرجال وإنشاء فيلق الجهاد المقدس في فلسطينن، وتمَ ذلك في الوقت الذي تخلت فيه الحكومـات العربيـة عـن تعهـداتها بتزويـد الهيئـة والفلسطينيين بالمال والسلاح بحجـة أنهـا تسـاعد اللجنـة الخاصة في دمشق.

واستطاعت القوات الفلسطينية الصمود والمحافظة علـى أكثر الأراضي الفلسطينية مـن هجمـات اليهـود الشرسـة المدججة بالسلاح والخبرات الأوربية، وتمكنت مـن إنقـاذ

القدس من السقوط بأيدي اليهود، كل ذلك رغم تدفق السـلاح والعتاد المالي والخبرات العسكرية للقـوات اليهوديـة فـي فلسطين؛ وقد أدى تردد الدول العربية في تقديم المسـاعدة، ورِفِضَ طلب المفتي وإلحاحه المتكرر ورجاؤه بعدم دخـول قوات نظامية إلى فلسطين والاكتفاء بمسـاعدة الفلسـطينيين ومدهم بالسلاح والمتطوعين.

وكان نزع زمام المقاومة من أيدي الفلسطينيين ونقلها من صعيدها الشعبي إلى المحيط الرسمي سنة ١٩٤٨؛ ممـا أدى في النهاية إلى تساقط المدن الفلسـطينية وقراهـا، وإلحـاق الهزيمة بالقوات النظامية العربية.

٤ ـ الشبهة الرابعة:

قيل إن مفتي فلسطين كان يتصرف بجميع مقدَرات البلاد كما يشاء، وإنه كان مسئولاً عن أموال المسلمين سواء فـي الأوقاف أو المجلس الإسلامي الأعلى أو المحاكم الشرعية أو المساجد وغيرها، وإنه استمر يشرف على تلك الشئون حتى سنة ١٩٤٨.

والحقيقة أن الإشراف على مقدَرات تلك الهيئـات كـان يخضع بالتفتيش والمراجعة لحكومة الانتـداب البريطانيـة، وكانت الميزانيات تُقدَم باستمرار إلى السـلطات الرسـمية، وتولى الحاج أمين رئاسة المجلس الإسلامي الأعلـى التـي دامت ١٥ عاما حتى سنة ١٩٣٧- وليس لآخر عهد الانتداب على فلسطين كما يقال- ولما اعتدت الحكومـة الفلسـطينية على دوائر المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٣٧ وشـكلت لجنة ثلاثية لإدارته ولفحص الحسابات يرأسه مستر " جرين" قاضي القضاة البريطانية، أعلنت تلك اللجنة بلاغًـا رسـميا لم يتضمن أي تلاعب في الأقوال، واعترف مسـتر جـرين بأمانة ودقة الحسابات.

٥ ـ الشبهة الخامسة:

قيل إن المفتي كان يدفع رواتب ومخصصات لأكثر مـن ٢٥ ألف شخص مما كان يجمعها مـن البلـدان الإسـلامية والأوقاف الفلسطينية.

والحقيقة أن ميزانية المجلس الإسلامي الأعلى السنوية لم تتجاوز الثمانين ألف جنيه كانت تسدد منها المرتبات والنفقات

العامة وصيانة المساجد والمعاهد وأملاك الأوقاف، وأن عدد المـوظفين فـي جميـع الـدوائر الإسـلامية لم يتجاوز ٥٥٠ موظفًا بما في ذلـك الوعـاظ والمدرسـين وغيرهم.

٦ ـ الشبهة السادسة:

قيل إن المفتي كان يفرض أتاوات باهظـة علـى باعـة الأراضي والسماسرة والمتعاونين مع العدو، وأتباعه كـانوا يأمرون باغتيال هؤلاء الأشخاص، وإن المفتي لم يقـم بـأي جهد لمقاومة بيع الأراضي أو لإنقاذها وإن أكثـر حـوادث الاغتيالات التي تمت في فلسطين تعود إلـى الفتـرة التـي لم يكن فيها المفتي في البلاد بل كان مغتربا في زوبا ورغم بعض التجاوزات فإن أكثر من ٩٥ ٪ ممن تم اغتيالهم كانوا فعلاً من السماسرة والمتعاونين مع حكومة الانتداب.

إن مسـاحة الأراضـي التـي باعهـا الفلسـطينيون لا تتجاوز ٣٠٠ ألف دونـم أي ٢ ٪ مـن مسـاحة جميـع الأراضي التي استولى عليها اليهـود فـي عهـد الانتـداب البريطاني وأكثرها انتقل إلى اليهود بموجب القـوانين التـي

كانت تصدرها حكومة الانتداب وأشهرها قانون نزع الملكية، وقانون تسوية الأراضي.

٧ ـ الشبهة السابعة:

قيل إن المفتي لم يشترك في ثورة سنة ١٩٣٣ بـل كـان يستنكرها ويدعو إلى الهدوء والسكينة، وإنه رفـض تنظـيم جنازة لشهداء ثورة القسام العظيمة سنة ١٩٣٥.

والحقيقة أنه لم تقم ثورة سـنة ١٩٣٣ بـل مظـاهرات وانتفاضات عنيفة في القدس ويافا، واصـطدم المتظـاهرون بالقوات البريطانية، وسقط عدد من الشهداء، وكان المفتي في تلك الفترة خارج البلاد في رحلة إلى العالم الإسلامي للدعاية للقضية الفلسطينية ومحاولة جمع الأموال لإنقاذ الأراضي.

وتمكنت قوات الاحتلال البريطاني من القضاء على تلـك المظاهرات قبل عودة المفتي من رحلته التي عمـل جاهـدا على قطعها والعودة إلى القدس.

أما تنظيم جنازة لشهداء المسلمين فقد تم القيـام بأضـخم جنازة عرفتها فلسطين لتشييع جثمان الشهيد الشيخ عز الدين

القسام وزملائه في مدينة حيفا ووقع صدام بـين المشـيعين والقوات البريطانية.

٨ ـ الشبهة الثامنة:

قيل إن المفتي كان يبعد الشباب ويعتمد فقط على أنصاره وأقاربه.

إن أكثر المراكز القيادية التي كانت تتـولى القيـادة فـي فلسطين كان يحتلها الشباب وعلى رأسهم المجاهد عبد القادر الحسيني الذي قُتِلَ في ساحة المعركة.

وفي مكاتب الهيئة العربيـة العليـا سـواء فـي مصـر أو في فلسطين كان الشباب الفلسطيني المخلص يحتل العديد من المراكز الهامة والمؤثرة.

لا شك أن تلك الشبهات الظالمة كانت ترمي إلـى إثـارة الفتنة والشقاق والبلبلة في صفوف الشعب الفلسطيني ولشغل الفلسطينيين عن قضيتهم الأساسية ومـا يحـيط بهـا مـن مؤامرات لا تخدم إلا مصلحة اليهود.

رأي أخير

عجاج نويهض، الشخصية الفلسطينية المعروفة، عمِلَ مع مفتـي فلسـطين الأكبـر الحـاج أمـين الحسـيني مـدة ١٢ عاما ورافقه في أكثر أسفاره ومؤتمراته وخاصة المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمـة سـنة ١٩٢٦، وشـاهد مجالسه الخاصة والعامة الرسمية وغير الرسمية فكان يـراه وهو يعمل في جوانب القضية الوطنية.

في كل الأحوال لم أسمع منه كلمة نابيـة، لـم يستسـلم للغضب وكان يرحب بالضيف كأنه في بيته ولكن اعتصـامه بالحق شيء عجيب سواء كان حقه أو حق غيره.

كنت أترجم له الأحاديث التي تدور بينه وبين الإنجليز من رسمية أو زوار فكنت ألاحظ إجلالهم لأدبه دون النظر إلـى القضية المتعلق بها البحث، وكانت حججه وبراهينه مفحمة.

قاد الحاج أمين الشعب الفلسطيني في مرحلـة تاريخيـة دقيقة، وتقدم سيرته فصلاً هاما في النضال الفلسطيني وتوفي رحمه الله عام ١٩٧٤.

قصة لها تاريخ

نسبة كبيرة من أبناء الجيل الحالي من عـرب فلسـطين يجهلون الكثير من تـاريخ بلادهـم السياسـي وخصوصـا الشخصيات الفلسطينية الهامة التي فرضت نفسها وأسـهمت في كتابة هذا التاريخ، ومن هؤلاء شخصية الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر، ورئيس المجلـس الإسـلامي الأعلى لفلسطين الذي التف حوله شعب فلسطين لمدة تزيـد عن ربع قرن، وكان المركز الذي تلتقي عنـده قلـوب كـل الفلسطينيين وتهتف باسمه وتتظاهر تأييدا لـه فـي دفاعـه المستبسل عن قضية أمته الفلسطينية.

إن المواقف الصلبة التي وقفها الحاج أمين الحسيني ومن حوله رجال أشداء نـذروا أنفسـهم للـدفاع عـن الحقـوق المشروعة للشعب الفلسـطيني أمـام شراسـة الاسـتعمار البريطاني، وضراوة الصهيونية العالمية.

يجب أن يبقى تاريخ فلسطين حيا في ذاكرة الجيل الحالي من أبناء فلسطين يذكرونه بإيجابياته وسـلبياته يستخلصـون

منه ما يدفعهم إلى مواصلة الكفاح مهما طال الزمن؛ حتـى تعود الأرض المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين.

وقد اخترت قصة خروج المفتي الحاج أمين الحسيني من مدينة القدس خفية في صيف عام ١٩٣٧ حتى وصوله إلـى مدينة القاهرة ١٩٤٦، وهي قصة تشبه سيناريو فيلم سينمائي عامر بالأحداث والمفاجآت، وتصف الظروف الصعبة التـي مرّ بها المفتي من خلال هذه الرحلة.

سأحاول متابعة الأحداث من خلال ما وعته الذاكرة رغم انقضاء عشرات السنين، وربما جرأة الأحـداث وغرابتهـا ساعدت على انطباعها في مخيلتي حتى الآن.

ومع السير بأحداث الثورة الفلسطينية الكبرى مـن سـنة ١٣٣٦ إلى سنة ١٣٣٩ كان المفتي زعيم تلك الثورة يقيم في بيت بجوار الحرم القدسي الشريف في البلدة القديمة بمدينـة القدس، ولما أحس مع بداية صيف سـنة ١٩٣٧ أن العيـون البريطانية بدأت ترصد تحركاته وتضيق الخناق عليه محاولة منها لإلقاء القبض عليه ونفيه إلى خارج فلسطين.

تأكد المفتي من تلك التحركات وبدأ يعدُّ العـدَّة لمحاولـة الخروج من مدينة القدس والأرض الفلسطينية ويرتـب مـع بعض الرفاق والأعوان المخلصين تفاصيل تلك المحاولة.

وفي ليلة حالكة الظلام تسلل من فوق سور القدس القريب من منزله متدليا في حبل وبعيـدا عـن منـاطق المراقبـة البريطانية وانطلق في سيارة كانت تنتظره إلى مدينـة يافـا الساحلية حيث أُعِدَّت الترتيبات لخروجه عن طريق البحر.

وفي يافا وصل المفتي إلى بيـت السياسـي الفلسـطيني "يوسف ضيا الدجاني" الذي كان ينتظره ومعـه أحـد كبـار بحارة يافا "نمر أبو شليح"، وسـاروا مشـيا علـى الأقـدام متوجهين إلى أحد البيوت الواقعة على شاطئ بحر العجمـي مباشرة " منزل الشيخ زكي الدجاني " والخطة أن يستقل من هناك لنشًا بخاريا يملكه البحار المذكور - لوحظ أمام المكان المحدد للانطلاق وجود دورية بحرية تابعة لحكومة فلسطين البريطانية؛ فتم تعديل الخطة بأن يكون السـفر فـي قـارب شراعي صغير يقوده أحد البحارة واسمه " اللواح " رغم مـا يكتنف ذلك من مخاطر لطول المسافة التي سـوف يقطعهـا القارب، وتزود المفتـي ورفيقـه بـبعض الطعـام والمـاء

والأغطية وسار القارب متوغلاً داخل البحر ليبتعـد مسـافة كبيرة عن الشاطئ، وعند وصـول القـارب إلـى منطقـة الطنطورة جنوبي مدينة حيفا جنح إلى الشاطئ ولجأ المفتـي وزميله إلى إحدى المغارات القريبة؛ للحصول على قسط من الراحة والنوم، وكانت إحدى الـدوريات الفلسـطينية التـي تجوب المنطقة تتعقب المهربين العاديين، لاحظـت وجـود القارب واتجه قائد الدورية الفلسطيني نحو المغارة فتظـاهر المفتي بالنوم، وأقنع البحار الشرطي الفلسطيني بأن زميلـه مريض ويحتاج إلى بعض الراحة وأنهم في طـريقهم إلـى مدينة يافا أي بعكس الاتجاه الصحيح.

استأنف القارب سيره شـمالاً مسـتعينًا بالشـراع تـارة أو بالمجداف تارة أخرى وأوغل الإبحـار داخـل البحـر؛ ليتفادى ميناء حيفا حتى وصـل إلـى منطقـة تقـع بـين رأس الناقورة ومدينة صور اللبنانية، وهناك كانت تنتظـره سيارة حسب الخطة المقررةن وفي طريقه إلى بيروت توقفت السيارة أمام مخفر فرنسي وهناك عرِفَت شخصـية المفتـي وتم الاتصال بالمفوض الفرنسي في بيـروت الـذي سـمح بمواصلة السيارة رحلتها حتى دخلت مدينة بيروت.

ولم يكن موقف السلطة الفرنسية عدائيا وسـمِحَ للمفتـي بالإقامة في قرية الزوق القريبة من بيروت، واستمرت إقامته في لبنان حوالي سنتين، بدأت غيوم الحرب تتلبد في أوربـا، وحدث تقارب بين فرنسا وبريطانيا، وخشي المفتي أن يؤدي هذا التقارب أن تعمد فرنسا إلـى تسـليمه إلـى السـلطات البريطانية في فلسطين؛ فغادر لبنان في أكتوبر سـنة ١٩٣٩ (تشرين أول) متوجها إلى سوريا وبدون الدخول إلى دمشـق واصل رحلته عبر الصحراء الشامية إلى العراق.

وبعد إقامة دامت حوالي سنة ونصف في بغـداد حـدثت ثورة العراق منذ سنة ١٩٤٠، ضد النظام الملكـي المـوالي للإنجليز، وتمكن الإنجليز بمساندة الفيلق الأردنـي العربـي الذي يقوده " جلوب باشا " الإنجليزي مـن إخمـاد الثـورة، وإعادة النظام الملكي إلى بغداد.

ويستمر العرض المثير لهذه المغامرة، واضطر المفتـي وعدد من أحرار العرب من عراقيين سوريين وفلسـطينيين إلى مغادرة الأرض العراقية والالتجاء إلى إيران، لم يسـتقر المقام بهم في إيران؛ لأن القوات البريطانيـة قامـت بغـزو

جنوبي إيران في محاولة للاتصال بالقوات الروسية ومـدها بالمساعدات والمعدات الحربية الواردة من أمريكا.

وفي إيران أعلن المرشال " ويفل " القائد العـام للقـوات البريطانية في منطقة الشرق الأوسط عـن جـائزة قـدرها ٢٥ ألف جنيه ذهبي لمن يقـبض علـى المفتـي أو يـدلي بمعلومات تؤدي إلى إلقاء القبض عليه.

حاول المفتي ورفاقه السفر إلى أفغانستان ولكن وعـورة الطريق، وبعد المسافة، وضيق الوقت اضطره إلى الاتجـاه غربا نحو الحدود التركية، ومن تركيا سافر إلى أوربا مـع عدد من المجاهدين العرب حتى وصل ألمانيا وهناك اسـتقر به المقام طيلة فترة الحرب العالمية الثانيـة، ولمـا اشـتدت الغارات الجوية فوق المدن الألمانية سافر المفتي إلى سويسرا التي رفضت منحه حق اللجوء السياسـي نتيجـة الضـغوط البريطانية والأمريكية؛ فقرر اللجوء إلى فرنسا ودخلها عـن طريق البر، وكانت العلاقـات قـد تـوترت بـين فرنسـا وبريطانيا؛ بسبب الموقف البريطاني من الاحتلال الفرنسـي لسـوريا، اعتقلتـه السـلطات الفرنسـية لبضـعة شـهور ثم أطلقت سراحه ليبقى تحت المراقبة الجبريـة، واسـتطاع

المفتي بمساعدة وزير سوريا المفوَّض عـدنان الآتاسـي أن يحصل على جواز سفر المناضل السوري معروف الدواليبي وهو يشبه المفتي بلون البشرة والطول، وتم تغيير الصـورة ووضع صورة المفتي وختمها من المفوضية السورية؛ وهكذا استطاع أن يغادر فرنسا متخفيا ليصل إلى مصر في نهايـة المطاف سنة ١٩٤٦.

وقد احتجت الحكومة البريطانية لقبول المفتـي كلاجـئ سياسي، وطلبت منعه من القيام بأي نشاط سياسـي ولكـن الحكومة المصرية لم تستجب لهذا الطلب، واستقر المفتي في فيلا صغيرة بناحية حلمية الزيتـون وهـي مـن ضـواحي القاهرة؛ وبهذا انتهت تلك الرحلة المثيرة بأحداثها ومفاجآتها.

حكومة عموم فلسطين

لا يخلو تاريخ القضية الفلسطينية من أحداث تبدو وكأنهـا غير هامة تظهر وتخبو بسرعة حتى إن المتتبع لتاريخ قضية فلسطين من مؤرخين وقراء لم يعرها ما تستحقه من دراسـة وما لآثارها من نتائج تركت بصماتها وأثرت فـي مسـيرة القضية.

ومن تلك الأحداث- التي ظهرت في ظروف صعبة مرَت بها القضية الفلسطينية بعد الهزيمة التي أصـابت الجيـوش العربية سنة ١٩٤٨ والتي دخلت فلسطين بقصد تحريرهـا- إنشاء حكومة عموم فلسطين ثم سقوطها واختفائهـا بسـرعة مذهلة.

كان ما تبقى من أرض فلسطين بعد هزيمة ١٩٤٨ قطاع غزَة وقد احتله المصريون، والضفة الغربية واحتلها الجـيش الأردني، وقطعة صغيرة من أرض الحمة في شمال فلسطين بقيت في حوزة الجيش السوري.

بعد تلك الصدمة العنيفة التي أصابت الشعب الفلسـطيني بصفة خاصة والشعوب العربية بصفة عامة حـاول مفتـي

فلسطين الحاج " أمين الحسيني " ورئيس الهيئة العربية العليا من مقره بالقاهرة إبقاء الرمز الفلسطيني في المناطق التي لم يصلها الاحتلال الإسرائيلي.

طرحت الهيئة العربية العليا في (أيلـول) سـبتمبر سـنة ١٩٤٨ موضوع إنشاء حكومة عموم فلسطين، ووافقت اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية على هـذا الاقتـراح ولكن اعتراض الأردن بزعامة الملك عبد الله أوقـف تنفيـذ الفكرة، لم تيأس الهيئة العربية العليا لفلسطين وقررت اعتماد نفسها ممثلة للشعب الفلسطيني، وأعلنت من جانـب واحـد حكومة للبلاد يرأسها أحمد حلمي باشا وتألفت من:

أحمد حلمي باشا	رئيس الحكومة
جمال الحسيني	مسئول الشئون الخارجية
أمين عقل	وزير الزراعة
يوسف صهيون	وزير الرعاية.
ميشيل إبكاريوس	وزير العدل
عوني عبد الهادي	وزير الداخلية
الدكتور الخالدي حسين فخري	وزير الصحة والمعارف

رجائي الحسيني وزير الداخلية والدفاع

ودعت تلك الحكومة إلى عقد مؤتمر وطني يعقد في مدينة غزَّة على أن تتضمن الدعوة الشخصيات التالية:

أعضاء الهيئة العربية العليا - أعضاء وزارة حكومة عموم فلسطين - رؤساء البلديات والمجالس المحلية - أعضاء الوفود الذين أُرسِلُوا في مهام سياسية واجتماعية خارج فلسطين - أعضاء اللجان القومية - رؤساء الأديان والطوائف في فلسطين - رؤساء العشائر البدوية - بعض الشخصيات ذات المركز الاجتماعي والعلمي في فلسطين، وتعهد حلمي باشا رئيس الحكومة بتحمل مصاريف حضور المقربين إليه، وتعهدت الهيئة العربية العليا بالحصول على التأشيرات اللازمة للأعضاء المشاركين بالمؤتمر، ودفع مصاريف انتقالهم سواء عن طريق الداخل أو عن طريق مصر، وقد طُبِعت بطاقات الدعوة وخُتِمت بختم حكومة عموم فلسطين، ووقعها حلمي باشا رئيس الحكومة، وتقرر عقد المؤتمر في غزَّة، وتم انعقاده في ٣٠/ ٩/ ١٩٤٨ بحضور سبعة وتسعين مندوبا من الفئات المذكورة أعلاه.

أصدر المؤتمر وثيقة بإعلان استقلال فلسـطين بكاملهـا بجانب مقررات أخرى، لم يكن لمقررات مؤتمرغزة نتـائج عملية؛ لأن الحكومـة المصـرية- ممثلـة بالحـاكم العـام العسكري لقطاع غزَّة- رفضت أن تمـنح حكومـة عمـوم فلسطين السيادة لممارسة مهامها في قطاع غزة وعلى العكس من ذلك تم استدعاء المفتي الحاج أمين الحسيني، وإعادته إلى القاهرة بطريقة غير ودية، ومِنِعَ مـن ممارسـة أي نشـاط سياسي؛ وبهذا انتهى دور الحاج أمين الحسيني كقائد للشعب الفلسطيني، وانتقل من القاهرة ليقيم في لبنان حتى توفـاه الله هناك.

بقي من تبقى من أعضاء الحكومة في غزَّة ولكن نشاطهم بقي مشلولاً، وأوقفت الحكومة المصرية أي نشاط لحكومـة عموم فلسطين وبصفة نهائية في قطاع غزَّة، وكذلك أوقفـت جامعة الدول العربية دعوتها لحلمي باشا لتمثيل فلسطين في مجلس الجامعة؛ وتم كل ذلـك لإرضـاء حكومـة الأردن، وبضغوط أمريكية وبريطانية.

انتقلت حكومة عموم فلسطين إلى القاهرة حيث أصـدرت جوازات سفر باسم حكومة عموم فلسطين، وحصـل عليهـا

بعض المقيمين في مصر وغزَة ولكن أحدا لم يعترف بها لا من الدول العربية أو غيرها من دول أخرى.

وكانت أثناء ذلك قد أصدرت جامعة الدول العربية بناء على توصيات من مجلس الجامعة وثائق سفر اللاجئين الفلسطينيين، وأُعتُرِفَ بها رسميا، وطُلِبَ من الدول العربية إصدارها وتوزيعها على الفلسطينيين المقيمين بها، ولم يتم التعامل بها إلا في مصر وسوريا ولبنان.

ورغم الاعتراف الرسمي بهذه الوثيقة فإن الدول العربية عرقلت كل تحرك لمن يحملها.

وهكذا كانت حكومة عموم فلسطين آخر التجارب التي اختتمت بها القيادة التقليدية للشعب الفلسطيني حياتها السياسية.

وتحوَلت القضية الفلسطينية من قضية شعب له حقوق تاريخية وقومية بعد اغتصاب وطنه إلى قضية لاجئين وهو ما كنت تسعى إليه إسرائيل والدول الغربية وعلى رأسها أمريكا؛ بقصد طمس الهوية الفلسطينية، وتحويل الشعب الفلسطيني إلى شراذم مشتتة في البلاد العربية وغيرها من أقطار العالم، وأخذت إجراءات إحكام الرقابة على الفلسطينيين في البلد الذي يقيمون فيه تشتد حتى إن أهل غزَة كان عليهم الحصول على تأشيرة عودة قبل السماح لهم بدخول غزَة وهي وطنهم.

واقتضى إعادة الهوية للشعب الفلسطيني سنوات طويلة ومضايقات وعذابات حتى ظهرت منظمة التحرير الفلسطينية سنة ١٩٦٤، وكانت تضم حركة فتح، والاتحاد العام للطلاب العرب الفلسطينيين، وحركة الأرض، والاتحاد القومي العربي.

واقتصر نشاط المنظمة على النواحي السياسية والعسكرية، وبقي الشعب الفلسطيني يعاني المضايقات والعذاب بل زادت العراقيل، وبدأت تضيق فرص العمل أمام الفلسطيني سواء داخل فلسطين أو في الدول العربية، وكان من شأن الحجر على تنقل الفلسطينيين أن جمد إلى حد كبير اتصال التجمعات الفلسطينية، وتفتيت العائلات جغرافيا.

ونحن نتحدث عن انتهاء زعامة الحاج "أمين الحسيني" يجب أن لا ننسى ما لعبته الخلافات العميقة بينه وبين الملك عبد الله، وكيف أثرت على مسيرة الحياة السياسية في فلسطين سواء بالداخل أو بالخارج وكيف أدى التشرذم بين مؤيدي المفتي ومؤيدي الملك عبد الله إلى كثير من المواقف السلبية التي أخذت بقضيتنا الفلسطينية.

منظمات الثورة الفلسطينية
" حركة المقاومة الفلسطينية "

هذه التنظيمات هي التي تشترك فـي اللجنـة المركزيـة المنبثقة عن المجلس الوطني الفلسطيني، ويبلغ عددها إحدى عشرة منظمة وهي:

١- حركة التحرير الفلسطيني.

٢- قوات التحرير الشعبية.

٣- قوات الصاعقة.

٤- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

٥- الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين.

٦- جبهة التحرير العربية.

٧- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين "القيادة العامة".

٨- جبهة النضال الشعبي الفلسطيني.

٩- الهيئة العامة لتحرير فلسطين.

١٠- منظمة فلسطين العربية.

١١- المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين.

وتم اختيار ثلاثة من أهم التنظيمات؛ لنتحدث عن تـاريخ كل تنظيم، وأسباب نشأته، وطريقة نموه ومبادئه الأساسـية، وعلاقته مع التنظيمـات الأخـرى ومـع الـدول العربيـة والأجنبية، وبعض أعماله العسكرية.

١ ـ حركة التحرير الفلسطينية (فتح):

كانت فكرة الحركة تراود مجموعة من الشباب الفلسطيني منذ سنة ١٩٥٤، وبدأت الحركة نشاطها الفعلي وذلك بتنظيم خلايا سرية في عدد من الدول العربية، وكانـت "العاصـفة" هي الجهاز الضارب الذي ينفذ تعليمات الحركة، وفي سـنة ١٩٦٥ صدر الـبلاغ العسـكري الأول لانطـلاق الثـورة الفلسطينية ضـد الكيـان الصـهيوني؛ والتفـت الجمـاهير الفلسطينية حول الحركة إثر هزيمة الجيـوش العربيـة فـي معركـة ١٩٦٧، وقـد شـكلت معركـة الكرامـة فـي ٣١/ ٣/ ١٩٦٧ منعطفًا أساسيا في حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، ومع ازدياد قوة الحركة بدأت السـلطات الأردنيـة محاولة تصفيتها وتطويقها، وكانت حرب الإبادة في أيلـول (سبتمبر ١٩٧٠) انتهت باجتماع طارئ للملـوك والرؤسـاء

العرب، وعقِد اتفاق القاهرة أو اتفاق عمان الـذي أدى إلـى خروج فتح من الأردن حيث اتجهت إلى لبنان.

وقد دخلت منظمة فتح ضمن الجبهة الوطنية مع بعـض التشكيلات الأخرى الفلسطينية، وتم تشـكيل قيـادة الكفـاح المسلح الفلسطيني في ١٨/ ٢/ ١٩٦٩، وكان ذلك بقرار من منظمة التحرير الفلسطينية، وضمت قوات الصاعقة وقـوات التحرير الشعبية، وانضمت الجبهة الشـعبية الديموقراطيـة تحت لواء القيادة العامة وكـذلك جبهـة التحريـر العربيـة ـ منظمة فلسطين العربية ـ جبهة النضال الشعبي، الجبهـة الشعبية لتحرير فلسطين (القيـادة العامـة) وتطـوَر جـيش التحرير بكافة قطاعاته ليضم: قوات عين جالوت ـ قـوات حطين ـ قوات القادسية ـ وأخـذت الخطـوات اللازمـة لضمان رعاية الجرحـى والمصـابين وعـائلات الشـهداء والأسرى والمعتقلين داخل وخارج فلسطين، وكانت بعـض الدول العربية تدعي بأن العمل الثوري الفلسطيني يورطهـا في حرب ليست مستعدة لها، وكان على رأس تلـك الـدول الأردن ولبنان، وكادت أن تقع مجزرة أخرى في لبنان لـولا التظاهرات الكبيرة في المدن اللبنانية، وتدخل بعض الـدول

العربية؛ مما أدى إلى اتفاق القاهرة بـين حركـة المقاومـة الفلسطينية والنظام اللبناني.

وبعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وتحت بريق الحل السياسي، وشعار إزالة آثار العـدوان، وإقـرار المشـروع البريطاني لحل أزمة الشرق الأوسط في مجلس الأمن بقرار رقم ٢٤٢؛ وجدت المقاومة الفلسطينية نفسها مضطرة إلـى رفض الحلول السلمية وقرار مجلس الأمن، واستمرت فـي عملياتها العسكرية، وكان أبرزها كما أشرنا معركة الكرامة، وتبعها عمليات أخرى على طول امتـداد الحـدود العربيـة الإسرائيلية.

٢ ـ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين:

في البداية تكوَّنت من ثلاثة تنظيمات كانت تعمل حـرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ وهي:

١ ـ منظمة أبطال العودة.

٢ ـ جبهة التحرير الفلسطينية.

٣ ـ منظمة شباب الثأر، وكانت تُعرَفُ بالجبهة القوميـة لتحرير فلسطين.

ولكن بعد مرور عام أو أكثر قليلاً دبَ الخلاف بين أطرافها، وانقسمت إلى الجبهة الشعبية القيادة العامة، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وأخذت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موقفًا معارضًا لمنظمة التحرير الفلسطينية، ولم تشارك في أعمال الكفاح المسلح الفلسطيني، وكانت تنادي أن هدفها إزالة الكيان الصهيوني في فلسطين، وأنها ليست ضد اليهودية كدين، وأن اليهود والعرب متساوون في الحقوق والواجبات، وأنها ليست حركة عنصرية ضد اليهود وهدفها إقامة دولة ديموقراطية في فلسطين يعيش فيها العرب واليهود كمواطنين متساوين، وكانت تؤمن بأن الوحدة الوطنية التي تضم كافة قوى الثورة قوامها العمال والفلاحين، وأن تلك القوى هي الكفيلة بالتصدي للمعسكر الصهيوني في فلسطين، وقد اعتمد موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على عدم المشاركة في الكفاح المسلح وكافة مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، اعتمد هذا الموقف على:

١- أن منظمة التحرير بطبيعة تكوينها لا توفر الحد الأدنى من الشروط المطلوبة لصيغة الوحدة الوطنية

ما دامت لم تحول نشاطها ومكاتبها إلـى مخيمـات ومعسكرات اللاجئين وبين قواعد المقاتلين.

٢- أن العلاقة الغامضة بين منظمة التحرير ونظم الحكم العربي التي تحاول دائما احتـواء العمـل الفـدائي الفلسطيني لا تسمح بانطلاق الكفاح المسلح.

٣- عدم وجود تحديد واضـح للعـدو وبأنـه لا يمثـل إسرائيل وحدها فبالإضافة إلى الصهيونية العالميـة وتنظيماتها في شتى أنحـاء العـالم توجـد القـوى الرجعية المرتبطة بالاستعمار.

٤- أن استقلالية العمل الفلسطيني يجب أن يعتمـد فـي مقوماته المادية على الجماهير وليس على الأنظمة، وأن أية مساعدة من الأنظمـة تمثـل قيـدا علـى استراتيجية العمل وحرية الحركة، وتعترض الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأن منظمة التحرير مؤسسة مكتبية أبعد ما تكون عن الإطار الثوري وهي عبارة عن كوادر مـن المـوظفين والسـكرتاريين ذوي المراتب المرتفعة، وأن ٦٠ ٪ من ميزانية المنظمة

تصرف خارج الثورة، وأن اتجاه المنظمة لبناء جيش كلاسيكي هو الطابع الغالب.

وكانت ترى ضرورة إعداد الجماهير الفلسطينية وتخليصها من كل ما يكبلها ويحول دون انطلاقها ضد الصهيونية والإمبريالية العالمية المؤيدة لها.

ومن أهم العمليات التي قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خطف الطائرات، ووضع عبوات ناسفة في عدة مكاتب إسرائيلية في لندن، وهجوم بالقنابل على السفارة الإسرائيلية في بون عاصمة ألمانيا وعلى مكاتب شركة العال في بروكسل وفي لهاي، وقد أدانت منظمة التحرير الفلسطينية عمليات خطف الطائرات وخصوصا عملية عمان سنة ١٩٧٠، وأعلنت تجميد عضوية الجبهة في اللجنة المركزية.

ملاحظة: إن تنظيمات الجبهة الشعبية وأفكارها ومبادئها الأساسية وأسلوبها في معالجة طريقة الكفاح المسلح الفلسطيني يمثل وجهة نظر الجبهة فقط، ولا يعني بالضرورة الموافقة على تلك الأفكار أو الأسلوب.

٣- الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة):

انطلق هـذا التنظـيم منـذ سـنة ١٩٥٩ تحـت اسـم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وانـتهج أسـلوب حـرب العصابات في التصدي للكيان الإسرائيلي، وفي سـنة ١٩٦٥ نشأ بين الجبهة و"فتح" نوع من التنسيق على أمل الانـدماج الكامل ولكن برزت بعض الخلافات؛ ممـا أدى إلـى فسـخ العلاقة، وكان للجبهة ثلاث فرق يعمل كل منها فـي قطـاع معين: قطاع جنوب لبنان وتعمل فيه فرقـة عبـد اللطيـف شرور، وقطاع سوريا وشمال الأردن وتعمـل فيـه فرقـة عز الدين القسـام، وقطـاع الضـفة وتعمـل فيـه فرقـة عبد القادر الحسيني.

وقد تم اللقاء بين جبهة التحريـر الفلسـطينية والجبهـة القومية لتحرير فلسطين (منظمة شباب الثأر) وأبطال العودة ضمن إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسـطين فـي أكتـوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٧، ولكن عاد الخلاف سـنة ١٩٦٨ بين شباب الثأر (القوميين العرب) وبين الجبهة؛ مما أدى إلى طرد شباب الثأر من إطار الجبهة الشعبية لتحرير فلسـطين،

ورغم المحاولات المختلفة التي أعقبت حرب يونيـو ١٩٦٧ لإيجاد نوع من وحدة الهـدف فـي تحريـر الأرض بـين المنظمات الفلسطينية المختلفة إلا أن صيغة هـذا التحـالف لم يكْتَب لها النجاح؛ **بسبب انعكاسـات أنمـاط الحكـم فـي المجتمع العربي، وتأثيره على المقاومة الفلسطينية.**

وقـد طرحـت الجبهـة الشـعبية لتحريـر فلسـطين (القيادة العامة) تصوَرها لتشكيل المجلس الوطني الفلسـطيني حسب الأسس التالية:

١- إعطاء الأفضل والأكفأ والأخلص من أبناء الشـعب الفلسطيني الفرصة لممارسة دوره فـي التخطـيط والتشريع والقيادة بشـرط الالتـزام بخـط الكفـاح المسلح.

٢- رفض الجبهة الأخذ بمبدأ الكوتات (أي أن يكون لها تنظيم إقطاعية في التمثيل).

٣- رفض الجبهة الأخذ بمبدأ التمثيل الفلسطيني حسـب التوزيع الجغرافي أو الإقليمي أو الطائفي.

٤- أن يكون لقيادة الكفـاح المسـلح حـق التخطـيط، ومراقبة التنفيذ، والمحاسبة، والتصعيد.

٥- الجبهة الوطنية تفرضها ضرورات المعركة لتحقيق مطالب الثورة.

٦- الجبهة الوطنية يجب أن تقوم على أسـاس الرؤيـة السياسية المشتركة لطبيعة المعركة ومتطلباتها.

وهكذا أصبحت الأيديولوجيات المختلفة لـدى المنظمـات الفلسطينية تسبب أزمة حقيقية في حركة المقاومة، وتـؤخر الوحدة الوطنية، وتمزق وتشـتت ولاء الشـعب الفلسـطيني لقضيته، وبابا لتدخل الكثير من التناقضات العربيـة فيهـا، وأصبح الكل يستطيع أن يدَّعي الثورية، وأنه يسلك الطريـق الصحيح للعمل الثوري.

وبالمقابل نرى أن المنظمات اليهودية والمتطرفين اليهـود كانوا جزءا من النظام الإسرائيلي، ويوظفون نشاطهم لخدمة الأهداف الإسرائيلية، واليمين واليسار يكمل بعضه الـبعض وكلاهما يمثل النظام الذي يطلب المعتـدل وغيـر المعتـدل والوسط والمتطرف بشرط التنسيق بينهم جميعـا لمصـلحة الوطن.

أما ما وقع من خلاف بين المنظمات الفلسطينية؛ فقد أدى إلى إضعافها وتفككها، وإلى ظهور التناقضات والصـراعات المرفوضة في حالة الكفاح الوطني.

تأثير معركة الكرامة
في الكفاح المسلح الفلسطيني

الثورة الفلسطينية ثورة فريدة بخصائصها وظروفها؛ فهي ثورة شعب ليست أرضه واقتصاده هو المطلوب استغلاله وإنما إنهاء وجوده كشعب، ولما انطلق الكفاح المسلح الفلسطيني سنة ١٩٦٥ بدأ بقيام رجال المقاومة الفلسطينية بشكل حرب عصابات يقومون بالهجوم السريع والعودة أي يضربون ويهربون لعدم وجود أماكن ثابتة لهم في الأرض الفلسطينية، ارتأت القيادة العسكرية الفلسطينية ضرورة تطوير حرب العصابات إلى حرب المواجهة وإلى ضرورة وجود قاعدة ثابتة ارتكازية، ورغم تردد بعض قيادات المقاومة من اتخاذ هذا القرار الخطير - أُتخذ القرار وبدأ الفدائيون الفلسطينيون إقامة قاعدة ثابتة لهم على الضفة الشرقية من نهر الأردن.

وبدأت مرحلة جديدة في تطوُّر الكفاح المسلح الفلسطيني وبدأت معالمه تتضح بعد معركة الكرامة وأحداثها يوم ٢٣/ ٣/ ١٩٦٨.

قررت القيادة الإسرائيلية ضرورة تصفية هـذه القاعـدة الثابتة والقضاء نهائيا علـى قـوات المقاومـة الفلسـطينية، وحشدت لتحقيق ذلك فرقة مدرعة (لواءان مدرعان) كتيبـة مظلية ـ لواء مشاة ـ فوج هندسي ـ كتائب مدفعية ميـدان تعززها الطائرات المقاتلة وطائرات الهليكوبتر، وكانت قـوة الفدائيين حوالي ٥٠٠ مقاتل متمركزة في منطقة الكرامة.

بدأ الهجوم الإسرائيلي على قرية الكرامة وما حولها مـن قواعد للفدائيين ولكنها جوبهت بمقاومـة عنيفـة مـن قِبـل المقاتلين الفلسطينيين وبعض فصائل الجيش الأردنـي؛ ممـا أدى إلى عرقلة الهجوم وتكبيد القوات الإسـرائيلية خسـائر بلغت ٢٦ قتيلاً و ٩١ جريحا مقابل ١١٦ شهيدا من الفدائيين الفلسطينيين، و ٦١ شهيدا من الجيش الأردنـي، وقبـل أن يحين عصر يـوم ٢١/ ٣/ ١٩٦٨ أيقنـت قيـادة الهجـوم الإسرائيلي أن العملية فشلت في تحقيق أهدافها، وأن قواتهـا لم تعد تستطع متابعة التقدُّم إلا بتقديم ضحايا كثيرة؛ فقـررت الانسحاب الذي تم تحت القصف الجوي المتواصـل وقنابـل المدفعية المختلفة وعدة طـائرات كبيـرة، وقـد اعتبـرت المصـادر الإسـرائيلية أن خسـائرها كانـت ٢٠ قتـيلاً

و ٣مفقودين و ٩٠ جريحا و ٦ دبابات وعربتين مصفحتين وطائرة واحدة.

ونجح الهجوم الإسرائيلي في نقل قواعد الفدائيين إلى الخلف داخل المدن ومخيمات اللاجئين في الضفة الشرقية للأردن؛ وأدى ذلك إلى انتشار العمل التنظيمي والتدريبي، وحظى العمل الفدائي بعد معركة الكرامة على التأييد بانضمام آلاف من أبناء الشعب الفلسطيني والعربي إلى صفوف الفدائيين، وزادت هيبة الثورة الفلسطينية، واخترق الكفاح المسلح الجدار الإعلامي المعادي، وأصبح للثورة سمعتها الواسعة في أرجاء العالم العربي ومناطق مختلفة من العالم، وزادت المساعدات المادية والمعنوية، وتحسنت كثيرا حرية العمل والحركة داخل البلاد العربية وخصوصا الأردن.

تعتبر معركة الكرامة من وجهة النظر العسكرية منعطفًا هاما في مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني؛ حيث تجاوزت الثورة حرب العصابات الصغيرة إلى المجابهة المباشرة، وبعدها أخذت الثورة تطور من نوعية السلاح الذي تستخدمه،

وبدأت تتعرف على استخدام الألغام والمتفجرات والأسـلحة المضادة للدبابات.

وأظهرت معركة الكرامة تلاحما بـين فصـائل الجـيش الأردني وقوات المقاومة الفلسطينية المسلحة؛ وكانت نتيجـة المعركة إشارة مضيئة إلى قدرة قوة عربية نظامية وشـعبية في الوقوف أمام القوات الإسرائيلية، وكان أثرهـا المعنـوي يفوق كثيرا أثرها العسكري رغم أهميته.

أما لماذا أخفق الإسرائيليون في تحقيق أهدافهم في معركة الكرامة؟ يعود بلا شك لشجاعة الإنسان الفلسـطيني، وكمـا أشارت المصادر العسكرية الأردنية فقد وجِدَت جثث الشهداء الفلسطينيين جميعها مصابة من الأمام.

ولم تنكر الثورة الفلسطينية الدور الذي قـام بـه ضـباط وجنود الفرقة الثانية الأردنية، كما لعبت المدفعيـة الأردنيـة دورا كبيرا في إعاقة الانسحاب الإسرائيلي، وفـي ارتفـاع خسائره.

وقد واجهت قوات الاحتلال الإسـرائيلي هـذه الوقـائع الجديدة بتشديد قبضتها على مكان المناطق المحتلة بالإبعـاد، والنفي، والاعتقال، ونسف البيوت، وتهجير السكان، وإقامـة

الأسلاك الشائكة، والحواجز، والأسلاك المكهربة، وأجهـزة الإنذار الإلكترونية.

لقد أثبتت معركة الكرامة أن قوة العدو المتفوقة والمعززة بالتكنولوجيا وأعتى أنواع السلاح الأمريكي يمكن أن تحقـق نصرا في حالة واحدة وهي عندما تنهزم إرادتنا ونفقد ثقتنـا بنفسنا وبقدراتنا، وأيضا حين نسلم قدراتنا للآخرين.

الحروب الثلاثة

١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢

هذه الحروب الثلاثة التي خاضها المقاتل الفلسطيني ضـد العدو الإسرائيلي تمثل صورة مضيئة مـن صـور الكفـاح الفلسطيني صنعها المقاتل الفلسطيني ببسالته وعقيدته الثابتـة وقتاله العظيم أمام عدو شرس كان يسـعى دائمـا للقضـاء سياسيا وعسكريا على المقاومة الفلسطينية وتغيير نظام الحكم في لبنان.

لقــد أثبتــت حــروب ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢ أن الإنسان الصامد المـؤمن بعقيدتـه يسـتطيع أن يحقـق المعجزات، ويشكل العامل الحاسم في المعركة؛ وهذا ما أثبته المقاتل الفلسطيني.

حرب الأيام الأربعة في لبنان سنة ١٩٧٢
بين الفلسطينيين والقوات الإسرائيلية

في ٢٥/ ٢/ ١٩٧٢ قامت إسرائيل بحملة عسكرية خاطفة استهدفت قواعد الفلسطينيين في جنوب لبنان؛ بقصد القضاء على القوة العسكرية الفلسطينية، وتدمير قواعد الفدائيين، واستخدم الإسرائيليون في هذا الهجوم الواسع فرق الكوماندوز، وسلاح الدبابات، وطائرات الهليكوبتر، والطائرات القاذفة من طراز سكاي هوك، وميراج، وفانتوم، وكان أعنف هجوم تشنه القوات الإسرائيلية على قواعد الفدائيين الفلسطينيين بعد حرب حزيران يونيه سنة ١٩٦٧.

دام الهجوم مائة ساعة متواصلة، وشمل عدة محاور في الجنوب اللبناني، وكان من أهم أهدافه بالإضافة إلى تدمير قواعد الفلسطينيين في جنوب لبنان الضغط على الحكومة اللبنانية لتصفية العمل الفلسطيني بالكامل في الجنوب، وإلغاء الاتفاق الفلسطيني اللبناني الذي تم توقيعه بين العماد البستاني قائد الجيش اللبناني وبين القيادة الفلسطينية في لبنان.

ومن الأهداف الإسرائيلية أيضا إرهاب الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وقطع الطريق أمام الاتحاد السـوفيتي ومنعه من تقوية الموقف الفلسطيني ومسـاعدتهم عسـكريا بتقديم الأسلحة والمعدات.

وفي صباح يوم الهجوم وجهت إسـرائيل إنـذارا إلـى السلطات اللبنانية عبر لجنة الهدنة المشتركة بأنها مضـطرة لضرب بعض القـرى اللبنانيـة وأي مكـان يتواجـد فيـه الإرهابيون الفلسطينيون على حد قولها، وكـان رد الـرئيس سليمان فرنجية رئيس الجمهورية اللبنانية في مؤتمر صحفي عقده: " هل يعتقد العدو أن لبنان سـيتراجع أمـام تهديداتـه ويقاوم نشاط الفدائيين الفلسطينيين؟ ".

بدأت الحرب بهجوم كاسح للقوات الإسرائيلية وبصـمود هائل للثوار الفلسطينيين، وكما تكبد ثوارنا العديد من الخسائر في الأرواح فقد كانت الخسـائر الإسـرائيلية فـي الأرواح والمعدات مما لم تتوقعه القيادة الإسرائيلية، وأخفـت القيـادة الإسرائيلية أسماء العديد من القتلى التـي كشـف بعضـها صحفي إسرائيلي تتبـع أسـماء المتـوفين فـي الصـحف

الإسرائيلية حيث اكتشف أسماء القتلى الذين لاقوا حتفهم فـي الجنوب اللبناني.

وجاء صمود الثوار الفلسطينيين على الآمال الإسـرائيلية في تحقيق الأهداف التي حددتها لهذه المعركة.

وثبت في هذه المعركة أن الإنسان هو العنصر الحاسم في تقرير مصير المعركة، وقد قدَم الإنسان الفلسـطيني نمـاذج بطولية رائعة في معركة المائة ساعة.

حرب ١٩٧٨

في سلسلة الصدامات المسلحة بـين الثـورة الفلسـطينية والقوات الإسرائيلية في جنوب لبنان تُعتَبـرُ حـرب ١٩٧٨ مرحلة جديدة على المستوى السياسي، كمـا كانـت تجربـة متقدمة على مستوى العمل الفلسطيني المسلح.

ويلاحظ بعد حرب ١٩٧٨ أن جبهة جنوب لبنان وبالرغم من وجود قوات الطوارئ الدولية قد أصبحت في حالة حرب دائمة ومستمرة.

كان مؤتمر الرياض الذي انعقد في (تشـرين الأول) ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٦ ومؤتمر القاهرة الذي انعقد في (تشـرين الأول) ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٧٦ الذين قد أعلنا نهاية الصـدام المسلح السوري الفلسطيني في لبنان، وعودة الوئام السياسي بين الجانبين، وتثبيت الوجود السوري في لبنان باسم قـوات الردع العربية، وتثبيت اتفاقية القاهرة بين لبنان وفلسطين.

وما إن بدأ تنفيذ هذين الاتفاقين حتـى أخـذت إسـرائيل تتحرك لمحاولة الإجهاض، وبدأت القوات اللبنانيـة العميلـة التابعة لها تتحرك؛ هنا تنبهت القيادة الفلسـطينية وانـدفعت

بقواتها بسرعة نحو الجنوب اللبناني للوقوف أمام هذا التحرك العميل، ولم يبدأ عام ١٩٧٧ حتى كانت القوات الفلسـطينية واللبنانية المشتركة قد تمركزت في أكثر مواقـع الجنـوب، وانحصرت قوات " سعد حداد " قائد القـوات العميلـة فـي جبهتين منفصلتين؛ وهذا الوضع الجديد كان السبب المباشـر لتحرك إسرائيل لمنع تدهور عملائه هناك.

ما كان يوم ١٤ مارس ١٩٧٨ يهل حتـى بـدأ الهجـوم الإسرائيلي مستهدفًا:

أولاً: إنزال هزيمة سياسـية ومعنويـة بمنظمـة التحريـر الفلسطينية وبالقوات المشتركة معها.

ثانيا: تدمير تلك القوات دون تعريض قواتها لخسائر بشـرية كبيرة.

ثالثًا: زيادة مساحة الأراضي المحتلة، والوصول إلى مصادر المياه.

أعلنت إسرائيل أن حملتها في الجنوب اللبنـاني سـوف تستغرق بين ٢٤ ـ ٤٨ ساعة وتكون قد وصلت إلى نهـر الليطاني، ولكن المقاومة الشديدة جعلت الحرب تستمر ثمانية أيام، وكانت القوات الفلسطينية واللبنانية المشتركة معها نـدا

للقوات الإسرائيلية، ولم تتمكن قوات إسرائيل من الاسـتيلاء على مدينة صور؛ مما اضطرها في النهاية إلى الانسـحاب ولم تحقق إلا إضافة مساحة بسيطة لعميلها " سعد حداد ".

لم يستطع العدو الإسرائيلي اسـتغلال عنصـر المفاجـأة والتحرك المباغت رغم تغيير تكتيكاته المعتادة؛ فبدأ هجومه لأول مرة في الظلام الدامس، واستخدم فرق المشاة الراجلـة بدلاً من الدبابات، وأبقى آلياته بعيدة نسبيا، وحاول اسـتخدام تكتيك التطويق والاختراق من الخلف، ولا شـك أن قصـف الطيران والمدفعية وتحرك المشاة كان يـتم بدقـة عاليـة، وفي اليوم الثالث بدأ العدو الإسرائيلي يغير تكتيكه، ويعطـي دورا أكبر للطيران والدبابات؛ بسبب الخسائر الكبيرة التـي لحقت به في اليومين الأول والثاني.

في الأيام الخامس والسادس والسابع غير العـدو تكتيكـه للمرة الثالثة، وقَبِلَ تحمل الخسائر الكبيرة في سبيل التقـدُم، والوصول إلى الليطاني ومدينة صور.

وكان عدد الفلسطينيين حسب التقدير الإسـرائيلي سـبعة آلاف مقاتل، وقواته التي شاركت في الهجوم ٣٥ ألفًـا دون

حساب فارق التسليح وقـوة النيـران والآليـات والطيـران والتدريب.

كان قرار القيادة الفلسطينية التصدي للهجوم بكـل قـوة وعزم، وسـرعة التنقـل والانتشـار، وقـد زوَّدت قواتهـا بتجهيزات تكفيها عدة أيام سواء من الـذخيرة أو التمـوين، وكان حماس المقاتل الفلسـطيني وانضـباطه فـي الهجـوم والانسحاب وإعادة الهجوم فـي غايـة التنظـيم، واسـتخدم الفلسطينيون أسلوب القتال في الخنادق والشـوارع وداخـل البيوت، واستخدموا حرب العصابات في بعـض المواقـع، وأثبت السلاح الخفيف من الرشاشات والهاون أنه من أفضل ما يمكن أن تتسلح به المجموعات المتنقلة بسرعة ومرونـة وقد أحدثت ارتباكًا في القوات الإسرائيلية.

فـي هـذه المعركـة أثبـت المقاتـل الفلسـطيني أنـه لو توافرت لديه الإمكانيات ولم ترهقه الضـغوط الخارجيـة يستطيع أن يكبد العدو الإسرائيلي الخسائر الفادحة، ويرغمه على التخلي عن تحقيق أهدافه.

حرب سنة ١٩٨٢

تتميز حرب ١٩٨٢ بين إسرائيل وقوات الثورة الفلسطينية أنها أطول الحروب التي خاضـتها إسـرائيل ضـد الـدول العربية، وأكثرها تأثيرا في الكفاح المسلح الفلسطيني، وكانت تلك الحرب ساحة المواجهة المباشرة بين القوات الفلسـطينية المسلحة وبين القوات الإسرائيلية البرية والجوية والبحريـة، وقد اشترك بجانب القوات الفلسطينية بعض القوات السورية، وقوات المقاومة اللبنانية.

اعتقدت إسرائيل - وقد قذفت في هذه المعركـة بـأكثر قواتها المسلحة - أنها سوف تكرر ما حـدث سـنة ١٩٤٨؛ حيث تمكنت من طرد نصف الشعب الفلسطيني من أرضـه، وتحاول في هذه الحرب الجديدة طرد الفلسطينيين من لبنـان والقضاء عليهم من جوارها الشمالي، وإبادة حركته الوطنية؛ ومما شجع إسرائيل على خوض هذه الحـرب أن الضـوء الأخضر بات يضيء أمامها.

١- خروج مصر من دائرة الصراع العربي الإسرائيلي.

٢- غياب الجبهة العربية المتماسكة.

٣- انشغال العراق بحربها ضد إيران، وخوف الدول الخليجية من نتائج تلك الحرب.

٤- وأخيرا اتساع الهوة التكنولوجية والعلمية بين إسرائيل والدول العربية.

وقدَرت إسرائيل أن القضاء النهائي على المقاومة الفلسطينية في لبنان سيسهل عليها تصفية القضية الفلسطينية في داخل فلسطين المحتلة بعد زوال نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية.

وكان التقدير العسكري الإسرائيلي بأن المعركة ستكون قاطعة، وأن الحل العسكري سوف يقود إلى الحل النهائي للقضية الفلسطينية.

وقد وصِفَت هذه الحرب بأنها حققت نصرا عسكريا لإسرائيل ولكنها كانت أكثر الحروب العربية الإسرائيلية كُلْفَة في الخسائر البشرية والممتلكات، وأن النصر العسكري الذي نجح في ضرب قواعد الفدائيين، وفي إخراج قيادات المنظمة وأكثر قواتها من بيروت إلا أنه لم ينجح في إبادة البنية والقوات الأساسية للمنظمة، وفشل في فرض نوع من التسوية مع القوات السورية؛ فهي لم تخرج من لبنان، وفشل كذلك

في إخضاع لبنان لطائفة معينة ـ المارونيون ـ وأخيرًا فشل في عقد صلح منفرد مع لبنان؛ ولذلك يمكن القول إن إسرائيل هزمت استراتيجيا في معركة ١٩٨٢.

سير المعركة:

وجدت إسرائيل نفسـها تقاتـل فـي البيـوت والأحيـاء والشوارع، ولم تعد الحرب الخاطفة متيسرة، وقـد وصـفت الصحف الإسرائيلية معركة ١٩٨٢ بأنها " فيتنـام إسـرائيل اللبنانية "، ومن المواقف العسكرية الهامـة التـي صـاحبت معركة ٨٢ معركة الدامور ومعركة خلدة؛ حيث تـم تـدمير معظم الدبابات الإسرائيلية المهاجمة، ومعركة الأوزاعي التي تم فيها إفشال الإنزال البحري الإسرائيلي.

وفي معركة مطار بيروت اضطرت القوات الإسـرائيلية إلى عدة محاولات حتى تمكنت من احتلاله بعد دفع خسـائر بشرية كبيرة.

وهكذا بالرغم من نسبة التفوق الإسرائيلي في الأفراد بين ١٠٠ ـ ١٢٠ ألفًا مقاتل مقابل ١٢ ألفًا من القوات الفلسطينية تدعمها بعض فرق الجـيش السـوري والقـوات اللبنانيـة،

واشترك في المعركـة حسـب مصـادر وزارة الخارجيـة الأمريكية معظم التشكيلات الجوية، ومعظم القوات البحريـة بالإضافة إلى ١٦٠٠ دبابة، و ١٦٠٠ حاملة جنـود، و٦٠٠ مدفع وراجمة صواريخ.

ولأول مرة تلجأ إسرائيل إلى إقامـة الحفـر والسـواتر الترابية وبث الألغام بعد أن كلفها الهجوم ثمنًا باهظًا في كافة اتجاهات المعارك وخصوصا معركة المتحـف فـي قلـب بيروت وهي من أكبر وأطول المعارك؛ وفيها سقط عدد كبير من القتلى من الطرفين، وفي إحدى المنـاطق القريبـة مـن بيروت أُصِيب مقر القيادة الإسرائيلية إصابات مباشرة أفقدته العديد من الأفراد وأكثرهم من الضباط، وفي معركـة قانـا بالجنوب خسر الإسرائيليون عدة دبابات وقُتل في المعركـة نائب رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي " بوكوتيل آدم " ومعـه مجموعة من كبار الضباط.

لا شك أن معركة ١٩٨٢ كانت معركة حرب اسـتنزاف للقوات الإسرائيلية، ولم تنجح استراتيجية الحرب الصـاعقة، وكانت القيادة الإسرائيلية قد قدرت ٧٢ ساعة لإنجـاز تلـك الحرب بعد أن قذفت فيها تلك القوات الهائلة ولكنها طالـت

إلى ٧٩ يوما، ولم تستطع إسرائيل أن تحقق أهدافها المنشودة أو تفرض إرادتها السياسية، وقد أدَت فداحة الخسائر إلى قيام المظاهرات في تل أبيب والقدس، وأفادت السفارة الأمريكيـة في تل أبيب أن عدد المتظاهرين بلغ في إحدى المظـاهرات ٤٠٠ ألف يهودي أي حوالي ١٠ ٪ من سـكان إسـرائيل، وسقطت وزارة بيجين القوية، ونُحي شارون نهائيا عـن أي نشاط عسكري.

لقد تكبد المدنيون الفلسطينيون واللبنانيون خسائر فادحـة؛ بسبب لجوء العدو إلى القصف العشوائي، واستخدام الـذخائر المحرَمة دوليا مثل القذائف الفسفورية والعنقودية والفراغيـة وكلها من إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية، وقُدر عدد القتلى من المدنيين بين ١٢ ـ ١٦ ألـف بالإضـافة إلـى ١٥٠٠ عسكري عدا ضحايا مذبحة صبرا وشاتيلا.

أما الخسائر الإسرائيلية فتقول الإحصاءات الأمريكية إنها بلغت ٥٦٨ قتيلاً، و ٥٣٨٣ جريحا، وتـدمير ١٥٠ دبابـة، و ١٥٠ ناقلة جنود، أما الخسائر في الطائرات فـلا يوجـد إحصاء دقيق؛ لأن بعضها كان يسقط في الأراضي المحتلة.

وقُدر عدد من قتل في الحـوادث والأخطـاء بـأكثر مـن ٥٠ جنديا إسرائيليا.

وجدير بالملاحظة أن وسائل الإعلام العربية وأكثر الذين يكتبون عن الثورة الفلسطينية لا يذكرون من معركة ١٩٨٢ إلا أنها أدت إلى خروج أكثر الفصائل العسكرية الفلسـطينية من لبنان، ويذكرون مذبحة صبرا وشاتيلا فقط.

ولم يتطرقـوا إلـى النتـائج الأخـرى التـي غيـرت - ولو بصفة مؤقتة- النظرة التوسعية الإسـرائيلية لتحقيـق حلم إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات؛ بسبب الخسـائر الكبيرة التي تكبدتها في ضربها للبنان.

وأخذت إسرائيل ـ بدعم كبير مـن الولايـات المتحـدة الأمريكية ـ تمهد لما يسمى بالشـرق أوسـطية، وباسـتبدال الاحتلال العسكري بالاحتلال الاقتصادي والتكنولوجي.

مواقف مشرفة
للمقاتل الفلسطيني في حرب ١٩٧٣

على كافة ميادين القتال سواء على الجبهتين السـورية أو المصرية أو قرب حدود لبنان الجنوبي، وفي بعض مواقـع الحدود الأردنية الإسرائيلية، وداخل الأراضي المحتلـة قـام المقاتل الفلسطيني بأداء دور شجاع ضمن الإطار الذي حـدد له والإمكانيات التي أُتِيح له التحرك من خلالها، وقدم العديد من الشهداء في تلك المعارك.

كانت أكثر القوات الفلسطينية تتمثل في فصـائل نظاميـة مدرَبة وهي: قوات عين جالوت ـ قوات حطـين ـ قـوات القادسية، وكذلك بعض الميليشيات التي انطلقت من جنـوب لبنان، ومن داخل الأراضي الفلسطينية.

الجبهة المصرية:

قبل اندلاع حرب سنة ١٩٧٣ كان في مصر وحدات من جيش التحرير الفلسطيني هي قوات عين جالوت، وقد أُسنِدَت إليها مهام ضمن إطار خطة العمليات المصرية على أسـاس

أنها قوة مشاة خفيفة، وألحقت بالجيش الثالث، انتشرت تلـك القوات على امتداد جبهة ٢٥ كيلومترا بين كبريت وكسفريت جنوبي الدفرسوار، وبقيت تلك القوات في مـؤخرة الجـيش ووحداته الإدارية؛ لتقوم بجبهة الدفاع خلف منطقة العبور.

وقد اشتركت بعض القوات الفلسطينية بعمليـات خلـف خطوط العدو الإسرائيلي لقنص الدبابات أو الإغـارة علـى مرابض المدفعية أو ضرب آليات العدو وقوافله، وتـم دفـع بعض تلك القوات إلى مناطق متقدمة بجبهات اسـتطلاعية، **وقد أمكن تلك القوات التبليغ عن أو التحذير لبداية الاختراق الإسرائيلي في منطقة الدفرسوار يوم ١٦/ ١٠/ ١٩٧٣.**

وقد شاركت القوات الفلسـطينية فـي معـارك جنـوبي البحيرات المرة وذلـك بـين المـدة ١٨/ ١٠ ـ ٢٢/ ١٠ ثم انسحبت إلى مدينة السويس؛ حيث شاركت مع المقاومـة الشعبية وقوات الجيش الثالث في المدينة.

الجبهة السورية:

وضِعت وحدات قوات الثورة الفلسـطينية العاملـة فـي الأراضي السورية (قوات حطين ـ قوات القادسـية) تحـت

إمرة القيادة السورية، وأدت وحداتها المحمولة جوا دورهـا بفعالية، وأدت القوات القتالية عدة مهام قتالية متنوعة منها:

١- قوات محمولة جوا قامت بالانقضاض على المواقـع الإسرائيلية وبعض التلال الاسـتراتيجية والمـؤثرة على خطوط المواصلات وأهمها " تل الفرس " يوم ٧/ ١٠/ ٧٣.

٢- عمليات إغارة على مرابض الدبابات، والعمل خلف خطوط العدو في " تل الشعار" " تل شمس"، واحتلال بعض المواقع الاستراتيجية الهامة في الجبهة وفـي المؤخرة؛ وقد أدت قوات القادسية هذا الدور بكفاءة وبصورة أساسية.

وتعتبر معركة تل الفرس من أهم المعارك الهامـة التـي قامت بها القوات الفلسطينية حيث قامت وحـدة مـن جـيش التحرير المنقولـة جـوا بـأربع طـائرات عموديـة فـي ٧/ ١٠/ ٧٣ بالهبوط فوق التل رغـم التحصـينات المبنيـة بالأسمنت المسلح، وكثافة الأسلحة المتمركزة فـي الموقـع؛ واستطاعت تحرير التل بعـد أن فقـد العـدو الإسـرائيلي ٦٠ جنديا.

وقامت وحدات أخرى محمولة جوا بقطع الطريق الرئيسي فـي المحـور الأوسـط، واستشـهد فـي هـذه المعركـة ٣٨ فدائيا فلسطينيا، وأسر اليهود ٩ فدائيين.

الحدود اللبنانية:

هرعت القوات الفلسطينية في لبنان- رغـم مـا تكبدتـه مواقعها من شراسة الهجمات الإسرائيلية فـي مـايو سـنة ١٩٧٣- إلى العمل على طول الجبهة اللبنانية الفلسـطينية، وقامت بأكثر من ٢٠٧ عمليات من تفجير وقصـف وعمـل كمائن، واعترفت إسرائيل بأن ٤٢ مستعمرة هوجمت؛ ممـا دفع السلطات الإسرائيلية إلى تهجير عدد كبير من سكان تلك المستعمرات، وتركز عمل القوات الفلسطينية ضد مستعمرات المطلـة ـ المنـارة ـ كريـات شـمونة ـ الخالصـة ـ المالكية ـ وغيرها.

الجبهة الأردنية:

بقيت جبهة القتال على الحدود الفلسـطينية ـ الأردنيـة هادئة، وكانت عمليات المقاومة الفلسطينية محـدودة جـدا، وأهمها مهاجمة المستعمرات الإسرائيلية في محور بيسـان،

وقصف مدينة سمخ بالصواريخ، ونسف محطة للمياه ومجمع للكهرباء في إيلات.

داخل الأراضي المحتلة- رغم أن إسرائيل حاولت طمس أخبار العمليات الفدائية الفلسطينية داخل الأراضي المحتلـة- قامت قوات المقاومة بنصب الكمـائن، ومهاجمـة القوافـل العسكرية، والهجوم على قاعدة عتليـت البحريـة، وتفجيـر مستودعات الذخائر في جبل أم الحواوط ومستودعات النفط، وزرع الألغام، ونسف أنابيب البترول بين إيلات وعسـقلان، وبلغ مجموع تلك الهجمات أكثر من ٧٨ عملية.

كيف خسر العرب فلسطين

ما العوامل والأسباب التي أدَت إلى ضياع فلسطين؟

إن موقع فلسطين الجغرافي بين مفترق القارات الـثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا، وقيمتها الاستراتيجية لجميع الغـزاة الـذين مـروا بهـا سـواء مـن الشـرق إلـى الغـرب أو العكس، بجانب مكانتها الدينية وقدسيتها؛ هـذه العوامـل مجتمعة جعلت فلسطين مهبط أفئـدة اليهـود والمسـيحيين والمسلمين.

إن الحصاد الهائل من الكتب والوثائق والمستندات التـي تناولت تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور كتب أكثرها مؤلفون غربيون مسيحيون، وكان همهم الأكبر إبراز مكانـة الـبلاد بالنسبة للديانتين اليهودية والمسيحية، وتجاهلوا مكانتها مـن الناحيتين الإسلامية والعربية، وأكثر تلك الكتب اعتمدت على التوراة التي كتبها اليهود بأيديهم، وأصبحت ذات أثر دينـي على العالم المسيحي الغربي؛ لأن التوراة وقصص التـوراة تدور معظم أحداثها في فلسطين، وأصبح الاعتقاد السائد لدى الشعوب الغربية أن اليهود أصحاب فلسطين، وأن غير اليهود

طارئون عليها، وأصبح من الصعب زحزحة أفكار الغربيين وكُتابهم ومؤرخيهم في أوروبـا وأمريكـا عبـر العصـور المختلفة عن العقيدة التي غرستها التوراة في أذهانهم قرونًـا عديدة.

ومنذ عودة العرب إلى فلسطين، وطرد الدولة الرومانيـة نهائيا من بلاد الشام والعالم الغربي يعدُّ العدة للاستيلاء على البلاد المقدسة، وتخليص قبر المسيح من المسلمين.

وجاءت الحروب الصليبية فـي القـرن الحـادي عشـر الميلادي كأولى المحاولات للاستيلاء على فلسـطين وبـلاد الشام، واستولى الصليبيون على القدس وأجزاء كثيـرة مـن بلاد الشام حتى تمكن صلاح الدين الأيوبي مـن اسـترجاع القدس سنة ١١٨٧ ميلادية، وتم بعد ذلك انحسار الحمـلات الصليبية وخروجهم من المشرق العربي بعـد فتـرة دامـت حوالي مئتي عام.

وبدأ الإعداد للمحاولة الثانية فيما بدأ الوهن والضعف يدبُّ في أوصال الدولة العثمانية، وجاء احتلال نابليون بونـابرت لمصر وفلسطين وتقديمه العروض لليهود بالعودة إلى أرض الميعاد، وانحسرت هذه المرحلة الثانية مؤقتًـا حتـى نهايـة

الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية وجلائها عن بلاد الشام.

وبموجب اتفاق " سايكس - بيكو " بين بريطانيا وفرنسا جرى تقسيم البلاد العربية، واحتلت بريطانيا فلسطين ونعرض هنا الكلمة التي أطلقها الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية عندما احتل مدينة القدس سنة ١٩١٧.

" الآن انتهت الحروب الصليبية "

ونعرض أيضا كلمة الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية التي احتلت سوريا ودخل على مدينة دمشق، وتوجه إلى قبر صلاح الدين الأيوبي معلنًا " **ها قد عدنا يا صلاح الدين** "، هذه الأحداث كانت تسير بالتوازي مع التطلعات اليهودية وظهور الصهيونية العالمية التي تلاقت أهدافها مع الاستعمار الغربي؛ لأن إنشاء دولة يهودية في فلسطين في قلب العالم العربي، وفصل مشرقه عن مغربه يؤمن الأهداف الاستعمارية، ويحقق لليهود العودة إلى أرض الميعاد.

وبعد هذا العرض المختصر نعود للسؤال الهام: لماذا ضاعت فلسطين وما العوامل التي أدّت إلى ضياعها؟

١- لا شك أن العامل الأول يعود إلى الاستعمار الغربي الذي استولى على فلسطين، واتخـذ مـن إسـرائيل مخلب قط لحماية مصالحه في الأراضـي العربيـة وتنفيذ سياساته، وأخذ يخطط إلـى تقسـيم الـدول العربية القائمة إلى دويلات صغيرة تقوم على أساس طائفي أو مذهبي أو عرقي؛ حتى لا يتبقـى دولـة عربية واحدة تنادي بالعروبة أو الاتحاد أو الاندماج، ورغم أن هذا المخطط لم ينجح حتى سـنة ١٩٩٧؛ لأن الظروف لم تكن مهيئة الآن وربما لو نجحـت هذه الخطة يتنقل الوباء إلـى دول عربيـة أخـرى مرشحة للتقسيم وعلـى رأس تلـك الـدول ليبيـا، والسودان ثم أخيرا سوريا.

٢- العامل الثاني الذي أدّى إلى ضياع فلسـطين قيـام المستعمر الأجنبي بدعم القـوى العميلـة لـه فـي المنطقة، ويصنع السلاطين والأمراء والملوك؛ وهذا العامل الهام عزل فلسطين عن بقية العالم العربـي، وحرم شعبها من نضاله ضد أعتى قوتين في العـالم بريطانيا والصهيونية العالمية، ودخول أمريكا بكـل

ثقلها بجانب إسرائيل أدى إلى عدم قـدرة المقاومـة الفلسطينية وحدها علـى الصـمود ضـد التحـالف اليهودي الغربي.

٣- لم يجد الشعب الفلسطيني المساعدة المؤثرة من أهله المتمثلين في الشعوب والحكومات العربية، وكانـت أحداث كارثة سنة ١٩٤٨ خير مثال على ذلك.

٤- المخطط الذي كان معدا لفلسـطين وإنشـاء دولـة يهودية فيها لم يكن واضحا أمام العرب وأمام أهـل فلسطين أنفسـهم، ولـم يقـدروا تمامـا المـؤامرة البريطانية - اليهودية، واعتقد العـرب أن إنشـاء وطن قومي لليهود في فلسطين لا يعني بالضـرورة إنشاء دولة يهودية وطرد الفلسطينيين مـن وطـنهم وأرضهم - وبعض العذر يعود إلى تقهقـر الدولـة العثمانية حضاريا، وعدم تـوافر وسـائل الإعـلام والتجاء السكان إلى الروحانيات والتقاليد والعـادات البالية، ومحاولة العثمانيين دائما الإيحاء بأن الغرب كافر وضد الإسلام؛ مما أدى إلى تخلـف المجتمـع العربي، وانتشار الجهل حيـث ترسـخت التقاليـد

المظهرية والعادات الشكلية؛ وهذا ما جعل الاستعمار والحركة الصهيونية لا يجدان الشعب الفلسطيني في مستوى حضاري يتفهم حقيقة الهجمة الصـهيونية، ولم تكن لديه الوسائل الكافية لمقاومتها.

٥- عدم الانصياع إلى رغبة الشعب الفلسطيني وزعامته في وضع ثقل المعركة مع اليهـود علـى كاهلـه، والاهتمام بمده بالمال والسلاح والخبرة، ولو توافرت له تلك الإمكانيات كما توافرت لدى اليهود لاستطاع الصمود والدفاع عن مدنه وقراه وأرضه.

٦- لم تُقدم دول البترول أي دعم للشعب الفلسطيني أثناء كفاحه، وسلاح البترول كان يمكن أن يكون مـؤثرا وفعالاً في معركة فلسطين.

٧- إن فلسطين ضاعت على أرض فلسطين وليس بسبب القرارات التي أصدرتها المحافل الدولية وإن كـان هناك أمل ولو على المدى الطويـل فـي اسـتعادة فلسطين عربية فلن يتم ذلك إلا على أرض فلسطين.

وأخيرا تبقى بعض الأسئلة الحائرة والتي لم تجد الجواب المقنع أو لم يجر بخصوصها أي تحقيق أو بحث.

١- كانت الخطة الأصلية التي وافقـت عليهـا جامعـة الـدول العربيـة فـي مـؤتمر عاليـة أكتـوبر (تشـرين الأول) سـنة ١٩٤٧ أن يوكـل الـركن الأساسي في الدفاع عن فلسطين إلى أهل فلسـطين، وقد أثبتوا استبسالهم في الدفاع والذود عن بلادهـم بقدر ما بأيديهم من أسلحة وعتاد، وفجأة تبـدّلـت الخطة؛ وتم إقصاء الفلسطينيين.

٢- لماذا سلمت قيادة الجيوش العربيـة إلـى الجنـرال الإنجليزي جلوب الذي بدل الخطط المقررة للقـوات العربية والتي وضعت تفاصيلها في مدينـة الزرقـا بالأردن في أوائل شهر مايو (أيـار) سـنة ١٩٤٨. حيث غير جلوب الخطة ودفع بالجيوش العربية إلى مناطق غير مقررة بالخطة الأصلية وهذا ما حـدث مع الجيشين العراقي والسوري فكيف تم ذلك؟!

٣- لماذا أخليت الرملة واللد وسـحِبَ منهمـا الجـيش الأردني بأمر جلوب فجأة وبدون مبرر؛ ممـا أدى إلى الكارثة التي أدّت إلى تشريد نحو مائة وخمسين

ألفًا من عرب فلسطين، وسقوط اللد والرملة بأيـدي اليهود، وفتح الطرق إلى مدينة القدس.

٤- لماذا امتنعت القوات العربية عـن نجـدة الجـيش المصري في معارك النقب، وفشـلت خطـة إنقـاذ حامية الفالوجا وفك الحصار عنهـا؟ ولمـاذا منـع جلوب القوات العراقية والسورية من المـرور مـن الأراضي الأردنية للوصول إلى منـاطق الجـيش المصري؟

٥- لماذا أمر جلوب الفلسطينيين بإخلاء منطقـة بـاب الواد، وأمر بإعادة فتحه أمـام القوافـل اليهوديـة للوصول إلى القدس؟

٦- لماذا تلكأ الجيش الأردني بأمر جلوب في الـدخول إلى القدس ومنع العرب من احتلال أكثر المنـاطق الشرقية حتى يتسنى لليهود احتلال القـدس بكامـل حدودها وخصوصا القدس القديمة؟

٧- لماذا عقِدَت الهدنة الأولى في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية مسيطرة كل السيطرة على القـوات اليهودية؟

٨- لماذا وافقت الدول العربية على تسليم مناطق واسعة من المثلث العربي ـ وأراضي القدس وبيـت لحـم والبحر الميت. وكل ذلك بعد اتفاقية رودس وبـدون حرب؟

٩- لماذا تُركت المدن الفلسطينية الهامة تسـقط بأيـدي اليهود مثل يافا ـ حيفا ـ عكا ـ صفد ـ طبريا ـ الناصرة ـ القدس الجديدة؟

بعد كل انتصار أو هزيمة يقوم الخبراء والنقـاد ببحـث الأسباب والمبررات؛ ليجد الباحث والمؤرخ الحقـائق التـي يستطيع تقديمها أثناء كتابة التاريخ وتدوينه للأجيال، وهذا لم يحدث بالنسبة للقضية الفلسطينية حتى الآن.

الميثاق القومي الفلسطيني

انعقد في مدينة القدس في ٢٨ مايو (أيـار) سـنة ١٩٦٤ المؤتمر العربي الفلسطيني الأول، وأصدر الميثاق القـومي الفلسطيني، وصدَّق عليه المجلس الوطني الفلسطيني في ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٤، وأعلـن قيـام منظمـة التحريـر الفلسطينية، وجاء في أهم مواد الميثاق أن فلسطين جزء من الوطن العربي، وحدودها كما كانت قائمة في عهد الانتـداب البريطاني ،وهي وحدة لا تتجزأ، وللشعب الفلسطيني الحـق الشرعي في وطنه يقـرر مصـيره بعـد إتمـام تحريـره، والفلسطينيون هم المواطنون الذين كانوا يقيمون في فلسطين سنة ١٩٤٧ سواء من خرج منهم أو بقي في الداخل، وكـل من ولِدَ بعد هذا التاريخ داخل أو خارج الأرض الفلسـطينية لأب فلسطيني هو فلسطيني، واليهود الذين هم مـن أصـل فلسطيني يعتبرون مواطنين فلسـطينيين، وواجـب الشـعب الفلسطيني الأول هو تحرير الوطن، ولن تشـغله المـذاهب العقائدية عن هذا الواجب، وشعار الفلسطينيين:

الوحدة الوطنية ـ التعبئة القومية ـ التحرير

إن مصير ومستقبل الأمة العربية رهن بمصير القضـية الفلسطينية، وتحرير فلسطين واجب قومي تقـع مسـئولياته كاملة على الأمة العربية بأسرها، وتحرير مقدسات فلسـطين يكفل العبادة والزيارة للجميع من غير تفريق علـى أسـاس العنصر أو اللون أو اللغة أو الدين، وتحرير فلسطين عمـل دفاعي تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس كما قضى ميثاق الأمم المتحدة، وتقسيم فلسطين، وقيام إسرائيل باطـل مـن أساسه، وكذلك وعد بلفور والانتداب البريطاني.

وتحدّث الميثاق عـن الصـهيونية كحركـة اسـتعمارية عدوانية، ووجود إسرائيل كمصدر قلق دائم فـي المنطقـة، ويقرر الميثاق قيام منظمة التحرير الفلسطينية على أن تقـوم بدورها الكامل في تحرير فلسطين، ولا تتدخل في الشـئون الداخلية لأية دولة عربية، ولا يعدّل الميثاق إلا بموافقة ثلثي أعضاء المجلس الوطني الفلسطيني.

من أهم الشروط التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وأنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني تعـديل الميثـاق

القومي الفلسطيني، وإلغاء عدة مواد منه الخاصة بإسـرائيل وأهمها:

المادة ١٧: إن تقسيم فلسطين الذي جرى سنة ١٩٤٧، وقيام إسرائيل باطل من أساسه مهما طال الزمن؛ لمغايرته لإرادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعي في وطنـه، ومناقضته للمبادئ العامة التي نصّ عليهـا ميثـاق الأمم المتحدة وفي مقدمتها حق تقرير المصير.

المادة ١٨: يعتبر باطلاً كلٌّ من وعد بلفور وصك الانتـداب ومـا ترتـب عليهمـا، وأن الـروابط التاريخيـة أو الروحية بين اليهود وفلسطين لا تتفق مع حقـائق التاريخ، وأن اليهودية بوصفها دينًا سـماويا ليسـت قومية ذات وجود مستقل، وكذلك فإن اليهود ليسـوا شعبا واحدا له شخصية مستقلة وإنما هم مواطنـون في الدول التي ينتمون إليها.

المـادة ١٩: الصهيونية حركة استعمارية ـ منذ نشـأتها ـ عدوانية وتوسعية في أهدافها، تعصبية في تكوينهـا وفاشستية في مراميهـا ووسـائلها، وإن إسـرائيل بوصفها طليعة هذه الحركـة وركيـزة للاسـتعمار

مصدر دائم للقلق والاضطراب في الشرق الأوسط خاصة وللأسرة الدولية بصفة عامة؛ ومن أجل ذلك فإن أهل فلسطين جديرون بمعاونة الأسرة الدولية وتأييدها.

وافقت منظمة التحرير الفلسطينية على إلغاء تلك المواد، وتعديل الميثاق تبعا لذلك، وتقديم هذه التنازلات كان الخطأ الأول الفادح، وتبعه المزيد من تقديم التنازلات.

والآن وفي أوائل ١٩٩٨ تطالب إسرائيل مقابل إعادة التفاوض مع الفلسطينيين وبتأييد من الولايات المتحدة الأمريكية **إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني بكامله.**

لماذا تصرُ إسرائيل على إلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني

لم يشد انتباه الكثيرين التنازل المهم الذي قدّمه عرفات على شكل وثيقة تسلمها الرئيس كلينتون تحدد للمرة الأولى البنود التي ألغاها المجلس الوطني الفلسطيني من الميثاق الصادر عام ١٩٦٨، وتتضمن حذف ١٢ بندا كاملاً من بنود الميثاق الـ ٣٢، وحذف فقرات من ١٦ بندا آخر، ولم تمضِ فترة طويلة على هذه الخطوة التي قدّمها عرفات عن طريق أمريكا حتى بادر نتنياهو مطالبا بإلغاء الميثاق الفلسطيني برمته.

نعم هذا ما حدث للواقع المرير الذي تسير فيه المفاوضات بين الفلسطينيين وإسرائيل، والتي لم تتوقف عن تقديم التنازلات من قِبل المفاوض الفلسطيني على أمل أن توافق إسرائيل على تنفيذ اتفاقيتي "أوسلو ١"، و"أوسلو ٢".

الواقع إن إسرائيل لا تسعى إلى تغيير الميثاق أو تعديله جذريا من أجل إجراءات تجميله أو لمجاراة الواقع

المعاش؛ كي يعكس محاولة التعايش السلمي بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني، بل:

١- من أجل إلغاء حق العودة للفلسطينيين.

٢- من أجل إلغاء حق تقرير المصير.

٣- من أجل إلغاء فكرة الدولة الفلسطينية.

وبذلك يمكن إفراغ مفاوضات الحل النهائي من مضمونها وإنهائها قبل أن تبدأ.

إن إسرائيل تحاول دفع السلطة الفلسطينية إلى إلغاء الميثاق؛ حتى لا تكون السلطة ملزمة أمام الشعب الفلسطيني بتنفيذ ما ورد فيه، وخاصة حق العودة للاجئين، وإنشاء دولة مستقلة على أرض فلسطين.

إن الميثاق الذي تطالب إسرائيل بتعديله أو إلغائه يعكس صورة للميثاق الإسرائيلي الذي صدر عند إنشاء دولة إسرائيل، وهو الذي يدعو إلى تدمير فلسطين كوطن للشعب الفلسطيني، ويكفي الإشارة إلى المادة الثالثة من الميثاق الإسرائيلي التي تقول "إن إسرائيل هي الوطن القومي للشعب اليهودي، ومستقبل كل يهودي يرغب في الاستقرار على

أراضيها"؛ ومعنى هذا البند أن فلسطين في عـرفِ الميثـاق الإسرائيلي غير موجودة من الأصل.

وهذا الطرح الإسرائيلي الذي يقوده نتنياهو ينسـجم مـع الفكر الصهيوني الذي يسعى دائما للحصـول علـى صـك الغفران من الضحية؛ فالجريمة التي ارتكبها اليهود في حـق الشعب الفلسطيني تبقى مترسبة في قاع الذاكرة الإسـرائيلية إلى أن تعلن الضحية صفحها عن الجرم بأن تنفـي وقـوع الجريمة من أساسها، وهو ما تحاول إسرائيل انتزاعه حاليـا بدعوة الفلسطينيين إلى الكف عن التفكير في التعرُّض للدولة الإسرائيلية أو تدميرها في المستقبل.

كيف يمكن للفلسطينيين أن يفلتوا من هذا الفخ الإسرائيلي، وأن يوقفوا نزيف التنازلات المستمر؟ الطريق الأقل خطـرا هو تجنب التفاوض على أي اتفاق مع إسرائيل وخصوصـا مرحلة الحل النهائي، صحيح إن إسرائيل مستمرة في تنفيـذ مخططاتها بالاستيلاء علـى الأرض، وزرع المسـتوطنات، وتهويد مدينة القدس، وهذا يتم سواء استمرت المفاوضات أو توقفت، سواء وافقنا أو لم نوافق، وما دام الرفض الفلسطيني

لا يغير ما يجري فعلاً على أرض الواقع فأي ندم يتبع توقف المفاوضات، والانزلاق باستمرار في تقديم التنازلات!!

إن نصيحة شامير لخلفائه في الحكومات الإسرائيلية هـي التفاوض والتفاوض ثم التفاوض ولو لمدة ١٠ سـنوات دون أي استعداد للوصول إلى اتفاق عادل وحقيقي.

إن أي مسئول إسرائيلي يدخل المفاوضات مـع الجانـب الفلسطيني بروح المنتصر الذي يبغي فرض شروطه علـى أعدائه الضعفاء وهو يدرك أن الفلسطينيين- والعـرب مـن ورائهم- في ظروفهم الراهنة غير قادرين على رد التحـدي اليهـودي، وأمريكـا مـن خلفـه غيـر راغبـة في إيقاف هذا التشدد اليهودي بـل تؤديـه بالضـغط علـى الفلسطينيين؛ لتقديم تنازلات جديدة. أليس وقـف التفـاوض أفضل في الوقت الحالي؟ لأنه على الأقل يجنبنا تقديم المزيد من التنازلات.

موقف العالم الإسلامي والعربي وخطورة الأوضاع الفلسطينية

إن الخطأ الكبير لدى العرب والمسلمين أنهم تجزءوا ولم يتوحدوا في مواجهة إسرائيل، ولم تقرأ التاريخ جيدا؛ لتـذكر مواقف اليهود من الإسـلام والمسـلمين منـذ أول الـدعوة المحمدية.

مواقف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مهما اختلفت سواء ما تسمى بالصقور أو الحمائم تجدهم جميعا يقفـون موقفًـا واحدا تجـاه قضـيتهم الأولـى وهـي قضـية إسـرائيل ولا ترى موقفًا مؤيدا أو معارضا إنما الكـل فـي أهـداف إسرائيل (دولة إسرائيل الكبرى) سواء، والأصوات التي تعلو من حين إلى آخر معلنة معارضـتها لاتجـاه أيـة حكومـة إسرائيلية تخبو وتخفت عندما يتعلق الأمر بقضايا إسـرائيل الأساسية مثل: بناء المستوطنات، أو السـماح للفلسـطينيين بإقامة دولتهم، والسماح لهم بحق تقرير المصير.

بالغ العرب في طلـب السـلام والتقـرُّب مـن الكيـان الصهيوني في فلسطين، واتخذوا عدة خطوات لتحقيـق هـذا

التقارب، وفي نفس الوقت بالغت حكومة إسرائيل بالرفض والعناد معتمدة اعتمادا كليا على موقف العرب الضعيف وعدم استعدادهم للمواجهة ولتفرض شروط المنتصر على المهزوم، إن أهم مصادر القوة التي تفوَّقت بها إسرائيل على العرب، وانتصرت عليهم فرقة العرب وتخلفهم، وعدم لحاقهم بركب الحضارة والديموقراطية، واعتمادهم على الدول الغربية في حل مشاكلهم مع إسرائيل، وتلك الدول لا تقل عداوة للإسلام والعرب عن إسرائيل.

لو تتبعنا الموقف الإسرائيلي منذ بزوغ الدعوة الإسلامية لرأيناه يتسم بالعداوة ونقض العهود والمواثيق ولم يتوقف عداؤهم للإسلام حتى التاريخ الحاضر،(فكيف نأمن لهم؟!) ونعقد معهم المعاهدات وموقفهم واضح، وخططهم مرسومة ومعدَّة خطوة خطوة منذ ظهرت الصهيونية العالمية السياسية، وأخذت تخطط للاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب، وتعدُّ للسيطرة الاقتصادية على منطقة الشرق الأوسط بأكمله. فهل بقي لدينا شك في أهداف إسرائيل الحالية والمستقبلية؟! ونحن نكتفي بترديد الصيحات الجوفاء ومحاولات فاشلة للوقوف في وجه هذه الهجمة الشرسة.

وما يثير القلق هرولة المسئولين من العرب والفلسطينيين إلى كعبتهم في واشنطن على أمل الحصـول علـى بعـض الفتات من الأسياد هناك، وتقديم التنازلات تلو التنازلات حتى أصبح المفاوض الفلسطيني لا يملك من الأوراق الباقية مـا يمكنه التنازل عنها.

إن التنازل الهام الـذي قدمـه عرفـات إلـى إسـرائيل ولم ينتبه إليه أحد جاء بعد لقاء واشنطن الأخير فـي شـهر يناير (كانون ثاني) ١٩٩٨، هذا التنازل جاء فـي صـورة وثيقة تسلمها الرئيس الأمريكي كلينتون تحدد البنـود التـي ألغاها المجلس الوطني الفلسـطيني مـن الميثـاق الـوطني الصادر في سنة ١٩٦٨، وتضمنت حذف ١٢ بندا بالكامـل من بنود الميثاق الـ ٣٣، وحذفت فقرات من ١٦ بندا آخر، والتنازل الآخر الثاني الذي قدَمه عرفات للرئيس الأمريكـي الوثيقة التي تعهد بها عرفات بالتعاون الكامل بين الشـرطة الفلسطينية والسلطة الفلسطينية مـع الشـرطة الإسـرائيلية للمحافظة على الأمـن؛ والمقصـود هنـا أمـن إسـرائيل، ولم تمض ساعات على تقديم هذه التنازلات الموثقـة حتـى

بادر رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو مطالبا بإلغـاء الميثـاق الفلسطيني برمته بل وتمزيقه وإلقائه في سلة المهملات.

ونرى في هذا الموقف الفلسطيني تقديم تنـازلات بالغـة الأهمية تتعلق بمسار القضية، وإلـزام الشـعب الفلسـطيني بحقائق موثقة لصالح إسرائيل.

إن إسرائيل بطلبها إلغاء الميثاق الفلسطيني كلـه بجميـع مواده وأهمها: حق العودة للفلسطينيين، وإلغاء حـق تقريـر المصير، وإلغاء فكرة الدولة الفلسطينية؛ وبذلك يمكن إفـراغ مفاوضات الحل النهـائي مـن مضـمونها وإنهائهـا قبـل أن تبدأ.

إن الجريمة الصهيونية التاريخية التي ارتكبها اليهود بحق الشعب الفلسطيني تبقى دائما مترسـبة فـي قـاع الـذاكرة الإسرائيلية؛ ولذلك فهي تدفع الفلسطينيين للتخلي عن مطالبهم وحقوقهم، والحصول علـى صـك مكتـوب بـذلك، وهـو ما تحاوله إسرائيل الآن مع عرفات وبضغوط مستمرة مـن الولايات المتحدة الأمريكية.

من الذي يدعو إلى تدمير الآخر؟ وأيهما أحـق بالإلغـاء الميثاق الوطني الفلسطيني أم الميثاق الإسرائيلي؟

مدن فلسطينية عربية احتلتها إسرائيل وحوَلتها إلى مدن يهودية

منذ أن احتلت إسرائيل العديد من المدن الفلسطينية بعـد حرب ١٩٤٨، وأصبحت جزءا من الكيان الصهيوني بـدأت في طمس الهويات العربية لتلك المدن، وفي تصعيد إجراءات تحويل ما تبقى منها إلى مدن يهودية.

وعلى قدر ما يتوافر من معلومات عن تلك المدن نحاول أن نلقي بعض الضوء على كل مدينة - موقعها، تاريخهـا، كيف سقطت بأيدي اليهود وكيف يعيش من تبقى مِن السكان العرب في تلك المدينة؟

وإذا مررت الآن بأية مدينة عربية محتلة يلفت نظرك أن ما يسمى بالحي العربي فيها ما زال على صورته القديمة منذ سنة ١٩٤٨: الشوارع الضيقة، والمباني المتداعية القديمـة، والمحلات التجارية المهملة، والقذارة، والبـؤس، والشـباب العاطل عن العمل، وتخلف التعاليم؛ لقلة المـدارس. يقابلهـا الأحياء اليهودية الجديدة أو التي أقيمت على أطلال منـازل عربية كانت مأهولة بالحياة والسكان وتم إزالتها.

يهدف المخطط الصهيوني إلى زيادة استيطان العـائلات اليهودية في تلك المدن، واستعمال شتى الطرق للضغط على المواطنين الفلسطينيين لإخلاء منازلهم والنزوح تدريجيا إلى مناطق أخرى.

بهذه المعلومات التي تتوافر عن تلك المدن نسجلها؛ لكـي يتعرف الأبنـاء والأحفـاد الـذين يعيشـون فـي المنفـى - ويمكن تسميتهم بأبناء الاغتراب والشتات- على أحـوال المدن التي اغتصبتها إسرائيل وحوّلتها إلى مدن يهودية حتى أسماء الشوارع والأحياء العربية تم استبدالها بأسماء يهودية، وتلك المدن هي: سمخ ـ طبريا ـ صفد ـ عكا ـ حيفـا ـ الناصرة ـ بيسان ـ يافا ـ اللد ـ الرملـة ـ المجـدل ـ بئر السبع.

مدينة سمخ

تقع مدينة سمخ على بعد عشرة كيلو مترات عن مدينـة طبريا، وهي المدينة الثانية التي تقع على شـاطئ البحيـرة، وموقع سمخ قرب الحدود السورية والأردنية، ومرور الخـط الحديدي بين حيفا ودمشق بها جعلها موقعا استراتيجيا هاما، ومنذ الاحتلال التركي لفلسطين وأثناء الانتـداب البريطـاني نشط خط السكة الحديدية بين حيفا ـ العفولـة ـ بيسـان ـ سمخ ـ درعا ـ دمشق، وكان يعتبر جزءا مكملاً لخط حديد الحجاز.

وإبان الحكم التركي كانت القوارب والمراكب تقوم بنقـل الركاب والبضائع التي تصل إلى سمخ بالقطاع إلى طبريـا ومنها إلى صفد.

وعند اندلاع حرب ١٩٤٨ احتلت سريتان مـن الجـيش السوري مدينة سمخ؛ وأدى ذلك إلى نزوح العائلات اليهودية عن عدة مستعمرات في وادي الأردن، ولكن تدخل "جلـوب باشا" بصفته القائد الأعلى للقوات العربية في ذلـك الحـين اضطر الجيش السوري إلى تعديل الخطة الأصـلية المعـدة

لشمال فلسطين؛ مما أدى في النهاية إلى اضطراب موقفـه، واضطر للانسحاب من منطقة سمخ، ووقوعها بأيدي اليهود.

وتقع قرب سمخ حمامات الحمة التي اشـتهرت بمياههـا المعدنية، والتي كان يؤمها سكان فلسطين وسـوريا والأردن للاستشفاء.

طبريا
البحيرة والمدينة

تمهيد:

في أعقاب الحرب العالمية الأولى استولت فرنسا على سوريا ولبنان، واستولت إنجلترا على فلسطين والأردن والعراق، وفي اتفاق عِقد بينهما سنة ١٩٢٠ تم تعيين الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين، وتم تعديله بعد سنتي ١٩٢٢ - ١٩٢٣ ليضم إلى فلسطين مصادر المياه في تلك المنطقة بدلاً من أن تسير الحدود مع نهر الأردن مرورا بوسط بحيرة طبريا وهكذا دفِعت الحدود إلى الشرق لتشمل:

أ- جميع بحيرة طبريا وعدة أمتار إلى الشمال منها.

ب- أضيفت منطقة الحمة على نهر اليرموك إلى فلسطين؛ طمعا في مياهه، وهذا دليل على تهيئة البلاد لتقوم عليها دولة إسرائيل فيما بعد لتضم المصادر المائية الشمالية بكاملها وهو ما حصل عند تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ .

بحيرة طبريا: شكل البحيرة بيضاوي يشبه حبة الكمثرى، ومساحتها ١٦٥ ألف كيلومتر مربع، يقـع سـطحها علـى مستوى ٢١٢ مترا تحت سطح البحر، أما قاعها فيقع علـى مستوى ٢٥٢ مترا تحت سطح البحر؛ أي أن عمـق الميـاه يصل في أقصاه إلى أربعين مترا، ويبلغ طول البحيـرة ٢١ كيلومترا، وأقصى اتساع لها ١٢ كيلومترا، وبحيرة طبريـا أكبر خزان للمياه العذبة في فلسطين، وتقدَّر قيمة المياه التي تخزنها حوالي ٤٢٤٠ مليون متر مكعب، تتغذى البحيرة عن طريق نهر الأردن القادم من سهول الحولة، وميـاه الينـابيع والسيول، وكذلك المياه المتفجرة من قاع البحيرة بالإضـافة إلى مياه الأمطار الهاطلة على سطحها، وتقدَّر قيمـة الميـاه الواردة للبحيرة سنويا ٧٦٠ مليون متر مكعب أغلبها يـأتي من نهر الأردن.

والبحيرة غنية بأنواع مختلفة مـن الأسـماك وأشـهرها البلطي، ومياهها صالحة للاسـتعمال السـكاني وللزراعـة وللري، والمنطقة المحيطة بالبحيرة خصبة وصالحة للزراعة وكانت ولا تزال مأهولة بالسكان منذ العصور.

وبعد سقوط المنطقة بأكملها في أيدي اليهود سـنة ١٩٤٨ قامت إسرائيل بجر مياه البحيرة بواسطة الأنابيب إلى النقب؛ وقد أثر ذلك كثيرا على تغذية نهر الأردن عند خروجه مـن البحيرة ولولا ما يصله من نهر اليرموك لجف مجرى نهـر الأردن، وهو ما تستفيد منه مساحات واسعة مـن أراضـي الأردن.

مدينة طبريا:

تقع مدينة طبريا على الشاطئ الغربي من البحيرة التـي تُعرَف باسمها، والتي تُعرَف أيضا باسم بحر الجليل، وتقـوم المدينة على سهل منبسط يمتد إلى المرتفعات فـي الجهتـين الشمالية والغربية، وتمتاز هذه المنطقة بالدفء في الشـتاء، وبجفاف الهواء طيلة السنة، وصيفها حـار ولكنـه مقبـول، وتمتاز المدينة بأنها مشتى ومنطقة سياحية يؤمها الكثيـرون؛ للتمتع بطقسها وحماماتها المعدنية، وزيارة الأماكن الأثريـة وهي المنطقة الرئيسية من الغور الشمالي، وأراضيها خصبة امتازت بزراعة الفواكه والخضار والحبوب، كمـا امتـازت بحيرتها بوفرة السمك، وتقوم المدينة على أنقـاض المدينـة

الرومانية القديمة التـي شُـيدت فـي عهـد الإمبراطـور طيباريوس وسميت طباريا؛ تخليـدا لـذكراه وذلـك سـنة ١٤ ميلادية، وبنى بها هيرودس قلعـة وقصـورا لا تـزال أنقاض بعضها قائمة حتى الآن، وتحفل المدينة وضـواحيها بالكثير من الآثار المسيحية المقدسة؛ ففيها كنيسة قديمة للروم الأرثوذكس ترجع إلى عهد الصليبيين، ودير للروس يعـرَف بالمسكوبية ودير للاتين، وفي الجزء الغربي من مدينة طبريا موقع الطابغة التي اشتهرت بمياهها العذبة وينابيعها المتدفقة ومن هذا الموقع بدأ السيد المسيح ﵇ معجزة المشي علـى ماء البحيرة، ومن أبنائها قادة المسيحيين الأول وفي مقدمتهم القديسان بطرس وبولس، وتؤمُّ هذه المنطقة أعداد كبيرة من السياح الأجانب سنويا لقدسية موقعها.

واحتل العرب مدينة طبريا عقب انتصارهم في معركـة اليرمـوك سـنة ٦٣٤ م، ودخلهـا القائـد العربـي شرحبيل ابن حسنة بدون قتال، واهتم المسلمون بمدينة طبريا باعتبارها عاصمة جند الأردن؛ نظرا لموقعهـا الهـام بـين الطريق الموصل للشام ولمصر وبين الشام وميناء عكا، ومنذ الفتح الإسلامي نشأت عدة مراكز علمية في القدس وعسقلان

وطبريا، واهتمت تلك المراكز بتدريس علوم الدين وتخـريج الكُتاب للعمل في دواوين الحكم، وكانت طبريا تـأتي بعـد بيت المقدس من حيث عدد العلمـاء وقـد خصـها الخليفـة عثمان بن عفانﷺ بنسخة من المصحف الشريف التي بعث بها إلى الأمصار الإسلامية لتحل محل جميع المصاحف التي كانت متداولة وأمر بإحراقها، وقد بنـى الفـاتحون العـرب المسجد القائم على شاطئ البحيـرة والمعـروف بالمسـجد العمري وهو الأثر الوحيد الذي لا يزال بحالـة جيـدة بعـد ترميمه مرارا، وقد عِثِرَ على بلاطة في وسط المدينة مكتوب عليها هذا ضريح الصحابي أبي هريـرة ﷺ ، ومـن آثـار الأمويين بقايا قصر أُكْتُشِفَ في الجنوب الغربي مـن قريـة الطابغة، وعندما حدث الفيضان سنة ١٩٤٣ كشف عن آثـار عربية، وقطع عديدة من النقود العربية الذهبية والمعدنية.

وأثناء القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع ازدهـر النشاط العلمي في فلسطين، وكانت المساجد في طبريا مركز التعليم الرئيسي خصوصا تعليم الصبيان الخط والقراءة إلـى جانب قصص الأنبياء، والحساب، وعلوم الـدين، وتحفـيظ القرآن.

وفي العصر العباسي تركزت الحياة العلمية في فلسـطين بمناطق القدس والرملة وطبريا، وامتـازت طبريـا بتعلـيم القراءة والكتابة.

واحتل الصليبيون مدينة طبريا، ورمموا أسوارها، وبنـوا سورا جديدا، ولا تزال بعض أجزاء هذه الأسوار قائمة للآن، وخلال الحروب الصليبية تم تبادل المدينـة وانتقالهـا بـين العرب والصليبيين عدة مرات حتى حررها صـلاح الـدين الأيوبي، وبنى فيها قلعة حصينة خربها التتار إلى أن أعـاد ترميمها الضاهر عمر سنة ١٧٣٠، واستخدمت القلعة بعـد ذلك مكاتبا للدوائر الحكومية، وعرفَت باسم السرايا.

وكانت مدينة طبريا حتى بداية القرن التاسع عشر محاطة بسور ضخم من ثلاث جهات حول البر، وانهار هذا السـور وأبراجه المتعددة أثر زلزال سنة ١٨٣٨.

وفي العهد العثماني كانت مدينة طبريا تابعة لوالي عكـا، وفي سنة ١٩٤٥ أصبح قضاء طبريا يضم ٢٦ قرية وبعض البدو، وبلغ عدد سكانه ٤٠ ألف نسمة منهم ٢٦ ألف عربي، و ١٦ ألف يهودي، وكان عدد سكان طبريا قبل صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ـ ١١٣٠٠ نسمة نصفهم تقريبـا ٥٣٠٠

عربا والنصف الآخر ٦٠٠٠ يهودا، وبعـد سـقوطها سـنة ١٩٤٨ لم يبقَ فيها أحد بين السكان العرب ورحل جمـيعهم ومعظم الذين رحلوا توجهوا إلى مدينة الناصـرة؛ وبسـقوط طبريا سقطت مدينة سمخ حيث لم يتمكن الجيش السوري من الاحتفاظ بها.

كيف سقطت مدينة طبريا بأيدي اليهود:

كان ذلك يوم ١٩ إبريل سنة ١٩٤٨؛ حيث لم يكـن فـي طبريا عند صدور قرار التقسيم أي نوع من أنواع السلاح بيد العرب، وقام السكان واللجنة العسكرية في دمشـق بإرسـال بعض البنادق، وكان عدد المدافعين من المدينة في ذلك الحين ٥٠ مناضلاً، ثم زاد عددهم إلى ١٠٠ ولكن رغم ذلك تـأزم الموقف، واستنجدت مدينة طبريا بالناصرة ووصلها بعـض النجدات وقليل من الذخيرة، ورغم ما أبداه المـدافعون مـن شجاعة واستماتة لم يستطيعوا مجاراة القوات اليهودية التـي زادت عن ألف محارب، ومزودة بالرشاشات ومدافع الهاون، وكانت المعارك تجري على مرأى من الجنـود والبـوليس البريطاني الذي وقف متفرجا ولم يحرك سـاكنًا بـل منـع

وصول النجدات إلى المدينة، وسهل وصول النجدات اليهودية ثم جاءت الأوامر بالنزوح عن المدينة؛ وهكذا استطاع اليهود احتلال مدينة طبريا.

اشتهرت طبريا بمجموعة الينابيع المعدنيـة التـي تبعـد بمسافة ٢ كيلومترا جنوب المدينة، وقد أنشئت عدة حمامـات للاستشفاء بهذه المياه، وفي أقصى الطرف الشرقي من بحيرة طبريا تقع مدينة سمخ التي اشتهرت بمرور السـكة الحديـد حيفا ـ العفولة ـ سمخ ـ درعا ـ دمشق.

وعلى مسافة من بحيرة طبريا تقع ينابيع الحمة بخاصـية مياهها الاستشفائية العلاجية وخاصة عيون المياه الكبريتيـة الثلاثة: المقلي ـ البلسم ـ الريح.

وهي ذات درجات حرارة متفاوتة بـين ٤٧° ـ ـ ٣٨° وهذه الينابيع تشكل مصدرا هاما للمياه التي تصـب بنهـر اليرموك، وكان يؤُمُّ الحمة أعداد كبيرة من سـكان فلسـطين والأردن وسوريا؛ بقصد الاستشفاء بمياهها الكبريتية.

وإلى جنوب مدينة طبريا تقع قرية حطين التي استشهرت بالتاريخ بمعركة حطين بين المسلمين بقيادة صـلاح الـدين الأيوبي والصليبيين، وكانت معركة فاصلة انتهـت بهزيمـة

الصليبيين وبتحرير القدس وعودتهـا نهائيـا إلـى الأيـدي العربية.

وجدير بالذكر أن منطقة طبريا شـهدت معـركتين مـن معارك الإسلام الخالدة الأولى معركة اليرموك التي انتهـت بهزيمة الدولة الرومانية الشرقية وبدايـة الموجـة العربيـة الكبرى التي حملها الإسلام من الجزيـرة العربيـة، والتـي شكلت حدثا حاسما في تاريخ البشرية، وثبتت عروبة فلسطين وباقي الدول العربية وطبعتها مذ ذلك الحين بالطابع العربي.

والحدث الثاني كان معركة حطين التـي أوقفـت المـدّ الصليبي، وحررت مدينة القدس، وكانـت البدايـة الحقيقيـة لانحسار الحملات الصليبية تلك الملحمة التي دامت حـوالي قرنين واشتركت فيها أوربا بكل شعوبها وطاقاتها وتركـت آثارها في نواحٍ عديدة من المشرق العربي وفلسطين.

وعاد الغرب أخيرا لاحتلال فلسطين، وعقد العزم علـى إقامة دولة يهودية في قلـب العـالم العربـي، واسـتطاعت الصهيونية أن تحقق هدفها؛ وسقطت فلسطين بأيدي اليهـود لتصبح دول إسرائيل.

فهل تستطيع الأمة العربية بكل طاقاتها وإمكانياتها الهائلة أن تتحد وتتصدى لهذه الحملة الصليبية الجديـدة، وتحـرر القدس وفلسطين كما حررها أجدادنا. هذا متروك للتاريخ.

مدينة صفد

تقع مدينة صفد في الجليل على سفح جبل كنعان، وتحتضنها سلسلة من الجبال أعلاها قمة جبل الجرمق، وهو أعلى جبال فلسطين، ويبلغ ارتفاعه ١١٩٨ مترا، وتطل صفد على بحيرة طبريا من ناحية الجنوب، وعلى مصادر المياه في شمال فلسطين، وهي تبعد عن أقصى نقطة في شمال فلسطين ٣٠ ك مترا، وعن حيفا ٧٤ ك مترا، وكان لها أهمية تجارية لوقوعها على طريق القوافل بين الشام ومصر منذ العهد الروماني.

وتعتبر صفد عاصمة الجليل الأعلى وإحدى أجمل مصيفين جبليين في فلسطين- والثانية رام الله وترتفع عن سطح البحر ٩٠٠ مترا- وتتوافر في صفد ينابيع المياه العذبة، وتحيط بها أشجار الصنوبر والزيتون وكروم العنب واللوز.

يضم قضاء صفد ستين قرية عربية و ٢٥ مستعمرة يهودية أكثرها أنشيء في عهد الانتداب البريطاني، وقد حرص الصهاينة عند اجتياح مدينة صفد في ١١/ ٥/ ١٩٤٨

على تهويد المدينة، واقتلعوا من بقي فيها من العرب، وقذفوا بهم بعيدا في دروب التيه والضياع، وأزالوا كل أثـر حفـره التاريخ العربي في المدينة، ثم استداروا للقرى العربية فأزالوا معظمها ولم يبقَ إلا ست قـرى قائمـة وهـي: الجـش ـ الريحانية ـ الصالحية ـ حرفيش ـ طوبى ـ عكبره.

اسم صفد مشتق من كلمة صـفاء: الكنعانيـة ومعناهـا الصخرة الصادة، وهنالك قول إنها اشتقت من كلمة الصـفد: بمعنى الوثاق أو العطاء، لم يأتِ اسم صفد فـي الفتوحـات الإسلامية مثلها مثل مدينة حيفا، ولما احتلها الصليبيون فـي القرن الحادي عشر أقاموا فيها قلعتها المشـهورة، وكانـت مدينة صفد آخر المعاقل الصـليبية التـي اسـتولى عليهـا المسلمون في القرن الثالث عشر.

وبعد تحرير بيت المقدس على يد السلطان صلاح الـدين الأيوبي استطاع الصليبيون تجميع قواتهم، وتمكنوا من إعادة الاستيلاء على مدينة صفد، وبقيت في حوزتهم حتى استطاع الظاهر بيبرس تحريرها سنة ١٢٦٧ ميلادية.

ويدّعي اليهود أنه يوجد في صفد قبـور النبـي يعقـوب وأولاده.

وأثر فشل نابليون في فتح مدينـة عكـا سـنة ١٧٩٩ م، ومحاولة أهل صـفد تقـديم بعـض المسـاعدات للمدينـة المحاصرة، قام نابليون باقتحام مدينة صفد، وانتقم من أهلهـا انتقاما رهيبا.

وبين سنوات ١٨٣٢ ـ ١٨٤١ خضـعت صـفد للحكـم المصري بقيادة "إبراهيم باشا"- ابن "محمـد علـي" والـي مصر- الذي أساء معاملة السكان، وفرض عليهم ضـرائب باهظةن وجند أبناءهم بالقوة ولكنه اضطر في النهايـة إلـى الجلاء عن المدينة؛ وعادت إلى الحكم العثماني.

تعتبر صفد واحدة من المدن الأربع المقدّسة لدى اليهـود إضافة إلى القدس والخليل وطبريا.

وعندما وقعت صفد تحت الانتداب البريطاني سنة ١٩١٨ كان عدد اليهود فيها ١٩٨٦ نسمة، وقلّ هذا العدد كثيرا سنة ١٩٤٠ مقابل١٢٩٠٠ عربي، وبعد استيلاء اليهود على صفد سـنة ١٩٤٨ تحـوّلـت إلـى مدينـة يهوديـة بالكامـل، ولم يعد يسكنها أي عربي.

سقوط صفد: شاركت صـفد فـي جميـع الانتفاضـات الفلسطينية خلال الانتداب البريطاني، ومن أبطالها المعروفين الشهيد فؤاد حجازي الذي أعدمه الإنجليز سنة ١٩٣٠.

ومع مطلع سنة ١٩٤٨ أخذت صفد تسـتعد بإمكانياتهـا المحدودة للمعركة القادمة مـع اليهـود، وعنـدما انسـحب الإنجليز من المدينة ١٦/ ٤/ ١٩٤٨ كان عـدد المجاهـدين المدافعين عن المدينة حوالي ٦٠٠ مجاهد، وبدأت المعركـة مع اليهود المتفوقين عددا وعدة، ولم يحاول جـيش الإنقـاذ الذي كان يتولى مسئولية الدفاع عن قطاع الجليـل مسـاعدة المدينة بينما تدفقت المساعدات اليهودية، وفي ٩/ ٥/ ١٩٤٨ قام اليهود بهجومهم الأخير، واستولوا على المدينة؛ وهكـذا أخذ النزوح عن الجليل- الذي بدأ بسـقوط مدينـة طبريـا وتفريغها من السكان- ينتقل بدوره إلى مدينة صـفد حيـث تعمد اليهود طرد السكان جميعهم، ثم أخذوا بالاستيلاء علـى القرى وهدمها وحرقها؛ وبذلك استطاع اليهود إجلاء أكثـر السكان العرب عن الجليل الأعلى بكامله.

حاضر صفد: حوّل اليهود صفد إلـى مدينـة سـياحية، ومصيف مزدهر لكثير من السياح في الـداخل والخـارج،

وأقيمت فيها صناعات الغذاء كالحلويات والشيكولاته والقهوة وآلات الخياطة والدراجات وصـقل المـاس وأدوات البنـاء والملابس ولوازم الطباعة، ومن أهم معالمها حاليا المتحـف ومركز مراقبة الإشعاعات النووية ومـدارس الفـن والنـت والرسم والتصوير.

مدينة عكا
من أقدم المدن الفلسطينية

تقع مدينة عكا في شمال فلسطين وهي أقرب مدنها إلـى لبنان، وتمثل مركزا طبيعيا ممتازا على خليج عكا التي تقـع حيفا في طرفه الجنوبي، ويبلغ طول الخليج ٢٥ ك مترا وهو على شكل هلال، وتشكل سهول عكا الجزء الشـمالي مـن الشريط الساحلي، ويمتد هذا السـهل بطـول ٤٢ ك متـرا وعرض يتراوح بين ٦ و ١٢ ك مترا، وكان عدد سكان عكا في أوائل الاحتلال البريطاني لفلسطين حوالي ثمانيـة آلاف نسمة أكثرهم من المسلمين، وزاد العدد سـنة ١٩٤٥ إلـى ١٢ ألفًا، وعند صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ م كان عـدد سكان عكا ١٨ ألفًا ازداد بعد سقوط حيفا بأيدي اليهود إلـى أكثر من ٤٠ ألفًا؛ بسبب تدفق اللاجئين من مدينة حيفا.

وتقع عكا على مقربة من نهر النعامين الذي كان يعتبـر مصدرا هاما للمياه العذبة، وقد جففـت المسـتنقعات علـى ضفتيه، وتحولت إلى أحواض لتربية الأسماك، ويعتبر نهـر النعامين من مجموعة المشاريع الهامة التي اهتم بها الكيـان

الصهيوني، وفي خليج عكا يصبُّ أيضا نهر المقطـع وهـو يأتي بعد نهر العوجا من حيث الاتسـاع، وجـرى تعميـق مصبه؛ ليصبح ميناء خاصا لمراكب الصيد.

ويشتغل سكان عكا في التجـارة والصـناعة والملاحـة البحرية وصيد الأسماك، وكان من أبنائها أعداد كبيرة مـن المحامين والأطباء والصيادلة والمصلحين وعدد من الشباب المثقفين ثقافة عالية.

تاريخ عكا:

تعتبر عكا من أقدم المدن الفلسطينية، وقد بنتهـا بعـض القبائل الكنعانية التي نزحت إلى فلسطين من الجزيرة العربية وجعلها الكنعانيون قاعدة هامة للتجارة، وبقيت عكـا مدينـة عربية ١٠٠ ٪ حتى الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٤٨.

وتوالى على احتلال عكا الحيثيون ثم المصريون بقيـادة رمسيس الثاني سنة ١٢٧٧ ق. م ولمـا دخـل العبرانيـون فلسطين وقعت عكا في قبضتهم، ثـم لـم يلبـث أهلهـا أن طردوهم منها، ودخلت عكـا تحـت حكـم اليونـان سـنة ٣٣٠ ق. م زمن الإسكندر الأكبر المقدوني ثم انتقلت تحـت

حكم السلوقين عام ١٧٠ ق. م، ثـم احتـل الرومـان عكـا وفلسطين، وازدادت عكـا شـهرة أثنـاء حكـم الرومـان، وأصبحت مركزا لنسيج الحرير وصباغته ثم انتقلت عكا إلى حكم الدولة البيزنطية.

وأخيرا دخلت فلسطين في دولة الخلافة الإسلامية مع بقية بلاد الشام بعد معركة اليرموك سنة ٦٣٤ م، وبقيت في ظل الخلافة الإسلامية حتى سنة ١٩١٨ بغض النظر عن مركـز الخلافة، وأن يكون الخليفة أمويا أو عباسيا أو عثمانيا، ولـم ينقطع هذا الوضع إلا فترة الحروب الصليبية التـي أنهاهـا صلاح الدين واستعاد القـدس سـنة ١١٨٧ م، ولـم يبـق للصليبيين إلا مملكة صغيرة في عكا وما جاورها من بعض مدن الساحل.

وكانت مدينة عكا زمن الخلافة الأموية مقرا للأسـطول العربي ولبناء السفن الحربية والتجارية؛ فـازداد مركزهـا أهمية وقوة.

وقد تبادل المسلمون والصليبيون عكا عدة مرات وبعد أن استردها صلاح الدين سنة ١١٨٧ م استعادها الإفرنج سـنة ١١٩١ م، وقتلوا فيها ثلاثة آلاف مـن أسـرى المسـلمين،

وأخيرا فتحها الملك الأشرف بن السلطان قـلاوون؛ وكـان ذلك إيذانًا بانتهاء الحروب الصليبية التـي دامـت حـوالي قرنين من الزمن.

وكانت عكا أثناء الحكم العثمـاني تعتبـر مـن المـدن الفلسطينية الكبرى، ورغم أن عكا كانت تتبع شـكلاً الحكـم العثماني إلا أن الولاة العرب كانوا يحكمونها حكما مسـتقلاً، ومنهم الشيخ ضاهر العمر الـذي رمـم أسـوارها وعـزز حصونها، واتخذ المدينة عاصمة له، وطلب مـن السـلطان العثماني الاعتراف باستقلال ولاية عكا، ورفـض السـلطان طلبه وأرسل جيشًا وأسطولاً بحرية تمكن من هزيمة ضاهر العمر الذي قُتِلَ في المعارك، واستعاد الأتراك سيطرتهم على عكا سنة ١٧٧٥ م وعينوا أحمد باشا الجزار واليـا عليهـا ورغم قسوته التي اشتهر بها كان إداريا حازما فعمر المدينة وبنى قلعة عكا التي حوَلها الإنجليز أثناء الانتداب إلى سجن فلسطين الكبير، وبنى جامع الجزار الشهير باتساعه وبمئذنته الشاهقة الارتفاع، وبعد وفاة الجزار سـنة ١٨٠٤ م تـوالى على مدينة عكا عدة ولاة، واحتلهـا "إبـراهيم باشـا" ابـن "محمد علي الكبير" سنة ١٨٤٠ م ولكنه اضطر للانسـحاب

منها؛ بسبب ضغوط الدولة الأوربية التي سارعت لمساعدة الدولة العثمانية الضعيفة، وأُلْحِقَت بولاية بيروت حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين سنة ١٩١٧.

من آثار عكا كما ذكرنا إلى جانب القلعة وجامع الجزار عدد من المساجد التاريخية مسجد الزيتونة - مسجد الرمل - المسجد المعلق - مسجد سنان باشا.

إلى جانب الزوايا والتكايا، وفيها عدد من الكنائس والأديرة، وفيها حمام الباشا وهو آية في الفن المعماري، وقد جعل منه الصهيونيون متحفًا للآثار، وفي عكا مكتبة إسلامية تحتوي على عدد من المخطوطات والكتب التاريخية الهامة.

ومن أروع الآثار التحصينية أسوار عكا التي صدَت نابليون، ولم يتمكن من اقتحامها؛ وأدى ذلك إلى فشل حملته لاحتلال فلسطين، وكان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر قد حصن عكا؛ لأنها كانت المركز الرئيسي إلى شمال البلاد ومرفأ لأسطوله.

وقد وسع الجزار الخندق حول عكا بحيث يمكن فتح سدود معينة؛ لكي يتدفق الماء ويملأ الخنادق فتصبح المدينة أشبه

بجزيرة يستحيل اختراقها، وقد أعيد ترميم الأسوار بعد حملة نابليون سنة ١٨١٦ م.

وفي عهد الانتداب البريطاني كانت عكا تضـم مدرسـة ثانوية كاملة وابتدائية ومدرستين للبنـات ثانويـة متوسـطة وابتدائية.

وكان قضاء عكـا أثنـاء الانتـداب البريطـاني يضـم ٥٢ قرية بعضها كان يتمتع بمستوى جيد في عدد المـدارس والطلاب والمتعلمين.

سقوط مدينة عكا بأيدي اليهود:

سقطت مدينة عكا بيد اليهود في ١٦ مايو (أيـار) سـنة ١٩٤٨.

وعندما سقطت حيفا ٢١ إبريل (نيسان) بيد اليهـود لجـأ السكان إلى عكا، ومع ذلك فإن حامية عكا ما كانت لتزيد عن مائة مقاتل، وسلاحهم لا يتعدى البنادق الاعتيادية وعدد قليل جدا من الرشاشات بينما كان اليهود الذين يعيشون حول عكا في عدد من المستعمرات المنتشرة في الشمال أكثـر عـددا وعدة، ومزودين بمدافع الهاون، ورغم وصول فوج اليرموك

بقيادة أديب الششكلي إلى المنطقة فإن عكا لم تحظ بأكثر من ثلاثين مقاتلاً، وأخذ الضغط اليهودي يزداد على مدينة عكـا وخصوصا بعد سقوط حيفا، ورغم بسالة المدافعين وتحملهـم الضنك والجوع والعطش إلا أنهم لم يستطيعوا الصمود حتى حل يوم ١٦ مايو (أيار) حيث سقطت المدينة بأيدي اليهـود، وأقام اليهود على عكا حاكما، ونصبوا على مـدخل المدينـة نعيا نقشوا عليه أنه تخليد لذكرى ٧٥٠ من أبطـالهم الـذين قُتِلُوا أمام أسوار عكا.

وبعد احتلال عكا أخذ اليهود يحتلون القرى العربية واحدة بعد الأخرى، وكانوا يهدمون أكثر منـازل القـرى ومعظـم القوات اليهودية كانت تتكون من الدروز الذين كانوا يسيئون معاملة سكان القرى وينهبون ويدمرون.

مدينة حيفا

كلمة حيفا عربية "والحيفة" معناها الناحية، ويرجح أنهـا أُنْشِئَت زمن الكنعانيين العرب، وتمتاز بموقعهـا الطبيعـي النادر، ومصادر الفتح الإسلامي لم تتحدث عن مدينة حيفـا، وأقرب ذكر لها كان عام ١١٠٠ م حينمـا اسـتولى عليهـا الصليبيون، وقتلوا حاميتها، وأبادوا النساء والأطفـال عـن آخرهم، وفي سنة ١١٨٨ أعادها السـلطان صـلاح الـدين الأيوبي إلى المسلمين ثم تنازل عنها إلى الصليبيين بعد اتفاق الرملة الذي عقِدَ بينه وبين ريتشارد قلب الأسد؛ وأصـبحت حيفا من نصيب القطاع الصليبي.

وفي سنة ١٢٦٥ م فتحهـا القائـد بيبـرس، واسـتردها الصليبيون ثانية إلى أن استرجعها نهائيـا الملـك الأشـرف خليل بن قلاوون سنة ١٩٢١ م، ومنذ ذلك التاريخ بقيت حيفا مدينة عربية فلسطينية حتى سقطت بأيدي الإسرائيليين سـنة ١٩٤٨ م.

تقع حيفا في الطرف الجنوبي من خليج عكا، ويحتضـنها جبل الكرمل، وأخذت تنمو وتزدهر إبان الحكـم العثمـاني،

وبدأ التسلل الصهيوني يهتم بمدينـة حيفـا، ويشـجع علـى الاستيطان بها، وأخذ عدد اليهود يزداد تدريجيا في المدينـة إبان الانتداب البريطاني الذي أنشأ مينـاء حيفـا وافتتحـت مصفاة البترول الوارد من السعودية، وتدفق العمـال علـى مدينة حيفا، وأصبحت مركزا هامـا للعمالـة الفلسـطينية، وأُنْشِئَت فيها أول جمعية منظمة للعمال الفلسطينيين.

ونشأت في حيفا صناعات الأسمنت والسـجائر والنسـيج والصابون بجانب تكرير البترول.

وفجأة يوم ٢٣/ ٤/ ١٩٤٨ انسحبت القوات البريطانية من حيفا بالاتفاق والتنسيق مع المنظمات اليهودية.

اختارت القيادة العسكرية الصهيونية أفضل مقاتليها مـن الهاجاناه والأرجون المسلحين تسليحا حديثًا والبالغ عـددهم خمسة آلاف مقاتل للهجوم على حيفا.

حاولت القوات الصغيرة المدافعة عن المدينة بذل أقصـى ما يستطيعون وبما يملكون من سلاح قليل، ولم يكـن يزيـد عددهم عن أربعمائة مقاتل الدفاع والصـمود، ولكـن عـدم وصول أية مساعدة أو نجدة أدى إلى سقوط المدينة، واستشهد

من مجاهدي حيفا أكثر من مائة وخمسين رجلاً، وجرح عدد مئات من المناضلين والأهالي، وقتل من اليهود ٣٦٣ نفرا.

كان تزاحم الأهالي المجرَدين من السـلاح للفـرار مـن المدينة يمثل قمة المشاهد المأسـاوية حيـث هرعـوا إلـى الزوارق المتاحة قاصدين مدينة عكا ولبنان؛ وهكذا سـقطت مدينة حيفا بأيدي اليهود الذين استباحوا المدينـة، وأحرقـوا ودمروا، وألقوا الجثث في الشـوارع، وسـرقوا المخـازن والمحلات التجارية حتى المقابر نزعوا شواهد الرخام عنهـا وحوَلوا المساجد إلى مخازن للذخيرة.

كان قضاء حيفا في نهايـة الانتـداب البريطـاني علـى فلسطين يضم ٥٢ قرية عربية، وما يقرب من ٦٠ مستعمرة يهودية منها سبع فقط أسست في العهد العثماني وقـد دمـر اليهود معظم القرى العربية باسـتثناء أعـداد قليلـة منهـا شفا عمرو ـ أجزم ـ عارة ـ عرعرة ـ عبلين ـ أبطـن، وكان عدد السكان اليهود في حيفا إبـان الحكـم العثمـاني لا يزيد عن ٣,٥ ٪ ثم أضحوا في أواخـر حكـم الانتـداب البريطاني ٤٦,٥ ٪ ، وكان عدد سكان حيفا في نهاية سـنة ١٩٤٨ ـ ١٢٠٧٠٠ نسمة منهم ١١٥ ألف يهودي ١٩٤٩،

وبلغ عدد السكان سنة ١٩٨٢ ـ ٢٢٦ ألفًا؛ نظـرا لتـدفق المهاجرين اليهود على المدينة.

وتعتبر حيفا حاليا من أهم المناطق الصناعية في إسرائيل وخصوصا الصناعات المعدنية الثقيلة، والصناعات الكيماوية والبتروكيماويات، وصناعة الأغذيـة والزجـاج والزيـوت والأسمنت والسجاد بالإضافة إلـى الصـناعات العسـكرية والمصانع التكنولوجيـة المتطـورة ومصـانع الطـائرات والسيارات.

وفي حيفا أحواض لبناء وتصليح السفن وإنشـاء السـفن الحربية، ويعتبر ميناء حيفا مركزا هاما للأسطول الحربـي الإسرائيلي.

وفي حيفا معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) وهـو مـن أشهر المعاهد في إسرائيل، ويشمل ٢٥ كليـة أهمهـا كليـة الهندسة النووية ـ الهندسة الطبية ـ مراكز البحث العلمي ـ مركز علم الميكروبات والجراثيم.

وتأسست في حيفا جامعة حيفا، وتضم عددا من الطـلاب العـرب ، ويبلـغ عـدد السـكان العـرب فـي حيفـا - حسب إحصاء ١٩٨٥- نحو١٧٢٠٠ نسمة يعانون كما هو

الحال في باقي المدن الفلسطينية المحتلة من الإهمال وعـدم السماح بترميم أو بناء منازل جديدة وأكثر مـن ٤٤ ٪ مـن المساكن العربية غير صالح للسكن، و ١٠ ٪ حالتها خطيرة وآيلة للسقوط.

وفي حيفا المحتلة تقام بعض الندوات الشـعرية والأدبيـة والثقافية يشارك فيها أحيانًا بعض الشعراء ورجال الفكر في فلسطين منهم: توفيق زياد ـ محمود درويش ـ سميح القاسم ـ عصام العباسي ـ إميل حبيبي.

مدينة بيسان

يرجع تاريخ مدينة بيسان إلى أكثر من ثلاثة آلاف سـنة قبل الميلاد، وكانت تُعرَف بالعهد الكنعاني باسم بيت شان أي بيت الإله شان وهو يرمز إلى السكون، وقد أعـاد اليهـود الاسم الكنعاني إلى المدينة حاليا.

ولمدينة بيسان أهمية عسكرية وتجارية وزراعية؛ لأنهـا تتوسط الطرق بين الأردن وحوران ودمشق ولوجودها فـي غور خطيب الذي تتوافر فيه المياه، وتزرع في أرضه أنواع مختلفـة مـن الأشـجار المثمـرة والمزروعـات مثـل: القمح ـ الشعير ـ العدس ـ الفول ـ الحمص ـ الـذرة ـ السمسم ـ الزيتـون ـ البطـيخ ـ العنـب ـ المـوز ـ الحمضيات (الموالح)، وقد تعرَضت نيسان للاحتلال الصليبي لمدة طويلة حتى حررها القائد صلاح الدين الأيوبي.

يضم قضـاء بيسـان ٣٣ قريـة عربيـة إضـافة إلـى ٢٢ مستعمرة يهودية، ويعيش حولها عدة قبائل عربية.

وبسبب مشاكل تسجيل الأراضي إبان الحكـم العثمـاني وعزوف الفلاحين الفلسطينيين عن ذلك استطاعت الجمعيات

اليهودية أثناء الحكم البريطاني لفلسطين بالتواطؤ مع حكومة الانتداب الاستيلاء على مساحات واسعة من أراضي بيسان.

كان عدد سـكان قضـاء بيسـان سـنة ١٩٤٥ حـوالي ٢٤ ألف نسمة أما سكان المدينة نفسها فكـان ٥١٨٠ نسـمة منهم ٢٠ يهوديا فقط.

سقوط بيسان: تمكنت قوات الهاجاناه من احتلال بيسـان يوم ١٢/ ٥/ ١٩٤٨ رغم المقاومة المستميتة التـي بـذلتها الحامية الصغيرة المدافعة عن المدينة، وكعادة اليهود طلبـت سلطات الاحـتلال مـن السـكان الجـلاء عـن المدينـة ومن فضل البقاء نقلتهم تلك السلطات بقوة السلاح إلى الحدود السورية.

هدم اليهود المدينة وأعادوا بناءهـا، وأصـبحت مدينـة يهودية كاملة، ويبلغ سكانها سنة ١٩٩٠ ـ ٢٢ ألف نسـمة، وتحيط بها عشرات المستعمرات اليهودية.

أنشأ اليهود في بيسان عدة برك لتربية الأسماك وكـذلك بعض الصناعات مثل: صقل الماس ـ النسيج ـ المعـادن، وبقرب بيسان سجن رهيب أقامه اليهود للمعتقلـين العـرب، ويضم أكثر من ٤٠٠ سجين.

مدينة الناصرة قبلة أنظار العالم المسيحي

مدينة الناصرة هي قبلة أنظار العالم المسـيحي، والتـي اشتق منها اسم النصرانية، ونسب إليها يسـوع الناصـري، ورغم أن الناصرة لم تلعب دورا هاما في التـاريخ القـديم إلا أنها أصبحت على كل لسان فـي كافـة أقطـار العـالم المسيحي بعد مولد السيد المسيح عليه السلام، ورغـم أن الناصـرة حافظت إلى حد ما على هويتها العربية إلا أنها أحيطت بغابة من المستوطنات اليهودية.

تقع الناصرة بين عكا وحيفا وجنين وطبريا، وتشرف على مرج ابن عامر الفسيح، وهـي مبنيـة علـى مرتفـع مـن الأراضي، وتحيط بها قمم وشعاب من كل جانب، ومن أعلى جبالها يمكن رؤية البحر المتوسط وجبل الشيخ ومدينة صفد وبعض أجزاء الأردن، وقد لعب موقع الناصرة الاستراتيجي دورا في تعرُّضها لكثير من المعارك وإلى هـدمها وإعـادة بنائها عدة مرات، واستعادت وضعها الحـالي فـي القـرن التاسع عشر، وقُدر عدد سـكانها سـنة ١٩٥٢ ـ ٣ آلاف نسمة، وفي عام ١٩٣١ كان عدد سكانها ٨٧٥٦ نسمة، وعام ١٩٤٥ م ١٤٢٠٠ نسمة، وفي عام ١٩٧٨ بلـغ ٤٥ ألـف

نسمة، وقد حاول الإسرائيليون زحزحة السكان العرب من الناصرة ولكنهم أصرُّوا على البقاء، وتحملوا ضروب العنف والأذى، وبنى الإسرائيليون حول الناصرة مدينة يهودية سموها الناصرة العليا؛ وأصبح أكبر تجمع للعرب في إسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ في مناطق الناصرة وصفد وعكا باستثناء عرب القدس، وبلغت نسبة السكان العرب الذين يعيشون في إسرائيل في منطقة الجليل ٦٥ ٪، وبلغت مساحة قضاء الناصرة سنة ١٩٤٠ حوالي ٥٠ ك. م، وعدد سكانه ٣٨ ألف نسمة.

وقد تعرَّضت الناصرة بعد الاحتلال الإسرائيلي للإهمال والتخلف، ورغم أهمية الناصرة الدينية فقد ازدهرت بها بعض الصناعات مثل صناعة اللباد والصباغة ونسيج الأقمشة القطنية والجلود وصناعة الكراسي، وفي عهد الاحتلال الصهيوني ظهرت في الناصرة صناعة الماس والدخان وآلات الخياطة والدراجات، وقد أخلى اليهود أكثر قرى الناصرة من السكان العرب، وكانت نسبة الوجود اليهودي في قضاء الناصرة قبل الاحتلال اليهودي حوالي ١١ ٪ من السكان فقط.

تاريخ الناصرة: منذ ميلاد السيد المسيح عليه السلام؛ أصبحت عروس الجليل مدينة عامرة ومزدهرة، ولما هدم "طيتس" القدس سنة ٧٠ م حاول اليهود الانتقال إلى منطقة الناصرة؛ وسمح لهم الرومان بذلك، ولكن قسطنطين عاد فأخرجهم منها وأعادها مدينة مسيحية، ولما فتح العرب فلسطين كان النصارى والمسلمون يعيشون متآخين في مدينة الناصرة، وأثناء الحروب الصليبية تعرَّضت الناصرة لكثير من الكوارث والخراب حتى حررها صلاح الدين الأيوبي سنة ١١٨٧ م، واحتفظ للناصرة بمكانتها وأماكنها المقدسة، وفي صلح الرملة بين صلاح الدين وريتشارد زعيم الصليبيين بقيت الناصرة في أيدي المسلمين، ثم توالت الحملات الصليبية لاسترداد الناصرة.

وكانت سجالاً إلى أن دخلت الناصرة جيوش "جنكيز خان" المغولي عام ١٢٤٣ م، وعاثت فيها فسادا ثم عاد المسلمون واستردوها.

وفي عام ١٢٥٤ هدم الزلزال مدينة الناصرة، ثم احتلها الملك الظاهر بيبرس، وفي عام ١٢٩١ استولى السلطان ابن قلاوون على الناصرة بعد أن كان الصليبيون قد

استردوها من العرب، ومنذ ذلك التاريخ بقيت الناصرة حتى يوم أن احتلها الإسرائيليون مدينة عربية.

وقد احتلتها جنود نابليون سنة ١٧٩٩ م، وكان ذلك لفترة وجيزة انسحب بعدها حينما أخفق في احتلال عكا.

كان في الناصرة أثنـاء الحكـم العثمـاني سـنة ١٩٠٠ مدرستان رسميتان، و ١٤ مدرسة غير رسـمية، منهـا ١٠ مدارس للفرنسيين والإنجليـز الـروس، وأربـع مـدارس للمسيحيين العثمانيين.

وامتاز قضاء الناصرة أثناء الحكم العثماني أن بعض قراه كان فيها إلى جانب الكتاتيب مدارس رسمية، وكان الـروس قد أنشأوا في الناصرة سنة ١٨٨٦ مدرسـة عليـا لتخـريج المعلمـين، وفـي سـنة ١٩٤٣ كانـت الناصـرة تضـم ٣ مدارس حكومية إلى جانب ١١ مدرسة غيـر حكوميـة، وقضاء الناصرة الذي يضم ٢٣ قرية كان به عدد كبير مـن المدارس للبنين والبنات.

وفي سنة ١٩٢٦ م تأسس في الناصرة أول نادٍ أدبي كان يهتم بمتابعة الحياة الأدبية في المدينة، وحاضر فيـه كبـار الأدباء مثل ميخائيل نعيمة، وأمين الريحاني.

وفي عهد الاحتلال اليهودي أُنْشِيء في الناصرة المسـرح الشعبي سنة ١٩٦٤، وتبعه المسرح الحـديث سـنة ١٩٦٥، ورغم الرقابة الشديدة من قبل السـلطات الإسـرائيلية فقـد اتسمت الحركة المسرحية في الناصرة بالنضج حتى أصبحت أبرز ظاهرة فنية في الأراضي المحتلة.

وأثناء الحرب العالمية الأولى كانت مدينة الناصرة مركز القيادة الألمانية في قطاع فلسطين، وسـقطت بيـد القـوات الأسترالية بعـد معركـة ضـارية مـع القـوات التركيـة سنة ١٩١٨.

وأثناء الاحتلال البريطـاني لفلسـطين ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ قامت بالناصرة عدة مظاهرات ضد الاحـتلال البريطـاني، وقُتِلَ فيها حاكم لواء الجليل البريطاني أندروس، ولـم تحـظَ الناصرة بمساعدة جيش الإنقاذ الذي دخـل فلسـطين، ولـم تصمد أمام الهجمات اليهودية؛ فسقطت في شهر يوليو سـنة ١٩٤٨، وأصبح ثلاثون ألف عربي تحت رحمة إسرائيل.

مدينة الرملة

واحدة من أعظم خمس مدن تم تشييدها في صدر الإسلام بالإضافة إلى: البصرة ـ الكوفة ـ الفسطاط ـ القيروان.

بناها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك سـنة ٧١٥م، واستمرت الرملة عاصمة لفلسطين إلى أن احتلها الصليبيون سنة ١١٠٩ م، وسواء في العهد الصليبي أو الحكم الإسلامي ثم العثماني وأخيرا الانتداب البريطاني كان لمدينـة الرملـة أهمية حربية؛ لسبب موقعها الجغرافي، وقد أقـام الإنجليـز أكبر مقر لجنودهم قرب الرملة الذي عرِفَ بمعسكر صرفند، وكذا تم بناء أكبر مطار مدني في فلسطين بقربها على بعـد أربعة كيلومترات (مطار اللد).

وبعد أن حرر صلاح الدين مدينـة الرملـة مـن أيـدي الصليبيين سنة ١١٩٢ م عاد الصليبيون واسـتعادوها سـلما بموجب صلح الرملة الذي عِقِدَ بين صلاح الدين والصليبيين إلا أن هذا الاتفاق لم يعمر طويلاً حيث تمكن الظاهر بيبرس من تحريرها وإعادتها للحكم الإسلامي.

تبعد الرملة عن مدينة يافا ١٨ ك. متـرا، وعـن مدينـة القدس ٤٥ ك. مترا، وفيها عـدد مـن الأمـاكن الأثريـة والتاريخية.

وسقطت مدينـة الرملـة بأيـدي اليهـود عشـية يـوم ٩/ ٧/ ١٩٤٨، وعمدت القوات اليهودية إلى عـزل مدينـة الرملة عن مدينة اللد، وبدأت في قصف المدينة من الطائرات ومن المدفعية الأرضية، وشمل القصف الأحياء السكنية ولما أدرك أهل الرملة عـدم قـدرتهم علـى مواجهـة القـوات الإسرائيلية اتصلوا بالإسرائيليين طـالبين تسـليم المدينـة؛ وتم الاتفاق الكتابي بشرط عدم التعرُّض للأهالي أو المساس بالأملاك، وما إن دخلت القوات الإسرائيلية المدينـة حتـى أخلت المدينة بتلك الشروط، وأجبرت السكان على الرحيـل تجاه الشرق، ولم يبق من سكان الرملة غير ٤٠٠ نسمة.

الرملة الجديدة: تدفق المهاجرون اليهود ليحلـوا محـل السكان العرب، وأنشئت أحياء جديدة وفيها الآن أكبر مصنع للأسمنت في فلسطين، وكذلك مصانع الثلاجـات والبيـوت الجاهزة والأطعمة المعلبة والمحركات، وقـد أزال اليهـود عشرات القرى العربية وأهمها: عمـواس ـ اللطـرون ـ

قولة ـ قبية ـ عـاقر ـ القبـاب ـ صـرفند وغيرهـا.

وضمن أكثر من ثلاثين سجنًا خصصتها السلطات الإسرائيلية للمعتقلين الفلسطينيين يحتل سجن الرملة المرتبة الثالثة مـن حيث الأهمية، وفيه قسم خاص للنساء تُسجن فيه المناضلات الفلسطينيات بجانب المومسات الإسـرائيليات والمصـابات بأمراض جنسية معدية، وفيه أيضا قسم خاص بالتعذيب.

مدينة اللد

مدينة كنعانية قديمة، كانت تمثل مكانة دينية فـي القـرن الأول من التاريخ المسيحي، دخلها عمرو بن العاص ﵁ سنة ٦٣٦ م وكان قائدا عاما للقوات الإسلامية في فلسطين، وفي سنة ١١٠٩ م احتلها الصليبيون وهم في طريقهم إلى مدينـة القدس وبقيت في حوزتهم إلى أن اسـتعادها إلـى أحضـان المسلمين القائد السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو في طريقه إلى تحرير القدس.

وأهمية اللد وكذلك توأمها مدينة الرملة أنها تمثل البوابـة الغربية لمدينة القدس وتبعد عنها ٥٠ كيلومترا، وقد اكتسبت مدينة اللد أهمية كبيرة إبان الحرب العالمية الأولـى؛ حيـث تلتقي فيها أهم محطة للسكك الحديدية في الشـرق العربـي، وبقربها أنشأ الانتداب البريطاني أهم مطار مدني في فلسطين سنة ١٩٣٦ م (وهو الذي أسماه اليهود فيها بعد مطـار بـن جوريون).

واشتهرت مدينة اللد بصناعة الصابون وعصر الزيتـون الذي تتوافر أشجاره في السهل الخصيب المحيط بالمدينة.

بعد احتلال اليهـود للمدينـة سـنة ١٩٤٨ أخـذ سـيل المهاجرين اليهود يتدفق عليها حتى وصـل عـددهم سـنة ١٩٧٣ حوالي ٤٤ ألف نسمة بينما كان عدد السكان العـرب ٣٤٠٠ نسمة، ويبلغ حاليا عدد العرب في مدينة اللد حـوالي ٦ آلاف نسمة، وتحاول إسرائيل بشتى الطرق التخاص منهم وإجلاءهم إلى منقطة النقب وهي تضـيق الخنـاق علـيهم، وتمنعهم من إجراء أي ترميم لمنـازلهم المتداعيـة أو بنـاء منازل جديدة، وبقيت الأحياء العربية مهملة تنتظـر الهـدم التدريجي.

وقد أقام اليهود مدينة عصرية جديدة، وأنشأوا فيها عـدة صناعات منها: صناعة المواد الغذائية - النفطية - التبغيـة - المعدنية - صناعة الورق والأدوات الكهربائيـة، أنشـأ اليهود العديد من الفنادق والمحـلات التجاريـة ووكـالات السياحة، وأصبحت اللد من المناطق السياحية الهامـة فـي إسرائيل.

ماذا عن مأساة مدينتي
اللد والرملة

لما كنا بحاجة إلى تذكير الأبناء والأحفاد بما اقترفه اليهود ضد أهالي اللد والرملة عند احتلالهما سنة ١٩٤٨، وجـدت مـن المناسـب تقـديم شـرح مفصـل لتلـك المأسـاة وما أحاط بها من فظائع وقتل جماعي وطرد واغتصاب.

وفيما يلي أنقل معتمدا على الوثائق الرسمية الإسـرائيلية التي تم السماح بالاطلاع عليها مؤخرا ومـن بينهـا وثـائق مجلس الوزراء الإسرائيلي حيث يقول فيها وزير الزراعـة الإسرائيلية آنئذ أهارون زيسلنج:

" لقد اقترف الجيش الإسرائيلي في مدينتي اللد والرملة ما يصعق لهولها النازيون، إنني لا أستطيع النوم لجسـامة مـا شاهدته أنا ويعقوب شابير النائب العام الإسرائيلي، ثم يروي كيف تم التهجير القسري وبث الذعر بين السكان وطردهم ".

وفي شرح أحداث تلك المأساة وتفصـيل الخيانـة التـي ارتكبها جلوب باشا الجنرال الإنجليز - قائد الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨- وضلوعه في تسليم المدينتين إلى اليهود

تم اختيار مأساة اللد والرملة نموذجا من نماذج خيانـة القضية الفلسطينية.

عندما ازداد نزوح السكان من المدن والقرى الفلسطينية- نتيجة ضغوط القوات الإسرائيلية وتفوقها- أخذ سيل اللاجئين يتدفق على مدينتي اللد والرملة باعتبارهما المدينتين الآمنتين اللتين تحميهما القوات الأردنية بقيادة الجنـرال الإنجليـزي جلوب باشا.

وتجاوز عدد السكان في المدينتين في أوائل يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨ حوالي مائة ألف من السكان المقيمين واللاجئين من القرى والمدن المجاورة.

وفجأة بدون سابق إنذار انسحب الجـيش الأردنـي مـن المدينتين وتركهما دون أي غطاء أو مقاومة.

في ١١ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٨ قاد موشى ديان القائـد الإسرائيلي رتلاً من قوات الكوماندوز المحمولة على سيارات الجيب إلى مدينة اللد وسط لعلعة نيران البنادق والرشاشات، وسار الرتل عبر الشوارع الرئيسية يصبُ نيرانـه المـدمرة على كل شيء متحرك، وكانت جثث العرب مـن الرجـال والنساء وحتى الأطفال منثورة فوق الشوارع في أعقاب هذه

الحملة الرائعة التي لم تعرف الرحمة، وكان مراسل جريـدة الهيرالد تربيون البريطانية يرافق الحملة اليهودية، وأبرق إلى جريدته في اليوم التالي يصف مأساة مدينة اللد وما اقترفـه اليهود من فظائع.

ثم جاء الاستيلاء على مدينة الرملة الملاصقة في اليـوم التالي؛ فقاموا بجمع كل الرجال العرب القادرين على حمـل السلاح واحتبسوهم داخل حظائر خاصة ثم راحت مكبـرات الصوت الإسرائيلية تطوف المدينتين لتعلن أنه لم يتم تزويـد الطعام ولا الماء للسكان، وأمام العرب ٤٨ ساعة للخـروج إلى شرقي الأردن، وبدأت القوات الإسرائيلية بعد ذلك فـي نهب المدينتين وسلبهما، حتى عادت مكبرات الصوت في ١٣ يوليو (تموز) إلى إصدار الأوامر النهائية ولتسـمية طـرق الخروج التي ينبغي سلكها وهي: جسر كوباح لسكان الرملة، وجسر هنداس لسكان اللد.

وعندما باشر السكان النزوح من المدينتين عبر الجسرين، وعلى حد قول صحيفة الإيكونمست البريطانية اللندنية جرى تجريد النازحين بصورة منتظمة من كافة أمتعتهم وممتلكاتهم قبل إرسالهم في رحلتهم الجماعية إلى الحدود؛ فقد كان عليهم

أن يتركوا كل شيء وراءهم من الأمتعة البيتيـة والمتـاجر حتى الثياب والملابس.

وحين بدأت الطوابير مسيرتها أطلقت القوات الإسـرائيلية النـار علـيهم وفـوق رءوسـهم كمـا يقـول الميجـر "أوبالانس"، وكانت الحرارة مرتفعة جدا والعرب لم يملكـوا ولا الماء طيلة أيام ثلاثة، والذي بقي معه شيء من الطعـام أُخِذَ منهم لدى عبور الجسر ثم حلقت الطائرات الإسـرائيلية الصغيرة لتنشر أزيزها فوق الصفوف الطويلة من النـازحين المطرودين وهم يجتازون التلال مجهـدين؛ ومـات أطفـال لا يحصى عددهم بسبب العطش، وكانـت الأمهـات يلقـين أطفالهن الميتين على جانبي الطريق.

ووصل معظم النازحين في نهاية المسـيرة إلـى تـلال اليهودية، وإلى وادي الأردن أو مرتفعات شرقي الأردن.

وهذه المعلومات نُشِرَت في الصحف البريطانيـة، وفـي مذكرات الجنرال البريطاني جلوب باشا التي نشرها في لندن سنة ١٩٥٧.

مأساة اللد والرملة من منظور آخر

بوادر المأساة:

عنــد دخــول الجيــوش العربيــة لفلســطين فــي ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ كان سكان مدينتي اللد والرملة قد تضاعفوا؛ بسبب الموجات المتلاحقة من اللاجئين التي تـدفقت علـى المدينتين من القرى المجاورة ومن مدينة يافا.

ورغم أن المدينتين كانتا حسب تخطيط دخـول الجيـوش العربية من نصيب الجيش الأردني فإنه لم يتخذ أية إجراءات للدفاع عن المدينتين الهامتين من الناحية العسكرية، واكتفـى بإرسال سرية صغيرة بدون دعم أو مساندة من المدرعات أو المدافع أو حتى الرشاشات الثقيلة.

حاولت السرية- بعد أن انضم إليها بعض المسلحين مـن العشائر والمناضلين الفلسطينيين والأردنيين- تنظيم تلك القوة التي لم يزد سلاحها عن البنادق العادية، والتمركز في بعض المواقع للدفاع عن المدينتين.

ونظرا للموقع الاسـتراتيجي للمـدينتين لقربهمـا مـن تل أبيب، وسيطرتهما على طريق القـدس، وكـذلك وجـود

المطار الدولي - مطار اللد - ومعسكر صرفند وهو أكبر معسكر بناه الإنجليز في فلسطين.

كان على تلك القوات المحدودة العدد والتسليح حماية هذا الموقع الاستراتيجي من هجمات اليهود المتلاحقة.

الأحداث التالية تؤكد أن مأساة اللد والرملة تعود إلى أنها سلمت لليهود بتواطؤ تم بين جلوب باشا واليهود بالاتفاق على عدم تحصين المدينتين، والاعتماد فقط على القوة الصغيرة بالإضافة إلى قوات الجهاد المقدس الفلسطينية، كان لتسليم اللد والرملة إلى اليهود بواسطة الجيش الأردني وقيادة جلوب باشا نتائج خطيرة بالنسبة لسير المعارك منذ ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ ضد الجيوش العربية النظامية في فلسطين وأهمها:

١- كشف ميمنة الجيش المصري وتهديده بطريق غير مباشر.

٢- إزالة عقبة هامة لضمها إلى القسم اليهودي من فلسطين.

٣- إنهاء سيطرة العرب على طريق تل أبيب - القدس.

٤- إرغام العرب على الانشغال بمسألة تدفق اللاجئين.

٥- الإساءة إلى قوات الجيش الأردني التي كانت تُطوق القدس، وتهديد مواقع تلك القوات.

كيف جرت عملية التسليم:

في يوم ٨/ ٧/ ١٩٤٨ أمر جلوب باشا بنقل الكتيبة الأولى من منطقة اللد والرملة حيث كانت تعسكر في بيت نبالا إلى منطقة طوباس؛ وبذلك أُخْلِيت منطقة اللد والرملة من القـوة الوحيدة التي كان يعوُل عليها لصـد الهجـوم فـي اتجـاه المدينتين.

وعند انتهاء الهدنة الأولـى فـي ٩/ ٧/ ١٩٤٨ شـرع اليهود- حسب الاتفاق مع "جلوب باشا"- في الزحف نحـو القرى المحيطة بالمدينتين واحتلوها حتـى أتمـوا تطويـق المدينتين.

حاول السكان طلب النجدة من الجـيش الأردنـي حيـث تظاهر "جلوب باشا" أن قوات من الجيش في طريقها لإنقـاذ الموقف، ومن سخرية القدر والمؤسف أنه حصـل العكـس وانسحبت بقايا القوة الأردنية من المدينتين، وتركوهم عـزَلاً

من السلاح؛ وهكذا تمت المؤامرة، وحصلت المأساة بـدخول اليهود المدينتين بدون أدنى مقاومة.

وكان منظـر جمـوع اللاجئـين الـذين وصـلوا إلـى رام الله تقشعرُ له الأبدان؛ وهكذا وضحت الأدلـة القاطعـة للمؤامرة الدنيئة التي خطط لها "جلوب باشا".

أهم نتائج سقوط اللد والرملة بأيدي اليهود:

١- قضى استيلاء اليهود على المدينتين علـى التتـوء العربي الخطر الذي كان يهدد تل أبيب أكبر المـدن اليهودية.

٢- استولى اليهود على مطار اللد الدولي، وعلى محطة السكة الحديد بحالة جيدة.

٣- استولى اليهود على أكثر من عشرين قرية كبيـرة، وخمسين قرية صغيرة بما فيها من ثروات وخيرات.

٤- استولى اليهود على أكثر من ٧٥٠ ألف دونـم مـن أخصب أراضي فلسطين الزراعية.

٥- فتح طريق تل أبيـب ـ القـدس، وكـان القضـية الرئيسية في فتح الممر الذي طالما سعى اليهود إلى تحقيقه " ويسمى الكريدور ".

٦- تيسر لليهود الاتصال بالجنوب بعد أن انكشفت ميمنة الجيش المصري، وشرع اليهود في استثمار نصرهم باستعمال طريق الرملـة ـ رحبـوت أو اللـد ـ عرطوف إلى الجنوب.

٧- ارتفع عدد اللاجئين بسبب هذه المأساة؛ مما زاد حال الارتباك في الأواسط الفلسطينية.

٨- ازدياد الضغط على مدينة القـدس وعلـى القـوات المصرية في الجنوب.

٩- ازدادت قوة اليهود سياسيا بعد أن حققـوا سياسـية الأمر الواقع وتابعوا استعمالها في بقية المناطق.

١٠- صدمة كبيرة أصابت القوات المقاتلـة الفلسـطينية وأضعفت معنوياتهم في مواجهة القوات اليهودية.

رؤية أخرى لمأساة اللد والرملة
كما يرويها الحاج "أمين الحسيني"
مفتي فلسطين الأكبر في مذكراته

كارثة اللد والرملة نشأت حين سحب الجنرال الإنجليـزي وقائد الجيش الأردني فجأة قوات الجيش الأردني التي كانت مرابطة فيها بعدما جرد قوات الجهاد المقدس الفلسطينية من سلاحها بحجة الهدنة الأولى واعدا بإرجاعها بمجرد انتهـاء الهدنة ولكنه أخاف وعده، عندما استؤنف القتال في ٩ يوليو سنة ١٩٤٨ سقطت اللد والرملة وعشرات القرى المحيطـة بهما في أيدي اليهود؛ اضطر نحو مائة ألف من أهلها للنزوح يضاف إليهم من لجأ إلى المدينتين المذكورتين من أهل مدينة يافـا وقراهـا وهـم لا يقلـون عـن خمسـين ألفًـا، وقد روى أحد رجال الدين المسيحي أنه سمع من المنسنيور وكيل بطريرك اللاتين في فلسطين أن "جلوب" بعث برقيـة تهنئة لقائد الجيش اليهودي علـى احتلالـه اللـد والرملـة، ولما صادفه المنسنيور المذكور وعاتبه على برقيتـه أجـاب "جلوب باشا" بقوله: "هذه هي السياسية".

ونحن لا نريد تجريح شخصية "جلوب"؛ فهو يعمل لصالح أمته ودولته بريطانيا ولكن اللوم يقع على بعض العرب الذين ولوه القيادة العامة أثناء حرب فلسطين.

مدينة يافا تفقد هويتها العربية
كيف تخطط إسرائيل للقضاء
على الشخصية الفلسطينية؟

- في سنة ١٩٥٠ ضمت إسرائيل مدينة يافا إلى بلدية تل أبيب؛ وأصبح اسمها مدينة " تل أبيب ـ يافا ".
- بلغ عدد السكان العرب في يافا حسب الإحصاء الإسرائيلي الرسمي سنة ١٩٩٣ ـ ١٥٨٠٠ نسمة ولكن المجتمع العربي في يافا يقدَّر بحوالي ٢٢ ألف نسمة.
- العرب يعيشون في موقعين فقط: حي العجمي وحي الجبالية، وقد تم حتى سنة ١٩٩٦ هدم ٧٠ ٪ من حي العجمي و ٣٠٪ من حي الجبالية.
- ٨٠ ٪ من الوحدات السكنية في حي العجمي والجبالية- حيث يعيش السكان العرب- بنيت قبل سنة ١٩٤٨.

- ٧١ ٪ من السكان العرب يعيش أكثر من ٧ أنفس في الشقة الصغيرة، ٢٢ ٪ من السكان يملكون بيـوتهم و٧٨ ٪ مـن العـائلات تسـكن بالإيجـار. (من كتاب الإحصاء السنوي لبلدية تل أبيب ـ يافـا سنة ١٩٩٣).
- مستوى دخل الفرد العربي فـي يافـا متـدنٍ جـدا بالمقارنة بدخل اليهودي المقيم في يافا رغم أن أكثر اليهود المقيمين في يافا حاليا من الفقراء.

  (إحصاء ١/ ٦/ ١٩٩٥).
- ٢٠,٨ ٪ من الأطفال العرب في يافا يعيشون تحـت خط الفقر، و ٤٢ ٪ مـن الأطفـال العـرب غيـر موجودين في الإطار التعليمي، وحضانات الأطفـال لا تلقى أي دعم من قبل البلدية؛ ونتيجة ذلـك فـإن الخدمات التربوية محدودة جدا.
- ٣٠ ٪ من عدد الشباب العرب الذين تسرّبـوا مـن جهاز التعليم تورّطوا في أعمال إجرامية.

  (إحصاء ١٩٩٦).

- مستوى التعليم في الأحياء العربية هو الأكثر تدهورا مقارنة مع الأحياء اليهودية الفقيرة في يافا نفسها.
- ٤٥ ٪ من الرجال العرب في يافا هم عمـال غيـر مهنيين، وحوالي ثلث الرجال و ٧٥ ٪ مـن النسـاء لا يجدون عملاً.
- جميع شوارع مدينة يافا اُستُبدِلت أسـماؤها العربيـة بأسماء عبرية، وجميع اللافتات في المدينـة تُكْتَـب باللغة العبرية فقط.
- أمام المجتمع العربي في يافا ثلاثة أجهزة تعليمية:

- جهاز التعليم الحكومي العبري.
- جهاز التعليم الحكومي العربي.
- جهاز التعليم الأهلي الخاص.

١٠ ٪ من التلاميذ العرب يتعلمون في المدارس الحكومية اليهودية المجانية، وتضم أبناء الطبقة الفقيرة، وهـي تمثـل غالبية عائلات العجمي والجبالية.

١٥,٣ ٪ من التلاميذ العرب يتعلمون في مدارس مهنية.

المدارس الأهلية:

١- مدرسة كاثوليكية فرنسية (مدرسة الفرير سابقًا).

٢- مدرسة بروتستانتية اسكتلندية (مدرسة مس بين سابقًا).

٣- مدرسة راهبات تراسنطا (مدرسة الراهبات سابقًا).

ولغة التعليم الفرنسية والإنجليزية، والعربية تُدرَس في إطار لغة ثانية أو ثالثة، والعائلات ذات القدرات المادية هي التي تستطيع إرسال أولادها إلى المدارس الأهلية المكلفة؛ وهكذا فإن مناهج التعليم تسهم في تعميق الفجوة الطبقية في صفوف المجتمع العربي اليافي، ويصعب قيام هوية وطنية حضارية مشتركة لسائر المجتمع وخصوصا أن المدارس الحكومية لا تضمن للتلاميذ العرب إمكانية استمرار التعليم وضمان إيجاد عمل مناسب في سوق العمل، ويبقى المجال لبعض العائلات الغنية التي تضمن لأبنائها المحافظة على مكانتهم الطبقية.

- جميع الأوقاف الإسلامية أصبحت بموجب القانون الإسرائيلي أملاك الغائبين، ولا تستفيد الطائفة

الإسلامية من ريعها بتاتًا، والمقابر والمقدسات تُدنس باستمرار دون أي اعتبار لمشاعر المسلمين، وقد بِني فندق هلتون فوق مقبرة عبد النبي، وبنيـت جامعـة تل أبيب فـوق أرض الشـيخ مـونس، والأوقـاف المسيحية تعرَضت للنهب وأصبحت معرَضة للدمار.

- الخدمات البلدية مهملة بشكل متعمـد فـي الأحيـاء العربية، والمخطط الإسرائيلي يرمـي إلـى إخـلاء المناطق العربية؛ من أجل إقامة حـي غنـي مـن الفيلات والبيوت الفخمة للأغنياء فقط.
- جففت بلدية تل أبيب - يافـا ٢١٠ دونمـات مـن البحر أمام شاطئ الجبالية، وكانت تردمـه بنفايـات منطقة تل أبيب، وأُجبِرَ السكان العرب على العـيش في ظروف بالغة الصعوبة.
- في سنة ١٩٩٢ بـدأت بلديـة تـل أبيـب - يافـا (قسم دائرة الأراضي) في مشروع تسويق الأراضي والبيوت في يافا؛ مما أدى إلى ارتفـاع حـاد فـي الأسعار، والبيت الذي يمكن شراؤه في الرملة أو اللد

أو منطقة الجليل يقل عن ٢/٣ سعر يافا؛ والقصد هو تفريغ يافا وإخلاؤها من العرب.

- بعد أن كانت عدة عائلات تتعيش من عمليـة صـيد الأسماك في ميناء يافا ـ رغـم خلـوه مـن كافـة الخـدمات الأساسـية كالإنـارة والأمـن ـ إلا أن الحكومة أخذت تطارد هذه العائلات؛ بقصد تحويـل الميناء إلى مارينا للبحوث، وتحويل المخـازن إلـى مطاعم وسوق تجاري.
- جميع حدائق البرتقال (البيارات) في يافا ومِن حولها قد أُقتُلِعت ومحيت من الوجود.
- بالإضافة إلى جميع المشاكل الصعبة التي يعاني منها سكان يافا العرب قررت حكومة إسرائيل نقل قسـم كبير من العملاء الذين خـانوا شـعبهم الفلسـطيني للإقامة في يافا وفي قلب أحياء المجتمـع العربـي، ووصل عددهم إلى حوالي ١٥٠ عائلـة، ولا يـزال الرقم بازدياد.
- المدينة القديمة في يافا تحوّلت علـى أمـاكن للهـو ومطاعم وقاعات موسيقى.

ورغم حجم المأساة في مدينة يافا فإن السكان العرب غير مستعدين لمغادرة مدينتهم وهذا ما أثبتته وثائق واستفتاءات البلدية ولكن الخطر أن سياسية الحكومة الإسرائيلية الجديدة (الليكود) ربما تؤدي إلى دفع الكثير من العائلات إلى النزوح من يافا؛ وبالتالي إلى تفريغ يافا - أرض الآباء والأجداد- من سكانها العرب.

يافا تحت الاحتلال الإسرائيلي
بعد سنة ١٩٤٨

في كتابنا " مدينة يافا " الذي صـدر سـنة ١٩٨٩ سـبق وتحدّثنا بالتفصيل عن مدينة يافـا: موقعهـا - تاريخهـا - معالمها الأثرية - نشاطاتها التجارية والصناعية - صـور من الحياة الاجتماعية فيها - القرى المحيطة بها، إلى جانب كفاحها المسلح في سنتي ١٩٤٧ - ١٩٤٨ وأخيرا سـقوطها بأيدي اليهودي.

وحديثنا الآن عن يافا تحت الاحتلال الإسرائيلي:

بدأ الهجوم الأخير على يافا في ليل ٢٥ إبريل (نيسـان) ١٩٤٨ بقوة من الأرغون عددها ٦٠٠ مقاتل، وبقوة أخـرى مماثلـة مـن الهاجانـاه؛ واستسـلمت المدينـة بتـاريخ ٢٧/ ٤/ ١٩٤٨ ووقع مجلس الطوارئ المؤلف من مختلـف الطوائف التي لم تغادر يافا صكَّ الاستسلام دون قيد أو شرط أمام قائد الهاجاناه في منطقة تل أبيب، واُحتُلَت يافا بقـوات مشتركة من الهاجاناه والأرغون.

لم يحترم اليهود وعودهم بإعلان يافـا مدينـة مفتوحـة، ونقضوا اتفاق التسليم، وأعملوا في المدينة يد السلب والنهب والقتل والاغتيال، وجمعوا من بقي من سكان يافا في منطقة ضيقة من حي العجمي أحيطت منافذها بالأسـلاك الشـائكة، ومِنعَ الدخول أو الخروج منها إلا بإذن الحـاكم العسـكري اليهودي للمدينة.

وجاء على لسان الدكتور حسن فرعون الذي آثر البقاء في يافا خلال السنوات الأولى من الاحتلال الإسرائيلي للمدينة ما يلي:

رغم إعلان يافا مدينة مفتوحـة، وتعهـد اليهـود بعـدم التعرُض للأهـالي أو الأمـلاك أو المحـلات فقـد قامـت الجماعات اليهودية العسكرية والميليشـيات بنهـب البيـوت بصورة منظمة، كما قامت بمصادرة المخـازن، والمحـلات والمتاجر، والمكاتب، والجوامع، والكنائس، والمستشـفيات، والمصانع، والمستوصفات، والمدارس، وجميع السـيارات، والآلات، والأدوات الكهربائية، والسجاد العجمي، والأوانـي الفضية، وكان ذلك يتم في الليل والنهار طوال أسابيع عديدة، وقد أُجبِرَ سكان يافا الذين تناقص عددهم إلى حوالي خمسـة

آلاف على ترك بيوتهم والانتقال إلى أحد أقدم أحياء يافا؛ حيث أُحيط بالأسلاك الشائكة، وسمِحَ لليهود باحتلال جميع المباني في أحياء المدينة، وفي نهاية عام ١٩٤٩ رفِعت الأسلاك الشائكة بعد أن أُحكِم الطوق على الحي الصغير الغربي في يافا، وفرض على العرب مشاركة اليهود الجدد في بيوتهم الصغيرة، وأصبحت عائلات بأكملها تعيش داخل غرفة واحدة، وكان السكان العرب يجدون مشقة كبيرة في الانتقال؛ بسبب الأحكام العرفية التي فُرِضت عليهم، وتم إيداع العديد من سكان المدينة في السجون ومعسكرات الاعتقال، وحدثت عدة محاولات اغتصاب، حتى المقابر لم تسلم من التدنيس، وسرقت الصلبان والزخارف والرخام من فوق القبور، وشُيدت الملاهي فوق أرض المقابر.

صور من داخل يافا بعد سنة ١٩٤٨:

لم تعد يافا مدينة عربية؛ فقد دمر حي المنشية بكامله ولم يبق من الحي إلا جامع حسن بك، وعلى امتداد البحر من منطقة الجامع حتى مقبرة حي أرشيد أُنْشِيء كورنيش عريض يربط بين يافا وتل أبيب.

وتحوّلت البلدة القديمة إلى حي سياحي يمتلئ بالمطاعم والمقاهي والكباريهات اليهودية، واقتصر السكن في حي النزهة على اليهود القادمين من المغرب العربي والعراق، ولا يحق لأي فلسطيني السكن خارج المنطقة التي حددت للأهالي العرب، ويمنع الأهالي كذلك من إصلاح وترميم بيوتهم التي بدأت تتصدع وتنهار؛ والقصد من ذلك إجبار السكان على مغادرة المدينة.

وبعد سنة ١٩٤٨ أخذت أهمية ميناء يافا تتقلص إلى أن أُغْلِقَ نهائيا سنة ١٩٦٥ في وجه السفن باستثناء مراكب الصيد الصغيرة، وحلّ محله ميناء سدود الذي يقع على مسافة ٣٠ كيلومترا جنوبه.

أما بالنسبة لزراعة الحمضيات التي اشتهرت بها يافا وقراها فقد قضى اليهود على ٥٠ ٪ من مزارع البرتقال ودمرت تماما، و ٢٥ ٪ لا تتوافر له الكميات الكافية من المياه، وبقي ٢٥ ٪ أُدخِلت عليه التحسينات وأخذ اليهود يصدرون إنتاجه باسم "برتقال يافا".

وقد استولت إسرائيل على جميع أوقاف المسلمين في يافا مع العلم أن ٧٠ ٪ من حوانيت يافا كانت أوقافًا إسلاميا،

ويسكن مدينة يافا الآن أكثر من مائة ألف يهـودي يحتلـون البنايات والبيوت المختلفة.

ودير الأقباط المعروف بيافا مقْفَل منذ سنة ١٩٤٨، وهـو يحتوي على كنوز تاريخية وأثرية ومنهـا لوحـات قديمـة وأعمدة من الذهب يغطيها الصـدأ، ومفـاتيح الـدير مـع البطريرك باسيليوس، وكان يعيش فـي مصـر ولا يسـمح للأهالي المحلية بالاستفادة من الدير الذي أصبح مهجورا.

تألفت في مدينة يافا رابطة عرب يافا وبعض الجمعيـات التطوُّعية المحلية الأخرى؛ وبذلك أمكن إنشاء روضة أطفال تحمي الصغار من الضياع في الشوارع وهي الوحيـدة فـي يافا.

أصبحت يافا بعد الاحتلال مجموعة من البيوت المهدمـة ومن البيوت المتداعية والممهدة للهدم، ولم تأبـه السـلطات الإسرائيلية للضائقة السكنية التي يعيشها الأهالي العرب، وقد حاولت بعض الصحف الإسرائيلية سنة ١٩٨٢ وسنة ١٩٨٣ نشر التقارير عـن تـدهور الأوضـاع السـكنية والحالـة الاجتماعيـــة فـــي يافـــا، وحـــاول عضـــو الكنيســـت "توفيق زياد" التقدُّم للكنيست لبحث الضائقة السكنية في يافـا

ولكن الكنيست أحال الموضوع إلـى عـدة لجـان لتقـديم التوصيات وبقيت التوصيات حبرا على ورق.

وظهر في يافا تيار إسلامي يحاول على طريقة الإرشـاد الديني احتواء بعض الشباب ولكن قـوة الحيـاة ومشـاكلها، وتعمد السلطات الإسرائيلية محاربة هذا الاتجاه أدّى إلى عدم الحصول على أية نتيجة مرجوة.

بلغ سكان يافا العرب سنة ١٩٨٧ حوالي ٢٢ ألف نسمة، وأُلْحِقَت نهائيا بمدينة تل أبيب تحت إدارة واحدة مع الفـارق الكبير جدا في التباين بين إدارة تل أبيب وإدارة يافا.

وكما كانت يافا قبل سنة ١٩٤٨ مركزا للنشـاط النقـابي والمالي والزراعي والحركات السياسية التي كانت تؤثر كثيرا في حياة الفلسطينيين فهي تعـاني حاليـا الإهمـال والفقـر والتخلف، وافتقد سكانها الحيوية؛ بسبب ظـروف الاحـتلال الإسرائيلي، بدأ الشباب في مدينة يافا يهجرونها؛ ليقطنوا في الضواحي، وبلدية تل أبيب ـ يافا غير راضـية عـن هـذا الوضع، وهي تبحث عن حلول لهذه المشـكلة، ورأت فـي مدينة يافا المهدمة وشبه الخالية مشروعا لتطوير الكـورنيش وبناء فيلات مطلة على البحر وإقامـة أحـواض للقـوارب

ومارينا سياحية، ولكن هذه المدينة التـي يعتبرونهـا خاليـة يسكنها أكثر من ٢٢ ألف مواطن عربي ٦٢ ٪ مسلمين، ٣٧ ٪ مسيحيين، و ١ ٪ دروز.

وقد وصف مراسل جريدة هاعولام اليهودية مدينـة يافـا بقوله: "على بعد بضع دقائق من أنوار ومباهج تل أبيب يفَاجأ المرء بأكوام الخرائب، وما يكاد يجتاز شوارع تـل أبيـب الجذابة حتى يجد نفسه بين عالمين مختلفين كل الاخـتلاف: هنا منطقة العجمي حيث تمرُّ في أزقة ملتوية ومنازل آيلـة للسقوط يعيش فيها السكان العرب وأكثر مـن ٥٠ ٪ مـنهم عاطلون عن العمل، يتسكعون فـي الشـوارع، لا يتلقـون إعانات منتظمة رغم أنهـم يـدفعون ضـرائب وإيجـارات المساكن، وأغلـب الأطفـال لا يـذهبون إلـى المـدارس؛ لاضطرارهم للبحث عن عمل لمساعدة أسرهم الكبيرة.

إن أشد ما يحاوله اليهود قسوة مع سـكان يافـا العـرب الإفساد النفسي والعقلي خصوصا بالنسبة للأطفال والناشئين؛ حيث تحاول السلطة إفساد وجدانهم وزحزحتهم عن القيم التي نشأوا عليها، وأصبح المربون اليهود هم الذين يتولون تثقيف النشء العربي؛ وهذا الوضع أحدث تغيرا بارزا فـي البيئـة

ونوعية الحياة والظروف السكنية والثقافيـة، وقـد أخـذت المخدرات في يافا تأخذ طابع الخطورة، وأكثر الشباب أدمن المخدرات، وفي إحصاء لمكتب العمل الاجتماعي في يافا فإن ثلث السكان يتعاطى المخدرات؛ وهذا ما يسـبب الصـراع والتمزق العائلي والضياع في داخل العائلة الواحدة، وثبت أن أكثر المدمنين من غير المتعلمين؛ لأنهم لم يدخلوا مدارس أو لعدم وجود مدرسين أكفاء مخلصين، وثبت أيضا أن كثيـرا من الطلاب يخرجون من المـدارس لا يعرفـون القـراءة والكتابة.

إن اهتمام السلطات اليهودية ينحصر في علاج المـدمنين بمنحهم المخدرات البديلة وهذا في الحقيقة ما يثبت تكـديس ظاهرة الإدمان.

وقد حاولت بعض الجمعيات المحلية في أوائل الثمانينيات أن تقدم بعض المساعدة لهؤلاء الشـباب ولكـن إمكانياتهـا المحدودة، وعدم مساعدة الحكومة لها لم تؤتِ التأثير الفاعل في العلاج.

إن قوانين البلدية بخصوص ترميم البيوت في يافا صارمة وقاسية جدا، وأية محاولة للترميم تعتبرها البلدية كأنها بنـاء

جديد يستلزم رخصة رسمية، والحصول على الرخصة مـن أصعب الأمور إن لم يكن من المستحيل الحصول عليها.

وأية محاولة للترميم بدون ترخيص يعرض البيت للهـدم، ومشكلة الإسكان في يافا أحـد أهـم المسـببات الرئيسـية للانحراف، ولدفع الشباب نحو الضياع.

هذه يافا التي كان يطلق عليها عروس فلسطين وحسـناء البحر الأبيض المتوسط، مدينة الثقافـة والصـحافة والأدب والجمعيات والأندية، مدينة المال والشجر والسحر والفتنة.

مدينة المجدل

عسقلان

تعتبر عسقلان (المجدل) من أقدم المدن الفلسطينية، وفيها آثار يعود بعضها إلى العصر الحجري والعصر البرونـزي والحديدي، وآثار رومانية وهيلينية ومن العهـد الصـليبي، وأخذت المدينة اسم عسقلان منذ الفتح الإسلامي ولكن فـي العصر الحديث اعتاد الفلسطينيون على تسميتها المجدل.

عرفَت المجدل بنشـاط سـكانها ومهـاراتهم الصـناعية وخصوصا صناعة المنسوجات، ولعبت المجدل دورا مهمـا في الصراع العربي الإسـرائيلي عـامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، وكانت جبهة المجدل تضم عدة قرى أهمها: الجوزة ـ عراق سويدان ـ الفالوجا ـ حمامة ـ أسدود ـ جـولس ـ بيـت دراس ـ السوافير ـ يبنا ـ عاقر.

ومما يذْكر لمدينة المجدل أنها بقيت صامدة ضد الهجمات اليهودية المكثفة حتى دخول الجيش المصري ووصوله إلـى المدينة عند اندلاع حرب سنة ١٩٤٨ ولكن وفـي ١٥/ ١١/ ١٩٤٨ انسحبت القوات المصـرية مـن المجـدل والقـرى

المجاورة؛ وهكذا تمكن اليهود من الاستيلاء على المدينة ولم يبقَ فيها عربي واحد، وقام اليهود بتدمير قرى المجدل عن آخرها.

حاليا تعتبر المجدل من أهم مدن جنوب إسرائيل وفيها مصانع أنشأها اليهود منها: الأسمنت - آلات صناعة النسيج - البلاستيك - الإلكترونيات - الأدوات الطبية - السيارات - مكيفات الهواء - الأثاث - العطور، وفيها محطة تجارب زراعية، ومدرسة عالية للتكتيك الزراعي.

ويمتاز شاطئ المجدل برماله البيضاء الصافية حيث أقيمت عشرات الفنادق والمطاعم الفاخرة.

وترتبط مدينة المجدل بالضمير الفلسطيني بأن فيها أشهر السجون والمعتقلات المخصصة للفلسطينيين المحكوم عليهم بمدد طويلة.

مدينة بئر السبع

تعتبر مدينة بئر السبع عاصمة صحراء النقب الفلسطينية، وتختلف الروايات بشأن تسمية المدينة أهمها أن الاسم مأخوذ من بئر كان يرده السبع وهو اسم من أسماء الأسد، وتـروي بعض كتب التـاريخ أن إبـراهيم الخليـلﷺ رزقَ بولـده إسماعيلﷺ في مدينة بئر السبع.

وتشكل بئر السبع ممرا حيويا لتجارة العالم القديم؛ حيـث كانت تمرُّ خلالها القوافل العربية وهي تحمل البضـائع مـن الهند وأفريقيا إلى غزَّة ومصر، وضعف مركز بئـر سـبع التجاري بعد إنشاء مدينة "بترا" عاصـمة الأنبـاط؛ حيـث تحوَّلت التجارة من خلالها من وإلي الخليج العربي.

وعندما تولى عمرو بن العاصرضي الله عنه قيادة الجيوش العربيـة في فلسطين كان يأنس بالإقامة في مدينة بئر السبع، واسـتقر فيها حتى استدعاه معاويةرضي الله عنه عند حدوث الفتنة بينه وبين علي بن أبي طالبرضي الله عنه؛ وبسبب القحط والجفاف وتحـوُّل التجـارة طويت صفحات المدينة حتى أعاد الأتراك بناءها سنة ١٩٠٠ وحوَّلوها سنة ١٩١٤ إلى قاعدة انطلاق للدفاع والهجوم أثناء

الحرب العالمية الأولى، وفي سنة ١٩١٧ حينما دخل الجيش البريطاني فلسطين دارت معركة حاسمة بينه وبين الأتـراك في بئر السبع، وكانت أول مدينة تسقط في أيدي الإنجليز.

بالنسبة لسكان بئر السبع فمعظمهم يعـود بأصـوله إلـى مدينتي غزَّة والخليل بصورة خاصة، بالإضافة إلـى بعـض النازحين من القدس والمجدل، وبجوار المدينة تسـكن عـدة عشائر من القبائل البدوية التي تنتمي إلى صـحراء النقـب، ومن أشهر تلك القبائل: الجبارات ـ الترابين ـ العزازمة ـ السعيديون ـ الحناجرة.

سقوط بئر السبع:

في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ غادر الجيش البريطاني بئر السـبع في الوقت الذي كان اليهود يثبتون أقـدامهم فـي المنـاطق المجاورة بعد استيلائهم على الطريق الرئيسي الذي يربط بئر السبع بغزَّة وعسلوج.

وقد تشكلت لجنة قومية للإشراف على شئون الدفاع عـن المدينة، وعينت الهيئـة العربيـة العليـا الشـيخ عبـد الله أبو ستة قائدا لحامية بئر السبع، ووصلها بعض المجاهـدين من الإخوان المسلمين، وعند بدء العمليات العسـكرية سـنة

١٩٤٨ وصل المصريون إلى مدينـة بئـر السـبع ولكـنهم اضطروا لمغادرتها عندما اشتدت المعـارك فـي النـواحي الأخرى من الجهة، وفي ١٨ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ٤٨ هاجمت الطائرات الإسرائيلية المدينـة عـدة مـرات، ودام الهجوم أكثر من خمسة أيام مما سبب خسائر مادية وبشرية؛ لعدم وجود ملاجئ، وعدم توافر أسـلحة ضـد الطـائرات، ثم هاجم اليهود المدينة بخمسـة آلاف مقاتـل يقـابلهم ٢١٦ مقاتلاً من العرب، و ١١٦ مصريا، ومائة مناضل فلسطيني، طلبت الحامية المساعدة من الجيش المصري ولكنها لم تصل وتقدَم اليهود داخل المدينة؛ وهكذا أسقطت بئر السبع.

بعد استيلاء اليهود على مدينة بئر السـبع بـدأت مأسـاة عرب النقب؛ حيث أخذت السـلطات العسـكرية اليهوديـة تصادر أراضي البدو، وتطرد الكثيرين من مسـاكنهم، وتـم تهجير أكثر من ٦٠ ألف بدوي وتجميع من تبقى في مكـان واحد سموها محمية البدو، وبلغ عدد السـكان اليهـود فـي بئر السبع حسب إحصاء سنة ١٩٨٥ - ٢١٣ ألف يهـودي، ولم يبقَ في النقب وبئر السبع إلا ١٦ ألفًا بينما كـان سـكان مدينة بئر السبع وعشائر النقب سنة ١٩٤٨ م ٦٥ ألفًا.

وزادت مأساة عرب النقب بعد توقيع معاهدة السلام بـين مصر وإسرائيل سنة ١٩٧٩، وانساب اليهود من سيناء حيث أخذوا في إنشاء الطائرات والمواقع العسكرية الجديـدة فـي النقب؛ مما زاد في تشتيت السكان هنـاك، وإجلائهـم عـن مواقعهم، وأصبح سكان النقب من العرب أجراء يعملون في المستوطنات اليهودية، وفي مد الطرق الحديديـة، وبعـض الأعمال الموسمية في الزراعة.

وازداد عدد السكان اليهود في النقب زيادة كبيرة حتى بلغ عدد المستعمرات ٩٧ مستعمرة وذلك بعد أن تم جرُّ الميـاه بالأنابيب من بحيرة طبريا، ومن نهر العوجا (اليركون) قرب مدينة يافا.

الانتفاضة الفلسطينية

منذ بداية الصـراع العربـي الصـهيوني، اسـتطاعت الصهيونية العالمية السياسية، وبعـدها دولـة إسـرائيل أن تغتصب قطعة وراء قطعة من الأراضي الفلسـطينية سـواء بالطرق السلمية أو بـالحرب، وبعـد هزيمـة سـنة ١٩٦٧ أصبحت جميع الأراضي الفلسطينية تحـت سـيطرة الإدارة اليهودية، وأخذت دولة إسرائيل تتفنن في فرض واقع جديـد على مسيرة الصراع العربي - الإسـرائيلي، بينمـا تقـف منظمة التحرير الفلسطينية عاجزة وراء الحدود خارج البلاد، وتحاول قد استطاعتها مواجهة التحديات والمشاكل بإمكانياتها المحدودة، والفصائل الفلسطينية الأخرى والمختلفة فيما بينها تحاول المحافظة على الحد الأدنى من الوحدة الوطنية.

ولم يكن باسـتطاعة سـكان الـداخل وهـم لا يملكـون إلا قدرات محدودة إيقاف هذا الطوفان من الظلم والاسـتبداد والتنكيل في أساليب جائرة وقوانين مفصلة مبتكرة، وامتهان لحقوق الإنسان، وفرض العقوبات الجماعية، ونسف البيوت، ومصادرة الأرض، ونهب الموارد المائية، وإقفال المؤسسات

الثقافية والعلمية والمهنية، وشن حـرب اقتصـادية شـاملة، والأهم من كل ذلك حرمان الشعب الفلسطيني مـن هويتـه الوطنية.

كان سكان الأرض المحتلة يئنون مـن وطـأة الاحـتلال الإسرائيلي الجاثم فوقهم؛ زراعاتهم لا تجد التسويق، شـبابهم عاطل عن العمل إلا فيما تقبله إسـرائيل مـن العمـل فـي مزارعها ومبانيها وأعمالها القذرة.

هذا في الوقت الذي كانت فيه الخلافات العربية، العربيـة سنة ١٩٨٧ تعكس خلافاتها على الساحة الفلسطينية: سوريا تؤيد الموقف الفلسطيني في شجب اتفاقية كامب ديفيد- مصر تغلق جميع مكاتب المنظمة والمؤسسات التابعة لها في القطر المصري ـ لبنان تلغي اتفاقية القاهرة المنعقـدة بـين دولة لبنان ومنظمة التحريـر الفلسـطينية سـنة ١٩٦٩ ـ والغارات الإسرائيلية على المخيمات الفلسـطينية مسـتمرة بشراسة ـ وظهرت بعض الأصوات في غزَّة تؤيد الموقـف الأردني المعادي لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ والأوضـاع داخل فلسطين المحتلة تغلي كالمرجل.

وجاء يوم الثلاثاء الموافق ٨ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٨٧ حينما صدمت شاحنة إسرائيلية سيارتين صـغيرتين تقلان عمالاً من قطاع غزَة قرب حاجز إيرتـز العسـكري (بيت حانون) كلمة إيرتز معناها بالعبراني الأرض فاستشهد أربعة عمال وجرح تسعة آخرون، ورغم أن هذه الحادثة لـم تكـن الأولـى مـن نوعهـا وسـبقتها حـوادث كثيـرة لا تُحصى أثناء الاحتلال الإسرائيلي إلا أن هذه الحادثة كانت المحطة التاريخية التـي لا تُنْسـى فـي ضـمير الشـعب الفلسطيني؛ تفجرت على أثرها انتفاضة شعبية عفوية عارمة انطلقت من مخيم جباليا في غزَة وسرعان ما انتشرت واتسع لهيبها في كل أنحاء القطاع والضـفة الغربيـة، اسـتمرت الانتفاضة وانقضى عامها الأول سنة ١٩٨٨، وأصبح الدور الفلسطيني في الـداخل هـو المفجـر والمحـرك للنضـال الفلسطيني بأسلوب جديد.

وعودة إلى ما قبل هذه الانتفاضة الكبرى حيـث جـرت سلسلة من الانتفاضات والاشـتباكات والمصـادمات خـلال عامي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ منها ما حدث فـي بـر زيـت ـ خان يونس ـ غزَة ـ جنوب لبنان، ونذكر هنا حادثة الطائرة

الشراعية التي هبط قائدها الذي يحمل اسم "أبي رامي" في قاعدة جيبور العسكرية الإسرائيلية القريبة من مستعمرة "كرييت شمونة" في شمال فلسطين، وتمكن من قتل ستة ضباط وجنود وجرح تسعة قبل أن يستشهد.

حددت الانتفاضة أهدافها الاستراتيجية وهي في الحقيقة المطالب التي دأب الشعب الفلسطيني على المطالبة بها وهي:

١- تحرير فلسطين حرة عربية.

٢- تقرير المصير وبناء الدولة المستقلة.

٣- الانتماء إلى منظمة التحرير ورفض المشاريع المشبوهة.

وحددت كذلك أهدافها المحلية:

١- إلغاء العمل بقوانين الطوارئ.

٢- سحب الجيش الإسرائيلي من المدن والقرى الفلسطينية.

٣- إطلاق سراح المعتقلين.

٤- وقف مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات.

٥- رفض إغلاق المؤسسات التعليمية والنقابية.

وبداية تحرُّك الانتفاضة كان أثناء تشييع جنازة الشـهداء الأربعة حيث أطلق الجنود الإسرائيليون النار على المشيعين؛ فقتلوا شخصين وجرحوا ستة وعشرين منهم طفلان، انطلقت التظاهرات والمصادمات والاشتباكات في كافـة المخيمـات وشملت كافة القطاعات كما عمت الضفة الغربيـة؛ وبهـذا ظهرت شمولية الانتفاضـة، وأنشـئت القيـادة الفلسـطينية الموحدة، وهكذا تحوَّلت الانتفاضة إلى عمل شعبي متكامـل، وتم توزيع الأدوار بين مختلف الفرقاء والتنظيمات الفلسطينية بدقة وبراعة، وانتشرت اللجان الشعبية المحلية لتولي الشئون التنظيمية والإدارية والصحية والشـئون الحياتيـة للشـعب الفلسطيني، وكان وراء تلك التنظيمات القائد العظـيم خليـل الوزير (أبو جهاد) وقد تميز أبو جهاد بقدراته العملية وبدأبه وبهدوئه، وتخصص في العمل داخل الوطن المحتل وتـوَّج جهاده بقيادته انتفاضة شعب فلسطين وبذل كل الجهـد لكـي يوفر مستلزمات الانتفاضة (الحجر - المقاليع - الزجاجات الحارقة - الإطارات المشتعلة - كرات الحديد والمسامير - العبوات الحارقة - السكاكين وكرات القماش المشتعلة) ولا شك أن تلك الأدوات كانت قادرة على تلبيـة طبيعـة تلـك

المرحلة حيث اشترك الشعب بأكمله في عمليات المقاومة، واتخذت السلطات الإسرائيلية إجراءات متنوعة لقمع التظاهرات وعمليات المقاومة من الضرب الجسدي إلى إطلاق النار الرصاص المطاطي والعادي وقنابل الغاز، واعتقال المئات من الفلسطينيين.

واستعلمت الانتفاضة أيضا سلاح الإضراب، وحاولت السلطات الإسرائيلية فتح المحلات بالقوة، ثم رفعت الانتفاضة شعار العصيان المدني، ومحاولة الاكتفاء الذاتي قدر المستطاع، وجاء انقطاع العمال العرب عن العمل في إسرائيل- وكان عددهم يزيد عن مائة ألف- ضربة مفاجئة للمزارع الإسرائيلية، وحوَّل الفلسطينيون الحدائق في البيوت إلى زراعة الخضروات والبقول وتربية الدواجن، وحوَّلوا بعض البيوت إلى مراكز للخياطة والنسج، وكانت اللجان الشعبية المتخصصة تحاول ملء الفراغ؛ ليصبح بديلاً للسلطة الإسرائيلية، وتصاعدت إلى جانب الانتفاضة في الداخل العمليات الفدائية في جنوب لبنان، وتزايد عدد القتلى والجرحى الإسرائيليين، وازدادت الانتفاضة اشتعالاً سنة ١٩٨٨ خصوصا بعد استشهاد أبي جهاد في تونس على يد

الكوماندوز الإسرائيليين، وتحدّت الجماهير قـرارات منـع التجول، وازدادت التصادمات الدموية مع الجيش الإسرائيلي وكلما ازداد العنف الإسرائيلي وإجراءاته القمعية شـدة ازداد الموقف الفلسطيني صلابة وتحديا.

محاولات قمع الانتفاضة:

بدأت إسرائيل تشيع أن هدف الانتفاضة هو تصفية دولـة إسرائيل؛ وذلك تبريرا للإجراءات القمعيـة التـي انتهجتهـا حكومة إسرائيل ولم تراعِ فيها أبسـط المبـادئ الإنسـانية، وجاءت قاعدة رابين بتكسير العظام، وإحداث أكبر عدد مـن الإصابات، واعتقال أكبر عدد من المواطنين، وكان الجنـود الإسرائيليون يتعمدون الضرب على الأيدي اليمنى التي تحمل الحجر، وتفنن الجيش الإسرائيلي في استعمال أنواع مختلفـة من قنابل الغاز والرصاص البلاستيكي والمطـاطي وغـاز الأعصاب التي أثرت كثيرا على النساء الحوامل والأطفـال، ولجأ الجيش الإسرائيلي إلى نوع جديد من العمليـات وهـو ما أُطلِقَ عليه "عمليات المبادأة" أي الهجـوم علـى البيـوت والقرى والهدم والضرب والاعتقال، وزاد تدخل المـواطنين

اليهود المسلحين بجانب قوات الجيش الإسرائيلي في استفزاز الأهالي في مهاجمتهم والسطو على المحـلات الفلسـطينية وإحراقها، وعمدت سلطات الاحتلال أيضا إلى قطع خطـوط التليفون والكهرباء وإتلاف المحاصـيل الزراعيـة والمـواد التموينية؛ وكل ذلك بقصد القضاء على أسباب الحياة اليومية وكأنها تعيد ما فعلته أمريكا في فيتنام، وأخذ عدد الضـحايا يزداد وكذلك المقاتلين، ورغم عدم وجود حل سريع وسحري لمعاناة الشعب الفلسطيني فإنه رغم ذلك لم ييأس ولم يصـب بإحباط، وتجلت الوحدة الوطنية بكل معانيها، وظهر الالتزام الأخلاقي في ضبط الحياة الأمنية والاجتماعية، ولم تُسـجل حوادث إخلال بالأمن أو سـرقة أو احتيـال أو اسـتغلال. استطاع أيضا شعب الانتفاضـة أن يتحـوَل مـن مجتمـع استهلاكي يشتري الكماليات إلى مجتمع منتج يحاول الاكتفاء الذاتي؛ وهذا ما مكن الانتفاضة من الاسـتمرار والصـمود. صحيح أن خسائر إسرائيل المادية وخصوصا ميزانية الأمن زادت كثيرا، وكذلك مقاطعة العمال العرب الذين يعملون في إسرائيل زادت تلك الخسائر لكن أمكن تعويضها من جانـب الولايات المتحدة الأمريكية، أما الخسـائر الحقيقيـة فهـي

الخسائر المعنوية، والتي وأضحت للعالم أن إسرائيل لم تقـم على أرض بلا شعب- كما زعمت- وأن اليهود ليسوا دائما الضحايا.

خسائر وضحايا الانتفاضة:

بلغ عـدد الشـهداء حسـب إحصـاء حقـوق الإنسـان ٤٢٧ شهيدا ـ ٣٦٤٠ جريحا ـ أكثر من ٣٠ ألف معتقل ـ ٣٠٠٠ معتقل إداري ـ ٥٨ مبعدا، وعدد البيوت التي نُسِفَت ٥٣٢ بيتًا هذا بخلاف عدد الجرحى الذين لـم يقيـدوا فـي المستشفيات والمؤسسات الصحية وكان عـددهم بـالآلاف، وفي تقرير آخر لحقوق الإنسان أقرَّ أن خسائر الانتفاضة بلغ ٤٥ ألفًا.

وفـي تقريـر لـرئيس منظمـة التحريـر الفلسـطينية "ياسر عرفات" أورد خسائر الانتفاضـة كمـا يلـي ٢٠٠٠ شهيد ـ ١١٧ ألف جريح ـ ١٣٨ ألف معتقـل ـ ٧ آلاف معاق ـ ٨ آلاف حالة إجهاض.

لا شك أن الانتفاضة صنعت حقائق جديـدة علـى أرض فلسطين؛ فقد نجحت في إثبات وحدة الشعب الفلسطيني، وأن

أرض فلسطين هي مكان الصراع الرئيسي مع العدو الإسرائيلي، وأظهرت الصورة الحقيقية للنضال الفلسطيني كحركة مقاومة شعبية مشروعة، وأن قضية الشعب الفلسطيني أنه يناضل من أجل حريته وحقوقه الوطنية المشروعة، وأظهرت أن صورة الإرهاب التي رسمتها دوائر الإعلام الاستعمارية والصهيونية التي فرضت نفسها على الرأي العام العالمي أخذت تهتز، واستطاعت الانتفاضة أن تسقط الادعاء الإسرائيلي بأن الصراع مع العرب هو صراع حدود، بل مكانه الحقيقي هو الأرض الفلسطينية نفسها، واستطاعت الانتفاضة كذلك إسقاط دعاية ومزاعم الحكومة الإسرائيلية بأنها حققت الحدود الآمنة للشعب الإسرائيلي.

إن الموقف الفلسطيني بعد الانتفاضة أصبح مختلفًا عما كان قبلها، والموقف الدولي بدأ يتغير، وقد أظهرت الانتفاضة أن هناك شعبا فلسطينيا يطالب بحقوق مشروعة وأهمها تقرير مصيره، وبدأت إسرائيل تفكر في مخرج تتخلص به من عبء مراكز الكثافة السكانية الفلسطينية وخصوصا في قطاع غزَّة، ورغم الضياع والتيه الذي تعيشه نسبة كبيرة من

شعب فلسطين فإن قضية فلسطين بدأت تحفر لها طرقًا فـي مجرى الأحداث العلمية.

النتيجة:

هل تم التقدير المستحق لمسيرة الكفاح الفلسطيني؟ وهـل قُدرت المسيرة حق قدرها؟ ووقوف الشعب الفلسطيني أمـام الهجمة الإسرائيلية الشرسـة بمباركـة الولايـات المتحـدة الأمريكية - هل قَدَرت الدول العربية المأزق والتضـحيات التي قدَمها الشعب الفلسطيني أمام أعتى قوى العالم؟ - هـل باستطاعة الشعب الفلسطيني أن يقدم أكثر مما قدَم حتى الآن؟ هناك ثمة إجماع أن الفرق الهائل بين كفتي القوى الفلسطينية والإسرائيلية لن يمكن من الوصول إلـى الحـل المرضِـي والعادل إلا إذا تم استغلال المكاسب التي حققتها الانتفاضـة دون التلهف على الوصول إلى الحلول المشبوهة التي تقدمها الولايات المتحدة وإسرائيل.

السياسة هي تحقيق المتاح وأصبحت فيما بعد السياسة هي المتاح فقط!

للأسف منذ بدأ عام ١٩٩١ سـارعت منظمـة التحريـر الفلسطينية للتفاوض السري في أوسلو دون إعداد جيد، ودون وجود مستشارين قانونيين أكفاء، وبمفاوضين تنقصهم الدراية والحنكة ودون أن يكون معهم خرائط تفصيلية ومعرفة جيدة بالحقائق والأرقام وإلمام حقيقي بطبيعة إسـرائيل وأهـدافها، وفي مقابل الاعتراف اللفظي بمنظمة التحريـر الفلسـطينية وبسلطة فلسطينية محدودة احتفظت إسرائيل بالسيطرة علـى الأرض والماء والأمن والسياسة الخارجية في جميع منـاطق الحكم الذاتي، وأعادت نشر بعض قواتها، ولم تستعمل كلمـة انسحاب، واستمرت تسيطر على كافة المـداخل والمخـارج لغزَة وأريحا، واحتفظت بحقها في رفض كافـة التشـريعات المقترحة، وكافة التعيينات في المناصب المختلفة.

لم تسمح إسرائيل إلا بحكم ذاتي محدود، ونقل السـلطات في أماكن الكثافة السكانية العربية إلى السـلطة الفلسـطينية، وإقامة جهاز أمن فلسطيني باهظ التكاليف؛ ليحل محل القوات الإسرائيلية في مناطق الحكم الذاتي.

الحقيقة أن أوسلو كانت بين شريكين الأول فائق القـدرة، والثاني شديد الضعف؛ وطبيعي أن يؤدي ذلك إلى اسـتمرار تقديم التنازلات، وتأجيل المسائل الهامة إلى مفاوضات الحل النهائي، وأصبحت الأراضي الفلسطينية تُعرَف باسم منـاطق متنازع عليهـا، وأصـبح مـن الواضـح أن المفاوضـات الإسرائيلية - الفلسطينية برعاية الولايات المتحدة لا تهـدف أن تكون الضفة الغربية وقطاع غزَة مرشحة للاستقلال بـل إلى كانتونات تفصل بينها وتقسـمها شـبكة مـن الطـرق والمستوطنات، وأهم ما يشغل الحكم الذاتي الفلسـطيني هـو التعاون بين قوات الاحتلال الإسـرائيلية وقـوات الشـرطة الفلسطينية؛ لتوفير الأمن لإسرائيل، وأصبحت كلمـة أمـن إسرائيل تحظى بأهم بند في بنـود اللقـاءات والاجتماعـات والمؤتمرات بين المفاوض الفلسطيني والمفاوض الإسرائيلي. أليس اللاتفاوض أفضل من استمرار تقديم التنازلات؟!

حول اتفاق السلام الفلسطيني الإسرائيلي

ها نحن نحصد ما ارتكبته أيدينا في ظلام أوسلو، وكل ما فعلناه ظنًا منا أن العالم سوف يعترف بنا ويتعامل مع قضيتنا بالعدل والإنصاف، وأن المحافل الدولة- وخاصة الأوربية- سوف تمارس ضغوطًا حقيقية على إسرائيل، وتمارس بعض المواقف والإجراءات العملية وليس الشـكلية أمـام تعنـت الموقف الأمريكي المنحاز كلية تجاه إسرائيل، وقد ظهر الآن أن ذلك كان وهما.

وسقطت المزاعم التي كانت تنادي بأن الاتفـاق سـوف يؤدي إلى تحقيق المطالب الفلسطينية العادية، ونسينا حقيقـة هامة أن هذا الاتفاق لم يقم على الندية بين طرفين بـل قـام الطرف الأقوى بتوظيف الطرف الثاني الأضـعف لتحقيـق مصالحه وأهدافه ـ والأهداف الإسرائيلية لم تعد خافية وهي واضحة كالشمس ـ وقد أدى فشل الاتفاق إلى مزيـد مـن الإحباط واليأس بين الشعب الفلسطيني، والأخطر من ذلك أنه زاد في تعميق الخلافات الفلسطينية/ الفلسـطينية، وأصـبح

واضحا أن هذا الاتفاق المزعوم لا يصلح أساسا لحل القضية الفلسطينية بل يزيدها تعقيدا.

لا شك أن الجدل حول هذا الاتفاق استغرق الكثيـر مـن الآراء بعضها يتعلق بالشكل، والبعض الآخر يتعلق بموضوع الاتفاق، وقد انقسم الناس بين مؤيد ومعارض رغم أن رصيد المؤيدين أخذ يتناقص مع مرور الوقت، وحتى يسـمحَ لنـا بطرق أبواب التفاوض أقدمت منظمة التحريـر الفلسـطينية على الاعتراف بحق إسرائيل في الوجـود بسـلام وأمـان، والإقرار بدولتهم دون تحديد حدود هذه الدولـة، وتعهـدت بتوفير السلام والأمن لهذه الدولة من خلال نبذ استخدام مـا يسميه اليهود والأمريكان "بالإرهاب"، ومنع العنف والضرب بقسوة على أيدي المخالفين، وفي المقابل اقتصـر اعتـراف إسرائيل بمنظمة التحرير على اعتبار أنهـا ممثلـة للشـعب الفلسطيني دون الاعتراف بحق هـذا الشـعب فـي تقريـر مصيره، وإنشاء دولة مستقلة على أراضيه.

وكانت هذه مغالطة كبرى؛ لأن شرط الاعتراف المتبادل لا يتحقق عندما يكون أحد طرفي الاتفاق "دولـة" والطـرف

الآخر " مشروعا " غير مقرر له أن يكون دولة، وأن يبقـى كيانًا محدود الصلاحيات.

ومن ناحية القانون الدولي فإن اعتراف منظمة التحريـر الفلسطينية بالدولة الإسرائيلية غير قابل للتراجع وهـذا مـا أقرَته الاتفاقات الدولية فـي حـين أن اعتـراف إسـرائيل بالمنظمة أشبه بالاعتراف بالكيانات، وهو اعتـراف واقعـي يمكن التراجع عنه في بعض الحالات وهـو مـا تمارسـه إسرائيل الآن.

وقد تُركت الاتفاقات المعقودة بين إسرائيل والفلسـطينيين حول القضية على عدة مراحل أولها: إدارة غزَة - أريحـا، ثم مرحلة الحكم الذاتي في الضفة الغربيـة وقطـاع غـزَة، وأخيرا مرحلة الحـل النهـائي الـذي سـتجري بصـدده المفاوضات قبل انقضاء الفترة الانتقالية المقررة بحد أقصـى خمس سنوات.

وهكذا بقيت الأراضي الفلسطينية محتلة ومستباحة للنهب بينما أخذت إسرائيل تتحايل وتماطل لتنفيـذ مرحلـة الحـل النهائي وهو ما نراه الآن على الطبيعة وخصوصا بعدما جاء حزب الليكود إلى السلطة، وموقف أمريكـا الـذي يخضـع

باستمرار لمشيئة إسرائيل؛ وهكذا بـدأ مسلسـل التنـازلات الفلسطينية، وأُلغي حق مقاومة الاحـتلال فـي الأراضـي الفلسطينية، وأخذت السلطة الفلسطينية على عاتقها حماية أمن إسرائيل.

نفهم مثلاً من يقول إن هذا الاتفاقية هي ما أمكن تحصيله في ظل الظروف العربية والدولية الراهنة، وهو ما قد أجبرنا على قبول أقل القليل؛ لأن هذا هو الخيار الوحيد الذي كـان متاحـا أمـام المفاوضـين وشـيء قليـل خيـر مـن لا شيء على الإطلاق، يمكن قبول هذا المنطق إلى حد مـا، إنما المدهش حقًا أن تُنْصبَ السرادقات احتفـالاً بالانتصـار الكبير، وأن نتصرف وكأن السلام قد تحقق بالفعل، وكثـرت المصافحات والابتسامات بين زعماء السلطة الفلسطينية وبين الإسرائيليين.

ومن سوء الحظ أن عرفات شجب الإرهاب بدون تحديـد معنى الإرهاب؛ وهذا يعطي إيحاء بأن الانتفاضة كانت كمـا تفسرها إسـرائيل والولايـات المتحـدة عمليـة إرهابيـة، وأن أية مقاومة أو عمل فدائي ضد إسرائيل يعتبر إرهابـا، وللحظ السيئ أيضا أن السلطة الفلسـطينية أخـذت تطـارد

وتعتقل المنظمات الفلسطينية التي لا تعترف بالاتفاق وعلى رأسها (حماس ومنظمة الجهاد)، ويجب ألا ننسى أن السلطة الفلسطينية قد تخلت عن جميع الفقرات من الميثاق الفلسطيني والتي كانت موجهة ضد قيام دولة إسرائيل بل على العكس أصبحت ملْزَمة بالدفاع عن أمن إسرائيل، والمهمة الأولى لهذا الجيش الكبير من الشرطة الفلسطينية- هي في المقام الأول- الدفاع عن أمن إسرائيل.

وسِئلَ "ياسر عرفات" عن أسباب قبوله بهذا الاتفاق الهزيل، وقيام السلطة المحدودة في قطاع غزَّة والضفة الغربية رغم ما يكتنفها من إهدار للحقوق الفلسطينية - تعلل بالإجابة التالية:

١- انهيار الاتحاد السوفيتي وانفراد أمريكا بالسيطرة على العالم.

٢- الآثار المدمرة لحرب الخليج.

٣- الضائقة المالية ونضوب مصادر التمويل.

٤- توقف سيل المعونات.

٥- الظروف القاسية التي وصل إليها سكان الداخل ومحاولة رفع المعاناة عنهم.

٦- الضغوط والمساومات التي أخذت تنهال على السلطة الفلسطينية من بعض القيادات العربية.

٧- الخوف من الجماعـات الفلسـطينية مثـل حمـاس والجهاد.

نعود إلى فكرة المؤتمر الدولي الذي تبنته أمريكـا بعـد حرب الخليج؛ لمساعدة إسرائيل في القضاء على الانتفاضة.

وفي البداية كان المعتقد أن ينعقد المؤتمر الدولي العربـي الإسرائيلي بإشراف هيئة الأمم المتحدة، وباشتراك المجموعة الأوربية ولكن تحوَّل بالتدريج إلى مؤتمر إقليمي بين إسرائيل والدول العربية والفلسطينية بإشراف رمـزي مـن روسـيا وأمريكا، وإشراف فعلي من أمريكا وحدها.

وكان من شروط إسرائيل لانعقاد المؤتمر: عدم السـماح باشتراك هيئة الأمم المتحدة إلا كمراقـب لـيس لـه صـفة المشاركة فقط الاستماع، وعدم السماح للمجموعة الأوربيـة إلا بصفة مراقب مستمع فقط، وأن يخضع التمثيل الفلسطيني للشروط الإسرائيلية التالية:

١- رفض اشتراك أو ذكر منظمة التحرير الفلسـطينية في المؤتمر.

٢- رفض اشتراك أي فلسطيني من خارج المناطق المحتلة.

٣- رفض اشتراك أي فلسطيني من مدينة القدس.

٤- رفض اشتراك أي فلسطيني لا ترضى عنه إسرائيل.

٥- قبول التفسير الإسرائيلي للقرار ٢٤٢، وعدم اعتراض أمريكا على ذلك.

٦- تعهد أمريكا بعدم الضغط على أي طرف لقبول وجهة نظر الطرف الآخر أو حضه على تقديم تنازلات.

٧- في حالة وجود أي خلاف لا يجوز الالتجاء إلى المحافل الدولية بل يبقى التفاوض بين أطراف الخلاف.

٨- تتعهد أمريكا بأن لا يؤدي المؤتمر بأي حال إلى دولة فلسطينية مستقلة.

٩- عدم الربط بين مراحل الاتفاق.

١٠- البدء في تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل.

وتم انعقاد مؤتمر مدريد، وتبعه انعقاد مفاوضات الطرشان بين الفلسطينيين والإسرائيليين والدول العربية في واشنطن، ثم فجأة انعقد مؤتمر "أوسلو١" و"أوسلو٢" وظهر إلى الوجود الحكم الذاتي الفلسطيني والسلطة الفلسطينية، ومن أسوأ ما تضمنه اتفاق "أوسلو" للحكم الذاتي الفلسطيني:

١- أن بنود الاتفاق كانت غير محددة وتحتمل أكثر من تفسير، ما يعتقد الفلسطينيون أنه موجود بالاتفاق يرفضه الإسرائيليون ويفسرونه بطريقتهم الخاصة.

٢- تقسيم الاتفاق إلى مراحل آخرها المرحلة النهائية.

٣- تأجيل موضوع القدس إلى المرحلة النهائية وهي التي أخذت تتآكل تدريجيا باستيلاء إسرائيل على مزيد من الأراضي، وإحاطتها بالمباني والمستوطنات الجديدة، وآخرها مستوطنة جبل أبو غنيم التي في حالة إتمام بنائها سوف تحول مدينة القدس العربية إلى منطقة ضيقة صغيرة محاطة من جميع الجهات، ومحاصرة بالمباني اليهودية، وتتعرَض حاليا القدس إلى قوانين بلدية

جائرة بحيث أصبحت المباني والبيوت العربية تنتقل إلى اليهود؛ بسبب الحاجة الماسة للسكان المحليين.

٤- طيلة المفاوضات حتـى المرحلـة النهائيـة تبقـى المستوطنات الإسـرائيلية فـي أراضـي السـلطة الفلسطينية محميـة بـالقوات الإسـرائيلية ولـيس للفلسطينيين سلطة عليها بأي حال، وأخطر مشـاكل المستوطنات خصوصا في الضفة الغربية هو حجمها النسبي، والمساحة التي تشغلها من أراضي الضـفة، وما تستثمره وتستهلكه من مواردها بمعدلات أعلـى بكثير مما يوازي حجمها السكاني بالنسـبة لسـكان الضفة، وهذا الوضع نشأ من سياسة القهر والاحتلال وعدم تعرُّض الاتفاق لهذا الموضوع.

٥- ممنوع على السلطة الفلسطينية الاسـتفادة مـن أي علاقات عربية أو الانفراد بأي قرار اقتصادي مهم.

٦- أي مساعدات رسمية تدخل مـن خـلال الحكومـة الإسرائيلية.

٧- لا يحق لسلطة الحكم الذاتي توقيع أي عقد أو اتفاقية لمشاريع اقتصادية أو مالية أو تجارية دون أخذ موافقة مسبقة من إسرائيل.

٨- الاستيراد والتصدير مع العالم الخارجي لا يتم إلا من خلال وزارة التجارة الإسرائيلية.

٩- القيود الخارجية مقيدة بالقوانين الإسرائيلية حتى التعامل المالي مع الفلسطينيين بالخارج يخضع لترتيبات تضعها إسرائيل.

١٠- الإفراج عن المعتقلين يتوقف على حالة الأمن الإسرائيلي، ويخضع لمتطلباته.

وهكذا تبقى السلطة الفلسطينية مشلولة الحركة تمزقها الثقوب المنتشرة، والطرق التي تقام باستمرار تمزق وتخترق الأراضي الفلسطينية، وتحول مدنها إلى كنتونات محاصرة ضمن حدود المدينة فقط لا غير.

تبقى الحقيقة التي أراها تلوح في الأفق أن إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية لن يقدما للفلسطينيين ما يؤثر تأثيرا حقيقيا على هدف إسرائيل الكبرى، وابتلاع بقية الأراضي الفلسطينية التي أصبح يطلق عليها الآن أراضٍ

متنازع عليها وليست أرضا محتلة، وربما يتأخر هذا الهدف قليلاً ولكن إذا سارت الأمور كما هـي عليـه الآن والأمـة العربية في غفلة واسترخاء وخضوع للمشيئة الأمريكية فقـل على فلسطين السلام.

ربما تحصل تسوية بالنسبة للجولان؛ نتيجة للضغوط على سوريا ولكن بشروط مجحفة جدا ومحققة للآمال الإسرائيلية بحيث تحلُّ قوات أمريكية محل القوات الإسرائيلية في هضبة الجولان، وتبقى مراكز المراقبة إسرائيلية وخصوصا فـوق جبل الشيخ، وتبقى سوريا مكشوفة تماما بكل متر فيها تحت نظر القيادة الإسرائيلية، وتتحوَل مناطق واسعة من جنـوب سوريا إلى أراضٍ مجرَدة من السلاح، وربما إلـى منـاطق عازلة.

أما سيناء فستبقى محتلة من القوات الأمريكية تحت اسـم القوات المتعددة الجنسيات، ولا يجوز إجلاؤهـا إلا بموافقـة إسرائيل، وتبقى مجردة من السلاح حسب نص اتفاق السلام بين مصر وإسرائيل.

ولكن هل بقي للفلسطينيين أي شيء يستطيعون التنـازل عنه الآن؟ وهل تستطيع السلطة الفلسطينية أن تلبي طلبـات إسرائيل التي لا تنتهي بخصوص الأمن؟!

فكرة السلام لا أحد يرفضها في حد ذاتها كفكـرة ولكـن نرفض السلام الذي يتجاهل الحقائق التاريخيـة والسياسـية والإنسانية التي احتواها الصراع العربي الإسـرائيلي طيلـة قرن من الزمن، إن المنطقة العربية تشهد حاليـا محـاولات ضارية لتغييب عقل الأمة وتشـويه ذاكرتهـا، ولا شـك أن المجتمع الدولي لم يكن ليعامل العقلية العربية بهذا القدر مـن الاستهانة والاحتقار لحقوقهم المشروعة إلا لأن العالم الـذي ينتمون إليه يفقد بالتدريج أسباب وجوده ومقومات تقـدُمـه واستمراره، ويدلف إلى ظلام الإرهاب الـداخلي، والتمـزق العقلي والفكري، والشلل السياسي، والتخلف الحضاري.

وما دام العالم العربي يرضخ لحكم سلطان قوى التسـلط الدكتاتوري على مقاديره، والديموقراطية غائبة تماما فسوف تبقى الكرة داخل الملعب الإسرائيلي يوجههـا كيـف يشـاء حسب مصالحه وأهدافه.

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧

شارك في أهم عناصر هذا القـرار منـدوب الولايـات المتحدة الأمريكية فـي مجلـس الأمـن آرثـر جولـدبرج (وهو يهودي متعصب لإسرائيل) ثم تولى صياغته النهائيـة اللورد كاردون (وهو قانوني بريطاني).

كان هذا القرار نموذجا عبقريا مـن نمـاذج الصـياغات الدبلوماسية التي تعطي لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يستند إليه في طلب الشيء ثم يعطي لكل طرف من الأطراف ما يمكن أن يتمسك به في طلب نقض الشيء.

قَبِلَ العرب هذا القرار؛ لأنه ينصُّ على عدم جواز احتلال الأراضــي بــالقوة، ولأنــه يطلــب الانســحاب مــن "أراضٍ محتلة" سـنة ١٩٦٧، وفـي نفـس الوقـت فـإن ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل قَبِلَ نص القـرار؛ لأنـه يربط ذلك بمفاوضات تأخذ الانسـحاب إلـى حـدود آمنـة ومعترف بها؛ وهكذا كان نصف القرار يبدو متعارضا مـع نصفه الآخر، وكانت هنالك معضلة التوفيق بـين النصـفين

أيهما يمثل نقطة البداية. في حين أن الطرف العربي أعطى الأولوية للانسحاب؛ تأسيسا على أن التفاوض بقصد التوصل إلى حالة سلام هو المقدمة التي لا بد منها.

وكان تعليق جمال عبد الناصر أن النصوص لا تصنع الحقائق وإنما الحقائق هي التي تصنع النصوص وقال كلمته المشهورة: "إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة"، وعلق كيسنجر على القرار ٢٤٢ بأنه يشبه النكتة؛ جمل منسقة لا أرى فيها جانبا تنفيذيا، وكل واحد يخرج من المعاني العامة حسب تفسيره إلى معانٍ محددة، وكل طرف يستطيع تفسيره وفق رغبته وخصوصا في معنى الحدود الآمنة.

ما ينص عليه قرار ٢٤٢ فيما يتعلق بالجانب الفلسطيني:

مرَ حتى اليوم حوالي نصف قرن على صدور القرار ٢٤٢، بات خلالها من أشهر قرارات الأمم المتحدة التي صدرت حتى اليوم، وأصبح هذا القرار المحور الأساسي الذي تدور حوله الجهود لإيجاد تسوية للصراع العربي الإسرائيلي.

هذا القرار ارتبط منذ صدوره بتساؤلات كثيرة حول تفسير الانسحاب من الأراضي المحتلة سنة ١٩٦٧، والخلاف حول كلمة أراضٍ أو الأراضي باستخدام (أل) التعريف.

أما فيما يتعلق بالجانب الفلسطيني فإن القرار ٢٤٢ لم يشِر إلى المشكلة الفلسطينية وإنما تحدث عن مشكلة اللاجئين فقط، وصدر بموجب الفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة وهو الفصل الخاص بالتسوية السلمية للمنازعات؛ وبذلك بقي مجرد توصية غير ملزمة كما ينصُ عليه الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

ورغم أن القرار تضمن إنهاء حالة الحرب لإيجاد السلام العادل والدائم- وهو الأساس الذي يقوم عليه مبدأ الأرض مقابل السلام- فقد جاء بعد حرب ١٩٧٣، ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، وانعقاد مؤتمر مدريد، وتوقيع ميثاق أوسلو، ومعاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية.

أما فيما يتعلق بإيجاد تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ورغم صدور عدة قرارات من الأمم المتحدة والمنظمات الدولية والإقليمية فلم يحدث حتى الآن أي تقدُم

بموضوع عودة اللاجئين لأرضهم المحتلـة، وكـذلك حـق الشعب الفلسطيني بتقريـر مصـيره، وموضـوع القـدس والمستوطنات، والانسحاب من الأراضي العربيـة المحتلـة لا يزال يقَابلُ بالرفض الإسرائيلي والتفسيرات الملتوية التـي تقوم بها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وتغيير مفاهيم لا تقبل النقاش إلى مفاهيم أخرى مثل: تحويـل الأراضـي المحتلة إلى أرض متنازع عليها، واعتبار الانسحاب من أي موقع فلسطيني على أنه إعادة انتشار للجيش الإسرائيلي على أساس أن الأرض تبقى ملك إسـرائيل؛ وهكـذا أصـبحت قرارات الأمم المتحدة بمجملها غير منفذة.

إن انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسـطينية المحتلة حسب ما جاء في القرار ٢٤٢ أصـبح فـي النـزع الأخير، وأصبح النص بسلامة الأراضي الإقليمية ووحـدتها حبرا على ورق.

وتحديات إسرائيل بضم القدس، وجعلها العاصمة الأبديـة لدولة إسرائيل، والتمـادي فـي تهويـدها يتسـارع يومـا بعد يوم.

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عدة قرارات بعـد القرار ٢٤٢ تنصُ على الانسحاب الكامـل مـن الأراضـي العربية المحتلة سنة ١٩٦٧ فـي الضـفة الغربيـة وغـزَة بالإضافة إلى الجولان السوري المحتـل، والانسـحاب مـن جنوب لبنان بدون شروط ولكن جميع تلك القـرارات بقيـت معلقة، ولم يتم تنفيذ أي منها باستثناء الانسحاب الإسـرائيلي الذي تمَ من بعض المدن الفلسطينية ذات الكثافـة السـكانية العربية، والذي يخضـع بمجملـه إلـى الإدارة العسـكرية الإسرائيلية أمنيا واقتصاديا، ولا شك أن إسرائيل لم تقم بذلك الانسحاب إلا لكي تتخلص من مشاكل تلك الكثافة السـكانية الفلسطينية والتي بدأتها بالتخلص مـن إدارة قطـاع غـزَة، وألقت تبعات أمنه على السلطات الفلسطينية.

كلمة " لا "

منذ بدأ الانتداب البريطاني على فلسـطين سـنة ١٩٢٠ وأخذت العروض والحلول المفْرِضة تُقَدَم للشعب الفلسطيني بدءا من وعد بلفور، وصك الانتداب، والتحوُل إلـى الحيـاة المدنية في فلسطين بعد انتهـاء الحكـم العسـكري مـرورا بالعروض التي قدَمتها حكومة فلسـطين البريطانيـة مثـل: المجلس التشريعي ـ لجان التحقيـق المختِلفـة ـ الكتـب البيضاء ـ التحديد المؤقـت للهجـرة اليهوديـة ـ قـوانين الأراضي ـ جميع تلك المشاريع المشبوهة، التـي رفضـها الشعب الفلسطيني، واستعمل كلمة "لا" وكان محقًا في ذلك.

ثم جاء قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ فقال الشعب الفلسـطيني "لا"؛ لأنه كان قرارا مجحفًا أعطى اليهود نسبة ٥٤ ٪ مـن أجـود الأراضـي الفلسـطينية، وتـرك للفلسـطينيين ٤٦ ٪ رغم أن اليهود لم يكونوا يمتلكون من أراضي فلسطين أكثر من ٦ ٪ وقت صدور قرار التقسيم.

وجاءت بعد سنوات اتفاقيات قرارات الخرطوم الثلاث التي قال فيها العرب "لا"، وتبع ذلك اتفاقية "كامب ديفيد"، واتفاقية "أوسلو" فقيل لهما "لا".

ورغم أن "لا" في جميع الحالات المذكورة كانت مطلوبة وعادلة إلا أننا بدأنا نخشى من ترديد كلمة "لا"، والتي أصبحت الآن مطلوبة أكثر من أي عهد مضى، وأصبحت التنازلات والمصائب تتوالى على العرب والفلسطينيين ولم يجرءوا أن يقولوا "لا" رغم أن الحاجة ماسة جدا لاستعمالها الآن.

إن الظروف التي تمرُّ بها الأمة العربية بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة تحتاج الآن إلى وقفة مع النفس؛ لكي نعلن بأعلى صوت كلمة "لا"، وننحي جانبا الحماس اللفظي معللين النفس بأن الغير - وأعني أمريكا وأوربا - سوف يعود إلى الحق بينما الدول العربية تبتعد أكثر فأكثر عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية وقدراتها على التدخل تقل تدريجيا.

إن أكثر الأنظمة العربية- إن لم يكن كلها- تخضع الآن للنفوذ الأجنبي، ومصالحها الخاصة أصبحت أكثر التصاقًا

وقربا من القوى الغربية حتى الدول التي كانت تؤيد القضـية الفلسطينية في آسيا وأفريقيا بدأت تبتعد قليلاً عنا وتتقرب إلى إسرائيل، وليس مثال الصين والهند وبعض الدول الأفريقيـة ببعيد.

اللاءات السابقة كانت الجواب العربي الوحيد المتاح الذي لا يملك العرب غيره بعد الهزائم المتكررة حتى جـاءت "لا" "كامب ديفيد" التي قسمت العرب، وانقسـم العـرب حولهـا واختلفوا، وجاءت حرب أكتوبر سنة ٧٣؛ وتغير الحال قليلاً.

والعجيب أنه عندما أخذت إسرائيل تسرق الأرض وتقول إن ذلك مقابل الأمن، وأخذ اتفاق أوسلو يتدهور تدهورا مشينًا هل نقول الآن نعم: لـ ١٣ ٪ المعروضة علينا؟ وهل نعـم هي المناسبة الآن لتحل محل "لا" عندما يفتـرض أن يملـك الفلسطينيون ١٣ + ٣ = ١٦ ٪ من ١٨ ٪ وهي ما بقي من قطـــاع غـــزة والضـــفة الغربيـــة أي حـــوالي ٠,٧ ٪ من مجموع أراضي فلسطين البالغ مساحتها أكثر من ٢٤ ألف كيلومتر مربع؟ هل المطلوب أن نقول الآن "نعـم" لـ ٠,٧ ٪ من أراضي فلسطين لنقيم عليها دولتنا المرتقبـة في المستقبل إذا سمح لنا اليهود بذلك؟

وحجة اليهود الآن -المقبولة لـدى الولايـات المتحـدة وأوربا- أن الأمن لن يتوفر للشـعب الإسـرائيلي إذا قـدَم تنازلات جديدة في الأرض، وأن الأرض مطلوبـة للحفـاظ على أمن الشعب الإسرائيلي.

أين اتفاق أوسلو:

وكان المفروض أن تنسحب إسرائيل من ٩٠ ٪ في سـنة ١٩٩٩ ثم يتم التفاوض على الباقي ١٠ ٪ (كل ذلك من الـ ١٨ ٪).

وقد تم بالفعل الانسحاب من ٣ ٪ في المرحلـة الأولـى، وفجأة تأتي المبادرة الأمريكية بالانسحاب من ١٣ ٪ من الـ ١٨ ٪، ويصرُ الإسرائيليون على ٩ ٪ ويعتبرونه الانسحاب النهائي.

وهكذا وبعد خمسين سنة من النضال والتضحيات تصـرُ إسرائيل على احتلال ٩٩,٣ ٪ من الأراضي الفلسطينية.

وحتى لو وافقت إسرائيل على الانسحاب من ١٣ ٪ فـإن هذا لن يتم بدون شروط على أن يكون الانسحاب خلال ١٢

أسبوعا يتزامل مع الاشتراطات التالية التي تطلبها إسرائيل، وتعرضها الولايات المتحدة:

١- تصدر السلطة الفلسطينية مرسوما رئاسيا يحظر كل أنواع التحريض ضد إسرائيل في جميـع منـاطق السلطة الفلسطينية، وعدم السماح بالتعبير عن العداء لإسرائيل.

٢- تُشكل لجنة إسرائيلية ـ فلسطينية لتقـوم بدراسـة حالات التحريض في كل ما يقـال داخـل الحكـم الذاتي.

٣- تُصادِقُ اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير على تعديل جذري للميثاق الوطني، وإلغاء كـل البنـود التـي لا ترضى عليها إسرائيل.

٤- تتولى لجنـة مشـتركة مـع الولايـات المتحـدة (المخـابرات المركزيـة C. I. A)، والسـلطة الفلسطينية فحص أسباب إلغـاء ملفـات وقضـايا المشبوهين بالإرهـاب فـي السـلطة الفلسـطينية؛ والمقصود ملفات حماس.

وبعد الاطمئنان إلى تنفيذ جميع هذه البنود، ومن الأسبوع السادس حتى الحادي عشر تنسحب إسرائيل مسـافة ليسـت نهائية من الـ ١٣ ٪ وتنتظر بعد ذلك أن تتسلم من السـلطة الفلسطينية أسماء العناصر العاملة في الشـرطة الفلسـطينية بحيث يكون لدى إسرائيل ملف كامـل عـن كـل شـرطي فلسطيني يعمل في السلطة.

وبعد الانسحاب يتم إنشاء لجنة ثلاثية إسرائيل + السـلطة + أمريكا لبحث ومناقشة ادعاءات إسرائيل حـول تهريـب الأسلحة إلى مناطق السلطة الفلسـطينية، وتجتمـع اللجنـة الفلسطينية الإسرائيلية لبحث الموضوعات المتعلقـة بتسـليم المشبوهين لتنفيذ أعمال إرهابية، وهم ٣٤ شخصـا تطلـبهم إسرائيل بالاسم، وهم من قيادات حماس.

ملاحظة هامة:

لم ترد في جميع الاتفاقات مع الفلسطينيين كلمة انسـحاب بل كلمة إعادة انتشار؛ وهذا يبرز المعنى أن إسرائيل تعتبـر الأراضي ملكًا لها، وأن الانسحاب يسري على السكان فقـط وليس له علاقة بالأرض، والفرق بين المعنيـين كبيـر؛ لأن

إسرائيل لا تترك الأرض بل تنقل قواتها إلى أماكن أخـرى غير ظاهرة أي من داخل المدن والقـرى إلـى المشـارف والجبال والتلال المحيطة.

ملاحظة ثانية هامة:

إن مواقع إعادة الانتشار لا تخضع للتفاوض وإنما ترسمها قيادة الجيش الإسرائيلي واضعة نصب عينيها:

الموقع الاستراتيجي + منابع المياه

وتعتبر إسرائيل منابع المياه خطًا أحمر لا يمكن تجاوزه: أي أنها يجب أن تبقى مسيطرة على مصادر المياه في الضفة والقطاع ـ وللعلم أن حصة الفلسطيني من الميـاه الآن ١٣ جالونًا في اليوم، وحصة الإسرائيلي بين ٦٥ ـ ٧٥ جالونـًا في اليوم.

ملاحظة ثالثة:

إعادة الانتشار لا تتيح للفلسطيني حرية الحركة والتنقـل؛ لأن الطرق الالتفافية فرَقت التجمعـات السـكانية العربيـة، وجعلت المدن والقرى تعـيش فـي أقفـاص، ولا يسـتطيع

الفلسطيني التنقل بحرية إلى المدينة أو بالعكس دون المـرور على أكثر من حاجز إسرائيلي، ويوسع الحاجز عند حـدوث أي طارئ إلى إغلاق الاتصالات نهائيا.

وهذه الطرق لم يقم بها حزب الليكود بل أقامهـا حـزب العمل؛ وكان يرمي إلى الفصـل بـين الأرض والسـكان، ونعود إلى القـول إن السياسـات التـي يتبناهـا الحزبـان - العمل والليكـود- لا تختلـف أبـدا فيمـا يتعلـق بـ ـ الأرض ـ المستوطنات ـ القدس ـ عودة اللاجئين.

والحزبان يرسمان الدور المنوط بالسلطة الفلسطينية القيام به وهو:

١- الأمور البلدية.

٢- كبح جماح الشعب الفلسطيني.

٣- حماية إسرائيل من غضب الشعب.

والاتفاقات والمفاوضات باعت لنا الكثير من المصطلحات الفارغــة مثــل: لقــب رئــيس الســلطة الفلســطينية ولا يذْكر ذلك إلا في اللغة العربية، وفي اللغـات الأخـرى لا يكْتَب Presidant بل كلمة Raies.

أحدث الأخطار المتوقعة
في إطار القضية الفلسطينية

هل يترك العرب الصين لإسرائيل:

هذا هو السؤال المعروض حاليا على الساحة الدولية، وقد أخذت إسرائيل توجه بوصلتها إلى القوة القادمة في العالم وهي: الصين.

أقامت إسرائيل علاقات قوية مع بريطانيا حينما كانت تُعرَفُ باسم بريطانيا العظمى القوة المتميزة التي لا تغرب عن أملاكها الشمس قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى، واستطاعت أن تحصل على وعد بلفور لإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وظلت هذه العلاقة قوية حتى تم إنشاء دولة إسرائيل، ثم استشعرت إسرائيل أن القوة الصاعدة هي الولايات المتحدة الأمريكية، ومدّت أذرعتها للولايات المتحدة كالأخطبوط حتى كادت إسرائيل أن تصبح ولاية أمريكية تشارك في صنع أخطر القرارات الأمريكية وخصوصا فيما يتعلق بالشرق الأوسط.

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي ونمو قوة جديدة هائلة على الساحة الدولية وهي الصين وأن هذه الدولة سوف تلعب دورا رئيسيا وهاما على مسرح السياسة الدولية مع بدايـة القـرن القادم.

احتفظت بأصدقائها وحلفائها ولكنها مدَت أذرعتهـا نحـو الصين كيف حدث ذلك: أول من فكر بغـزو الصـين هـو "مناحم بيجن" رغم كراهيته للشيوعية إلا أنه طالب بضرورة اختراق الصين، واقتراح أن يتم ذلك عن طريق الصـناعات الإلكترونية والجوية، وقال إن الصين - رغم مقاطعة أمريكا وأوربا لها - هي سوق السنوات القادمة، ويجب أن تكون لنا علاقة وطيدة مع العملاق القادم، لعب اليهـودي الأمريكـي هنري كيسنجر دورا بارزا في تمهيد الطريق لإقامة العلاقـة بين إسرائيل والصين، وأقنع الصينيين إن إسـرائيل لـديها أسلحة متقدمة لا تقل تطورا عن الأسـلحة الغربيـة، وفـتح الطريق لرجال الأعمال الإسرائيليين لعقـد الصـفقات مـع الصين والعرب نائمون في العسل.

وبدأت العلاقات الاقتصادية تتطور وتنمو بـين إسـرائيل والصين، وأخذت الوفود الصينية تَفِد إلى إسرائيل وبعـد أن

كانت إسرائيل تعتبر عدوة والعرب أصـدقاء تحـوّل هـذا المفهوم إلى موقف محايد، ولا ندري هل تظل الصين محايدة أم أن الأمور ستتطور في القرن القـادم وتصـبح الصـين منحازة إلى إسرائيل.

إن حجم الصفقات الإسرائيلية للسلاح فقط مع الصين بلغ ٧ مليارات دولار في العام، وتستورد إسرائيل من الصـين مصنوعات صينية وخاصة الحرير؛ حيث تعيد تصديره إلـى كل دول العالم.

إن الفرصة لم تفلت من الأيدي العربيـة ولـدى العـالم العربي مقومات هائلة للاقتراب والتعاون مع الصـين فهـل يترك العرب القطار يفوتهم ويتجه كلية إلى إسرائيل؟!

حتى لا نفقد المستقبل كما فقدنا الماضي والحاضر

من أخطر ما يحدث في وطننا العربـي منـذ أن تلاقـت مصالح الدول الغربية وأمريكا مع أهداف ومطامع الصهيونية العالمية على اقتطاع فلسطين من جسم الوطن العربي وإنشاء دولة إسرائيل أن الأمة العربية لا تزال تتجاهـل المخـاطر الحقيقية المحيطة بمنطقتنا، وتتناسى أبسط الأسس التي قامت عليها الفلسفة الصهيونية والمصلحة الغربية وهي إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات مخترقة قلـب الأمـة العربية وإبقائها ممزقة إلى الأبد؛ وخوفًا من مجابهة المستقبل دأبت الأنظمة العربية في محاولة لإقنـاع الـنفس وإقنـاع شعوبها بالتركيز على النقطتين التاليتين:

١- أن إسرائيل وقد حققت إنشاء الدولة اليهوديـة فـي فلسطين لا يمكنها في ظل الظـروف العالميـة الآن أن تحقق حلم الصهيونية بإنشاء إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

٢- محاولة إقناع العقل العربي أن القضاء على إسرائيل أمر مستحيل، وعليه قبول الأمر الواقع وما تقدمـه إسرائيل وأمريكا، ومحاولة التعـايش سـلميا مـع إسرائيل؛ وهكذا ترسي إسرائيل دعائم دولتها وتنفيذ مخططاتها معتَمِدَة في المقام الأول على ضعف الأمة العربية وتفككها، وظهور بوادر الانحلال في داخلها؛ فتقوم بتغذية هذه الظروف بمزيد من التشجيع، وعند ظهور أية بادرة إيجابية لإيقاف هذا التدهور العربي تقوم إسرائيل- ولو عن طريق القوة- بالحيلولة دون ذلك مستغلة ومعتمدة على تشجيع ومؤازرة الـدول الغربية وأمريكا.

وما يحدث الآن على الساحة العربية من المغـرب إلـى الخليج، وما يظهر من انقسامات وتمزُّق وحروب هو تجسيد لما تسعى إليه إسرائيل لتحقيق أهدافها المستقبلية فـي إقامـة إسرائيل الكبرى، وإخضاع العالم العربي لنفوذها وسيطرتها.

وننشر فيما يلي ملحقًا للوثيقة التي قامت رابطة خريجـي الجامعات الأمريكية العرب بنشرها سـنة ١٩٨٢، وتشـكك الخبراء والساسة في صحتها؛ نظرا لخطورتها ولكن الأيـام

أثبتت أنها مثل حلم إنشاء دولة إسرائيل، ولم يتصور العرب إمكانية إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وأنها ستقوم خـلال خمسـين عامـا منـذ عقـد المـؤتمر الصـهيوني الأول سنة ١٨٩٧ م.

وهكذا فوجئنا بقيام دولة إسرائيل تماما كما قُدر لها.

والخطة الجديدة كما وردت في الوثيقة ربما تحتاج لوقت أطول لتنفيذها ولكن الخطوات بدأت فعلاً؛ وهي ترمي إلـى جعل إسرائيل سيدة الشرق الأوسط وقلبه النابض.

وعنوان الوثيقـة: الخطـة الصـهيونية لإسـرائيل فـي الثمانينيات وما بعدها.

إنها تقوم على تقسيم المنطقة بأكملها إلى دويلات صغيرة، وإنهاء الكيانات الحالية للدول العربية، والبداية ربمـا تكـون عن طريق تجزئة العراق إلى دولة شيعية، ودولـة سـنية، وفصل المنطقة الكردية، وبالنسبة لسوريا تقـول الوثيقـة إن تجزئة سوريا ممكنة على أساس عرقي ديني مثـل العـراق ولبنان؛ فتقوم دولة شيعية علوية علـى السـاحل السـوري، ودولة سنية في منطقة حلب، ودولة سنية أخرى في دمشـق، وكذلك إقامة دولة للدروز في حوران وشمال الأردن أو فـي

الجولان؛ وهذا الوضع سيكون هو الضمان للأمن في المنطقة على المدى البعيد، وهو هدف يمكن لإسرائيل الوصول إليـه كما تقول الوثيقة، أما لبنان فـيمكن تجزئتـه إلـى خمـس مقاطعات، وبالنسبة لمصر تقول الخطة إن تجزئـة مصـر إقليميا إلى مناطق جغرافية متميزة هـو الهـدف الرئيسـي لإسرائيل على جبهتها الغربية، وإذا تمت تجزئة مصر فـإن بلادا مثل ليبيا والسودان لن يكتب لها البقاء علـى وضـعها الحالي، والرؤية المتمثلة في الخطة إنشاء دولة قبطية وأخرى للمسلمين، والقضاء على الحكومة المركزية، وإن كان تنفيـذ هذه الخطة قد أصيب بنكسة بسبب معاهـدة السـلام إلا أن العمل لتحقيق هذا الهدف يبدو حتميا على المدى الطويل.

أما شبه الجزيرة العربية تقول الخطة إنها مرشحة بأكملها بشكل طبيعي للتجزئة، وبالنسبة لـلأردن تقـول الخطـة إن الأردن يمثل هدفًا استراتيجيا مباشرا على المـدى القصـير؛ لأنه لا يمثل خطرا حقيقيا على المدى البعيد بعـد تجزئتـه، وسياسة إسرائيل يجب أن تتجه نحو تصفية الأردن.

ومن أهداف إسرائيل- كما تقول الخطة- إعـادة توزيـع السكان وإلا فسيتوقف نمو إسرائيل إذا انحصرت داخل حدود

يهودا أو السامرة والجليل وتصبح إسـرائيل مهـددة مثـل الصليبيين الذين احتلوا هذه البلاد ثم رحلوا عنها؛ لأنهـا لـم تكن بلادهم وكانوا أجانب بالنسبة لها؛ لـذلك فـإن إعـادة التوازن السكاني هو أعظم الأهداف وأكثرها مركزية بالنسبة لإسرائيل، وكذلك السيطرة الكاملة على مصادر المياه.

وهكذا ترسم الخطة صورة للمنطقة العربية تعتمد أساسـا على تغذية الخلافات والانقسامات العربية، وإيجـاد أسـباب جديدة للخلاف، وإثارة الحساسيات العرقية والدينية والثقافية.

وإذا قيل كيف تُنْشَرُ مثل هذه الخطة والمفـروض أنهـا سرية والإجابة أنهم يعملون منذ سنوات طويلة وحتـى الآن على أساس أن العرب لا يقرأون وإذا قـرأوا فلـيس لـديهم الوعي بما يقرأون حتى إذا أدرك بعض العرب الحقيقة فلـن يتحركوا.

وكلمة أخيرة: إن هذه الخطة واقعية، وتنفيذها ممكن وإن كانت المسألة مسألة وقت لا أكثر.

وجاءت حكومة الليكود يرأسه نتنياهو؛ لتكشف المستور، وتعلن ما كان يقال همسا مـن رفـض إسـرائيل للسـلام، وتهديدها للعرب، وتحديها المجتمع الدولي، وتراجعها عـن

الاتفاقيات الموقعة واتفاقياتها الاستراتيجية مع أمريكا وتركيا، وتحركاتها في بعض الدول العربية.

من كان يصدق أن قوة العراق الاقتصادية والعسكرية تـم إجهاضها بالكامل، وتم تحويل كل مـا فيهـا مـن مـزارع ومصانع إلى أراضٍ خراب.

لماذا لا نصدق أن ما حدث للعراق يمكن أن يحـدث لأي بلد عربي آخر؟! واختلاق أزمات وحكايات تبـرر العـدوان والتدخل.

ولا يجب أن نظن أن الخطر البعيد.. سيبقى بعيدا.

القرارات الهامة والمؤثرة التي شكلت بصفة أساسية مسار القضية الفلسطينية خلال مائة عام

الفكرة من هذا البحث إعادة ترتيب القرارات الهامة التي أثرت وشكلت بصفة أساسية مسار القضية الفلسطينية خلال مائة عام؛ وأدت إلى إنشاء دولة إسرائيل.

تلك القرارات التي أمكن للصهيونية العامية بواسطتها، وبالعلاقات المتينة التي كانت تربطها بالدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، والمساعدات المتدفقة التي أمدت بها إسرائيل، والوقوف بجانبها من المحافل الدولية، ومنع الأمم المتحدة من اتخاذ أي قرار ضدها، تلك العوامل التي أدت إلى غرس هذا الجسم الغريب في قلب العالم العربي، ولا شك أن الدول العربية بتخاذلها وضعفها ساعدت في تحقيق هذا الهدف.

إن إنشاء دولة إسرائيل هو الركيزة الأساسـية والهامـة للدول الغربية وأمريكا لتحقيق مصالحها، والسيطرة على هذه المنطقة من العالم.

يجب أن نتذكر أن إسرائيل ليست مجـرد دولـة وإنمـا مشروع استعماري مفتوح على كل الأوهام المبثوتة في كتب الأساطير العبرية، والكتب الدينيـة المسـيحية، والمصـالح الاقتصادية.

القرارات:

١- قرارات المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧ بزعامة "تيودور هرتسل" وهي القرارات التي حوَلت الصهيونية العالمية الدينية إلى صهيونية سياسية تهدف إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين؛ ولتحقيق هذا الهدف بدأت الصـهيونية السعي للحصول علـى موافقـة الـدول الكبـرى وخصوصا في غرب أوربا وأمريكا، وكذلك تنظـيم الهجرة، وتشجيع الاستيطان لليهود في فلسطين.

٢- وبينما كانت بريطانيا تتبادل الرسائل مـع الحسـين شـريف مكــة، والمعروفــة باســم مراســلات

"حسين ـ مكماهون"، وتعد فيهـا باسـتقلال بـلاد المشرق العربي بعد تحريرها من نيـر الاحـتلال العثماني ـ اتفقت سرا مع فرنسا وروسـيا علـى توزيع مناطق النفوذ في مقاطعات الدولة العثمانيـة، وعرفَ هذا الاتفاق المنعقد سنة ١٩١٦ باسم اتفـاق "ساسكس ـ بيكو"، وظل هذا الاتفاق سـرا حتـى أعلنته الحكومة البلشيفية في روسيا سنة ١٩١٧ وقد نصَ الاتفاق على ما يلي:

تكون فلسطين والأردن والعراق من نصـيب بريطانيـا، وتكون سوريا ولبنان من نصيب فرنسا ـ وكما أعلن اللورد روتشند في مجلس العمـوم البريطـاني سـنة ١٩٣٠ " إن مفاوضات "سايكس ـ بيكو" جرت فقط مـن أجـل الـوطن القومي اليهودي ".

٣- وعد بلفور الذي يعتبر أهم وأخطر الدعامات التـي أدّت إلى إنشاء دولة إسرائيل، وكان الوعد بصـورة كتاب أرسله بلفور وزير خارجيـة بريطانيـا إلـى اللورد روتشلد زعيم الصهيونية العالمية سنة ١٩١٧

وجاء نص الوعد:

"عزيزي اللورد روتشلد:

يسعدني كثيرا أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفًا مع أماني اليهود الصـهيونيين التـي قدّمتها ووافق عليها مجلس الوزراء.

إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلـى إنشـاء وطن قومي لليهود بأرض فلسطين، وسوف تبـذل مـا فـي وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف، وليكن مفهوما بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غيـر اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى، أتمنـى أن أكـون مدينًا لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الاتحـاد الصهيوني العالمي.

المخلص آرثر بلفور".

وقد ثبت بالوثائق الرسمية أن تصريح بلفور كان قد رفِعَ إلى الرئيس الأمريكي ويلسون سنة ١٩١٧ ووافق عليه قبـل إعلانه، كما أن فرنسا وإيطاليـا أيـدتا التصـريح بتـاريخ ١٤ فبراير، و ٩ مايو سنة ١٩١٨.

لم ينتشر التصريح بسرعة، وتصوَّر الكثيرون أنه سيصبح في ذمة النسيان بعد قليل؛ لأن الصهيونية آنـذاك كانـت لا تزال حلما من الأحلام. بيد أن التاريخ قدَّر غير ذلك وغدت هذه الوثيقة أهم الوثـائق التـي صـدرت بشـأن القضـية الفلسطينية.

٤- صكُّ الانتداب الذي أصدرته عصـبة الأمـم فـي جنيف في ٢٤ يوليو سـنة ١٩٢٢ وفيـه وضِـعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وثبت فيما بعد أن هذا الصكَّ تم إعادة صياغته وترتيب بنوده بالاتفاق بين بريطانيا والصهيونية العالمية، وقد جعل صـكُّ الانتداب تنفيذ وعد بلفور إحدى أهم غايات الانتداب الرئيسية بل غايته الأولى حيث جاء في المادة الثانية من الصك: "تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين."

واعترف صك الانتداب بالصلات الروحيـة والتاريخيـة التي تربط اليهود بفلسطين، وأُعطِيت الوكالة اليهودية التـي

كانت تمثل اليهود في فلسطين وفـي الخـارج صـلاحيات واسعة.

ومن البنود الأخرى كما جاء في البند السـادس لتسـهيل هجرة اليهود إلـى فلسـطين وحصـولهم علـى الجنسـية الفلسطينية، وتشجيع اليهود على استغلال كل ما تسـتطيع أن تناله أيديهم من الأراضي، وجعل اللغة العبرية لغة رسـمية للبلاد إلى جانب اللغتين الإنجليزية والعربية، وقد بدأ تنفيـذ الانتداب رسميا على فلسـطين فـي ٢٩ سـبتمبر ١٩٢٣، وتاريخ الانتداب البريطاني على فلسطين هـو سلسـلة مـن المظـالم السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة، وبقـي الفلسطينيون محرومين من أي نـوع مـن الحكـم الـذاتي أو الاستقلال، وحياتهم الاقتصادية رهـن لحاجـات الـوطن القومي اليهودي وخاضعة لنفوذه، وكانت حكومـة الانتـداب البريطانية تنفذ بنود صك الانتداب بكل دقة في الجانب الذي يتعلق بمصلحة إنشاء الوطن القومي اليهودي.

وقد أغفلت حكومة الانتداب تنفيذ نص المـادة ٢٢ مـن ميثاق عصبة الأمم التي ساوت بين جميع البلدان المنفصـلة عن الدولة العثمانية بإعدادها للاستقلال، وأصرّت علـى أن

الانتداب على فلسطين وحدها يعتبر انتدابا من الدرجة الثانية؛ بحيث لا يتْرَكُ مجالٌ لمساهمة السكان الوطنيين في الحكم.

٥ ـ قرار تقسيم فلسطين:

نظرا لأهمية هذا القرار الخطير الذي أثر جذريا في مسار القضية الفلسطينية رأينا التوسع قليلاً فـي شـرح أبعـاده، والأسباب التاريخية، والخطوات التـي صـممتها بريطانيـا بالاشتراك مع الصهيونية العالمية وأخرجتها الولايات المتحدة الأمريكية؛ وأدت في النهاية إلى ضياع فلسطين.

منذ أكثر من نصف قرن صدر قرار الجمعية العموميـة للأمم المتحدة رقم ١٨١ بتـاريخ ٢٩ نـوفمبر سـنة ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما عربية مسـاحتها ٤٢,٨٨ ٪ مـن مسـاحة فلسـطين، وتشـمل ٥٤٧ قريـة و ١٧ مدينة من بينها عكا والناصرة ويافا واللـد والرملـة وأسدود المجدل وغزَة، أما الدولة الأخرى فيهودية ومساحتها ٥٦,٤٧ ٪ مـن مسـاحة فلسـطين، وتشـمل ٤٥٨ قريـة و ١٩ مدينة، وجعل القدس كيانًا منفصـلاً يخضـع لنظـام

الوصاية الدولية، وقد صـدر القـرار بموافقـة ٣٣ دولـة، ومعارضة ١٣ دولة، وامتناع ١١ دولة عن التصويت.

ظهرت فكرة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ أثناء ثورة الشعب الفلسطيني، وكانت على يد لجنة التحقيق الملكية البريطانيـة برئاسة لورد بيل، وقد أوصت اللجنة بتقسيم فلسـطين إلـى دولتين عربية ويهودية، ومشروع التقسيم هذا وما يتضـمن من مشاريع تقسيم كان الأساس لمشروع هيئة الأمـم سـنة ١٩٤٧.

ورغم ما تضمنه الكتاب الأبيض الصـادر سـنة ١٩٣٩ بإنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات يشترك فيها العرب واليهود، ورغم أن الكتاب الأبيض أصـبح سياسـة رسمية للحكومة البريطانية إلا أن اندلاع الحـرب العالميـة الثانية، والمقاومة الشرسة التي قادها ونستون تشرشل ضـد تلك السياسة جعل مجلس العموم البريطاني يتراجع ويقتنـع بأن تقسيم فلسطين هو الحل وذلك سنة ١٩٤٤.

ولما زادت الضغوط الأمريكيـة علـى بريطانيـا قـرر "أتلي" رئيس الوزارة العمالية في نهاية الحرب العالمية الثانية إحالة الأمر إلى هيئة الأمم التي قررت في دورة اسـتثنائية

سنة ١٩٤٧ في ٢٨ إبريل (نيسـان) أن الحـل فـي إنهـاء الصراع داخل فلسطين هو التقسيم، ورغم محاولـة الـدول العربية إحالة الموضوع إلى محكمة العدل الدولية أو إقامـة الدولة الموحدة في فلسطين فإن كلا الاقتراحين تم رفضـه، وقد نجحت الصهيونية العالمية بمؤازرة الولايـات المتحـدة الأمريكية، وباستعمال شتى الأساليب الملتوية فـي اسـتمالة بعض الدول- وكانت رافضـة التصـويت- وهـي ليبريـا وهاييتي والفلبين؛ وبذلك اكتمل النصـاب القـانوني بثلثـي الأصوات لإقرار مشروع التقسيم، وقد امتنعت بريطانيا عن التصويت بعد أن أدّت دورها القذر أثناء حكمها لفلسطين.

وهكذا قامت الدولة اليهودية استنادا إلى قـرار التقسـيم، وتوقف إعلان الدولة الفلسطينية؛ رفض العرب قرار التقسيم، وقامت حرب ١٩٤٨ بين الدول العربية وإسرائيل؛ وكان من نتيجتها أن فقد الفلسطينيون معظـم الأراضـي التـي كـان مخصصة لهم، ثم فقدوا ما تبقى لهم من أراضٍ في الضـفة الغربية والقدس وغزّة فـي حـرب ١٩٦٧، واسـتمر هـذا الصراع الذي بدأ بقرار التقسيم.

وهناك طريقتان لتقييم قرار التقسيم: فهنـاك مـن يتبنـى نظرية أن مسيرة القضية الفلسطينية هـي مسـيرة الفـرص الضائعة، وكان قرار التقسيم أكبر فرصة ضائعة في تـاريخ القضية، والذين يرفضون هـذا المنطـق يحملـون القـرار المسئولية الأولى لما وصلت إليه القضية، ويرون أنـه كـان المسمار الأول في نعشها؛ لأنه أعطى الشـرعية للاحـتلال الصهيوني ولمخططات بريطانيا والصهيونية العالمية، وفـتح الباب لضياع فلسطين.

٦ ـ اتفاقات رودس بين الدول العربية وإسـرائيل: تـم توقيع اتفاقات الهدنة بين كل من إسرائيل والدول العربية في جزيرة رودس، بين إسرائيل ومصر في ٢٤ فبرايـر سـنة ١٩٤٨، بين إسرائيل ولبنان في ٢٣ مارس سنة ١٩٤٨، بين إسرائيل والأردن في ٣ إبريل سنة ١٩٤٨، بـين إسـرائيل وسوريا في ٢٠ يونيو سنة ١٩٤٨.

ونتيجة لتلك الاتفاقات أصبحت إسـرائيل تسـيطر علـى حوالي ٨ آلاف ميل مربع من أصل ١٠,٤٣٥ ميلاً مربعا من أرض فلسطين أي حوالي ٧٧,٤ ٪ عوضا عـن ٥٦,٤٧ ٪ التي خصصت لها بموجب قرار التقسيم، وراح اليهود يعلنون

أن الدول العربية بتوقيعها اتفاقيات الهدنة لم يعد لها الحق في الادعاء بوجود حالة حرب رغم إصرار الدول العربية على رفض هذا الادعاء؛ لأن الهدنة ليست اتفاقية سلام.

٧ ـ قرارات مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ـ ٣٣٨: قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٧ من القرارات التي تردد ذكرها في أكثر الكتابات التي تحدَّثت عن مشكلة الشرق الأوسط وفلسطين، وأُعتُبِرَ هذا القرار هو الأساس في كافة المباحثات التي تمت منذ مؤتمر مدريد، وكان الاعتراف به من قِبل منظمة التحرير الفلسطينية من أهم طلبات إسرائيل وأمريكا رغم أن هذا القرار لا يتعلق مباشرة بالقضية الفلسطينية، وصدر إثر حرب ١٩٦٧.

وأهم ما تضمنه القرار المذكور ينصُّ على أن مجلس الأمن يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير في الشرق الأوسط، ويؤكد عدم جواز اكتساب الأرض بالحرب، وأن مبادئ ميثاق الأمم المتحدة تتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط يقوم على مبادئ أساسية:

أولاً: انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضٍ (الأراضي) التي أُحتُلت سنة ١٩٦٧.

ثانيا: إنهاء حالة الحرب، والاعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة، وحقها في أن تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة.

ثالثًا: تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

رابعا: ضمان حرية الملاحة عبر الطرق المائية الدولية.

وقَبِلَت القرار كل من مصر والأردن، ورفضته سوريا ثم عادت وقبلته بعد حرب عام ١٩٧٣، واستمرت منظمة التحرير في رفضه؛ لأنه لا يتحدث إلا عن قضية اللاجئين فقط، واستمر رفض المنظمة حتى جاءت مفاوضات مدريد واضطرت إلى الاعتراف به مقابل اعتراف أمريكا وإسرائيل بالمنظمة؛ وسمي ذلك بالاعتراف المتبادل.

والقرار ٣٣٨ الصادر من مجلس الأمن في ٢٢/ ١٠/ ١٩٧٣:

١- يدعو فيه مجلس الأمن جميع أطراف القتال إلى وقف إطلاق النار.

٢- يدعو فيه جميع الأطراف إلى تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢.

٣- تقرر أن تبدأ فورا مفاوضات؛ بهدف إقامة سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط.

٨ ـ قرارات إعلان المبادئ:

أو ما أُطْلِقَ عليه الاعتراف المتبادل بين دولـة إسـرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وهو عبـارة عـن الرسـائل المتبادلة بين رئيس دولة إسرائيل وياسر عرفـات ووزيـر خارجية النرويج سنة ١٩٩٣ حول ترتيبات الحكومة الذاتيـة الانتقالية، وانتهت الرسائل بتوقيع الوثيقة في واشنطن في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ بين حكومة إسـرائيل والفريـق الفلسـطيني ضمن الوفد الأردني لمؤتمر السلام في الشرق الأوسط.

وأهم ما تضمنه هذا الاعتـراف المتبـادل هـو إضـفاء الشرعية النهائية على دولة إسرائيل تلـك الشـرعية التـي لم تكن إسرائيل لتحصل عليها بدون الاعتراف الفلسطيني.

وأهم بنود تلك الاتفاقية:

١- إقامة سلطة فلسطينية تُسمى سلطة حكومـة ذاتيـة انتقالية.

٢- انتخاب مجلس فلسطيني.

٣- الفترة الانتقالية مدتها ٥ سنوات تؤدي إلـى تسـوية دائمة تقوم على أسـاس قـراري مجلـس الأمـن ٢٤٢ ـ ٣٣٨.

٤- تغطي ولاية السلطة الفلسطينية أرض الضفة الغربية وقطاع غزَة باستثناء القضايا التي سـيتم التفـاوض عليها في مفاوضات الوضع الدائم.

٥- خلال فترة السـنوات الخمـس تنسـحب القـوات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية في قطاع غـزَة والضفة الغربية.

٦- القضايا المتبقية وهي: القدس، وموضوع اللاجئـين، والمسـتوطنات، والترتيبـات الأمنيـة، والحـدود، والتعاون سوف تغطيها المفاوضات وصـولاً إلـى الحل الدائم.

٧- إنشاء لجان فلسطينية إسرائيلية مشتركة للتعاون في المجالات الاقتصادية.

٨- يقوم الطرفان بـدعوة حكـومتي الأردن ومصـر للمشاركة في إقامة المزيد من الترتيبات بخصـوص التعاون مع حكومة إسرائيل.

٩- عند انسحاب القوات الإسرائيلية من مواقعها الحالية تعاود التجمع خارج المناطق المأهولة بالسكان.

ويتبع تلك الترتيبات عدة ملاحق منها ما يتعلق بفلسطيني القدس، وترتيبات انسـحاب القـوة الإسـرائيلية، والتعـاون الاقتصادي، وبحث مسائل الميـاه، والكهربـاء، والطاقـة، والنقل، والاتصالات، والتجارة.

أهم ما تضمنه هذا الاتفاق استبعاد قيام دولـة فلسـطين، وتجزئة الوجود الفلسطيني، وتحويله إلى كانتونات، وتقطيعه بالطرق، وعدم تحديد الحدود، وإخضاعها للتغيرات السياسية لكل مرحلة.

وإلى جانب حصول إسرائيل على الشرعية جعلت أمنهـا هدفًا ومقياسا وواجبا مفروضـا علـى الشـعب الفلسـطيني وتُركت لها حرية رسم حدودها حسـب أهـدافها، وفـرض قوانينها، وفرضت ونصبت قوات شرطة فلسطينية؛ لتكـون شرطيا على الشعب الفلسطيني.

ولا شك أن الظروف التي مرَّ بهـا الشـعب الفلسـطيني ومنظمة التحرير بعد حرب الخلـيج مـن عـزل الشـعب الفلسطيني ومنظمـة التحريـر، وحجـب الأمـوال عنهـا، والتضييق على الفلسطينيين في الرزق والحركة والانتقـال، وإخراجهم من مناطق يعملون فيها؛ تلك الظروف ساهمت في الضغط على الشعب الفلسطيني والمنظمة في قبول الشـروط المجحفة التي فرضتها إسرائيل.

أيام لا تنسى في تاريخ القضية الفلسطينية

٣ أغسطس (آب) سنة ١٩١٥ أول كتاب من "مكمـاهون" إلى الملك "حسين" ملك الحجاز حول القضية الفلسطينية.

٢ نوفمبر (تشرين ثاني) سنة ١٩١٧ إعلان وعد بلفـور الذي أصدرته الحكومة البريطانية لإنشاء الـوطن القـومي لليهود في فلسطين.

٢٤ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٢٨ حادث البرَّاق (المبكـى) في القدس، وبداية ثورة ١٩٢٩ بين الفلسطينيين واليهود.

١٧ يونيه (حزيران) سنة ١٩٣٠ أعدم الإنجليز الأبطـال الفلسطينيين الثلاثة: فؤاد حجازي من (صـفد) ـ ـ محمـد جمجوم، وعطا الزير من (الخليل).

٢ نـوفمبر (تشـرين الثـاني) سـنة ١٩٣٥ استشـهاد عز الدين القسام في معركة مع البريطانيين قـرب جنـين؛ ومهد ذلك إلى قيام الثورة الفلسطينية الكبرى.

١٢ فبراير (شباط) سنة ١٩٣٦ معركة الخضـر قـرب الخليل، واستشهاد القائد البطل سعيد العاصي، وجرح عبـد القادر الحسيني.

١٩ إبريل (نيسان) سنة ١٩٣٦ إعلان الإضراب العام في جميع المدن الفلسطينية، وبداية الثورة الفلسطينية الكبرى.

١١ أكتوبر (تشرين الأول) سـنة ١٩٣٦ البيـان الـذي أصدره الحكام العرب واللجنة العربية العليا لفلسـطين بحـل الإضراب الذي دام ستة شهور.

١٧ يوليو (تمـوز) سـنة ١٩٣٧ صـدر قـرار لجنـة "بيل" البريطانية الملكية؛ ويقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية.

٢٦ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٧ مقتـل حـاكم الجليـل البريطاني، واشتعال الثورة حتى بداية الحرب العالمية الثانية.

١٢ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٤ قررت اللجنـة التنفيذيـة لحزب العمال البريطاني إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٦ نسفت عصابة الأرجـون فندق الملك داوود بالقدس.

٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٧ جرى التصـويت على التقرير الدولي بتقسيم فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٣٠ نوفمبر (تشرين ثاني) بدأ الإضراب العام في فلسطين ضد قرار التقسيم، وبدأت المعارك بين العرب واليهود.

١ فبرايـر (شـباط) سـنة ١٩٤٨ نسـف المجاهـدون الفلسطينيون مطبعة جريدة البالستين بوسـت اليهوديـة فـي القدس.

٢٢ فبراير (شـباط) سـنة ١٩٤٨ نسـف المجاهـدون الفلسطينيون شارع بن يهودا في القدس.

٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ استشهاد القائد البطل عبـد القادر الحسيني في معركة القسطل قرب القدس.

١٠ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ مذبحة دير ياسين قـرب القدس.

١٩ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة طبريا بأيدي اليهود.

٢٢ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة حيفا بأيـدي اليهود.

٢٩ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة يافا بأيـدي اليهود.

١١ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة صـفد بأيـدي اليهود.

١٢ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة بيسـان بأيـدي اليهود.

١٤ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ أعلن اليهود مولـد دولـتهم (إسرائيل) واعتراف الولايات المتحدة بتلـك الدولـة بـنفس اليوم.

١١ يوليه (تمـوز) سـنة ١٩٤٨ سـقوط مدينـة اللـد بأيدي اليهود.

١٢ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة الرملة بأيـدي اليهود.

١٦ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة الناصرة بأيدي اليهود.

٢١ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة بئر السبع بأيدي اليهود.

٥ نوفمبر (تشرين الثاني) سـنة ١٩٤٨ سـقوط مدينـة المجدل بأيدي اليهود.

٢٢ ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤٨ سقوط مدينة عوجا الحفير بأيدي اليهود.

أحداث حرب سنة ١٩٤٨

١٥ مايو (أيار) سـنة ١٩٤٨ دخلـت القـوات العربيـة فلسطين لتحريرها.

٢٣ مايو (أيار) سنة ١٩٤٨ مفاجـأة الجـيش العراقـي بانسحابه من منطقة جسر المجامع، والانتقال إلـى منطقـة السامرة.

١٠ يونيه (حزيران) سنة ١٩٤٨ إعلان الهدنة الأولى في مقر الأمم المتحدة، وقبول الدول العربية وقف القتال.

٩ يوليه (تموز) سنة ١٩٣٨ استؤنف القتـال فـي أرض فلسطين بعد الهدنة الأولى.

١٨ يوليه (تموز) سنة ١٩٤٨ بدأت الهدنة الثانيـة بـين الجيوش العربية واليهودية.

١٧ سبتمبر (أيلول) قتل اليهود الكونت برنادوت الوسـيط الدولي بين العرب واليهود

٢٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٤٨ محاصرة اليهود لقريـة الفالوجا في فلسطين.

٧ يناير (كانون الثـاني) سـنة ١٩٤٩ اتفـق الجانبـان المصري والإسرائيلي على وقف القتال في فلسطين.

٢٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٤٩ دعوة الدول العربية للدخول في مفاوضات مع إسرائيل في جزيرة رودس.

٢٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٤٩ إعلان الهدنة بين الجانبين المصري والإسرائيلي في جزيرة رودس.

٢٣ مارس (آذار) سنة ١٩٤٩ إعلان الهدنة بين الجانبين اللبناني والإسرائيلي في رأس الناقورة على الحدود اللبنانية.

٢٣ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٩ تم توقيع الهدنة الإسرائيلية الأردنية في جزيرة رودس.

٢٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٤٩ رحل الجـيش العراقـي المرابط في قطاع السامرة عن فلسطين.

١١ مايو (أيار سنة ١٩٤٩) دخلت إسرائيل عضوا فـي الأمم المتحدة.

٢٠ يوليو (تموز) سنة ١٩٤٩ تـم توقيـع الهدنـة بـين الجانبين السوري والإسرائيلي في جزيرة رودس.

مايو (أيار) سنة ١٩٥٠ صدر التصـريح الثلاثـي مـن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية حول ضـمان الحدود القائمة في فلسطين.

شهد الصراع العربي الإسرائيلي خلال خمسين عاما منـذ نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ عديدا مـن الأحـداث المخضـبة بالدماء.

عام ١٩٥٦ اغتيال الملك عبد الله جد الملك حسين عاهـل الأردن الحالي بيد فلسطيني أمام المسجد الأقصى في القدس.

عام ١٩٥٨ ياسر عرفات وتسعة زملاء آخرين يؤسسون في الكويت حركة فتح كبرى حركات المقاومة الفلسـطينية، ويعلنون الكفاح المسلح لتحرير الأراضي الفلسطينية.

عام ١٩٦٤ إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية.

عام ١٩٦٩ انتخاب عرفات رئيسـا لمنظمـة التحريـر الفلسطينية.

عام ١٩٧٠ عام "أيلول الأسود"، واستمرار القتـال لمـدة عشرة أيام، وسقوط أكثر من ألفي شخص من الفلسـطينيين، وطرد الفلسطينيين من الأردن.

عام ١٩٧٤ تفوز منظمة التحرير الفلسـطينية بـاعتراف الدول العربية بوصفها الممثـل الشـرعي الوحيـد للشـعب الفلسطيني.

يونيه (حزيران) ١٩٨٢ دمر السلاح الحربي الإسـرائيلي مفاعلاً نوويا عراقيا.

ديسـمبر (كـانون الأول) ١٩٨٧ انـدلعت الانتفاضـة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزَة وتقـول لجنـة حقـوق الإنسان إن إسرائيل قتلت على مدى ستة أعوام من الانتفاضة نحو ١٥٠٠ فلسطيني، وإن الفلسطينيين قتلوا ٤٠٠ إسرائيلي.

عام ١٩٩١ بدأت الهجرة المكثفة من الاتحاد السوفيتي إلى إسرائيل، ووصل حوالي ٧٠٠ ألف يهودي مع انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩٢.

أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١ انعقد مؤتمر "مدريد" تحت رعاية مشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

١٣ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٩٣ جرت في حديقة البيـت الأبـيض المصـافحة التاريخيـة بـين ياسـر عرفـات وإسحق رابين رئيس وزراء إسرائيل، ووقِعَ إعلان مبـادئ قيام الحكم الذاتي الفلسطيني المحدد في غزَة والضفة.

٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٥ أُغْتِيلَ رابين بيد بيجال عامير في مدينة تل أبيب.

٢٩ مايو (أيـار) ١٩٩٦ تغلـب حـزب الليكـود فـي الانتخابات؛ وأصبح نتنياهو رئيسا للوزراء.

يناير (كانون الثاني) ١٩٩٧ وقعت حكومة نتنياهو اتفاقًـا مع منظمة التحرير تتعهد بالانسحاب من معظم مدينة الخليل، وتنفيذ إعادة الانتشـار بمقتضـى اتفاقـات السـلام التـي لم تُنَفذ.

الفصل الثاني:

الصهيونية العالمية وإنشاء

دولة إسرائيل

نشأة الصهيونية وتطوُرها

تمهيد:

الفكرة من إفراد فصل خاص يتحـدَث عـن الصـهيونية العالمية، وإنشاء دولة إسرائيل هي في الحقيقة محاولة لتذكير الرأي العام العربي والإسلامي والفلسطيني خاصـة حـول حقيقة هذه الحركة الصهيونية حليفة العنصرية والاسـتعمار الغربي، وليس فقط بالنسبة لأهـدافها المعروفـة والمعلنـة القريبة والبعيدة المدى حتى تحقق الحلم النهائي بالوصول إلى إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وبالأخطار المحدقة بجميع دول منطقة الشـرق الأوسـط ورغبة الصهيونية فـي السـيطرة السياسـية والاقتصـادية والعسكرية خصوصا على منطقة الشرق الأدنى وهي المنطقة العربية.

لا شـك أن أول أهـداف الصـهيونية العالميـة ودولـة إسرائيل- في المحاولات المستمرة بمؤازرة الدول الغربيـة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية- إبقاء المنطقة العربيـة

بحالة ضعف دائـم نتيجـة التمزقـات الداخليـة، وانعـدام الديمقراطية، واستمرار التخلـف واسـتطاعت حتـى الآن أن تحقق الكثير من أهدافها، وتسعى إلى الوصول لأهـدافها الأخيرة المستهدفة.

ولا زلنا نحن العرب ننظر إلى هذه الأخطار المحيطة بنا ولا نجابهها بل نساعد على دعمها.

إن الصراع العربي الإسرائيلي لا يمكن أن ينتهـي كمـا يظن البعض بمعاهدات السلام بل بتصفية شاملة نهائية لأحد طرفيه إما استعادة الأمـة العربيـة لأراضـيها المغتصـبة أو نجاح المشروع الصهيوني في المنطقة.

والتاريخ لا يرحم الضعفاء.

نشأة الصهيونية وتطوُرها

كلمة "صهيونية" اصطلاح واسع المعاني يصعب تعريفـه بكلمات محدودة أو بشكل مباشر، فهي لـم تظهـر بمعناهـا السياسي إلا في القرن التاسع عشـر؛ لأن "صـهيون" فـي التراث الديني اليهودي تشير إلى الأرض المقدسة ككل حيث سوف يظهر المسيح المخاص اليهودي ليعـود شـعبه إلـى الأرض المقدسة، ويحكم العالم.

وبدأت تصريحات وأفكار الزعماء والكُتـاب والفلاسـفة والمفكرين اليهود وكذلك تصريحات من كُتـاب ومفكـرين مسيحيين تدور حول الحركة الصهيونية، وأخذت تتحدث في مناقشات ومحاولات في الصحف والمجتمعـات مـن كافـة الاتجاهات والفئات مدنية وعسكرية ورجـال ديـن، وكـان الهدف يدور حول فلسطين وضرورة تحويلهـا إلـى وطـن للشعب اليهودي، وأن توطين اليهـود فـي فلسـطين يعـود لأسباب دينية وتاريخية وسياسية، وظهرت بعض الجماعات اليهودية مثل جماعات "أحباء صهيون" تدعو إلـى التسـلل لفلسطين والاستيطان بها، وكذلك نـادت بعـض الأوسـاط

المسيحية البروتستانتية بضرورة عودة اليهود إلى مـوطنهم الأصلي في القدس وفلسطين باعتبارهم الشعب المختار.

وحاول هؤلاء الكُتاب والمفكرون التحدُث عن تاريخ واحد لليهود أينما وجدوا رغم اختلاف الثقافـة واللغـة وأنمـاط المعيشة والتنوع الحضاري، وهذا ما أخذ التحيـز الغربـي المسيحي ينشره ويصدقه وهل يمكن أن تكون الأقلية اليهودية في الولايات المتحدة مثلاً استمرارا لتاريخ العبـرانيين ثـم ما هي العلاقة بين يهود شرق أوروبا وروسيا بيهود أمريكـا أو بالعبرانيين ومن الكُتاب الغربيين الذين أخذت تظهر فـي كتاباتهم الاهتمام بموضوع اليهود جان جاك روسو، ونيوتن وجان لوك، وكْنْتْ، ومن الزعمـاء اليهـود آحـاد هاعـام، والفيلسوف أيدر، والبروفسور لاندو، وبنسكر وغيرهم.

وكان ظهور محمد علي المفاجئ في مصر وتهديده لرجل أوروبا المريض وهو الدولة العثمانية موضع خطورة علـى طموحات دول أوربا الغربية الاستعمارية وهي تهيئ نفسـها لكي ترث أملاك هذه الدولة العثمانية بمـا اضـطرها إلـى التحالف ضده والقضاء على طموحاته، وكانت هـذه نقطـة

تحوُّل في تاريخ فلسطين؛ إذ ظهرت فكرة فصل سوريا عـن مصر لكي يستعيد اليهود أرض فلسطين.

وهكذا أصبحت الصهيونية وأهدافها مطروحة بشكل جدي لدى دول أوربا ولم تعد مجرد فكرة، وأخذت الدول الغربيـة توظف اليهود في خدمة أهدافها الاستعمارية وخصوصا بعـد أن استولت بريطانيا على مصر سنة ١٨٨٢؛ حيث أصـبح مصير فلسطين جزءا من المخطط الاستعماري البريطاني.

كذلك أخذت ألمانيا بعد انتصارها على فرنسا سنة ١٨٧٠ تهتم بمنطقة الشرق الأدنى، وزار القيصر الألماني فلسطين، ونشط المشروع الصهيوني بين بريطانيا وألمانيـا، وكانـت البعثات والدراسات قد أخذت تفدُ إلـى فلسـطين؛ لدراسـة جغرافية البلاد، والبحث عـن مصـادر الميـاه، ودراسـة مشروعات التهجير، وإقامـة المسـتوطنات، وكـذلك أخـذ الاهتمام بالكشف عن الآثار وتركزت تلك الدراسـات فـي مجملها على كيفية نقل اليهود وتوطينهم في فلسطين، ودراسة الطرق الكفيلة للتخلص من السكان الأصليين حيث قسـموهم إلى بدو وفلاحين.

وتركز هدف الصهيونية بعد المـؤتمر الصـهيوني الأول سنة ١٨٩٧ على الكتلة البشرية اليهودية في العالم الغربيـة وخاصة يهود شرق أوروبا وروسيا باعتبار أن البشـر هـم العنصر الأساسي للاستيلاء على فلسطين، واعتمدوا لتمويـل عملية التهجير والاستيطان، وشراء الأرض علـى اليهـود الأثرياء في غرب أوروبا مثل: روتشلد، ومنتفيوري وغيرهم في بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

أخذت الصهيونية بعد ذلك المؤتمر تخطط وتجد الوسـائل الكفيلة لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية، ووضـعت شـعار "الدولة - البشر - الأرض"، ورغم الاختلافات التي ظهرت بين الزعماء اليهود وفلاسـفتهم وكتابـاتهم حـول تفسـير المصـطلحات الصـهيونية والحفـاظ علـى الطـابع (الصهيوني - اليهودي) للدولة الإسرائيلية مـن معتـدلين ومحافظين ومتطرفين بقي الهدف النهائي الأرض والبشر.

وبدأ تعريف اليهودية بالقومية إلى جانب تعريفها الـديني، وأصبحت اليهودية دينية وقومية في نفـس الوقـت، وأخـذ الكُتاب والمفكرون اليهود يؤكدون في كتاباتهم أن اليهـود- أينما وجدوا- هم شعب واحد: الشعب اليهودي.

وقد نشأت جمعيات صهيونية كثيرة في روسيا التي كانت تضم أكبر تجمع يهودي في القرن التاسع عشر كـذلك فـي بولندا ورومانيا، وكانت تلك الجمعيات تهدف إلـى وضـع أفكار الكُتاب والمفكرين اليهود الصـهاينة موضـع التنفيـذ الفعلي، وقاموا بأولى محاولاتهم لتوطين يهود شرق أوربا في فلسطين، وسميت تلك المحاولات بالتسلل؛ لأنهـا لـم تكـن تحظى بدعم قوة غربية كبرى في ذلك الوقت، وتمكنت أولى تلك الجمعيات التي عرِفَت باسم "أحباء صهيون" وبمسـاعدة من القنصل البريطاني في فلسطين من شـراء قطعـة أرض بِنيت عليها أول مسـتوطنة يهوديـة فـي فلسـطين وهـي ويثون ليسيون سنة ١٨٨٢ ومعناهـا "الأولـى لصـهيوني"، ويطلق عليها أهل فلسطين اسم "مستعمرة عيون فارة" ولكـن هذه الجمعيات لم تنجح في تهجير أكثر مـن بضـع مئـات وبتكاليف باهظة، ثم لجأت تلك الجمعيات إلى أثرياء اليهـود في غرب أوروبا كما أشرنا لشراء المزيد من الأرض.

وأخذت فكرة الشعب اليهودي المستقل تتبلور لدى يهـود غرب أوروبا بدلاً من اندماج اليهود المهـاجرين بالسـكان الفلسطينيين، وأن الرحيل إلى فلسطين يجب أن يهدف إلـى

إنشاء دولة يهودية مستقلة سكانها من اليهود فقط، وأصبحت العقيدة الصهيونية تعني- كما سبق ذكره- أن الدين اليهودي هو نفسه القومية اليهودية، وتطوَّر هذا القول بـأن روح الله لا تسري على الشعب فقط ولكن على الأرض أيضـا، وأن الله يوحد بين الشعب والأرض؛ وهكـذا أصـبحت الأرض جزءا من جوهر الوجود القومي لليهود، وأن هـذه الوحـدة لا تكتمل إلا في أرض فلسطين.

أصبحت معضلة كيفية الـتخلص مـن سـكان فلسـطين العرب، ورغم أن الزراعة تغاير العقلية اليهودية فقد وجـد زعماء اليهود أن الزراعة وسيلة أساسـية للاسـتيطان فـي الأرض، وأن على اليهود أن يتجهوا إلى الزراعـة؛ وهكـذا تطوَّر الفكر اليهودي حتى وصل إلى الصيغة الحاليـة التـي تنتهجها إسرائيل في الاستيلاء على الأرض العربية وطـرد سكانها كلما سنحت الفرصة.

يعتبر "هرتسل" المؤسس الحقيقـي للحركـة الصـهيونية المنظمة الذي كان يؤمن منذ صباه بظاهرة معاداة اليهود أينما وجِدوا، وأن الحل الأمثل لهذه الظاهرة هو نقل اليهود إلـى فلسطين، واعتبر أن المسألة اليهودية تشكل مسألة سياسـية،

وأن على الدول المتحضرة إيجاد الحل المناسب لها وهو منح اليهود قطعة من الأرض مناسبة لتجميع الشـعب اليهـودي فيها، وقال إن استيطان اليهود في فلسطين سـوف يخلـص الدول الغربية من مشاكل التكاثر السكاني اليهودي؛ حيث كان عدد اليهود سنة ١٨٠٠ حوالي ٢,٥ مليون زاد سـنة ١٨٥٠ إلى ٥ ملايين، وسوف يصبح سـنة ١٩٠٠ ـ ١٠ ملايـين واعتبر أن يهود المشرق لا يزيدون عن ١٠ ٪ من مجمـوع يهود العالم.

وربط "هرتسل" بين حل مشكلة الرجل المريض ويعنـي الدولة العثمانية ـ وأملاكها في الشرق الأوسط ـ وبين حل المشكلة اليهودية في آن واحد، وأن هذا الحل سوف يكون له تأثير على العالم المتحضر برمته، ولا شك أنه كـان يعنـي تفتيت المشرق العربي إلـى دويـلات وشـيع وطوائـف، وأن اليهود سوف يتحوَّلون إلى عملاء لصالح الدولـة التـي سترعى المشروع الصهيوني.

و"هرتسل" أول من أطلق على الصهيونية كلمة القوميـة اليهودية، وأول من استعمل اصطلاح أيرتـز إسـرائيل أي أرض إسرائيل Eretz – Yisrael وهي العبارة التي أضيفت

إلى كلمة فلسطين باللغة العبرية منذ بدء الانتداب البريطـاني سواء على العملة والطوابع أو أية ورقة رسمية تحمل اسـم فلسطين بالعبرية.

ورغم أن "هرتسل" لم يكن متدينًا وحتى لا يعرف اللغـة العبرية إلا أنه أدرك أهمية قيمة التعبئـة المعنويـة للـدين اليهودي بالنسبة لجماهير اليهود، وتحدَث "هرتسل" أيضا عن رحيل السكان في فلسطين، ونزع ملكية الأرض، وأصبح من الثوابت في الفكر اليهودي أن الدولة اليهودية لن تقـوم فـي فلسطين إذا بقي سكانها العرب فيها، وأن يختفـي السـكان العرب منها؛ وأصبح هذا الحلم من ثوابت وأولويات القيـادة الصهيونية، ودعا "هرتسل" إلى المـؤتمر الصـهيوني الأول الذي انعقد سنة ١٨٩٧ وحضره بين ٢٠٠ ـ ٢٥٠ عضـوا معظمهم من "أحباء صهيون" وأكثر من نصفهم مـن شـرق أوربا وروسيا؛ وعلى أثر انعقاد هذا المؤتمر بدأت الخطوات العملية لتنفيذ الهدف الصهيوني وحلم إنشاء دولة إسـرائيل، وأولى الخطوات كانت إنشاء المؤسسات المالية لتمويل شراء الأرض، وتهجير اليهود إلى فلسـطين، وتأسـيس صـندوق

الائتمان اليهودي سنة ١٨٩٩، وتأسست الكارن - كايمت سنة ١٩٠١.

وقد تبلورت الفكرة الصهيونية التي تم الاتفاق عليها بين بريطانيا وفرنسا في أعقاب الحرب العالمية الأولى وانهزام الدولة العثمانية إلى تقسيم الوطن العربي إلى عدة دويلات؛ كان نصيب فرنسا منها سوريا ولبنان، ونصيب بريطانيا فلسطين والأردن والعراق، وتم تعديل هذا الاتفاق سنة ١٩٢٠ بحيث أضيفت إلى الحدود الشمالية لفلسطين جميع مصادر المياه؛ وكان هذا تمهيدا لتسليم فلسطين إلى اليهود فيما بعد.

لم تحدد الصهيونية العالمية أهدافها من فراغ بل نتيجة توقعات واستنتاجات مدروسة بنيت على الحقائق التالية:

١- في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الإمبراطورية العثمانية أو الرجل المريض كما أطلقت عليها أوربا قد وصلت إلى حالة من الضعف والتخلف؛ مما جعلها كالثمرة الناضجة التي آن أوان قطعها والتهامها.

٢- وصلت الدول الأوربية وخصوصا الغربية منها إلى أوج تقدمها التكنولوجي والحضاري والعسكري؛ مما زاد من شهيتها لاستعمار جديد.

٣- كانت كل من بريطانيا وفرنسـا وألمانيـا تخطـط للحصول على حصة من ممتلكات الدولة العثمانيـة وخصوصا في منطقة الشرق الأدنى وهي المنطقـة العربية.

٤- كانت الصهيونية العالميـة تسـتغل رغبـة العـالم المسيحي للانتقام من نتـائج الحـروب الصـليبية، وتستغل أيضا العاطفة الدينية التي تُرَحِّـب بعـودة اليهود إلى أرض الميعاد في فلسطين.

٥- كان من مصلحة بريطانيا قيام كيان صهيوني فـي قلب العالم العربي؛ ليبقى ضعيفًا مفككًا وهـذا مـا يؤمن طريق الهند وإمبراطوريتها في الشرق.

٦- إن حالة التخلف التي كان يعاني منها الشعب العربي نتيجة احتلال دام أكثر من أربعمائة عام من شـأنها أن تسهل مهمة الاسـتيلاء علـى أرض فلسـطين، وإقامة الكيان الصهيوني.

ونأتي إلى مرحلة بلفور بين ١٩٠٧ - ١٩١٧ وهو ما يعني بداية التنفيذ الفعلي لتحقيق الأهداف اليهودية والفكرة الصهيونية بإقامة دولة إسرائيل في فلسطين، وقد سبق وعد بلفور عدة وعود نلخصها فيما يلي:

أول غازٍ للشرق الأوسط في العصر الحديث كان نابليون بونابرت الذي أصدر بيانًا يدعو اليهود إلى العودة إلى أرض الميعاد، واعتبرهم ورثة فلسطين الشرعيين رغم أن نابليون كان يهدف من وراء هذا الوعد توظيف اليهود لخدمة مشاريعه الاستعمارية.

وسبق وعد بلفور أيضا خطاب من الحكومة الألمانية سنة ١٨٩٨ موجها إلى "هرتسل" يؤكد فيه قيصر ألمانيا استعداده لمناقشة توطين اليهود في فلسطين مع السلطان العثماني حليف ألمانيا في ذلك الوقت، وأن القيصر على استعداد تام لاستقبال وفد يهودي يحمل إليه المعلومات الكافية لنقلها إلى سلطان استنبول.

ويمكن أن نضيف إلى سلسلة الوعود التي عرضت على اليهود الوعد الذي قدّمه موسوليني زعيم إيطاليا بتقديم المساعدة للصهيونية لبناء اقتصادهم، وأعرب عن حماسته

للمشروع الصهيوني، واستعداده لتقديم مساعدة إيطاليا الكاملة لتحقيقه.

وأثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ سـاعدت فرق الجستابو والصاعقة الألمانية في تهريب اليهـود إلـى فلسطين وبأعداد كبيرة، وسمِحَ لليهود- باتفاق مع الحكومـة الألمانيـة- بأخـذ بضـائع وسـلع ألمانيـة بقيمـة ما يملكونه في ألمانيا (مقايضة الهفرا) وقد هاجر من ألمانيـا خلال الفترة من ١٩٣٣ ـ ١٩٤١ أكثر من ٥٣ ألف يهودي إلى فلسطين أكثرهم من الأطبـاء والمحـامين والمهندسـين والصناع المهرة أحضروا معهم الخبرات والبضائع والسلع.

وبعد فترة البلفورية يأتي الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧ حيث قامت الحكومة البريطانية بتنفيذ وعد بلفور نصا وروحا بإصدار القوانين واللوائح والتعليمات التي فتحت أبواب فلسطين للهجرة اليهودية المتدفقة، ونقلت إلـى أيدي اليهود مساحات واسعة من ارض فلسطين، وكانت كافة القوانين تهدف إلى إقامة الوطن القومي اليهودي؛ وبالتـالي الدولة اليهودية في فلسطين، وكانت القوانين تُفَصـل طبـق احتياجات المصلحة اليهودية، ويـتم ذلـك رغـم الثـورات

والاحتجاجات والضحايا التي بذلها سكان فلسـطين العـرب العزَل من السلاح والذين وقفوا وحدهم فـي مواجهـة هـذه الهجمة الاستعمارية الضخمة من الإمبراطورية البريطانيـة التي لا تغرب عنها الشمس في أوج عظمتهـا، والمنظمـات الصهيونية التي كان لها سيطرة كبرى في الـدول الغربيـة وأمريكا.

وهكذا استطاعت الصهيونية العالميـة اسـتغلال جميـع الظروف، ونجحت في خلق دولة إسـرائيل الحاليـة، ومـن الخطأ الظن أن الصهيونية العالمية حققت جميع ما تصبو إليه من أهداف حتى لو استطاعت بصفة نهائية الاستيلاء علـى أرض فلسطين، وعلى أجزاء من سـوريا وجنـوب لبنـان، وتجريد سيناء من السـلاح، فـلا يـزال الهـدف النهـائي للصهيونية العالمية لم يتحقق؛ لأنها تعمـل لخلـق إسـرائيل الكبـــرى مـــن النيـــل إلـــى الفـــرات. هذا هو الهدف الذي حددته الفكرة الصهيونية، وجميـع مـا يحدث من تغيرات في السياسة الداخلية والخارجية اليهوديـة ما هو إلا مناورات تكتيكية حسب تغير الظروف المحيطة بها والمناخ العالمي، أما الاستراتيجية فهي ثابتة لم ولـن تتغيـر إلا إذا تغيرت ظروف الشعب العربي، ويقع البعض في خطأ

إمكانية التعايش السلمي مع دولة إسـرائيل، وقبولهـا دولـة مسالمة في هذه المنطقة.

هذا العرض السريع لظاهرة الصهيونية كفكرة وممارسة، وإنشاء دولة إسرائيل، وانتقال قيادة الحركة الصهيونية إلـى الدولة اليهودية جعلت كل الجهود اليهودية في شـتى أنحـاء العالم هي تقديم الدعم الكامل لهذه الدولة.

ولا شك أن الغياب العربي هو الذي خلق الفـراغ الـذي نبتت فيه الأفكار الصهيونية، وازدهرت وتضخمت بعـد أن زرعت في ضمير الشعوب الغربية أن من حق اليهود العودة إلى أرض الميعاد فلسطين.

إن جانبا كبيرا من المأساة التي حلـت بفلسـطين دفعـت الدول العربية بإرادتها إلى الدول الغربية وأمريكا ذلك رغـم احتضان تلك الدول للفكرة الصهيونية ومساعدتها فـي بنـاء الدولة اليهودية، وهذا لا يعود فقط إلى المصالح المشـتركة التي تربط إسرائيل بتلك الدول بل القصد إلى جانـب ذلـك إضعاف الأمة العربية، والسيطرة علـى ثرواتهـا، وتـأمين استمرار خضوعها لسيطرة تلك الدول، والحفاظ على شعار:

"العرب يجب أن يبقوا في مصاف التخلف".

الصهيونية منذ انعقاد
المؤتمر الصهيوني الأول

انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا سـنة ١٨٩٧، وقرر المؤتمر الخطط والبرامج الصهيونية لتأسيس الوطني القومي اليهودي في فلسطين كخطوة أولى نحو إنشاء الدولة اليهودية، وقد تحققت هذه البرامج حتى الآن.

وجاء هذا المؤتمر الصهيوني العالمي الذي انعقد في بازل بسويسرا أغسطس (آب) سنة ١٩٩٧ بمناسبة مـرور ١٠٠ عاما على انعقاد المؤتمر الأول؛ ليقرر مجـددا أن العقيـدة الصهيونية ليست مقتصرة على هدف إنشاء دولة إسرائيل بل هي مرحلة جزئية تنتقل منها إلى مراحل أخرى، وأن الهدف خلال السنوات القادمة تجميع يهود العالم في أرض إسرائيل، وتعزيز وحدة الشعب اليهودي في موطنه التاريخي، وإن هذا البرنامج لا يتأثر بعقد صلح أو سلام بين العرب وإسـرائيل؛ فهو مطلب العقيدة الصهيونية التي لن تقبـل التخلـي عـن أهدافها بل إن السلام والصلح بين العرب وإسـرائيل يضـع

العقيدة الصهيونية فـي ذروة الانتصـار، ويجعلهـا تفكـر بالمرحلة التالية لتحقيق أهدافها التاريخية.

والخوف بأن نعتقد أن ما فكرت فيه القيادات الصـهيونية في هذا المؤتمر هو مجرد أضغاث أحـلام؛ وبـذلك نكـرر أخطاء أجدادنا عندما اعتقدوا اسـتحالة تحقيـق المشـروع الصهيوني وهو الحلم بإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وأكد المؤتمر كذلك أن ما تحقق في المرحلة الأولى من البرنـامج الصهيوني، والذي تمثل في تحقيق أغلبية يهودية على أرض إسرائيل إنما يتبعه المرحلة الثانية التي سوف تتحقق بحلـول سنة ٢٠٢٥ عندما تنجح إسرائيل في جمع أكثر يهود العـالم من الشتات الذي يعيشون فيه.

والصهيونية العالمية تتباهى بأنها حققـت أعظـم إنجـاز لحركة قومية، وأن إسرائيل استطاعت أن تزيد عدد سـكانها من ٦٠٠ ألف سنة ١٩٤٨ إلى حوالي خمسة ملايـين الآن، وأن تزيد إنتاجها القومي من مليار دولار إلى أكثـر مـن ٩٠ مليار دولار، وأن تصبح قـوة عسـكرية وتكنولوجيـة عظمى.

وهنا يطل علينـا سـؤال عـارض كيـف يـتم حشـد ١٤ مليون يهودي في أرض إسرائيل دون التوسع وتفريـغ الأرض؟؟

وأشار المؤتمر كذلك أن أمام إسـرائيل ثلاثـة تحـديات تواجهها خلال القرن القادم وهي:

١- طبيعة الدولة اليهودية لم تتحدد بعد.

٢- كيف تستطيع إسرائيل توفير حياة كريمة لمزيد مـن المهاجرين بعد أن أصبحت من أكثر بـلاد العـالم ازدحاما بالسكان.

٣- كيف تتمكن إسرائيل أن تحافظ على تحالفهـا مـع الولايات المتحدة الأمريكية واستمرار ما تقدمه لهـا من دعم مادي ومعنوي بلا حدود.

ربما يحسُّ البعض أحيانـًا بالخسـارة مـن القـرارات والتصريحات الصهيونية التي يـدلي بهـا زعمـاء اليهـود وتطلقها وسائل دعايتها، علينـا أن نعـي دروس الماضـي، وأن نقرَ أن حركة التاريخ لا تخدم إلا القوي الـذي يسـتعد لجميع الاحتمالات.

إن اليهود يرون أنه لا وقت مناسـب لتحقيـق أهـدافهم التوراتية أحسن من الوقت الحالي، وهم يعملون الآن علـى إجلاء العرب من مدينة القدس كمرحلة يـتم بعـدها إجـلاء تدريجي للفلسطينيين من بـاقي أراضـي غـزَة والضـفة، وأن زيادة عدد المستوطنات وتعزيزهـا وربطهـا بعضـها ببعض إنما يتم في هذا الاتجـاه - اتجـاه إجـلاء الشـعب الفلسطيني- وأن حرب التجويع التي يفرضها نتنياهو علـى الشعب الفلسطيني إنما هي سياسة تسـير عليهـا إسـرائيل لتحقيق هذا الهدف.

والتفكير الإسرائيلي مشغول بكيفية هدم المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرفة؛ لبناء هيكل سـليمان الثالـث علـى أنقاض المسجدين الإسلاميين المقدسين.

الشعب الإسرائيلي مشغول بظهور البقرة الحمـراء فـي قرية قرب حيفا، وقالوا إنها البقرة التي تحدَث عنهـا الـرب لموسى وهارون؛ لتكون علامة على الشروع في بناء هيكـل سليمان مكان المسجدين بعد ثلاث سنوات من ظهورها.

فهل يبقى العقل العربي بمنـأى وغيـر عـابئ بـأمور مصيرية، ويستمر في تقبل الصدمات برحابة صدر، ويكتفي بالتصعيد اللفظي!!

يبقى سؤال: هل تستطيع إسرائيل على المدى الطويـل أن تجمع بين الأسطورة الدينية والثورة العلمية أو بين النقيضين.

هناك رأيان:

الأول: يقول إن الفكرة الصهيونية تبني مخططاتها علـى فرض السلام الإسرائيلي على دول المنطقة بقـوة السـلاح، والتفوق التكنولوجي، ومساندة أمريكا والغرب لهـا، ولكـن الظواهر التاريخية في حياة البشر مثـل التكـاثر السـكاني، والنهوض الحضاري، واحتمال تغيير موازين القـوى هـذه الظواهر مجتمعة ممكن أن تمكن الأمـة العربيـة والعـالم الإسلامي من اقتلاع المشروع الإسرائيلي من منطقة الشرق الأوسط وخصوصا أن البديل العسـكري سـيظل مفتوحـا، وأن المحاولات الجارية حاليـا بـين التطبيـع الاقتصـادي والتسويات السياسية لن تنجح في تحويل إسرائيل إلى دولـة شرق أوسطية مهما زادت الضغوط لفترة من الزمن طالـت

أو قصرت، والأغلب أن الظاهرة الصهيونية سوف تذوب في بحر المنطقة العربية ـ هذا رأي.

أما الرأي الثاني: فيقول إن الصهيونية لا شك نجحت نجاحا كبيرا، وحققت بفترة زمنية قصيرة حلم ما كان ليتحقق لولا قوة الصهيونية ونفوذها وسيطرتها على دول العالم المسيحي، ومن هنا يجيء التقدير الخاطئ بأن الصهيونية أشبه بالكائنات الحية تولد وتكبر ثم تشيخ وتموت؛ لأنها تستمد قوتها من مفاهيم دينية استطاعت بواسطتها أن تقنع ليس اليهود فقط بل المسيحيين كذلك بأن لها الحق في العودة إلى أرض الميعاد، وهذه العوامل تحمي الوجود الإسرائيلي والتطلعات الصهيونية، وتعطيها قوة الاستمرارية ـ وهذا هو الرأي الآخر.

والحديث عن السلام بين العرب وإسرائيل يجرُّنا إلى التساؤلات التالية:

ـ هل السلام ممكن بين طرفين غير متكافئين؟

ـ هل السلام ممكن دون استئصال العوامل التي أوجدت الحالة الراهنة بين العرب وإسرائيل ويتحاشى

أو يتجاهل الحق المشروع لأصحاب الأرض وحقهـم فـي تقرير مصيرهم؟

إن الصلح الذي تسعى إسرائيل لتحقيقه لا يرغـب فـي الرجوع إلى جذور المشكلة، ويفترض وجود الدولة اليهودية في وضعها الحالي، ولا يقبـل أن يطـرح مسـألة الغـزو الإسرائيلي لفلسطين ضمن إطارهـا التـاريخي والحقـوقي الصحيح؛ والنتيجة الحتمية هي ترسيخ الاستعمار الصهيوني وتوطين دعائمه. ألا يمثل مثل هذا السلام والصـلح تثبيتـًا لنجاح العقيدة الصهيونية وتمهيد الطريق أمامها لمزيـد مـن الانتصارات ومضاعفة المطالب والادعاءات، ويتم كل ذلـك تحت شعار الصهيونية المنتصرة.

وقد أطلقت الصهيونية على الحروب العربية اسم حـرب الاستقلال، وحرب التحرير، وكلما استولت على جزء مـن الأرضي العربية أطلقت عليه اسم الأجزاء المحررة، وتسمي الأجزاء الباقية بيد الفلسطينيين الأجزاء غير المحررة.

تعريف العقيدة الصهيونية

وفي إطار هذا الحديث نرى أنه من المناسب أن نوضـح معنى العقيدة الصهيونية أساسها وأهدافها.

إن أهم الأسس التي تقوم عليها العقيدة الصهيونية دعـوى التفوق العرقي؛ باعتبـار أن اليهـود شـعب الله المختـار، والتوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى، واعتناق العنـف كهـدف ووسيلة لتحقيق هذا التوسع.

أما أهم الأهداف فهو الإبقاء على وحدة الشعب اليهـودي أينما وجِدَ، ومركزية إسرائيل في الحياة اليهوديـة وتجميـع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي ـ أرض إسرائيل ـ عن طريق الهجرة من كافة بلدان العالم، وأخيرا تعزيـز القـيم الروحية والثقافية اليهودية والتفـوق اليهـودي فـي كافـة المجالات في شتى أنحاء العالم؛ وذلك لحماية الدولة اليهودية في فلسطين، ويمكن إجمال التعريف التالي للصهيونية:

إن الصهيونية هي حركة قومية ينادي أصحابها بهجـرة اليهود من جميع بقاع العالم إلى فلسطين التي يصفونها بأنها وطنهم القديم؛ حيث كانت لهم فيها دولة منذ ألفي سنة، وكلمة

صهيونية نسبة إلى تلال صهيون "Zion" التي قامت عليهـا بيت المقدس، وأصبحت هذه الكلمة رمزا للصهيونية وللمدينة المقدسة.

والعناصر الأساسية التي تقوم عليها العقيدة الصهيونية:

١- استغلال العداء للسـامية؛ لتحفيـز اليهـود علـى الانصهار وتفضيل البقاء خـارج إسـرائيل حيـث أصبحت المعادلة.

العداء للسامية = العداء الصهيونية = العداء لإسرائيل

٢- إقناع يهود العالم بأن الشعب اليهـودي لا يسـتطيع البقاء على قيد الحياة بدون دولة إسرائيل، وكل خطر يهدد هذه الدولة هو خطر يهدد الشـعب اليهـودي أينما وجد.

٣- الصهيونية دائما تستنبط الأخطار الوهمية، وتـذكر اليهود بالمحرقة النازية وإن السلم ومعاهدات السلام لا تضمن لها الاستمرار والفعالية - إن العيش فـي خطر هو الذي يحمـي الوجـود اليهـودي ودولـة إسرائيل.

رأي آخر

في مفهوم الصهيونية واليهودية

في كتابه المفاهيم والمصطلحات الصهيونية قدَّم الدكتور عبد الوهاب المسيري تفسيرا مختلفًا وليس جديدا لمفهوم الصهيونية واليهودية.

فهو يرى أن المشروع الصهيوني هو جزء أساسي مـن المشروع الغربي، وأنه ليس منحرفًـا عـن الحضـارة الغربية، وأن الصهيونية لم تبدأ بـالمؤتمر الصـهيوني الأول سنة ١٨٩٧ وإنما بدأت مع التفكير الاسـتعماري الغربي، وأضاف أيضا أن الحضارة الغربية كانت تتخـذ اتجاها صهيونيا قبل ظهور اليهود كعنصر فاعـل فـي الحضارة الغربية.

إن المفكرين الصهاينة الأساسيين في الحضارة الغربيـة لم يكونوا من اليهود وإنما كانوا إما من البروتستانت أولاً ثم من العلمانيين الغربيين – ويرجح أن الحضارة الغربية تحوَّلت إلى الصهيونية حوالي عام ١٨٤١م مع القضـاء على محمد علي باشا حيث أصبح تأسيس وطـن قـومي

صهيوني جزء هام في الاستراتيجية الغربية؛ وذلك كإجراء هام حتى يتم تقسيم الدولة العثمانية إلى دويلات خاضعة للنفوذ والاستعمار الغربي. وقد عبر عن هذا الرأي ناحوم سوكولاف صاحب كتاب "تاريخ الصهيونية" وهو أول تاريخ رسمي للصهيونية، وكاتبه كان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية.

إن الدولة الصهيونية زرعت في قلب البلاد العربية لأهداف معينة ويموُلها الغرب بعشرات البلايين من الدولارات للقيام بوظيفتها. إن اليهود كانوا دائما جماعة وظيفية تقوم بالتجارة والربا ولم تصبح أبدا جزءا من المجتمع المسيحي الغربي، وهذه الجماعة باتت بلا وظيفة مع ظهور الدولة الحديثة في الدول الغربية، وأصبحت تقوم بوظائف التجارة والبنوك فكان لابد من إيجاد وظيفة أخرى للجماعة اليهودية؛ فتم إنشاء دولة إسرائيل باعتبارها دولة وظيفية تتسم بجميع صفات الجماعة التي لها وظيفة معينة لضرب القومية العربية أثناء انبعاثها، ثم ضرب الإسلام مع ازدهار صحوته، وأخيرا طرح السوق الشرق أوسطية في مقابل السوق العربية التي

تعني الوحدة الاقتصادية للدول العربية بينما الأولى تعني التفتيت والتشرذم.

المسألة لو كانت ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي لم تكـن مشكلة بل ربما إضافة جيدة مثلما يوجد أرمن وأرثوذكس وغيرهم.

وكان هذا المشروع الغربي يقوم على عـدة افتراضـات أولها: أن الإنسان الغربي له مطلق الحرية في الحركـة، وثانيا: أن حقه أن يصدر جميع مشاكله للآخرين فإذا كان يحتاج على أرض فضاء فإنه يسـتولي علـى أمريكـا الشمالية، وإذا كان لديه مجرمون يصدرهم إلى أستراليا، وإذا كان لديه بطالة فإنه يصدرها إلى جنـوب إفريقيـا، وفي هذا الإطار يمكن فهم وجود إسرائيل؛ فلقـد كانـت هناك مشكلة يهودية وهي مشكلة فائض بشري حـوَلهـم الغرب إلى مستوطنين مقاتلين نيابة عن الحضارة الغربية وهكذا تمت الصفقة بين الغرب وبين المنظمة الصهيونية التي كان من أول مهامها نقل اليهود إلى فلسطين، ونقـل الفلسطينيين إلى المنفى.

إن إسرائيل الآن تحصل على المعونات بقدر ما تحـتفظ بهويتها كدولة منفصلة عن المنطقة، وإذا أصبحت جزءا من المنطقة تفقد وظيفتها، وينتهي اهتمام الغرب بها، إن أهداف إسرائيل التوسعية معروفة ولن تتخلى عنها حتى لو وافق الفلسطينيون والعرب جميعا على الصـلح مـع إسرائيل؛ لأنها الوظيفة التي بنيت عليها دولة إسرائيل.

وكل ما يجري الآن مـن مفاوضـات واتفاقيـات بـين إسرائيل والعرب عامة والفلسطينيين بصفة خاصـة لـن يؤدي إلى سلام حقيقي؛ لأن السلام الحقيقي سوف يؤدي بالنتيجة- سواء على المدى القريب أو البعيد- إلى انتهاء دولة إسرائيل.

هذا رأي شخصي للدكتور عبد الوهاب المسيري ربمـا لا يتفق بالضرورة مع آراء غيره في التحديـد الأمثـل للعلاقة بين الغرب والصهيونية.

المفهوم الديني اليهودي
والحركة الصهيونية

إن العقيدة الدينية في كل المجتمعات تؤدي دورا أساسـيا في مفاهيم واتجاهات الناس؛ ومن هنا تكشف العقيدة الدينيـة اليهودية تأثيرها في سلوك اليهود في فلسـطين، ونظـرتهم للديانتين الإسلامية والمسيحية.

إن ظهور مسيح يهودي من نسل داود يمثل أحد الأصول الراسخة في العقيدة الدينية، ويمكن تعريـف فكـرة العقيـدة الدينية اليهودية بمصطلح "مشيحوت ": يعني المسـيحانية أو الخلاص، ويأتي مفهوم المسيحانية لتعويض مشاعر الـنقص الذي سقط فيه بنو إسرائيل بعد الشتات الكامل فـي أنحـاء الأرض، وجاء التلمود بعد التوراة، وهو ما يعرف بالشريعة اليهودية، وهي مجموعة فتاوى وأحكام وأساطير وحكايـات وخرافـات وضـعت لتأويـل أسـفار التـوراة (العهد القديم) وتناقلها أحبار اليهود شفهيا على مدى قـرون طويلة إلى أن تم جمعها في القرن الثاني الميلادي، وتراكمت عدة إضافات لتفسير معنى المسيحانية أضافها الأحبار اليهود؛

انتظارا لانتقال اليهود إلى أرض أورشليم، وترقبـا لظهـور المسيح اليهودي المنتظر.

وقد فشلت عدة محاولات قام بها أدعياء بأن كـل مـنهم المسيح المنتظر، وكان آخرها ادعاءات شبتاي تسفي: الـذي أعلن نفسه سنة ١٦٦٤ م أنه المسيح المنتظر، وتوجـه إلـى فلسطين، واتخذ نفسه نبيا ومبشرا، وقد أثرت حركة شـبتاي في تطوُّر المسيحانية في العصر الحديث حيث تحوَّل اليهـود إلى ما يعرف بالحركة الصهيونية، وأصبح الاعتمـاد علـى فكرة التجمع اليهودي بالوسائل السياسية والعسكرية، واتخـذ التيار الصهيوني الدين مفهوم الإيمان بمقـدم المسـيح بعـد التجمع في فلسطين.

وهكذا أصبح للصهيونية بالإضافة إلى المفهوم السياسـي المفهوم الديني، وهو ما قـاد إلـى التمهيـد أمـام الجهـود الصهيونية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى ضرورة الهجرة إلى فلسطين.

وشهد القرن التاسع عشر وفي أواخره تطورا في مفهـوم المسيحانية تمثل في فتاوى رباني اليهود في العصر الحديث، وهي الفتاوى التي سبقت الصهيونية السياسية بقيادة "هرتسل"

ومهدت لظهورها كما ساهمت في دعـم الجهـود البشـرية والاستعمارية في فلسطين من ناحية أخرى.

وفي إطار الحركة الصهيونية انقسم التيار الـديني إلـى اتجاهين: اتجاه يؤمن بالطبيعة الدينية البحتة للمفهوم كعقيـدة أصحابه بالخلاص السماوي على يد المسيح اليهودي الـذي ترسله العناية الإلهية، ويعتمد ذلك على الـرب وحـده دون تدخل البشر، ورغم ظهور الصهيونية السياسية بقـي هـذا الاتجاه موجودا حتى الآن ممثلاً في جماعات مـن الـدوائر المؤثرة في إسرائيل مثل حزب "إجودت إسـرائيل" وحـزب "بوعلي أجودات إسرائيل".

واتجاه آخر قام أصحابه بتطويع المفهوم مـن الصـورة السماوية البحتة؛ ليسمح ببدء الجهود البشرية اليهودية نحـو استعمار فلسطين، وتمثل هذا الاتجاه فيما قـام بـه بعـض الحاخامات والمفسرين الدينيين اليهود الذين أعـادوا تفسـير المسيحانية على أنها تعني ضرورة التمهيد البشري لمجـيء المسيح دون الاعتماد على العناية الإلهية وحدها؛ ذلـك لأن الرب يساعد أولئك الذين يساعدون أنفسهم، وبناء على ذلـك فإن على اليهود جميعا اتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها

أن تساعد على هذا المفهوم الذي يساعد على قدوم المسـيح المنتظر، وقد تزعم هذا الاتجاه الثاني حاخامات دعـوا إلـى ضرورة الهجرة الجماعية، واستيطان الأرض، وربط العمل الزراعي مع مفهوم المسيحانية؛ لأن الاستيلاء على الأرض سيؤدي إلى ظهور ضوء الخلاص من السماء، ودعوا إلـى الإكثار من بناء المستوطنات، ووصفوا أعضاء المستوطنات الزراعية بأنهم يؤدون عمل الرب، وأن عملهم هـذا بمثابـة تمهيد الطريق لظهور المسيح المخاص.

وبعد ظهور الصهيونية السياسية والجهود في إقامة الدولة اليهودية واصل الاتجاه الديني جهوده في تبرير ودعم النشاط السياسي.

وجاء في مقررات المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٨:

"لقد انقضى ما يقرب من ألفي عام ونحن ننتظـر قـدوم المسيح الذي يخلصنا من سبينا المريـر، ويجمـع إخوتنـا المشتتين في أركان الأرض الأربعة حيث نعيش هناك تحت رعايته".

وينادي رجال الدين اليهـود أن إيماننـا وأملنـا دائمـا ولا يزال هو أن مسيحنا سيأتي، وسيجمع مشتتي إسرائيل إلى

أراضي آبائه، وسوف نسكن حينئذ في أرضنا؛ ونصبح شعبا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وسوف تحترمنا وتمجدنا كل شعوب العالم.

لقد ربط الربانيون المحدثون بين مفهوم المسيحانية، وبين الحركة الصهيونية التي أصبحت في فكرهم تمثـل المسـيح المنتظر، وقد ظل هذا الاتجاه الصـهيوني الـديني مواكبـا للحركة الصهيونية يغذيها ويتغذى من وجودها علـى أرض فلسطين معتمدا على إذكاء جهـود الاسـتعمار الصـهيوني البشري بالحوافز الدينية المتعددة ومن بينها كما أشرنا فكـرة التمهيد بالجهد البشري لظهور المسيح اليهودي.

وهذا الاتجاه يمثله الآن الأحزاب السياسية الدينية: حـزب المفدال، والحزب الديني القومي، والحركات الدينيـة مثـل: حركة كاخ، وجوش إمونيم وهي حركات ظهرت بعد سـنة ١٩٦٧، وتسعى إلى طرد العرب، واستعمار كامل لـلأرض العربية؛ باعتبار أن هذا الطرد والاستعمار اتصال للجهـود البشرية الضرورية التي تمهد لظهـور المسـيح اليهـودي وعصر السيادة الإسرائيلية المطلقة.

حول الفكر التربوي الصهيوني

في حديثنا عن الصهيونية، وتتبع خططها وأهدافها نتجـه دائما إلى النواحي السياسية والإعلامية وعلاقة الصـهيونية بالدول الأوربية وخاصة الدول الاستعمارية الكبرى، ونغفـل في كثير من الأحيان موضوع الفكر التربـوي الصـهيوني، وتأثيره العميق في تنشئة الطفل والشاب اليهودي خصوصـا بعد أن حققت الصهيونية العالمية بنجاحٍ أهـدافها السياسـية، وأقامت دولة إسرائيل في فلسطين.

منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين سـنة ١٩٢٠ اتجهت الصهيونية للاهتمام بالفكر التربوي بجانب اهتمامهـا بأهدافها السياسية والدعائية والإرهاب والحرب.

بينما كان الشعب الفلسطيني محروما مـن إدارة شـئونه التعليمية والتربوية حيث أوكلت حكومة الانتداب ذلـك إلـى ما سمي، دائرة المعارف الفلسطينية، ووضعتها تحت إشراف الموظفين الإنجليز يضعون المناهج التعليمية وكل ما يتعلـق بتربية النشء الفلسطيني.

وتُرِكَ الأمر للوكالة اليهودية؛ كي تتولى الإشراف علـى إدارة المدارس اليهودية في فلسطين كمـا تشـاء، وقامـت المؤسسة الصهيونية بوضع برامج خاصـة لتعلـيم الـنشء اليهودي الثقافة العبرية كما تريدها، وتهيئ الشباب وتعـدهم لبناء الوطن القومي اليهودي وصولاً إلى الدولة اليهودية في فلسطين.

وعند قيام دولة إسرائيل بعد ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ أعلن عـن وثيقة الاستقلال التي تضمنت منهاجا لبناء الأمـة اليهوديـة لتسير على أساسه وهو ما يحقق فلسفة الصهيونية العالمية.

اعتمدت الوثيقة عددا مـن العناصـر إطـارا ومنهاجـا لمسارها وهي الحقوق التاريخية والدينية والقانونية في إقامة دولة إسرائيل وتضمنت:

١- أسس الدولة بالنسبة للشعب اليهودي وللسكان العرب في فلسطين.

٢- التركيز على مفهوم الوطن القومي اليهـودي فـي فلسطين من الناحيتين العاطفية والدينية عبر تـاريخ طويل.

٣- حرصت الوثيقة على ألا تبين حدود دولة إسـرائيل؛ والهدف من ذلك التحلل من أي التـزام يحـدُّ مـن سياسة إسرائيل التوسعية.

٤- غرس مفاهيم معينة فـي ذهـن الـنشء اليهـودي أن فلسطين هي وطن اليهودي وأرضه المغتصـبة، وأنه يستردها الآن من أيدي المغتصبين.

٥- إقناع الشعب اليهودي أنه أُجلِي قسرا من بلاده عبر التاريخ ولكنه لم ينقطع عن الصـلاة والأمـل فـي العودة ثانية إلى أرضه لبناء حريته السياسية وأمانيه القومية.

وهكذا وانطلاقًا من هذه المفاهيم وضِعت فلسـفة تربيـة النشء اليهودي، وتركزت في النقاط التالية:

١- أن اليهود أمة واحدة؛ لذلك كان لابد مـن حصـر جميع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من جميـع أنحاء العالم في بوتقة واحدة علـى أسـاس اللغـة العبرية والديانة اليهودية.

٢- أن أرض إسرائيل هي وطن هذه الأمة ولا بد مـن العودة إلى هذا الوطن والارتباط به.

٣- إعادة صياغة الأمة اليهودية وفق الروح اليهودية والثقافة اليهودية وحيا من الدين اليهودي واللغة العبرية، وينطبق ذلك على جميع القوى في إسرائيل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

٤- اعتبار التوراة في أصولها العبرية المصدر الأساسي للتاريخ القومي وجغرافية الوطن، ومصدر اللغة العبرية والتاريخ اليهودي والأدب القومي، والمحتوى الأساسي للتقاليد الروحية والأخلاقية.

٥- اعتبار الشعب اليهودي هو شعب الله المختار الذي هو فوق كل الشعوب، والذي سخرت الشعوب لخدمته، واعتبار أي من الحضارات والعلوم والثقافات إنما هي وحي من هذا الشعب وريادته.

٦- إيجاد المجتمع العسكري الدائم؛ وذلك بتدريب الشعب كله على الجندية لمدة طويلة، وإدخال التدريب العسكري إلى المدارس، وتأسيس المنظمات العسكرية، وشحن أفكار الناشئة منذ الطفولة المبكرة بروح العداء والاحتقار للعرب.

٧- الإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملـون علـى إبادتهم وتدمير إسرائيل، وملء المنـاهج الدراسـية بالبطولات الخارقة للشعب اليهودي، وأن الله وعدهم باستخلافهم في الأرض، وتـذكيرهم بأيـام الإذلال والمهانة والمذابح التي واجهوها على أيدي الشعوب الأخرى على مر العصور.

هذه أهم المحاور الرئيسية التي قامـت عليهـا السياسـة التربوية اليهودية في أرض فلسطين، والتي هدفت إلى وضع هوَة سحيقة بين الإنسان اليهودي والإنسان العربي.

وللدلالة على هذه السياسة العنصرية نحاول التقاط بعض ما جاء في الكتب الإسرائيلية المقررة على الطلبة اليهود في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

اهتمت الكتب الدراسية بمادة التاريخ كأساس لبناء الناشئة اليهودية، وجعلت التوراة هي المصـدر الرئيسـي للتـاريخ اليهودي، وطعنت في الوقت ذاته بجميع المصادر التاريخيـة الأخرى وخاصة المصـادر العربيـة، وأن احـتلال أرض إسرائيل على أيدي الجيوش العربية كما جاء في المصـادر

العربية تعتبر بالنسبة لليهود غير موثوقة، وأنها دونت بعـد حوالي ٣٠٠ سنة من احتلال العرب لأرض إسرائيل.

وهدفت الكتب إلى التقليل من أهمية الحضـارة العربيـة، وأن العرب لم يفعلوا أكثر من النقل من الحضارات وعلـوم الشعوب الأخرى، وعمدت الكتب المدرسية أيضا إلى تشويه صورة الأديان السماوية الأخرى والأنبيـاء غيـر اليهـود، وهاجموا العهد الجديـد (الإنجيـل) الـذي اسـتبدل تعـاليم موسى عليه السلام بتعاليم المسيح عليه السلام، وشككوا في الدين المسـيحي، ووصفوه بكره اليهود ومحاربتهم.

أما سيدنا محمد ﷺ فقد لحقه من الهجوم والتجـريح لـه وللدين الإسلامي بالكلمات والصور، وأنـه مبتـدع الـدين الجديد، وأنه حتى يجتذب اليهود إليه أمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة ولكنه لما أحـس بعـداء اليهود لدينه أخذ يقسو عليهم كما عاد وحوّل الصـلاة إلـى الكعبة بدل القدس، وفي كتبهم يرسمون صورة الرسـول ﷺ يحمل وردة في يد ويقبض على السيف بيد أخـرى، ودائمـا يصورون شعار الإسلام بمثابة سيفين في وسـطهما هـلال،

ويعلقون دائما أن الإسـلام ديـن المحـاربين، وأن الـدين الإسلامي كان خليطًا من الأديان المعروفة في ذلك الوقت.

أما عن التاريخ الإسلامي فإنهم في كتبهم- وفـي شـتى المراحل الدراسية- يحاولون دائما الحـط مـن الحضـارة العربية الإسلامية والانطلاقة الإسلامية، وأن تلك الانطلاقات أيقظت قلقًا عميقًا لدى الشعوب الأخرى، وأن الإسـلام أبـاد جميع القبائل والشعوب التي لم تقبل تعاليمه، وكذلك أباد قسما كبيرا من يهود الجزيرة العربية، وعندما تتحدَث كتبهم عـن الفتح الإسلامي للفلسطينيين في القرن السابع الميلادي تصفه بأنه خرَب الاستيطان الزراعي في أرض إسرائيل، وتحوَلت النقب إلى صحراء ومأوى للجمال والماعز، وأن الرومـان كانوا يدافعون عن القوافل من عصابات اللصوص العـرب، وأن الخليفة العباسي المأمون ساعد على تفسخ اليهود، وكذلك حكام دمشق من الأمويين تصـرفوا بشـكل سـيئ سـواء للمسيحيين أو لليهود، وفي العهد العثماني الذي تلـى العهـد المملوكي تردَت مكانة البلاد الفلسطينية والعربية، وأصـبح العرب متخلفين عن العصر الحاضر، وأنهم قـاموا جميعـا باضطهاد اليهود الذين يعيشون عندهم.

وقدّموا الإنسان العربي في أبشع الصور من حيث الجهل والبداوة والبطش والعنصرية.

وتصف كتبهم المملكة السعودية بأحط النعـوت، وأنهـا مدينة الرقيق والجنس، وأن مصر أخذت تضـطهد اليهـود وتطاردهم بعد أن ازدهرت في عهدهم التجارة بشكل كبير.

وأما اليمن وليبيا فاعتبرتهما الكتب المدرسية الصـهيونية من أكثر دول العالم تخلفًا، وحرصت تلك الكتب على إخراج لبنان من الدائرة العربية، والتركيـز علـى الطائفيـة، وأن المسيحيين يشعرون في لبنان بخطر السيطرة الإسلامية رغم أن المسلمين يشكلون أقلية هناك!!

وأخيرا تقول الكتب المدرسية إنه جاء اليوم للقـاء العـدو المتبجح والحقير الذي أراد أن يرمينا في البحر؛ لكي يستعمر وطننا، وأن الجندي المصري كان يرجف خوفًا من الجنـدي الإسرائيلي الذي كان يقبض بقوة على أذنيه ويسحبه، ومـن شدة الفزع توقف الصراع الإسـرائيلي المصـري، ورفـع المصري يديه بالاستسلام!!

وهي استفتاء أجراه في إسرائيل العالم الأمريكـي هـ ـ ـ. تمارين حيث أعد ١٠٦٦ استمارة وزَّعها على ٦٥٣ فتى، و

٥٠٣ فتيات من مختلف الصفوف في المـدارس اليهوديـة، وتضمنت الاستمارة للإجابة عليها ما يلي:

"هتف الشعب؛ فسقط السور في مكانه، وصعد الشعب إلى مدينة أريحا، واستباحوا كل ما في المدينة من رجل وامـرأة وطفل وشيخ حتى البقر والحمير بحد السيف".

يشوع ٦/ ١٠ من التوراة

أجب: هل تعتقد أن يشوع بن نـون والإسـرائيليين قـد تصرفوا تصرفًا صحيحا أو غير صحيح. وهـل إذا احتـل الجيش الإسرائيلي خلال الحرب قرية عربية فهل هو جيـد أو سيئ أن يتصرف على هذا النحو مع سكان القريـة كمـا تصرف يشوع بن نون مع شعب أريحا.. اشرح السبب.

وهذه الاستمارة وزعت على مدارس تل أبيـب والرملـة ومستعمرة شارون ومستعمرة معوتشد ـ وإليك الإجابة.

كتب تلميذ من شارون: كان الهدف مـن الحـرب هـو الاستيلاء على البلاد من أجل الإسرائيليين؛ لذلك فقد تصرف الإسرائيليون تصرفًا حسنًا باحتلالهم المدن وقتلهم السـكان، وليس من المرغوب أن يكون في إسرائيل عنصر غريب.

وكتبت فتاة من مستعمرة معوتشد:

لقد تصرَّف يوشع بن نون تصرفًا حسنًا بقتله جميع الناس في أريحا؛ لأنه كـان مـن الضـروري احـتلال الـبلاد، ولم يكن لديه وقت لإضاعته مع الأسرى.

كانت الأجوبة مـن هـذا النـوع تشـكل بـين ٦٦ ٪ و ٩٥ ٪ حسب المدرسة والمستعمرة والمدينة.

وعن سؤال هل في عصرنا تصفية جميع سـكان قريـة عربية أجاب ٣٠ ٪ من التلاميذ بشكل قطعي: نعم.

وقد أجاب جميع التلاميذ: أعتقد أن كل شيء قـد جـرى بشكل صحيح؛ إذ إننا نريد قهر أعدائنا، وتوسـيع حـدودنا، ونحن أيضا قتلنا العـرب كمـا فعـل يوشـع بـن نـون والإسرائيليون يجب عليهم التصـرف مـع العـرب مثـل يوشع بن نون؛ لأن العرب هم أعداؤنا.

وفـي دراسـة حديثـة للباحـث الإسـرائيلي الـدكتور "إيلي فورا" تنبع أهميتها من أنها صدرت أخيرا من الجامعـة العبرية في القدس المحتلة، وتقول الدراسة إن كتب التدريس المعتمدة في المدارس اليهوديـة لعبـت دورا فـي تصـعيد

الصراع العربي الإسرائيلي في الماضي ولا تـزال تشـكل عاملاً يحول دون التراضي والسلام بين الشعبين.

وتتضمن الدراسة تحليلاً دقيقًا للكتب التعليمية الإسرائيلية على مدار أربعين سنة، وتشمل ستين كتابا وتقول إن كتـب التعليم الإسـرائيلية قـادت إلـى فكـرة مسـبقة لصـورة العربي،ووصفه بأوصاف "غشاش" "متخلف" "لص" هي جزء من صفات ألصقت بالشخصية العربية، وقد تضـمنت تلـك الكتب حقائق مشوهة ومزورة أحيانًا، ورغم أن جهاز التعليم الإسرائيلي شهد تغيرات ملحوظة منذ مطلع الثمانينات فتمت تنقية بعض الكتب من ألفاظ تتضمن كراهية العـرب بصـفة عامة بقيت كتب التدريس تحوي الأخطاء والتضليل والتجاهل لحقائق الصراع العربي الإسرائيلي، وتحتوي علـى صـور ورسوم للكاريكاتير تثبت كيف تم إخضاع التـاريخ لصـالح السياسة اليهودية ومنها رسوم للرسول ﷺ في أشكال بذيئة.

وتظهر فلسطين في كتب التاريخ في نهاية القرن التاسـع عشر كبلاد صحراوية وأرض للمستنقعات تسكنها أقلية مـن الرعاة العرب، وتصف الفلسطيني بأنه خائن ـ جبـان ـ ـ متردد ـ مسكين بينما اليهودي ذكي قوي شجاع، وتصـف

سكان قرية عربية أن الناس مخيفون، وجـوههم صـفراء، والذباب يتنزه عليها دون أن يحاولوا طرده، وكثيـر مـنهم كانوا عميانًا وهم يمسكون بأيدي بعضهم البعض يتحسسـون طريقهم بالظلمة، أمـا الأولاد فيسـيرون حفـاة، وعيـونهم مريضة، وبطونهم منفوخة، وآثار لسعات الحشـرات باديـة على أجسادهم، وكل ذلك؛ لكي تثبت الكتب أن فلسطين كانت أرضا بلا شعب بلا وطن.

وتظهر الدراسة أن العربي كان طيلة فترة الصراع حتـى عام ١٩٤٨ إنسانًا ظالما ومعتديا، وأن اليهود كانوا ضـحية، وتسمي الأحداث والتطـورات حسـب القـاموس السياسـي الصهيوني كثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ أنهـا أحـداث حـرب عصابات، ونكبة سنة ١٩٤٨ غير موجودة، ويـتم التركيـز على أسطورة انتصار الأقلية اليهودية على الأكثرية العربية، وكيف نجحت إسرائيل الصغيرة في هزيمة العرب.

وتعمدت الدراسة إظهار الجيش والشرطة في جهاز التعليم الإسرائيلي؛ لنشر صورة وتراث الأمة، وتعزيز الرابطة بين الفرد والدولة.

وتوضح الدراسة أن قضية اللاجئين الفلسـطينيين وردت في الكتب التعليمية بشكل سريع وعـابر، وسـبب هـروب السكان كان بأوامر من الدول العربية الذين طلبوا منهم إخلاء البلاد، وتحدّثت عن مذبحة دير ياسين، وأن الضحايا سقطوا في خضم المواجهة المسلحة، وبعد تحذير سكان القرية.

ويرد في الدراسة أن خطط تهجير وتدمير القرى القريبـة لم ترد في الكتب الدراسية أو تمت الإشارة إليها بعد شـطب أجزاء منها.

وتشير الكتب دائما إلى اللاءات العربية الثلاث في مؤتمر الخرطوم، ولا تتحدث عن قرار ٢٤٢ نهائيا.

ما من شك أن دراسة الفكر التربوي الصهيوني يحتاج إلى مزيد من البحث؛ لتتضح الصورة أمام الإنسان العربي عـن عدوه الذي يخطط ليلاً ونهارا من أجل القضاء عليه وتدميره.

ويجب مواجهة اليهود بادعاءاتهم الكاذبـة، ومـواجهتهم بحقائق التاريخ، وبناء طفـل عربـي واعٍ؛ حتـى يسـتطيع الوقوف في وجه هذا السرطان الصهيوني.

التصريحات والآراء التي ساهمت في تكوين العقيدة الصهيونية

دارت حول الحركة الصهيونية مناقشات ومحاورات في الصحف والمجتمعات الغربية أدلى خلالها الكثيرون من زعماء اليهود ومفكريهم وكُتابهم وفلاسفتهم، وكذلك بعض المؤرخين والكُتاب المسيحيين في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ومنهم مدنيون وعسكريون ورجال دين، وقد أفرزت تلك التصريحات أكثر الآراء التي شكلت الفكر والوجدان اليهودي الذي أصبح الآن يسيطر على مسار الدولة اليهودية.

وكان من أهم ما اعتنقه اليهودي نتيجة لتلك التصريحات:

أ- دعوى التفوق العرقي باعتبار اليهود شعب الله المختار.

ب- ضرورة التوسع لتحقيق إسرائيل الكبرى.

ج- اعتناق العنف كهدف ووسيلة لتحقيق هذا التوسع.

نورد فيما يلي طائفة من تلك التصريحات:

"تعالوا نعطي الشعب الذي لا أرض له أرضا لا شعب فيها".

إسرائيل زانكويل مؤسس المنظمة اليهودية للاستعمار والأراضي ١٨٩٥.

"إن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود جميعهم أينما وجدوا للعودة إلى فلسطين".

هرتسل رئيس المؤتمر الصهيوني الأول ١٨٩٧.

"ينبغي أن يتضمن برنامج المؤتمر الصهيوني عبارة فلسطين الكبرى أو فلسطين، والبلاد المجاورة لها وإلا كان البرنامج لا معنى له؛ فليس بالإمكان حشد عشرة ملايين يهودي في رقعة من الأرض مساحتها ٢٥ ألف كيلومتر مربع".

العالم اليهودي ديفس تريتش ١٨٩٨.

"يجب إقامة دولة إسرائيل في فلسطين تكون يهودية بقدر ما هي إنجلترا إنجليزية، وبقدر ما هي الأمة البريطانية بريطانية".

وايزمان الزعيم الصهيوني الكبير، وأول رئيس لدولة إسرائيل ١٩١٩.

"إن المقصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين هو أن يصبح اليهود أكثرية السكان هناك، وإن على العرب أن يرحلوا منها إلى الصحراء".

القاضي برانديس عضو المحكمة العليا في الولايات المتحدة ١٩١٤.

"نحن نبحث عن وطن، والوطن لا يمنَح كهدية بل يصنَع بالكفاح وعرق الجبين".

بن جوريون ١٩١٥.

" لقي الوعد صدى رائعا واستحسانًا في الصحافة البريطانية يضاف إلى ذلك ما حظي به من التأييد العام لدى آلاف من الكهنة الإنجيليين والقساوسة البروتستانتيين وغيرهم من الرجال المتدينين في نصف الكرة الغربي".

تصريح رونالد ستورس المستشرق الإنجليزي إثر صدور وعد بلفور ١٩١٨.

إن المطالب الأساسية التي يجب على الصهيونية تبينها هي:

١- "اعتراف العالم بـأن فلسـطين أرض اليهـود فـي الماضي ويجب أن تصبح كذلك في المستقبل".

٢- "إعطاء الفرص لإيجاد الأوضاع والأحوال اللازمـة والملائمة لإرجاع اليهود إلى فلسطين".

٣- "تسليم الانتداب على فلسطين للدولة التي يثق فيهـا اليهود ثقة تامة وهي بريطانيا العظمى".

تصريح الدكتور آدر بعد تسلمه رئاسة البعثة الصـهيونية في لندن ١٩١٨.

"إن فلسطين هي أرض اليهـود الموعـودة فـي الكتـب المقدسة اليهودية والمسيحية، ويجب أن تشمل جميع الأماكن التي تحرّك فيها اليهود، والأماكن التي أقامت بهـا القبائـل العبرية في ماضي الحقب، إن فلسـطين هـي أرض دولـة إسرائيل التاريخية والدينية؛ بحكم ارتبـاط الـدين اليهـودي بالأراضي المقدسة".

من المذكرة الصهيونية التي قُدمت لمؤتمر السلام ١٩١٩ .

"يجب أن تضم فلسطين النقب برمته ويهـودا والسـامرة والجليل وسنجق حوران وسنجق الكرك بما في ذلك معـان

والعقبة وجزء من سنجق دمشق بما فيه القنيطرة وحاصـبيا، إن جبل الشخ هو أبو المياه في فلسطين، ولا يمكن فصله عن فلسطين دون تعريض حياتها الاقتصادية للخطر، ويجـب أن يخضع هذا الجبل خضوعا كليـا لسـيطرة الـذين سـوف يستفيدون منه إلى أقصى حد وهم اليهود".

من كتـاب تحـت عنـوان حـدود فلسـطين للـزعيم إسحق زفي ١٩١٩.

"إن الحقيقة الأساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي أنـه لابد من إدخال المياه الضرورية للري والقـوى الكهربائيـة ضمن هذه الحدود، ويشمل ذلك مجرى نهر الليطاني، ومنابع نهر الأردن، وثلوج جبل الشيخ".

حددت بذلك الزعامة اليهودية أطماعها في لبنان الجنوبي ١٩١٩.

"لشرق الأردن أهمية حيوية فـي النـواحي الاقتصـادية والسياسية اليهودية، إن مستقبل فلسطين اليهودي يتوقف على شرق الأردن؛ فلا أمن لفلسطين إلا إذا كانت شـرق الأردن قطعة منها، إن شرق الأردن هي مفتاح الازدهار السياسـي لفلسطين".

من نشرة لجريدة فلسطين اليهودية الرسمية ١٩١٩.

"إن خطة اليهود هي أن يصبحوا أكثرية السكان في فلسطين، وإنه يجب أن ينْزَعَ كل سلاح من العرب وأن يعطى لليهود حق السلاح؛ ليدافعوا عن أنفسهم ولتحرير وطنهم التاريخي".

شهادة الدكتور إيدر رئيس الجمعية الصهيونية أمام لجنة التحقيق في القدس ١٩٢١.

"إن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة العرش الداوودي في القدس ثانية". صفحة ٩٨٦ من دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ١٩٢٦ مجلد ٢٧ تحت كلمة الصهيونية.

"إن اليهود يبغون أن يجمعوا أمرهم، وأن يتقدموا إلى القدس، ويتغلبوا على قوة الأعداء، وأن يعيدوا العبادة إلى الهيكل مكان المسجد الأقصى، ويقيموا ملكهم هناك".

دائرة المعارف اليهودية المطبوعة باللغة الإنجليزية.

"إنه كان مفهوما لدى الحكومة البريطانية عند إصـدارها تصريح بلفور سنة ١٩١٧ أن يصبح اليهود أكثريـة سـكان فلسطين الساحقة".

من تصريحات الزعماء البريطانيين نشرته جريدة التيمس والمانشستر جاردين ـ بلدوين ـ تشـامبرلن ـ إيمـري ـ تشرشل ـ هارولد لاسكي ١٩٣٤.

"عقدت اللجنة التنفيذية لمؤتمر حزب العمـال البريطـاني سنة ١٩٤٣ مؤتمرا في لندن قررت بالإجماع تحوُّل فلسطين إلى دولة يهودية، وإخراج سكانها العرب منها إلى الأقطـار المجاورة، ولم يعترض رئيس الحكومة البريطانية المحـافظ ونستون تشرشل على هذا القـرار؛ ممـا يؤكـد أن جميـع الأحزاب البريطانية متفقة على خطة الإجلاء الآثمة".

"إن الأمة اليهودية لن توافق أبدا على سلخ شـرق الأردن عن جسد فلسطين الذي تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية، ولا يستطيع أي تصريح بريطاني أن يغير مـن اعتقاد كل فرد يهودي بأن الأراضي الواقعة شـرقي نهـر الأردن تؤلف جزءا لا يتجـزأ مـن الـوطن الأم، ودولـة المستقبل".

أصدرت هذا التصريح منظمة المبادئ الصهيونية الجديدة ١٩٤٦.

النشيد الخاص للشباب اليهودي (منظمة البيطار):

"مجال حيوي للملايين

على ضفتي الأردن

الأردن له ضفتان

"واحدة لنا وكذلك الأخرى". ١٩٥٣

"لقد أخطأنا بقبول التقسيم، ونحن الآن ندفع ضريبة ذلـك بالأرواح والدماء والأموال، إن واجبنا المباشر إعادة توحيـد القدس القديمة والجديدة، والقضاء على أضـحوكة الدعايـة المسماة المملكة الأردنية الهاشمية، وإعادة الحكم اليهودي إلى إسرائيل الكبرى بكاملها على ضـفتي الأردن، إن إسـرائيل الكبرى بحدودها التاريخية هي وحدها التي تقدم الحل الدائم".

تصريح لرئيس منظمة بيطار (الشباب اليهودي) ١٩٥٣.

"نهر الليطاني هو حدودنا الشمالية، وشرق الأردن حدودنا إلى الشرق".

تصريح لبن جوريون حينما سئِلَ عـن حـدود إسـرائيل ١٩٦٠.

"إن من الواضح للإسرائيليين أن أحلام تطوير النقـب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه نهر الليطاني".

تصريح آدم سميث في مجلة إيسترن إفيـرز الصـهيونية ١٩٦٧.

"يجب أن يدرك العالم الخارجي أنه بالإضافة إلى الأهمية الاستراتيجية التي تعلقها إسرائيل على شبه سيناء المجـردة من السلام، ومرتفعات الجولان، ومضايق تيران تهتم أيضـا بسلسلة الجبال الواقعة في شمال وشرق إسرائيل وهـي فـي صميم التاريخ اليهودي".

تصريح لموشى ديان ١٩٦٧.

"إنني أبحث عن العوامل والأسباب التي صانت الشـعب اليهودي كشعب قومي متماسك حيث توصلت إلـى حقيقـة دامغة وهي أن سر بقائنا كشعب متماسك هو محافظتنا علـى صفاتنا الروحية والقومية التي استطعنا التمسك بها تحت أسوأ الظروف التي تعرَض لها أي شعب على وجـه الأرض، إن اليهود لن ينسوا مطلقًا أراضي آبائهم وأجدادهم حيث عاشوا

كشعب واحد ونزل عليهم الكتاب المقدس الذي يعتَبـر ذروة عظمة شعبنا".

تصريح لبن جوريون لمجلة دي شبيجل الألمانية ١٩٦٨

من المقررات التي أجمعت عليها الأحزاب اليهود بعد سنة ١٩٦٧:

١- "بالنسبة للاجئين الفلسطينيين يجب أن تحل مشكلتهم بنقلهم واستقرارهم في البلاد العربية المجاورة".

٢- " لن يعاد تقسيم القـدس أو أي جـزء منهـا إلـى الفلسطينيين بأي حال من الأحوال".

٣- "في سيناء يجب أن يزَالَ إلى الأبد التهديد المصري لحدود إسرائيل؛ وذلـك ببقائهـا منطقـة منزوعـة السلاح".

٤- "قطاع غزَة يجب أن يخضع للسيطرة الإسـرائيلية، ويجب أن تُنْزَعَ منه الأراضـي الكافيـة لإسـكان المستوطنين اليهود".

٥- "الجولان يجب أن تقام مواقع الدفاع الإسرائيلية على مرتفعاتها".

"أنتم الإسرائيليون يجب أن لا تأخذكم شفقة أو رحمة عندما تقتلون عدوكم، ويجب أن تقضوا عليه حتى ندمر ما يسمى بحضارة العرب التي سوف نشيد على أنقاضها حضارتنا اليهودية".

تصريح مناحم بيجين في مذكراته التي أطلق عليها اسم التمرد.

"لقد أسهمت مذبحة دير ياسين وغيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد من حوالي ٦٥٠ ألف عربي، ولولا دير ياسين لما قامت إسرائيل".

من مذكرات بيجين أيضا.

تصريحات متعلقة بحركة الاستيطان الذي يشكل حجر الزاوية في الفكر الصهيوني:

"إن حركة الاستيطان يجب أن تكون مستعدة لإقامة جديدة في الأراضي المحتلة؛ لأن هذه الأراضي تحتاج إلى وجود إسرائيلي فيها، وإن إقامة المستعمرات هو الشيء الوحيد الذي يجعل الوجود الإسرائيلي حقيقة مقبولاً بها في الأراضي المحتلة".

من تصريحات الوزير إيجال ألون.

"لقد تثقفنا على النظر للضفة الغربية، وشاطئ المتوسـط حتى العريش كوطن تاريخي وليس وطنًا بالروح والميـراث أو الكتب فقط، وإنما كمجال التجمع العلمي للحركة لصهيونية عن طريق الاستيطان والمراكز الاستيطانية لا يمكن التخلي عنها وليس هناك قرار بـإغلاق أيـة منطقـة فـي وجـه الاستيطان".

من تصريحات الوزير جاليلي.

"من الواجب إقامة ضواحٍ سكنية لليهود في جميع أراضي إسرائيل المحررة في أريحا ـ الخليل ـ رام الله ـ نابلس ـ جنين ـ طولكرم ـ قلقيلية ـ غزَّة ـ رفح ـ وغيرها.

من تصريحات مناحم بيجين

ماذا يهم أمريكا من منطقة الشرق الأوسط؟

أجاب رئيس الولايات المتحدة رتشارد نيكسـون جملتـه المشهورة:

"حماية إسرائيل والبترول".

"إن تفتت الدول العربية إلى دويلات صغيرة هـي فكـرة تشغل بال إسرائيل بل إنها إحدى نقاط إسرائيل الاستراتيجية

التي تفكر بها دائما؛ فتفتيت العراق وتقسيمه إلى دويلات صغيرة كدولة شيعية ودولة سنية إضافة إلى انفصال الأكراد يعتبر من الأهداف القديمة لإسرائيل".

مقال نُشِرَ في جريدة هآرتس في عددها ٢/ ٦/ ١٩٨٢.

الحدود العامة للدولة الإسرائيلية كما قدمتها مذكرة الجمعية الصهيونية إلى مؤتمر الصلح في مارس ١٩١٩.

حددت المذكرة الحدود التي تريدها:

"من الشمال بجوار صيدا - جبل الشيخ - الخط الحجازي - خليج العقبة ثم إلى الجنوب بما يتَفَق عليه مع الحكومة المصرية، وإلى الغرب البحر المتوسط، وأصرَت المذكرة على ضرورة ضم جبل الشيخ ؛لأنه أبو المياه الحقيقية لفلسطين".

جاء في تقرير كوينج الصادر سنة ١٩٧٦ حيث يضع تنبؤات مستقبلية لتطبيقها على العرب في شمال إسرائيل، وهي مستمدة من الفكر الصهيوني العنصري على اعتبار الأقلية العربية الإسرائيلية عنصرا أجنبيا يجب تحييده في الحياة العامة، ونزع مقوماته، وإلغاء شخصيته القومية؛ لأنه

يشكل خطرا في المجالات السكانية والاقتصادية والسياسـية، ويقترح عدة تدابير أمية وعسكرية خصوصـا مـع تزايـد المواليد العرب، ويفرض إنقاص المعونات المخصصة للأسر العربية، ودفع المتوفر للأسر اليهودية، والعمل على تغييـر عقلية العرب وسلوكهم وخصوصا في التعليم، والإقلال مـن قبولهم في مجالات التعليم العالي والجامعي، والتضييق على العرب الذين يرغبون في إتمـام دراسـاتهم فـي الخـارج، وعرقلة عودتهم إلى إسرائيل.

"مفهوم الحكم الذاتي كما يراه الليكود هو إعطاء الشـعب العربي الفلسطيني حدا أدنى من تصريف شـئونه الإداريـة دون أن يكون له حـق الأرض أو سـيادة فعليـة عليهـا؛ فالأراضي العربية المحتلة تُعاملُ على أنها امتداد لإسرائيل".

مقررات مؤتمر بلتمور الصـهيوني الـذي انعقـد فـي نيويورك سنة ١٩٤٢، ويعتبر هذا المؤتمر من المـؤتمرات الهامة في تاريخ الحركة الصهيونية.

١- "إنشاء دولة يهودية في فلسطين فورا تكـون جـزءا أصيلاً من العالم الديمقراطي الجديد".

٢- "رفض الكتاب الأبيض البريطاني الصادر سنة ١٩٣٩، وهو الذي وضع بعض القيود على انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود".

٣- "إطلاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين والاستيطان فيها دون عوائق".

٤- "وضع شئون الهجرة والاستيطان تحت سيطرة الوكالة اليهودية".

٥- "تشكيل قوة عسكرية يهودية تحارب تحت العلم اليهودي، والاعتراف بهذه القوة من قِبل الحلفاء".

التلمود عند اليهود: كُتِبَ التلمود بعد أكثر من مئتي سنة من نزول التوراة، للتلمود عند اليهود قدسية ومكانة أرفع من التوراة، وهو دستورهم الذي يقرر سلوكهم في الدين والأخلاق والسياسة، وهو الكتاب الذي لا يجوز لليهودي أن يتم تعليمه دون أن يستوعب أفكاره الجوهرية مما جاء في التلمود.

قال الأحبار اليهود في شرحهم للوصايا العشر والتعاليم السماوية التي أنزلت على موسى عليه السلام والأنبياء أنها تنطبق على اليهود وحدهم فلا حرج عليهم أنهم قتلوا

أو كذبوا أو سرقوا أو ظلموا غير اليهود، وارتكبـوا معهـم أفظع الجرائم وأشنع المنكرات حسب ما تقتضي مصالحهم.

وقالوا أيضا إن التلمود يعني أن الشعب اليهـودي وحـده الجدير بحياة الخلود أما الشعوب الأخرى فإنها أشـبه شـيء بالحمير، وقالوا أيضا يا معشر اليهـود إنكـم أنـتم البشـر أما الشعوب الأخرى فليسوا من البشر في شيء؛ إذ إن نفسهم آتية من روح نجسة أما نفوس اليهـود فمصـدرها روح الله المقدسة.

الطفل اليهودي:

"أما الطفل اليهودي في إسرائيل فـإن أول درس يتلقـاه كراهية العرب، وخطورة العرب على دولته، وإن أول واجب عليه هو قهر هؤلاء العرب والسيطرة عليهم ولـو بإبـادتهم وقتلهم ـ ويلقنونه بأن قتل العربي حلال هذا الدرس يتعلمـه الطفل اليهودي حتى يكبر ويترعرع وينمو معه".

تحدَّثت الدوائر العسكرية الإسرائيلية عن ثـلاث دوائـر للأمن الإسرائيلي، وأن أمن إسـرائيل لـن يتحقـق كـاملاً إلا بإبقاء تلك الدوائر ضعيفة.

الدائرة الأولى ـ دول المواجهة العربية.

الدائرة الثانية ـ الدول التي هي أبعد من دول المواجهة.

الدائرة الثالثة ـ تصل إلى باكستان والمغرب العربي.

ولعل تدمير المفاعل الذري العراقي، وضرب مقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، والتهديـد بضـرب قواعـد الصواريخ في إيران يثبت أن عمليـات الـدور الإسـرائيلي ليست تخيلاً، وإنما هو برنامج يعطي إسرائيل الحق فـي أن تضرب في كل هذه الدوائر الثلاث كسياسية ثابتـة، وهـذه مسألة بالغة الخطورة.

الاستراتيجية الإسرائيلية:

حددت الاستراتيجية الإسرائيلية أهدافها بدقـة، ورسـمت الطرائق والأساليب التي توصلها إلى تلك الأهداف، وعينـت مراحل تحقيقها وفق الظروف المتاحة.

١- الغاية القومية هي الهدف الأسمى التي تسعى الدولة ومؤسساتها لبلوغه، وهي تشكل عنصـرا متطـورا تتوالد فيه الأهداف بعضها من بعض الواحـد تلـو الآخر كلما تحقق هدف ظهر آخر يتلوه.

٢- فرض السلام الإسرائيلي على المنطقة العربية.

٣- حماية القاعدة الاقتصادية، والقاعدة البشـرية فـي الكيان الصهيوني.

٤- الاحتلال، والتوسع الجغرافي للوصول إلى إسرائيل الكبرى.

٥- منع العرب من القتال بردعهم عنه، أو شل قـواهم بحروب وقائية وضربة استباقية.

٦- جعل ميزان القوى يميل دائما إلى صالح إسـرائيل متفوقًا على الدول العربية مجتمعة.

ذكرنا بعض النماذج من التصريحات والقـرارات التـي داعبت خيال بعض الزعماء والكُتاب والمفكـرين اليهـود، وبعض الفلاسفة، والعسكريين من المسيحيين، والتي ساهمت في تشكيل وصياغة حجر الزاويـة فـي الفكـر اليهـودي المعاصر، ورغم أن الكثير من تلك التصريحات قـد تحقـق بالفعل إلا أن المخططات الصهيونية لم تكتمل بعـد؛ وهـي إنشاء إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، ومن السخف أن الأمة العربية برموز حكامها لا زالت غير مقتنعة أو غيـر آبهة أو غير قادرة على تفهم تلـك الأهـداف والمخططـات

الإسرائيلية التي تسعى الصهيونية العالمية إلى تحقيقهـا فـي هذه المنطقة مهما طالت أو قصرت السنوات اللازمة لذلك.

والواقـع المـؤلم أننـا لا نعتبـر بـدروس التـاريخ، ولا نستفيد من أخطاء الماضي، ولم نحاول أن نستوعب تأثير التغيرات الجذرية التي حصلت على الصعيد الدولي خـلال التسعينيات من هذا القرن وأهمها انتهاء الحـرب البـاردة، وتفكك النظام الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة بالزعامـة العالمية، وكان من المفتـرض أن تتـرك تلـك التطـورات بصماتها على الفكر الاستراتيجي العربي، وأن تدفعـه إلـى الاتجاه الصحيح لوضع التقديرات لاحتمالات المستقبل.

حققت إسرائيل مكاسب ضخمة بسبب حرب الخليج أهمها: إبرام اتفاقيات السلام مع الفلسطينيين والأردن بالإضافة إلـى مصر، وانتهزت إسرائيل ظروف حرب الخلـيج؛ لتحصـل على المزيد من السلاح المتقدم من أمريكا وإلى زيادة تفوقها العسكري على الدول العربية، وسارعت بعض الدول العربية في سباق محموم لتقديم فروض الطاعة، وعقـد الاتفاقيـات التجارية، وإبرام الصفقات مع إسرائيل.

وأخيرا جاءت أحداث العراق الأخيرة، والتهديد الأمريكي، وتوتر أجواء المنطقة وأدت إلى تراجع إسرائيل عن اتفاقيات أوسلو، وتجميد مفاوضاتها مع سوريا.

وهكذا وعلى وجه اليقين ثبت أن إسرائيل لا تريد السـلام الحقيقي مع العرب والفلسطينيين بل تريـد فـرض السـلام الإسرائيلي، وتحقيق المشـروع الاسـتعماري الصـهيوني المستوحى من التوراة، وهذا المشروع لا يتحقـق إلا علـى أشلاء الدول العربية الممزقة.

وها هي حكومة الليكود الحالية تمسح جميع الالتزامـات الإسرائيلية المعقودة مع الفلسطينيين، وتقوم بتغييـر طبيعـة الأرض، وتسعى إلى ضم الهند والصين إلى صف إسـرائيل بعد أن أصبحت تركيا الصديقة الحميمة لها.

مكامن الضعف

في استراتيجية المشروع الصهيوني

ملخص من كتاب مفاوضات السلام للأستاذ برهان الدجاني:

وحقق هذا المشروع انتصارا كبيرا عام ١٩٦٧، وتوسعت الدولة اليهودية، لكنها بدأت التراجع بعد حرب ١٩٧٣؛ حيث انسحبت من سيناء، ومن مدينة القنيطرة وكلا الموقعين يمثل أقصى ما بلغته إسرائيل في فتوحاتها.

لكن النجاح العسكري الإسرائيلي كان مبطنًـا بتناقضـية أساسية تشبه التناقضية التي عانتها انتصـارات هتلـر فـي التاريخ المعاصر، لقد أوضح المفكر الاستراتيجي الكبير ليدل هارت في كتابه عن الحرب العالمية الثانية أن جيوش ألمانيا الهتلرية تصرفت بكفاءة عالية في ميادين القتال تفوق كفـاءة أعدائها، وحققت انتصارات مذهلة، وأن القـادة العسـكريين الألمان كانوا أقدر قادة في تلك الحرب.. لكن ألمانيا لم تكـن تستطيع تحقيق النصر؛ بسبب التناقضية الأساسية مـا بـين اندفاعها الحربي وهدفها الاستراتيجي، فالهدف الاسـتراتيجي كان إخضاع أوربا وربما بلاد أخرى غيرها إلـى الهـدف

النازي القائم على منهج العنصرية، والاستعلاء القومي، والاستهانة بالشعوب الأخرى وحقوقها، والاستهانة بالإنسان الفرد وحقوقه، والإيمان الكامل بالقوة مصدر وإدارة للحكم؛ فمثل هذا التصوُّر يولد مع كل انتصار تقييما مقابلاً متزايدا لدى العدو، ومقاومة مستمرة في الأراضي المفتوحة؛ لأنه لا يعطي أملاً - أي أمل - - لأحد غير الألمان، هذه الاستراتيجية تقوم في النهاية على فرضية أن الألمان يكسبون كل ما لدى الآخرين ويخسرون كل ما عندهم، ولم تنجح مثل هذه الاستراتيجية سوى مرة واحدة في التاريخ وذلك عندما غزا الأوربيون البيض من أنجلو سكسون، وأسبان، وبرتغاليين القارة الأمريكية، وأبادوا عمليا معظم سكانها، واغتصبوا كل موارد حياتهم، وكان لهذا النجاح أسباب متعددة منها أن أمريكا الشمالية والجنوبية كانتا مسرحا معزولاً عن العالم، وسكانها قليلون، وأرضها واسعة، ومواردها هائلة، ولم يتسنَ للسكان تطوير أساليب مقاومتهم، ولم يجدوا من حولهم أقواما معهم.

ولنذكر التجربة الصليبية حينما أباد الصليبيون السكان المسلمين على طوال الساحل الشمالي بالقتل والطرد

والترحيل؛ فوقعوا في التناقضية التي أوصلتهم إلـى حطـين ومن ثم أعادتهم من حيث أتوا.

وتحاول الصهيونية الآن معالجة هذه التناقضية بأن تكتفي بفلسطين الانتدابية موطنًا لدولتها، واستغلت إسـرائيل حـال العرب الذين يعيشون في حالة إرهاق وحيرة بعد أن أمعنـت القوى المساندة لإسرائيل فيهم حربا وتمزيقًا وتفتيتًا، وبـدت ظروف أفقدت الكثيرين منهم الرؤيا البعيدة، وشعب فلسطين في النهاية شعب عربي مثل بقية العرب يعبر فـي جناحيـه الإسلامي والمسيحي عن العروبة، أما يهود إسرائيل فأمرهم مختلف وغير مؤتلف، وارتباطاتهم العالمية ليست كلها ودية، وتطلعاتهم هي تطلعات الفاتح الغازي قد ينتقـل فيهـا بـين أسلوب وآخر لكنها تقوم على الغطرسة والتفوق.

ويجب أن لا يستهين أحد بالشعب الفلسطيني؛ فهو يـدرك معنى الغزو الصهيوني منذ البداية، وأول من أشـعل ثـورة تحرير في عالمنا المعاصر خلال سنوات ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩، وهو الذي هزم إسرائيل فـي معركـة بيـروت العظيمـة، وأكرهها على التراجع والانسحاب، وعندما يقـرر العـرب

ويعقدون النية الصادقة على مؤازرة هذا الشـعب؛ فسـوف يسترد أرضه وحقوقه التي هي أرضهم وحقوقهم.

وجميع ما يحصل الآن من مهادنة واتصالات ومفاوضات سوف تكون نقطة الانتقال من مرحلة القتال الفلسطيني الحالي إلى مرحلة جديدة، وتكون الأهداف الفلسطينية وهي عودة كل الشعب الفلسطيني إلى أرض فلسطين، وإقامة دولة ديمقراطية موحدة تضم جميع السكان من مسلمين ومسـيحيين ويهـود، ويفتح مجال العمل والمساهمة في مسيرة الحضارة للجميع.

إن إسرائيل والصهيونية تواجهان مشـاكل عديـدة فـي المنظار المستقبلي منها: الهجرة المعاكسة، وهبـوط نسـبة التكاثر السكاني، وليس مستبعدا خلال ثلاثين سنة أن يتفـوق عدد العرب الفلسطينيين على مجموع أعداد اليهود في العالم، ويبقى الخط الدفاعي للعسكرية الإسرائيلية قوة الردع القـوي ـ ولكن هل تضمن إسـرائيل أن تظـل محتكـرة للسـلاح النووي؟.

هذه الأفكار تمثل وجهة نظر كاتبها.

رأي آخر حول مستقبل ومصير الدولـة اليهوديـة فـي فلسطين.

مفكر يهودي يقول:

لا يوجد شعب يهودي ولا توجد أمة يهودية

بل توجد ديانة يهودية

جورج عدة يهودي تونسي الجنسية لـه آراء غايـة فـي العدل بالنسبة للقضية الفلسطينية، وقد رفض مرارا إغراءات الهجرة إلى إسرائيل، كتب آراءه ومقالاتـه فـي الصـحف الفرنسية سواء في تونس أو فرنسا، ويتوقـع جـورج عـدة أن إسرائيل ستزول مهما طال الزمن؛ فلا توجد دولة عاشت على العنصرية والعنف، ويطالب كل يهود العالم أن يعلمـوا أولادهم أن اليهودية ديانة، وأن إسرائيل في طريقها للزوال.

جورج عدة يحمل الأوربيين وزر إقامة الـوطن القـومي اليهودي في فلسطين، وأنهم بذلك أرادوا إبعاد اليهـود عـن قارتهم.

ويتحدث جورج عدة في مقالته كيف كان السلام يسود تلك الأرض الصغيرة فلسطين، وكيف كان يتعامل فيها العـرب واليهود يسود بينهم الاحترام المتبادل، ثم يشير إلى انقـلاب الأوضاع وانطلاق المذابح ضد اليهود في روسيا، وبدء تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ليجد الشعب الفلسـطيني نفسـه

مجبرا على خوض الصراع من أجل الحياة ومن أجل البقـاء وحتى لا يطرد من دياره وقراه وحتى قبوره.

ولم تتوقف دماء الفلسطينيين طيلة سبعين عاما عـن ري تلك الأراضي الموصوفة بالمقدسة، والتي وطأتها أقدام أنبياء الديانات الثلاث.

ويستطرد جورج موضحا عدة علامات بأن أوربا حاولت إصلاح ما أفسده هتلر والنازية بارتكاب الخطأ الفادح بطـرد اليهود من أوربا وتوطينهم بأرض لا يملكونها وهي فلسطين.

استعمل الغرب منظمة الأمم المتحدة كوسـيلة لإضـفاء الشرعية على توطين اليهود فـي فلسـطين وإنشـاء دولـة إسرائيل دون استشارة أهل البلاد ورفض طلباتهم المشروعة، ولم تخرج أوربا عن عاداتها التي تمثلت سنة ١٤٩٢في طرد اليهود أو المسلمين من أسبانيا على أيدي الملوك الكاثوليـك، وإبادة شعوب أمريكا الشمالية وأستراليا، واسـتعباد السـود، وإنشاء دولة عنصرية في جنوب أفريقيا.

وهكذا تم في عملية استئصال طرد الملايين من الرجـال النساء والأطفال أجبروا على الهرب والعـيش فـي الخيـام

كلاجئين، وكل تلك المآسي والمظالم أرتُكِبت باسم الشـرعية الدولية.

استوقفني تحليل جاد لأستاذة للعلاقات الدولية بقسم العلوم السياسية بجامعة فلوريدا الدولية تقول فيـه: مـن الحماقـة الاعتقاد بأن ضعف العالم العربي وانقسامه، وافتقـاره إلـى التنظيم، وعدم قدرته على تحدي الهيمنة الإسرائيلية سيستمر بلا تغير؛ فالتاريخ يعلمنا درسا مهما وهـو أن الأيـام دول، وأن سقوط وصعود الدول يتوالى، وأن أكثر الدول عرضـة للسقوط هي تلك التي تفرض هيمنتها على شعوب أخرى غير شعبها، ولن يقبل حوالي مـائتي مليـون عربـي إمـلاءات ٥ أو ٦ ملايين إسرائيلي حتـى وإن اسـتظلوا بالولايـات المتحدة، فمن غير المعقول أن ترضى سوريا بالتخلي عـن الجولان، أو ترضى لبنان بالتخلي عن جنوبهـا، أو يتخلـى العرب والمسلمون عن القدس. فالقبول الحـالي لإمـلاءات إسرائيل والولايات المتحدة لن يصمد عبر الزمن، وسـتؤدي حيازة إسرائيل لقدرة نووية إلى تطوير العرب لقدرة نوويـة حتما، وسيفتح عدم الاستقرار الباب لحروب جديـدة، ولـن

يكون هناك سلام أو استقرار في الشرق الأوسط ما لم يـتم التوصل إلى تسوية عادلة للمسألة الفلسطينية.

تصريحات مناهضة للفكر الصهيوني ولإنشاء دولة يهودية في فلسطين

تصريح (١):

أرنولد توينبي من أعظم مؤرخي التـاريخ فـي العصـر الحديث، كتابه "دراسة للتاريخ" يعتَبر مـن أهـم المراجـع التاريخية، وتمتاز آراء توينبي بالعمق الشديد، وتحدّث عـن الحركة الصهيونية، وقال إنها جمعت أسوأ ما في الحضـارة الغربية - القومية العمياء والاستعمار - إن استيلاء الحركة الصهيونية على بيوت وأملاك الفلسطينيين، وتحـويلهم إلـى لاجئين ليس أرقى من الناحية الأخلاقية من أبشـع الجـرائم التي أُرتُكِبت خلال الخمسة قرون الأخيرة، وهذا هو حكمـي الأخير على تاريخ الصهيونية في فلسـطين، وقـال أيضـا: لو أن أي شعب آخر غير الفلسطينيين العرب ذاق ما لحقـه من اعتداء صارخ وتنكيل على أيدي أي شعب آخـر غيـر الإسرائيليين لأدرك العالم كله أن هناك ظلما فادحـا جـرى

ارتكابه بحق ضحايا لم يقترفوا شيئًا يسـتحقون عليـه هـذا العقاب.

لا شك أن الحكومة البريطانية التي وقعت على وعد بلفور كانت مطلعة على الأهداف النهائية للصهيونية، وأن التأكيدات البريطانية المعطاة للعرب كانت تأكيدات جوفاء كاذبة.

تصريح (٢):

قبل قيام دولة إسرائيل بفتـرة وجيـزة حـاول زعمـاء الصهيونية استغلال اسم وشهرة العـالم اليهـودي "ألبـرت أينشتين"، وعرضوا عليه أن يكون أول رئيس لدولة إسرائيل بعد إعلان قيامها سنة ١٩٤٨ إلا أن أينشـتين قـال قولتـه الشهيرة التي لم يتوقعها أحد:

"إن دولة تنشأ كما نشأت دولة إسرائيل جديرة بالفناء".

وندد بقيام هذه الدولة وتنبأ بزوالها وقال "أينشتين" أيضا: "إن اليهود الحاليين ليسوا هم اليهود الذين عاشوا فـي فتـرة المكابيين".

ورفض أينشتين أن يعمل كأستاذ زائر للفيزياء النظريـة بالجامعة العبرية بالقدس.

تصريح (٣):

نشر العالم الإنجليزي المتخصص في علم أصول الإنسان وأجناسه (الأنثروبولوجيا) "جيمس فنتون" دراسة واسعة عن نوع يهـود إسـرائيل فـي القـرن العشـرين أكـد فيهـا أن ٩٥ ٪ منهم ليسوا من بني إسرائيل التوراة.

تصريح (٤):

وفي أواخر القرن الماضي ذكرت دراسة للعالم اليهـودي المخضرم "فليكس لوشين" أن ٥ ٪ فقط من اليهود المحـدثين يتفقون مع النمط السامي الذي عرفناه، وأن اليهـود الأقـل اختلاطًا مثل يهود تركستان يمثلون عددا بالغ الضآلة بالنسبة للمجموع العام.

تصريح (٥):

وقال العالم الإيطالي "لمبـروزو" الشـهير الـذي أسـس ما يسمى "علم الأجرام" إن اليهود آريون أكثر منهم ساميون، وإن معظم يهود العالم هم من الخزر وليسـوا مـن أصـل سامي.

تصريح (٦):

وقال المؤلف "ماكسلي" المعروف إن اليهود في المنـاطق المختلفة ليسوا متماثلين جينيـا (أي مـن ناحيـة الصـفات الوراثية) وإن اليهود المحليين يمكن أن يكونوا إنتاج بيئـتهم، وإن كلمة يهودي صحيحة فقط كوصف اجتماعي ديني أكثر منها كتعبير وراثي.

تصريح (٧):

"الإيرل ونترتون" عضـو البرلمـان البريطـاني شـعر بالخجل؛ لامتهان اليهود كرامة الحكومة البريطانية من خطف الضباط والقضاة وجلدهم، وشنق جنودها وحرقهم والتمثيـل بجثثهم.

وقال لن أبالغ إذا قلت إنه لو وقع من العرب خُمـس مـا وقع من اليهود لما أبقت السلطات البريطانية لهم حجرا على حجر فـي بنـاء، ولا رجـلاً إلا فـي السـجن أو القبـر، ولا درهما إلا وضعت يدها عليها، ولا شك أن هـذا كـان عاملاً كبيرا في استمرار حركة الإرهاب اليهودي واتساعها؛ مما جعل الفلسطينيين يعتقدون بحق أنها جزء مـن مـؤامرة

بريطانية يهودية تهدف إلى تبرير سياسة تهدئة اليهود عـن طريق تحقيق طلبهم لتشكيل الدولة اليهودية.

تصريح (٨):

صرَح "ناحوم جولدمان" في كتابه " رئيس دولـة بـدون دولة " حينما كان رئيسا للمجلس اليهودي العالمي:

"إذا طالب الفلسطينيون بوطنهم فـإن أحـدا لا يسـتطيع حرمانهم من هذا الحق وهو ما لم يحرم منه اليهود، إن مـا هو حق لليهود هو حق للفلسطينيين".

وصرَح أيضا: "إن قطاع القدس يمكن أن يتحـوَل إلـى منطقة مستقلة ذاتيا يتولى إدارتها سكانها، ويكون لها وضـع دولي، وقد جاء هذا التصريح بعد إعلان الكنيسـت بجعـل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل.

تصريح (٩):

الدكتور "ماغنس" الذي اختير أول رئيس للجامعة العبرية في القدس صرَح سنة ١٩٤٨:

"حان الوقت بالنسبة لليهود أن يحسـبوا حسـابا للعامـل العربي؛ باعتباره أهم من يواجهنا، وإذا كانت قضيتنا عادلـة فقضيتهم عادلة أيضا، وإذا كنا نلنا وعودا فقد أُعطِيت وعود للعرب أيضا، ونحن نحب البلاد وكذلك العـرب، وإذا كنـا نرغب بالعيش بأمان؛ وجب علينا أن نتعايش مع العرب".

تصريح (١٠):

جاء في تقريـر لجنـة بيـل البريطانيـة عـام ١٩٣٧ ما يلي:

"إن الحكومة البريطانية هي المسئولة عن الحالة المؤسفة" التي وقع فيها المزارعون العرب، إن الفلاح العربـي لـيس غنيا ولا متعلما ولكن كونه كذلك لا يبرر قط إخراجـه مـن أرضه لإفساح المجال للصهيونيين الأغنياء المتعلمين؛ كـي يحلوا مكانه فيها.

الصهيونية والدولة العثمانية

في أواسط القرن التاسع عشر أخذت المشاريع الصهيونية تقيم مواطئ قدم في فلسطين مستغلة دعم الـدول الأوربيـة، وضعف الدول العثمانية، وتواطؤ بعض الإداريين والمسئولين العثمانيين بالاتفاق مع ممثلي الدول الغربية فـي فلسـطين، وتمكنوا من التوسع في شراء الأراضي، ولم يجدوا في بادئ الأمر معارضة من العرب ولكن ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وانتقال الأراضي إلى اليهود جعل الدولة العثمانيـة تصدر تعليماتها إلى السلطات المحلية بضرورة التأكـد مـن المشترين للأرض، وضرورة أن يكون من رعايـا الدولـة العثمانية وليس أجنبيا مهاجرا، ولكن رغـم صـدور هـذه التعليمات للتأكد من هوية المشتري للأرض أو العقـار بـدأ الوهن والتلاعب يخترق تلك التعليمات، ويتضح من سجلات المحاكم الشرعية أن شراء اليهود للأرض ازداد مـع تـدفق الهجرة اليهودية من روسيا سنة ١٨٨٢، وقد وقف السـلطان "عبد الحميد الثاني" موقفًا معارضا في البدء لهـذه الهجـرة؛ لكي لا يخلقوا مشاكل قومية على غرار المشاكل القومية مثل

القومية الكردية، والقومية الأرمنية التي كانت تعـاني منهـا الدولة العثمانية، وخاصة إن معظم المهاجرين اليهود كـانوا من جمعية "محبي صهيون"، وأيضا بسبب إمكانيـة ازديـاد النفوذ الأوربي وخاصة الروسي من خلال هجرة اليهود.

تحايل اليهود ووجدوا مخرجا للهجرة عن طريق تبعيـتهم للدول الأوربية التي كانت تتمتع بامتيازات كبيرة في الدولـة العثمانية الضعيفة، وقد تسرَّب عدد كبير من اليهود عن هذا الطريق.

وفي سنة ١٨٨٨ مارست الدول الأوربية ضـغطًا علـى الدولة العثمانية؛ للسماح لليهود بالإقامة في فلسطين كـأفراد وليس كجماعات.

ومع عدم متابعة هوية المشترين للأرض التي لـم تعـد مطبقة، والتي انهارت تماما في أواخر الثمانينيـات تحـوَّل اليهود لشراء الأرض الأميرية (أراضٍ ملك الدولـة) وأرض كبار الملاك من خارج فلسطين، وأخذ اليهـود فـي إقامـة المستعمرات (المستوطنات) في مناطق شتى مـن فلسـطين، واستخدموا الأموال الأوربية وخاصة مـن أسـرة روتشـلد ومنتفيـوري لإقامـة المسـتعمرات الزراعيـة لاسـتيعاب

المهاجرين الجدد؛ ممـا أدى إلـى ارتفـاع سـعر الأرض، ولم يتوقف المشروع الصهيوني وازداد نشاطه؛ ممـا جعـل الدولة العثمانية سنة ١٨٩١ تمنع هجرة اليهود الروس إلـى فلسطين، وفي هذه الفترة ظهـرت الصـهيونية السياسـية، وفي سنة ١٨٩٦ زار "هرتسل" زعيم الصـهيونية السـلطان "عبد الحميد الثاني" وطلب إليه الموافقة على مـنح فلسـطين لليهود مقابل وعود مغرية لمساعدة الدولة العثمانيـة ماديـا ومعنويا ولكنه لم يحصل على الموافقة.

وحـين أطاحـت جمعيـة "تركيـا الفتـاة" بالسـلطان "عبد الحميد" سنة ١٩٠٩ استفاد النفوذ اليهودي كثيـرا؛ لأن من أعضاء تلك الجمعية كان عدد كبير من يهـود "الدنمـة" (وهم يهود اعتنقوا الإسلام) وعاد المهاجرون اليهود يقيمون المستعمرات الزراعيـة التـي بلغـت سـنة ١٩٠٩ ـ ٢٦ مستعمرة تضم عشرة آلاف عضو، ومسـاحة مـن الأرض حوالي ٤٠٠ ألف دنم.

وزاد الضغط على حكومة "الاتحاد والترقي" في اسـتنبول من المؤيدين للهجرة اليهودية إلى فلسطين سواء من بعـض الشخصيات العثمانية أو الدول الأوربية.

وقد تنبه عرب فلسطين لمخاطر الصهيونية إثـر انعقـاد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل سـنة ١٨٩٧، وظهـرت الصهيونية بمطامعها الواضحة الصريحة في تحويل فلسطين إلى وطن لليهود، ورغم أن العرب تنبهوا إلى هذه المـؤامرة وقام وجهاء فلسطين وبعض المفكرين العرب بإرسال برقيات إلى الصدر الأعظم في استنبول، وقامت بعض المصـادمات بين الفلاحين الفلسطينيين واليهود، وتصـاعدت المقاومـة، وظهرت فكرة القومية العربية، وجـرى الاصـطدام بـين القوميين العرب والأتراك، وقام القائد التركي "جمال باشـا" بإعدام العشرات من القوميين العرب، وتلـى ذلـك إعـلان الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦، وانسحاب العثمانيين من بلاد الشام.

وقد حدثت ظروف ضاغطة على الدولة العثمانية أدّت إلى حروب متتابعة في روسيا والبلقان أنهكت قواها، واسـتنزفت خزينتها، وأثقلتها بالديون؛ وعندئذ تقدّم عملاء اليهود بصفقة يدفعون إلى خزانة الدولة ٥٠ مليون قرضا سهلاً، ويقـدمون خمسة ملايين هدية للسلطان "عبد الحميد"؛ نظيـر سـماحه بتوطين اليهود في فلسطين، كما أشرنا فقد رفض السـلطان

الصفقة قائلاً إن فلسطين ليست من أملاكه الخاصة ليساوم عليها؛ وكان ذلك الرفض بداية المؤامرة لإسقاطه والقضاء عليه، حيث تواطأت الصهيونية مع جماعة "الدونمة" التركية على عزل السلطان سنة ١٩٠٩، واستمرت الأحداث حتى جاء اتفاق "سايكس بيكو" بتوزيع تركة الدولة العثمانية سنة ١٩١٦، وتلاه وعد بلفور سنة ١٩١٧، وتمكن الصهاينة من الثأر من السلطان "عبد الحميد" وحصلوا على فلسطين التي رفض السلطان منحهم إياها.

وتذكر بعض المصادر رواية أخرى لموقف السلطان "عبد الحميد" غير الذي أوردناه:

كانت الدولة العثمانية تشجع الهجرة اليهودية إلى بلاد الدولة العثمانية (أي تركيا ومستعمراتها في أراضي الشام ومنها فلسطين) وذلك بحجة إن البلاد باستطاعتها استيعاب ٥ ملايين يهودي بشرط عدم التجمع في بقعة واحدة يعتبرونها أرض الميعاد، وأصبح الموقف أن الدولة العثمانية تسمح باستيطان اليهود ولا تسمح بإنشاء دولة مستقرة وهو موقف يضر المبدأ - ولا يتصور نتائجه أو يقدر احتمالاته - وهذا الموقف هو الذي دعا السلطان

"عبد الحميد" سنة ١٩٠٤ أن يبعث برسالة إلـى "هرتسـل" زعيم الصهيونية في ذلك الوقت يقـول فيهـا إن السـلطان لا يستطيع التنازل عن أرض فلسـطين؛ لأن هـذه الأرض ليست ملكًا له ولكنها ملك للشعب العثماني (يقصد التركـي) الذي حصل عليها بدماء أبنائه، وقول السلطان هذا لا يـدافع به عن الشعب الفلسطيني ولا عن الأمة العربيـة ولا عـن أراضي فلسطين لذاتها ولكنه يدافع عن ملكيتهـا للعثمـانيين الأتراك الذين حصلوا عليها بدماء جدودهم ولا يتخلون عنها إلا بالدم لا لمعنى من معاني العدالة أو الإنسـانية أو حـق الشعب الفلسطيني بل لمفهوم الملكية وحده.

ورغم أن اليهود كانوا يدّعون أنهم لا يرغبون بأكثر مـن مركز أدبي وزراعي وصناعي وتجـاري فـي فلسـطين، ويزعمون أنهم تحت سلطة ونفوذ الدولة العثمانية مثل بـاقي أجناس الدولة - ولكنهم سرعان ما أنشئوا الوكالة اليهوديـة؛ لجمع التبرعات، وتنظيم الهجـرة إلـى فلسـطين، وشـراء الأرض بالخداع والتزوير أو بالإغراء والإغواء.

وبعد أن استقر الحال باليهود نوعا ما بدءوا يكشفون عن أغراضهم الحقيقية وأهدافهم البعيدة.

واستمر هذا المخطط حتى الحرب العالمية الأولى واستيلاء بريطانيا على فلسطين سنة ١٩١٧، وصدور وعد بلفور، وتتابعت الأحداث بعد ذلك بإنشاء الدولة اليهودية وطرد الفلسطينيين من مدنهم وقراهم.

الصهيونية العالمية والفاتيكان

استغل يهود العالم عقدة الذنب بعد الحرب العالمية الثانية من أجل تأييد سياسي، وقاموا بحملة واسعة القصد منها اتهام البابا بيوس الثاني عشر رئـيس الكنيسـة الكاثوليكيـة فـي الفاتيكان بالسكوت على المذابح التي ارتكبتها ألمانيا النازيـة أثناء الحرب، وكان هدف اليهود هو إثارة عقدة الذنب لـدى رجال الدين الكاثوليك؛ لاستغلالها لمصلحة الصهيونية، وهو نفس ما أثاروه عند الألمان الغربيين؛ مما جعل ألمانيا تـدفع بلايين الدولارات والمساعدات إلى دولة إسرائيل.

وقد لاقت تلك الحملة الصـهيونية بعـض النجـاح فـي الفاتيكان، وأعلن بعض الكرادلة أنهم لم يوافقوا على موقـف البابا بيوس الثاني عشر.

وبدأت الحركة الصهيونية بدعم من أمريكا تطالب بتبرئة اليهود تماما من دم المسيح، ورفع اللعنة عنهم في الصلوات، وعدم تسميتهم الشعب قاتل الرب؛ وهكـذا بـدأت خطـوات الصهيونية في تحقيق أهدافها السياسية، وكان أهم هدف هـو

الاعتراف المسيحي بأن قيام دولة إسرائيل هو تحقيق الوعـد الإلهي لشعبه بالعودة إلى أرض الميعاد.

أما ما ارتكبه اليهود في فلسطين العربية من إراقة الدماء البريئة، والاستيلاء على الأرض والأموال والبيوت، وطـرد أهلها منها فلم يهتم المجمع المسكوني بها، وأسـدل السـتار عليها، ولم يناشد الشعوب المسيحية برفع المعاناة عن الشعب الفلسطيني.

كان موقف الفاتيكان سنة ١٩١٧ عندما أُعلِنَ وعد بلفور، وبدأت الحكومة البريطانية تعمل لخلق وطن قومي يهـودي في فلسطين أنه أبدى رغبته في تـدويل الأمـاكن المقدسـة ووضعها تحت إشراف دولي؛ وكان هدف الفاتيكـان حينئـذ عدم وضع مصالح الكاثوليك تحت رعاية دولة بروتسـتانتية هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدم إخضاع تلـك الأمـاكن للسيطرة اليهودية إذا ما قُدر للـوطن القـومي اليهـودي أن يظهر إلى حيز الوجود.

وقد ظل موقف الفاتيكان والكنائس المسيحية يؤيد فكـرة التدويل، وهذا ما جعل الموقف الإسرائيلي معاديا للمقدسـات المسيحية والإسلامية في القدس خاصة وفلسطين عامة، ومنذ

سنة ١٩٤٨ وخلال الحملات الإرهابية اليهودية في سـنوات ١٩٤٩ ـ ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣.

انفردت فلسطين بما وهبها الله من كونها موطنًا للتـراث الإنساني ممثلاً في الديانات الثلاث السماوية، ومعنى تـدويل القدس إخراج المنطقة المدوَّلة من نطاق سيادة الـبلاد التـي كانت تتبعها في الأصل، وهذا إهدار كبيـر لحـق الشـعب الفلسطيني في ممارسة سيادته على جزء من أرضه، وفكـرة التدويل أدّت إلى عدم اعتـراف العـالم بالقـدس عاصـمة لإسرائيل سواء بعد احتلال اليهود لجزء من المدينة أو بعـد احتلال القدس بكاملها؛ وهذا ما جعل للقدس قضية مميزة عن سائر قضية فلسطين، وقد أتاحت هزيمة الدول العربية سـنة ١٩٤٨ لإسرائيل ادعاء حق الفتح، وأن العرب رفضوا قرار التقسيم؛ وبهذا استطاعت إسرائيل الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من أراضي فلسطين العربية.

وبعد احتلال إسرائيل لجميع القدس صدرت عدة قرارات من الجمعية العامة لهيئة الأمم، ومن مجلس الأمـن تتعلـق بوضع القدس بعد سنة ١٩٦٧، وأدانت تلك القرارات جميـع الإجراءات الإسرائيلية واعتبرتها باطلة من النواحي القانونية

ولكن إسرائيل لم تلتزم بتلك القرارات، وهي تحضر الآن لتحويل القدس إلى مدينة يهودية، وتصدر من القوانين والقرارات البلدية ضد السكان العرب مما سوف يؤدي إلى تقلص وجودهم تدريجيا في مدينة القدس.

واستمر موقف الفاتيكان ثابتًا بشأن القدس، وضرورة تدويلها حتى سنة ١٩٦٧ حينما طالبت الكنيسة الكاثوليكية بجعل القدس مدينة مفتوحة على أن يكون فيها مجلسان أحدهما في القدس العربية والآخر في القدس اليهودية، وأن تقوم الأمم المتحدة بوضع دستور للقدس تشرف على تطبيقه، وأن تُدَارَ القدس بقسميها من قِبل هيئة دولية، وكان موقف الفاتيكان بالنسبة لإجراءات إسرائيل في القدس وتغيير معالمها الدينية والتاريخية موقفًا يتسم بالرفض.

وكانت وجهة نظر الفاتيكان أن مصير المدينة التي يقدسها أتباع الديانات السماوية الثلاث يجب أن لا يتبع مشيئة فريق واحد.

وإذا استعرضنا الموقف التاريخي للفاتيكان مـن القضـية الفلسطينية، وقضية القدس لظهرت الأبعاد التالية:

١- لا يعترف الفاتيكان بالإجراءات التـي قامـت بهـا السلطات الإسرائيلية لتغيير معالم القـدس الدينيـة والتاريخية.

٢- لا يعترف الفاتيكان بالإجراءات التي تعتزم إسرائيل أن تقوم بها لتهويد القدس الشرقية العربية.

٣- لا يعترف الفاتيكان بادعـاء إسـرائيل أن القـدس الموحدة هي عاصمته الأبدية.

٤- يعترف الفاتيكان بحق الشعب الفلسـطيني بتقريـر مصيره، وحق اللاجئين العرب بالعودة إلى ديـارهم وممتلكاتهم.

وكان البابا يوحنا بطرس الثالث عشر قـد اعتـذر سـنة ١٩٦٠ عن دور الكنيسة الكاثوليكية في معاداة السامية، وأكدَ أن الدين المسيحي قد نشأ في جـو يهـودي، وجـاء البابـا يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٧٨ ليؤكد تبرئة اليهود من خطيئة قتل المسيح وصلبه وتعذيبه، وكان ذلك مضمون الوثيقة التي أقرَها الفاتيكان سنة ١٩٨٥، ومن أخطر ما جاء فـي هـذه

الوثيقة هو مراجعة بعض النصوص الدينية في العهد الجديد (الإنجيل) وتعديل إنجيلي متى وبطـرس إرضـاء لليهـود، والأكثر خطورة إشارة المجمع البابوي إلـى أن المسـيحيين واليهود يتقاسمون الاعتقاد في الإله يهوه (الرب اليهـودي)، وأن المسيح والحواريين ولدوا يهودا.

ورغم تأييد الفاتيكان للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فإن خضوع الفاتيكان لإسرائيل يشكل موقفًا خطيرا يزيد من قوة اليمين المتطرف اليهودي في إسرائيل.

وفي أكتوبر سنة ١٩٩٧ نظم الفاتيكان مـؤتمرا لمناقشـة وثيقة دينية رسمية عنوانها "جذور معاداة اليهودية في الوسط المسيحي"، وعقد المؤتمر بتوصية من البابا يوحنـا بـولس الثاني لوضع استراتيجية التعامل مع اليهود واليهودية، وفـي ختام المؤتمر أعلن البابا أن المقاومة المسيحية ضد النازية لم تكن بالشكل المطلوب الذي كانت تنتظره الإنسانية، وأوضح أن المؤتمر يمهد الطريق لفتح جديد في العلاقـة المسـيحية اليهودية يركز على الشراكة بينهما.

وفي نوفمبر سنة ١٩٩٧ تم أول اتفاق مـن نوعـه بـين إسرائيل والفاتيكان حيث اتفقا على منح الكنيسة الكاثوليكيـة

ومؤسساتها في الأراضي المقدسة وضعا قانونيـا، ويـنصُ الاتفاق الذي وقعه وزير خارجية إسرائيل وسفير الفاتيكـان في إسرائيل على مبدأ استقلالية الإدارة الداخلية للمؤسسـات الكاثوليكية في إسرائيل، وعلى تطبيق القـانون الإسـرائيلي على علاقاتها الخارجيـة؛ وهـذا يعنـي تطبيـق القـانون الإسرائيلي على القدس الشرقية، وصرّح سفير الفاتيكان فـي إسرائيل أن هذا الاتفاق يشكل مرحلة جديدة لتطبيع العلاقات بين إسرائيل ودولة الفاتيكان، وهذا الاتفاق يعتبر الأول مـن نوعه الذي توقعه الكنائس المسيحية الكاثوليكية مع إسرائيل.

بابا الفاتيكان في مواجهة
مع الزعماء اليهود

مؤخرا انتقد الزعماء اليهود بابا الفاتيكان؛ بحجة عدم التوسعة بشكل كافٍ في إعلان أن المسيحيين يتحملون وزر اضطهاد اليهود، وإشاعة الكراهية والعداء ضد السامية أثناء الهولوكست (عمليات الإبادة الكاملة بواسطة المحارق).

جاء هذا الهجوم عقب كلمة وجهها البابا في ندوة عقِدَت في الفاتيكان، وكانت تتناول المواقف المعادية لليهود في المجتمع المسيحي، وحضرها ٦٠ كاردينالاً وأسقفًا، وقد أعفى البابا الكنيسة الكاثوليكية من أي مسئولية بأنها كانت طرفًا مشاركًا في هذا الذنب، ووصف الهولوكست بأنها هجوم ضد خطة الرب لخلاص العالم.

ورغم تلك التصريحات فإن الحاخام "مارفن هير" رئيس معهد سيمون ويسنتال في لوس أنجلوس ـ وهو متخصص في مطاردة النازيين ـ أعلن عدم تأثره بتصريحات البابا؛ لأنه لم يتوسع في كلامه كما يريد اليهود خاصة في ضوء الموقف الصارم الذي اتخذه أساقفة فرنسا في محاولتهم

إعلان توبتهم؛ حيث طلبت الكنيسة الفرنسـية فـي نـوفمبر ١٩٩٧ الصفح لصمتها أمام عمليات الاضـطهاد والترحيـل التي مورست ضد اليهود من قِبل حكومة "فيشي".

أما "سيمون صمويلز" الذي يمثل معهد ويسنتال في أوربا فكان أكثر ضراوة في انتقاده البابا عندما قال: إن الذي كـان يفعله البابا بشكل أساسي هو إلقاء اللوم على قـوى الظـلام القديمة الخاصة بعبادة الأوثان؛ وبهذا يبتعد عما كان متوقعـا لأنه في تلك الندوة لم يفتح الفاتيكان أرشيفه الخـاص بفتـرة البابا بيوس الثاني عشر، وهـي الوثـائق الخاصـة بفتـرة الهولوكوست؛ ومن ثم لم يتم التعاون العملي في البحث عـن مجرمي النازي، وأضاف سيمون صمويلز مشيرا إلى الدور الذي لعبه مسئولو الفاتيكان في هـروب مجرمـي الحـرب النازيين من العدالة، وتناول الدور التي قامت به الأديرة فـي إيوائهم، كما تناول أن الذهب الذي تم الاستيلاء عليـه مـن يهود كرواتيا تم تهريبه إلى الفاتيكـان، واقتـرح أن يسـلك الفاتيكان مسلكًا عمليا بدلاً من إصدار تصريح آخر، واقترح لذلك أربعة أشياء هي:

١- فتح محتويات الأرشيف أمام لجنة دولية محايدة.

٢- إدانة المصطلحات التي تتجاهل وتقلـل مـن شـأن الهولوكست.

٣- توجيه تهديد لكل المحاولات التي تريـد أن تضـفي البطولة على بعض الرموز الكاثوليكية التي تعاونت مع النازيين.

٤- تناول الهولوكست في كافة المناهج التعليميـة فـي جميع المدارس الكاثوليكية واتحادات الشباب.

ومن وجهة نظر الخبراء فإن الندوة التي عقدها الفاتيكـان كانت جانبا من التقدُّم المنطقي للجهود التـي بـذلها البابـا والأساقفة من أجل إحداث قدر كبيـر مـن التقـارب بـين الكاثوليكية واليهودية، وكذلك هي نوع من الرغبة في التطهر لدى الكنيسة وهي تقترب من الألفية التي يأمل البابا أن يقوم في بدايتها بزيارة الأماكن المقدسة.

حقيقة الاختراق اليهودي للمسيحية

هل استطاع النفوذ اليهودي واللوبي الصهيوني في الغرب المسيحي تحقيق الاختراق اليهودي للمسيحية؟!

إن نفوذ اللوبي اليهودي في أمريكا قوي جدا، وقد اقتنـع عدد كبير جدا من الأمريكان بأحقية اليهود بإقامة دولتهم في فلسطين، وأصبح البروتستانت هناك يؤمنون بارتباط مجـيء المسـيح الثـاني بقيـام دولـة إسـرائيل الكبـرى، ولم يعد "ياهو" يرمز إلى القوة والجبروت والسلطان كما جاء في الكتب المقدسة.

وهكذا تحوَّلت الكنيسة البروتستانتية الأمريكية إلى مسيحية صهيونية؛ وبالتالي صارت الصهيونية عقيدة مسيحية، وصار البروتستانت يقاسمون اليهود الاعتقاد بإلههم "ياهو".

إن الكاثوليك يبلغ تعدادهم حوالي مليار نسمة على مستوى العالم وأكثرهم غربيون (حوالي ٩٠ ٪) والكنيسة الكاثوليكية في روما تدعو إلى تنظيف الذاكرة المسيحية مـن الكتابـات الظالمة للشعب العبراني (اليهودي) وأصبح المتوقع أن يغير

الفاتيكان موقفه من التدويل، ومن حقوق اللاجئين الفلسطينيين وعودتهم إلى فلسطين.

وتقرُ صحيفة الفاتيكان بضـرورة مراجعـة النصـوص الدينية، وتعديل ما يرضي مطامع اليهود؛ وهـي بالحقيقـة مطامع سياسية.

ويبرز هنا سؤال: هل خضع بابا روما لابتزاز اليهود؟

خصوصا أن بعض المسيحيين يصـرح بأنـه لا يمكـن للفاتيكان التغيير في الكتاب المقـدس؛ لأن الكتـب المقدسـة مطبوعة في كل لغات العالم فأية طبعـة يحـاول الفاتيكـان تغييرها لن تغير شيئًا عن الكتاب المقدس، ولكـن مجاملـة اليهود ممكن أن تتم بالنظر في التفسيرات، وإيجـاد صـيغ جديدة لها بحيث يمكن أن تتعاطف مع اليهود.

ولكن لو برأنا اليهود من دم المسيح فهل معنى ذلـك أن اضطهاد اليهود للمسيح قد انتهى؟ وأين ذهب ما يقولونه عن السيدة العذراء وهو كلام لا يصح أن يقال على راقصة؟

هناك حقيقة يجب أن نذكرها وهي أن الكنيسة الكاثوليكية تملك ٩٠ ٪ من الأملاك المسيحية في إسـرائيل والقـدس؛ لذلك- كما سبق وذكرنا- عقد الفاتيكان اتفاقية مع إسـرائيل

لإدارة شـئون الأمـاكن المقدسـة بهـا وطبعـا إسـرائيل لا تعطي هذا مجانًا أو تترك ذلك بسهولة، وهكذا كـان أول طلب لإسرائيل اعتذار الكنيسة عما أصاب اليهود، ورغم أن هذا الطلب مظهره إنساني لكنه في الحقيقة مطلب سياسي من إسرائيل.

ولا يصدق أحد أن إسرائيل تتمسك بالقدس من أجل بنـاء الهيكل حتى لو أعدّت الحجارة والشـمعدان الـذهبي الـذي يتوسطه؛ فإسرائيل لا يهمها الهيكل في قليل أو كثيـر لكـن المهم الدخل الذي يأتي لها من السياحة في القدس، وهو مبلغ ضخم يزيد عن دخل قناة السويس؛ لذلك فهي تخلق المنـاخ الديني لفعل شيطاني.

الاتفاق بين الفاتيكان وإسرائيل

وقـع هـذا الاتفـاق بتـاريخ ٣٠/ ١٢/ ١٩٩٣ وهـو لا يشير إلى القدس أو إلى الأماكن المقدسة المسيحية بصورة مباشرة، ولكنه يحتوي على اعتراف كل طرف بحق الطرف الآخر في ممارسة حقوقه وسلطته، ويفرض الاتفاق المحافظة على الأماكن المقدسة المسيحية، وتشجيع حـج المسـيحيين، والتبادل الثقافي بين مؤسسات كاثوليكية ومؤسسـات ثقافيـة وتربوية في إسرائيل، ويتبادل الطرفان العلاقات الدبلوماسية الكاملة إثر توقيع الاتفاق، ويتعهد الفاتيكان بالبقاء بمنأى عن جميع **النزاعات الداخلية في فلسطين فيما يتعلق بالأراضـي والحدود، ويعتبر هذا الاتفاق مكسبا إسـرائيليا مهمـا،** وذا قيمة تاريخية؛ لأن توقيعه جاء في مرحلة ما زالـت مسـألة القدس غير محلولة، والقدس الشـرقية محتلـة، وإصـرار إسرائيل أن القدس الموحدة عاصمتها.

إن قبول الفاتيكان بتوقيع هذا الاتفـاق فـي ظـل هـذه الأوضاع ينطوي على قبوله بالوجود الإسرائيلي في القـدس الرقية حيث توجد المقدسات المسيحية.

ولم يراعِ الفاتيكان أن القدس الشرقية محتلة وليس من حقه أن يقدم تعهدات بشأنها قبل أن يتم الاتفاق بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني على الحل النهائي.

الفاتيكان طلب الغفران واليهود يرفضون ويواصلون الحملة ضد البابا بيوس الثاني عشر

بعد حوالي نصف قرن أصدر الفاتيكـان بتـاريخ شـهر مارس سنة ١٩٩٨ وثيقة حول دور الكنيسة الكاثوليكية خلال الإبادة الجماعية (الهولوكوست) التي ارتكبتها النازيـة ضـد اليهود، ودعا الفاتيكان في وثيقته إلى طلب الغفران والنـدم؛ لأن الكاثوليك فشلوا في وقف عمليات إبادة اليهود، وجاء في الوثيقة أن الكنيسة الكاثوليكية تعرب عن عميق أسفها لعـدم وقف المذابح النازية ضد اليهود - ولا بد أن نقـر ببراعـة اليهود في التأثير على الرأي العام العالمي، ونقرّ أيضا بمدى المثابرة والإصرار الذي استمر حوالي خمسين عاما نجحـوا بعدها في استصدار هذه الوثيقة التاريخية.

ولكن أعلن اليهود كالعادة عن عدم رضائهم واعتراضهم على تلك الوثيقة التي تحمل اسم "نحن نتذكر".

وعودة إلى الوراء نتذكر أن الكنيسة الكاثوليكية اعترضت على إصدار وعد بلفور سنة ١٩١٧، وعلى هجرة اليهود إلى فلسطين، ولكنها أخطأت حينما قبلت بتدويل القدس، وعنـدما تولى البابا الحالي يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٨٥ عمل على تبرئة اليهود من خطيئة تعذيب وصلب السيد المسيح؛ وهـذا أدى بدوره إلى تقارب ملحوظ من الفاتيكان والمسيحيين مـع إسرائيل واليهود، وأعلن البابا أن الفاتيكان ينوي فتح صفحة جديدة في العلاقة بين المسيحية واليهودية؛ وهذا ما أدى إلى إصدار الوثيقة المذكورة، وأعلن الفاتيكان بعد إصـدار تلـك الوثيقة عن رغبته أن تكون نهاية لسوء الفهم بين المسـيحية واليهودية، وأن يتم التعاون بين المسيحية واليهودية من أجل إقامة عالم جديد، ووصف البابا الوثيقة بأنها طلب غفـران؛ للأخطاء التي ارتكبها بعض المسيحيين في حق اليهود إبـان الحرب العالمية الثانية، ولعله يشير بذلك إلى البابـا بـولس الثاني عشر.

ما الخطيئة التي ارتكبها البابا بولس الثاني عشر التي أدت إلى تحامل الصهيونية ضده، وإلى زيادة الضغوط والابتزاز التي لا زالت تمارسها ضد الفاتيكان حتى اليوم.

ونعود إلى قصة البابا بولس الثاني عشر.

قضى البابا بولس الثاني عشر سبعة عشر عاما من حياته في الكنيسة يعمل في ألمانيا قبل أن ينتخب للباباوية في مارس ١٩٣٩، واستمر حتى سنة ١٩٥٨.

شهد خلال فترة العشرينات والثلاثينيات حتى أوشكت الشيوعية على الاستيلاء على الحكم في ألمانيا ثم لم يقهرها إلا لجوء الرأسمالية إلى دكتاتورية هتلر لتدميرها والقضاء عليها.

وقد يكون لديه اقتناع أن الشيوعية- بوصفها دعوة إلحادية- هي الخصم الأعظم للكنيسة، والنازية هي الأسلوب الوحيد الذي نجح في وقف الشيوعية؛ وبالتالي فعلى الكنيسة أن تقف من النازية موقفًا مؤيدا أو غير معادٍ على الأقل، وهذا ما يؤيد تصرُّف البابا خلال الحرب العالمية الثانية.

ورغم ذلك فقد أصدر الفاتيكان عندما اجتاحت ألمانيا بولندا وهولندا وبلجيكا وفرنسا عدة بيانات تشير إلى حزن على الدم المراق، وعندما بدأت ألمانيا تنهار والشيوعية تتقدَم كان رأي البابا إعلان هدنة بين الحلفاء وهتلر، وتركيز القوة ضد الاتحاد السوفيتي.

وتقول الدعاية الصهيونية إن البابا لـم يتحـرك عنـدما اشتدت النازية ضد اليهود، وإن عناصر كثيرة داخل الكنيسة الكاثوليكية- خصوصا ممن تعرَضـوا لاحـتلال النازيـة- لم توافق البابا على مواقفه المعتدلة من النازية.

ومن هنا أخذت الصهيونية تقوم بممارسة الضغط داخـل الفاتيكان، وملاحقة من بقي حيا من الكرادلة الـذين كـانوا يقفون بجانب البابا في ذلك الوقت.

واستمرت الصهيونية في تكثيـف الضـغوط، وتحميـل الفاتيكان الأخطاء التي تنسبها إليه خصوصا أثنـاء الحـرب العالمية الثانية.

ونعود إلى المؤتمر الكاثوليكي العالمي، والوثيقـة التـي أصدرها لتبرئة اليهود الحاليين من دم المسـيح، وأن دمـه عليهم وعلى أبنائهم من بعدهم، وأنهم مسئولون عـن هـذا الجرم حتى اليوم، والتعديل الذي أراد الفاتيكان إدخاله هو أن اليهود بعد ما يقرب من ألفي سنة ليسوا مسئولين ولا ملومين عن هذا الجرم؛ ومن هنا جاءت موافقة الفاتيكان على تجميع اليهود في دولة واحدة.

الوثيقة التي أعلنها الفاتيكان ـ ليعتذر عما حـدث أثنـاء الهولوكست ـ كان إعلانها غير مناسب فـي هـذه الفتـرة الزمنية أوائل سنة ١٩٩٨؛ لأنها تزيد من غـرور إسـرائيل ولا تصبُ في مصلحة السلام في المنطقة.

ولا شك أن إعلان الوثيقة يكرس الفكرة الحنينية التي تقوم عليها جهود الدعاية الإسرائيلية بأن اليهود هم الذين تعرَضوا وحدهم- وما زالوا يتعرضون- للاضطهاد من كـل الـدنيا وفـي كـل مكـان، وهـذا لا شـك يصـرف الأنظـار عما تمارسه إسرائيل من اضطهاد وترويع وتدمير في حـق العرب الفلسطينيين وجنوب لبنان والجولان، وتلفت الأنظـار عن السياسة الليكودية الشرسة التي تفتح باب المجـازرعلى مصراعيه في الشرق الأوسط دون أن يتنبه الفاتيكان إلى أن العصابات الصهيونية- ثم الدولة الإسرائيلية مـن بعـدها- لم تكف عن إقامة المجازر في المنطقة منذ أكثر من خمسين عاما.

إذا كان من حق الفاتيكان أو من واجبه أن يدين المجازر التي أقامتها النازيـة ضـد اليهـود فمـن واجبـه أيضـا

أن يدين المجازر المستمرة التي يمارسها اليهود ضد عـرب فلسطين.

ونحن نتساءل عما جاء في الوثيقة من نص يقول:

"إن الجريمة التي أصبحت تُعرَفُ بالمحرقة ستبقى وصمة لا تمحى من تاريخ القرن الذي يقترب من نهايته".

أليست جرائم إسرائيل في الأرض المغتصبة، وطرد أهلها وصمة لا تمحى من تاريخ هذا القرن أيضا؟!

وتقول الوثيقة: "إن الكنيسة الكاثوليكية تطلـب الغفـران لبعض أبنائها الذين مارسوا الأخطاء التي ارتكبها أعضاؤها".

فهل تطلب الغفران لبعض أبنائها الـذين مارسـوا ضـد الفلسطينيين أبشع أنواع الاستعمار، وتوجوها بإقامـة دولـة إسرائيل؟!

الزعماء اليهود
الذين قامت دولة إسرائيل على أكتافهم

هل كان الزعماء اليهود الذين قامت دولة إسرائيل على أكتافهم، وتلوَّثت أيديهم بدماء آلاف الضحايا من الشعب الفلسطيني من رجال السياسة أم من أبطال حرب العصابات ومن عتاة المجرمين الدوليين؟!

لا شك أن هدف هؤلاء الزعماء كان القيام بالعمليات الإرهابية، وتشكيل العصابات المسلحة ضد السكان الفلسطينيين، واللجوء إلى أحط الأعمال الوحشية، وتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضد القرى والمدن الفلسطينية ومخيمات اللاجئين، واعتناق سياسة قتل العربي أينما وجِدَ دون تفرقة بين رجل وامرأة وطفل، كان هدفهم الأول تفريغ الأرض من سكانها العرب، وإشاعة الرعب والدمار، وبقر بطون الحوامل، وتقطيع أوصال الأطفال والشيوخ، ونسف البيوت وحرقها.

حققت تلك السياسة الهمجية أهدافها، وهجر السكان بيوتهم وقراهم ومدنهم، وتحوَل الملايين من الفلسطينيين إلى لاجئين في داخل البلاد وخارجها.

ونعود إلى دفاتر التاريخ التي تحدَثت عن أعمال بعـض هؤلاء الزعماء.

إيجال آلون:

وِلدَ في فلسطين، وتخرج في إحدى المدارس الزراعيـة، وفي سن الشباب قاد عملية التجسـس والتخريـب لحسـاب البريطانيين في سوريا ولبنان، وتولى قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية في سنة ١٩٤٨، وعقب قيام الدولـة الصـهيونية ارتدى قناع السياسة، وأُنْتُخِبَ في الكنيسـت وتـولى وزارة العمل، ثم نائبا لرئيس الوزراء، وتخصص فـي اسـتيعاب المهاجرين، وهو أكثر الزعماء اليهود ترويجا لفكرة الحـدود الآمنة، وهو صاحب مشروع شـهير عقـب حـرب ١٩٦٧ عرِفَ باسم "مشروع آلون"، وهو كسلفه الذين ارتقـوا إلـى المناصب القيادية في إسرائيل بعد أن خلعوا ملابـس القتلـة وسفاكي الدماء.

ليفي أشكول:

ثالث رئيس وزراء إسرائيلي، تأثر في شبابه بأفكار بن جوريون، وانضم لحزب العمل، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩١٤، والتحق بالفريق اليهودي سنة ١٩١٨، وشارك في عملية تهريب السلاح إلى فلسطين، وعاش ٣ سنوات في برلين أثناء حكم النازي كرئيس لإدارة الاستيطان التابعة للوكالة اليهودية، وبعد عودته تولى قيادة الهاجاناه التي ارتكبت فظائع يندى لها الجبين، وارتقى في المناصب حتى أصبح رئيسا للوزارة سنة ١٩٦٣.

ديفيد إليعازر:

وِلدَ في يوغوسلافيا، وهاجر إلى فلسطين سنة ١٩٤٠، واشترك في "البالماخ"، وقاد قواتها لاحتلال القدس سنة ١٩٤٨، واشترك في عدة عمليات تخريبية ضد الفلسطينيين العزَل من السلاح، وهو الجزَار الذي أصدر الأمر بإسقاط الطائرة الليبية فوق سيناء.

حاييم بارليف:

وزير التجارة والصناعة، ورئيس الأركـان الإسـرائيلي الذي أقيم بعهده خط بارليف الشـهير علـى ضـفاف قنـاة السويس، انضم إلى البالماخ، واشترك سنة ١٩٤٢ بعملياتهـا القذرة التي استهدفت إخلاء الأراضي من سـكانها العـرب بالقوة.

موشى ديان:

من أبرز الإرهابيين الصهاينة، ولِدَ في فلسطين، وانضـم للهاجاناه، وبدأ تاريخه القذر ضد العرب، وشارك في عـدة عمليات انتقامية، وفقد عينه اليسرى في سوريا إبان الغـزو البريطاني لسوريا، وعمل في المخابرات البريطانية بالقدس، وفي حرب ١٩٤٨ قاد القوات الصهيونية في وادي الأردن.

وقاد القوات التي استولت على مدينتي اللد والرملة، وقام بسلسلة الفظائع ضد السكان المدنيين، وبدأ نجمه يصعد بعـد حرب ١٩٥٦، وسافر إلى فيتنام؛ ليـدرس طـرق مقاومـة الشعب الفيتنامي للجيش الأمريكي، وأصبح بعدها هذا الجزَار مسئولاً عن تنفيذ سياسة إسرائيل تجاه الأراضـي العربيـة

باستخدام أساليب العقاب الجماعي، ونسف المنازل، وتبنـي سياسة الردع العنيفة ضد الفدائيين، ومن أبرز أعماله خطـة مذبحة قبية عندما كان رئيسا لهيئـة الأركـان، والتـي راح ضحيتها أكثر من سبعين شهيدا من النساء والأطفال، واشتهر بأنه لصُ الآثار التي سرقها من سيناء، ومن مناطق مختلفـة في فلسطين.

عزرا وايزمان:

أحد مؤسسي سلاح الطيران الإسرائيلي، وانضم كغيـره من المجرمين إلى الهاجاناه سنة ١٩٣٩، ثم التحـق بسـلاح الطيران الإسرائيلي، وتولى قيادة الطيران الإسرائيلي وهـو الذي أعدّ خطة تدمير الطـائرات المصـرية أثنـاء حـرب ١٩٦٧، وتولى عدة مناصب وزارية وهو الآن رئيس دولـة إسرائيل.

جولدا مائير:

من أكثر القيادات الإسرائيلية تطرفًا، وشاركت في عمـل منظمات متعصبة، وتدرّجت في المناصب حتـى أصـبحت رئيسة وزراء إسرائيل.

أثناء الانتداب البريطاني مارست المحاماة، وكانت عضوا في الوكالة اليهودية، وكان اسمها جولدا مايرسون غيرته إلى جولدا مائير، واستطاعت أن تجمـع مئـات الملايـين مـن الدولارات من يهود أمريكـا؛ لشـراء السـلاح للتنظيمـات اليهودية في فلسطين وهي صاحبة الجملة الشهيرة:

"أين هم الفلسـطينيون؟ لا يوجـد أحـد فـي فلسـطين بهذا الاسم".

إسحق رابين:

أصابعه ملوَّثة بالدماء، لقي مصـرعه علـى يـد أحـد المتطرفين، وِلدَ في القدس، وانضم إلى البالماخ عند تكوينها، واشترك مع القـوات البريطانيـة عنـدما غـزت سـوريا سنة ١٩٤١، تولى وزارة الدفاع ورئاسة الوزارة، وهو الذي أعطى أوامره بتكسير عظام أيدي أطفال الانتفاضـة ،وهـو الذي وقع اتفاقية السلام مع منظمة التحرير الفلسطينية.

شيمون بيريز:

يدَّعي أنه حمامة سلام رغم أنه لصٌ وقاتل، انضم إلى الهاجاناه سنة ١٩٤٨، وأصبح من قيادات حزب العمل، وسمي في إسرائيل بأنه مهندس تسليح الجيش الإسرائيلي، ولعب دورا هاما في تحويل إسرائيل إلى دولة نووية.

وختم حياته السياسية بارتكاب مجزرة قانا في جنوب لبنان، وفي زمنه تم ضرب مقر الفلسطينيين في تونس، وساهم في نسف فندق الملك داود بالقدس، وفي قتل الكونت "برنادوت" الوسيط الدولي، كانت صوره توزع في أوربا باعتباره أحد المطلوبين للعدالة في السنوات الأولى من عمر دولة إسرائيل.

تيودور هرتسل
ويطلق عليه اسم "أبو الصهيونية"

وِلِدَ تيودور هرتسل في مدينة "بودابسـت" سـنة ١٨٦٠، وتعلم في مدرسة حركة التنوير الفلسفية اليهودية، وكانت في مقرراتها بعيدة عن المنهج الديني في الدراسة.

في سنة ١٨٧٨ انتقلت أسرته إلى مدينة فيينا حيث حصل هرتسل على الشهادة الجامعية في القانون من جامعة فيينـا، مارس بعدها الكتابة المسرحية ثم تحوَّل إلى كاتب صـحفي، وانتقل إلى باريس حيث صدِمَ بالجو المعـادي للصـهيونية السائد هناك؛ ومنذ ذلك التاريخ بدأ هرتسل يتحسس طريقـه لإيجـاد حـل للمشـكلة اليهوديـة وأصـدر روايتـه "جيتو" أعلن فيها أن التقارب والاسـتيعاب الفـردي لحـل الملكشة اليهودية غير ممكن، وأن التقارب بـين المسـيحية واليهودية هو الاحتمال الأمثل لحل المشكلة اليهودية، وخلال محاكمة الضابط اليهودي الفرنسي الفرد دريفـوس واتهامـه بالخيانة كـان يسـمع صـوت الشـارع الفرنسـي ينـادي "الموت لليهود"؛ ومن هنا جاءت فكرة هجرة اليهود وتجميعهم

في وطن معين خاص بهم على أنه الحل الأمثـل للمشـكلة اليهودية، وأخذت تظهر إلـى الوجـود فكـرة الصـهيونية السياسية، واعتقد هرتسل أن معاداة السـامية كانـت سـمة العصر فـي ذلـك الوقـت، وأصـدر كتابـه الصـهيونية سنة ١٨٩٦، وأعلن فيه أن مشكلة اليهود ليست فرديـة بـل مشكلة شعب، وأن العالم لن يتقبل اليهود كشعب إلا إذا أصبح لهم وطن خاص بهم، وآمن هرتسل أن ذلك الوطن لن يتحقق إلا بمساعدة القوى العظمى في العالم، وأن القضية اليهوديـة أصبحت قضية سياسية.

بدأ في جمع التبرعات من أثريـاء اليهـود، وأنشـأ أول منظمة سماها المنظمة الصهيونية، وتحـدّث عـن الدولـة المرتقبة بأنها ستكون على النمط الأوربي تعتمد على التقـدُّم الحضاري الغربي والتكنولوجيا الحديثة.

أصبحت آراء هرتسل هي المؤثر الأعظـم فـي تكـوين العقلية اليهودية الصهيونية، التجمعات اليهودية فـي شـرق أوربا تحمست لآراء هرتسل بينما كانت القيادات والزعامات اليهودية أقل حماسا، ورغم ذلك دعـا هرتسـل إلـى عقـد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا سـنة ١٨٩٧،

وكان أول تجمع يهودي يتم على غير الأساس الديني بل باسم القومية اليهودية، وفي هذا المؤتمر أعلن هرتسل أن الصهيونية سوف تسعى إلى إنشاء وطن قومي لها في فلسطين، وأصبح أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية، وفي نهاية المؤتمر صرَح هرتسل بما يلي:

"ربما يضحك العالم إذا قلت إن الوطن القومي اليهودي في فلسطين قد وِلدَ الآن، وإنه خلال خمس سنوات أو خمسين سنة قادمة سوف تنشأ دولة إسرائيل في فلسطين".

بدأ هرتسل محاولاته للاتصال بالشخصيات الهامة مثل إمبراطور ألمانيا القيصر وليم الثاني، والخليفة العثماني عبد الحميد ولكنه لم يجد التشجيع الكافي فانتقل إلى بريطانيا التي عرضت عليه إنشاء وطن قومي لليهود في مستعمرة أوغندا بشرق أفريقيا، وتزامن ذلك العرض مع المذابح اليهودية في روسيا سنة ١٩٠٣؛ فقَبِلَ هرتسل فكرة الوطن العرقي في أوغندا كملجأ مؤقت ولكن المنظمة الصهيونية العالمية رفضت ذلك رفضا قاطعا؛ مما أدى إلى انهيار تلك الفكرة.

توفي هرتسل سنة ١٩٠٤، ونُقِلَت رفاته سنة ١٩٤٩ إلى إسرائيل حيث دفِنَ في مدينة القدس.

ويعتَبر هرتسل أحد أعظم الصهيونيين اليهود الـذين أدّت أفكارهم وآراؤهم إلى إنشاء دولة إسرائيل، وتعتبـر أفكـار هرتسل من أهم الكلاسيكيات الصهيونية التي كان لها بـالغ الأثر في تشكيل الحركة الصهيونية الحديثة وتطوُّرها.

ومن أقوال هرتسل في كتابه "دولة اليهود":

"سنقيم هناك في آسيا جزءا من حائط لحماية أوربا يكون عبارة عن حصن منيع للحضارة الغربية في وجه الهمجية".

"يجب أن يتم بناء الدولة اليهودية بقوة السـلاح والعنـف الجماعي المنظم؛ لأن مبدأ العنـف أساسـي فـي السياسـة الصهيونية لتحقيق غاياتها بإنشـاء الـوطن اليهـودي فـي فلسطين".

وفي معرض رده على سؤال: هل كانت الرقعة المطلوبة لإقامـــة الدولـــة اليهوديـــة تمتـــد حتـــى بيـــروت؟ أم تتعداها؟ فأجاب سنطلب ما نحتاجـه، وتـزداد المسـاحة المطلوبة مع ازدياد عدد المهاجرين.

حاييم وايزمان
زعيم الحركة الصهيونية
وأول رئيس لدولة إسرائيل

وِلدَ حاييم وايزمان عام ١٨٧٤ في مقاطعة روسيا البيضاء إحدى ولايات الدولة الروسية، وكان والده من زعماء اليهود في تلك المقاطعة، انتقل حاييم وايزمان إلى مدينة منسك عاصمة المقاطعة؛ حيث درس الكيمياء واللغة العبرية، وبدأ يتقبل الفكرة الصهيونية حيث انجذب إليها بشغف كبير، رغم أن الحكومة القيصرية الروسية كانت تقاوم الحركة الصهيونية بشدة وعنف.

ويعتقد وايزمان أن الحركة الصهيونية في حقيقتها وجوهرها نشأت في روسيا، وأن طلائع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين كانوا من منسك وشكلوا العمود الفقري للكيان اليهودي في فلسطين.

أكمل وايزمان دراسته العالية في ألمانيا، وهناك حاول تنشيط الحركة الصهيونية إلا أنه فشل؛ بسبب الحركة القومية

التي كانت تسود ألمانيا بعد عهد بسمارك، ورغبـة اليهـود الألمان في الاندماج بالشعب الألماني، وعاد وايزمـان إلـى منسك، وفي سنة ١٨٩٥ تابع دراسته العليا في جامعة برلين، وهناك التقى بعدد من الطلبة اليهود القادمين مـن جنيـف ـ ميونخ وغيرها من المدن وكانوا جميعا من المهتمين بالحركة الصهيونية، والإيمان بفكرة العودة إلى فلسطين، ومـن بـين هؤلاء الطلبة نشأ كبار زعماء الحركة الصهيونية.

وفي سنة ١٨٩٨ انتقل وايزمان إلى سويسرا حيث التقـى بهرتسل في المؤتمر الصهيوني، وأصبح وايزمان يمثل يهود روسيا في المؤتمرات الصهيونية.

وخلال المدة من ١٨٩٥ ـ ١٩٠٤ استطاع وايزمـان أن يصل إلى مركز الزعامـة للحركـة الصـهيونية والشـعب اليهودي، وعمل جاهدا لإنشـاء صـندوق المـال القـومي (الكارن كايمت) لشراء أراضي فلسطينية.

ولما اشتد اضطهاد اليهود فـي روسـيا أخـذ وايزمـان يشجعهم ويحرضهم بفكرة الهجرة إلى فلسطين.

المفاوضات الأولى مع الإنجليز:

عرضت بريطانيا على اليهود منطقة ذات حكم ذاتي فـي أوغندا، واعتقد هرتسـل أن هـذه خطـوة عمـل مؤقتـة أما وايزمان فقد انتقد الفكرة بشدة، ورفضها رفضا قاطعـا، وساعده في ذلك المتدينون الروس، وبعـد فشـل مشـروع أوغندا سافر وايزمان إلى بريطانيـا، وبـدأ يسـعى لـدى الشخصيات البريطانية؛ لكسب عطفهم مع الآمـال اليهوديـة بالعودة إلى فلسطين.

ومنذ ١٩٠٦ ـ ١٩١٤ زادت علاقة وايزمان بالزعمـاء البريطانيين وعلى رأسهم اللورد بلفـور، وأخـذت الـدعوة الصهيونية تؤتي أكلها في بريطانيا.

أول زيارة لوايزمان لفلسطين كانت سنة ١٩٠٧ ثم أتبعها عدة زيارات، وكان عدد اليهود قـد تزايـد فـي فلسـطين ومعظمهم يقيم في القدس والخليل وطبريا وصفد ويافا وحيفا.

وعند نشوب الحرب العالمية الأولى عاد وايزمـان إلـى بريطانيا، وكان قـد تجـنس بالجنسـية البريطانيـة، وبـدأ المحاولات الجادة والعملية مع زعماء بريطانيا بشأن الهجرة اليهودية، وإنشاء الوطن القومي والدولة اليهودية.

لعب وايزمان دورا هاما في إزالة الخلافات بين وجهـات النظر المتباينة لبعض الزعماء الصهيونيين في أوربا وأمريكا وتمكن من توحيد الجهود لتحقيق أهداف الصهيونية، وسـافر إلى أمريكا، واستطاع جمع مبالغ مالية ضخمة من التبرعات لشراء الأراضي في فلسطين، وأنشأ صندوق الكارن هيسـود لهذا الهدف.

وأهم إنجاز استطاع وايزمـان أن يحققـه أن اليهوديـة والصهيونية شيء واحد؛ ونجح في ذلك إلى حد بعيد.

ثم قام بدعوة المنظمات اليهودية لعقد اجتماع في سويسرا لانتخاب أعضاء الوكالة اليهودية بعد أن أقرَّها صكُّ الانتداب البريطاني على فلسطين.

وهكذا استطاع هذا الداهية أن يوحد يهـود العـالم مـن صهيونيين وغير صهيونيين، ويوجه كل قـوة اليهـود إلـى الأمل المنشود في فلسطين.

ومن الأهداف التي حققها وايزمان تطوير الجامعة العبرية في القدس، وإنشاء مبانٍ جديدة لها، وتشكيل مجلس خـاص يشرف عليها حيث تم افتتاحها رسميا سنة ١٩٢٥ بحضـور اللورد بلفور صاحب الوعد المشئوم.

وعند صدور الكتاب الأبيض لعب وايزمان دورا هاما في مقاومته سواء في بريطانيا أو الولايات المتحدة، وبذل جهـدا مع الزعماء البريطانيين من أصدقائه؛ لتحويل الكتاب الأبيض إلى وسيلة تهدئة لوقف القتال في فلسطين والحرب العالميـة الثانية تقترب من بدايتها، وهكذا خدعت بريطانيا العرب باسم الكتاب الأبيض.

وهكذا استطاع وايزمـان تبنـي موقـف يهـود العـالم وبمساعدة الأصدقاء البريطانيين وعلى رأسـهم بلـدوين ـ تشمبرلين ـ الجنرال سمطس وغيرهم مـن إحبـاط اتجـاه حكومة فلسطين؛ الأمر الذي مكن اليهود من الحصول علـى الأرباح العظيمة في السنوات التي أعقبت ذلك الكتاب.

وبفضل ذلك تدفقت الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

لعب وايزمان دورا هاما في إقنـاع الولايـات المتحـدة بإرسال النجدات والطائرات والمعدات؛ لمساعدة الحلفاء فـي مصر ضد روميل، وقد قلبت تلك المسـاعدات الأوضـاع، وتنفس يهود فلسطين الصعداء لعودة المبادرة بيـد الحلفـاء وهزيمة روميل.

عاد وايزمان إلى فلسطين سنة ١٩٤٧، وانقطـع للعلـم؛ حيث أسهم مختبره في رخبوت فـي اختـراع العديـد مـن الاكتشافات الكيماوية وخصوصا في مجال الدواء، وقد نسب لويد جورج في مذكراتـه أن مسـاعدات وايزمـان كعـالم كيماوي، ومساهمته في المجهود الحربي البريطاني بتطـوير مادة الأستون، وأن عبقريته ساهمت فـي تحسـين الوضـع العسكري البريطاني.

وقد أعلن وايزمان أمـام لجنـة التحقيـق سـنة ١٩٤٧ ما يلي:

"إنصافًا للتاريخ، واعترافًا بالواقع فإن اليهود مدينون للأبد لبريطانيا العظمى في إنشاء الوطن القومي اليهودي، والتمهيد لإنشاء دولة إسرائيل".

وعند صدور قـرار تقسـيم فلسـطين سـعى وايزمـان -ونجح- لحمل أعداد كبيرة من الخبراء والإداريين والفنيين اليهود في بريطانيا وأمريكا على الهجـرة إلـى فلسـطين؛ للمساهمة في بناء الدولة الوليدة.

ولما أُعلِنَت دولة إسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ أُنْتُخِبَ وايزمـان كـأول رئـيس لهـا، ومـات وايزمـان وهـو مازال رئيسا للدولة.

اتفاقية وايزمان ـ فيصل ٣ يناير سنة ١٩١٩:

هنالك عدة تساؤلات حول هذه الاتفاقية وهل كان الأميـر فيصل مرغما لتوقيع تلك الاتفاقية وبسبب ضـغط الحكومـة البريطانية لحضه على التوقيع أو أنه وقعها لمحاولة إرضاء لبريطانيا؛ حتى تفي بوعودها باستقلال البلاد العربية؟ وهـل صحيح أن فيصل وقع هذه الاتفاقية وهو يجهـل المكاتبـات التي تمت بين والده الملك حسين ومكماهون ممثل بريطانيـا في مصر.

وأخيرا هل صحيح أن هنالك قسطًا وتغييرا فـي بعـض نصوص الاتفاقية، وأن لورانس لعب دورا في هذا الشأن، إن أخطر وأبرز ما في الاتفاقية أن التنازلات التي قدمها فيصل في جعل فلسطين وكأنها كيان منفصـل عـن بقيـة الـبلاد العربية، وأصبحت قضية البلاد العربية في جانب، وفلسطين في جانب آخر.

جاء في الاتفاقية الموقعة من الأمير فيصل ممثل المملكـة العربية الحجازية، والدكتور حاييم وايزمان ممثـل المنظمـة الصهيونية العالمية:

أن الطرفين يدركان القرابة والصلات القديمة بين العرب والشعب اليهودي، ويتحققان أن أضمن الوسائل لبلوغ غايـة أهدافهما الوطنية والتعاون في تقدُّم الدول العربية وفلسطين.

اتفق الطرفان أن تسود أقصى درجات النوايـا الحسـنة والتفاهم، وأن يتم بعد مؤتمر السلام تحديد الحـدود النهائيـة بين الدول العربية وفلسطين، وعنـد إنشـاء دسـتور إدارة فلسطين تتخذ الإجراءات؛ لتنفيذ وعد الحكومـة البريطانيـة (وعد بلفـور) المـؤرَخ سـنة ١٩١٧، ويجـب أن تتخـذ الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مـدى واسع واستقرار اليهود فـي الأرض وممارسـة الزراعـة، ويجب أن لا يسن قانون يتدخل في ممارسة الحرية الدينيـة والعبادات والعقائد.

الأماكن الإسلامية توضع تحت رقابة المسلمين:

تقوم لجنة من الخبراء بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في فلسطين، وتقدم المنظمة الصهيونية مساعداتها للدولة العربية لاستثمار الموارد الطبيعة والاقتصادية.

أي نزاع ينشأ بين الفريقين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم.

وقد طلب فيصل إضافة التحفظات التالية، وكتبها باللغة العربية:

يجب أن يحصل العرب على استقلالهم التام، وأي تعديل أو تحويل يجعل هذه الاتفاقية ملغاة ولا قيمة قانونية لها.

وأخيرا قال وايزمان: لم يخطر ببال البعض أن رجالاً أمثال بلفور، وتشرشل، ولويد جورج كانوا متدينين في أعماق قلوبهم، ومؤمنين بالتوراة، وبأن عودة اليهود إلى فلسطين مسألة واقعية وحقيقة؛ لذلك فإنهم جعلوا ينظرون إلينا -نحن الصهيونيين- كممثلين لفكرة يحترمونها احتراما عظيما.

وقال إن مواقف بريطانيا من الحركة الصهيونية تتمثل في احتضانها لتلك الحركة، وأنها أخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ـ إن لندن هي الطريق الذي يوصل إلى فلسطين.

ديفيد بن جوريون

من أبرز زعماء الحركة الصهيونية

وِلِدَ بن جوريون في بولندا سنة ١٨٨٦، ونشأ في مدرسة يهودية أسسها والده وكان صهيونيا متعصبا، وفي سـن ١٨ سنة عين مدرسا في إحدى المدارس اليهودية في العاصـمة وارسو، وانضم إلى منظمة العمل الصهيونية.

وصل بن جوريون إلى فلسطين سنة ١٩٠٦، وانضـم إلى إحدى الكيبوزدات الزراعية، وتوجه سـنة ١٩١٣ إلـى استنبول؛ لدراسة القانون، ثم عاد إلى فلسطين أثناء انـدلاع الحرب العالمية الأولى، وقام جمال باشا بترحيله بالقوة خارج فلسطين حيث توجه إلى نيويورك عن طريـق الإسـكندرية، وعاد قبل نهاية الحرب سنة ١٩١٨ إلى فلسطين ضمن الفرقة اليهودية بقيادة جابوتنسكي التابعة للجيش البريطاني.

ثم انضم إلى مؤسسة الهستدروت،ـ وأصبح رئيسا لهـا سنة ١٩٣٥، وكذلك أُنْتُخِبَ عضوا في الوكالـة اليهوديـة، وأصبح رئيس اللجنة التنفيذية فيها، وقاد فصائل الهاجاناه في حرب ١٩٤٨ بعد أن أصبح رئيسا لها، واهتم بالبحث عـن

السلاح، واستجاب له الأمريكيون، وباعوه أسلحة بأكثر مـن مليون جنيه إسترليني هرَبها قبل بداية حرب سنة ١٩٤٨ إلى فلسطين بجانب ما كانت توفره مخازن الجيش البريطاني في فلسطين من سلاح وعتاد، واهتم بن جوريون قبل بداية حرب ١٩٤٨ بتحصين القدس وما حولها من مستعمرات، وعـزز دفاعات المدينة بقوات من الهاجاناه علـى أسـاس سـرعة السيطرة على المناطق والأحياء العربية، وبالفعل أصـبحت المستعمرات اليهودية محصنة كمواقع دفاعيـة لاسـتخدامها عندما تحين اللحظة كقواعد هجومية، **وقد تسلم من جوريون خلال الهدنة الأولى سـنة ٤٨ معـدات عسـكرية حديثـة، وبعض الطائرات، وقال: لقد كانـت الهدنـة مفيـدة جـدا للإسرائيليين، وجاءت في وقتها المناسب.**

وعنــد إعــلان دولــة إســرائيل ســنة ٤٨ أُنْتُخِــبَ بن جوريون أول رئيس لحكومة إسرائيل، وركـز اهتمامـه على تشجيع الهجرة والاستيطان، وإنشاء المستعمرات الجديدة واهتم بتعمير منطقة النقب.

وفي سنة ١٩٥٣ استقال من الحكومة، وانتقل إلى إحـدى الكيبوزدات في النقب، ولكنه عاد سنة ١٩٥٥ وتولى وزارة الدفاع، ثم رأس الحكومة للمرة الثانية.

اهتمَ كثيرا بتنميـة العلاقـات مـع ألمانيـا رغـم كـل الاعتراضات الصهيونية، واستطاع الحصول علـى أمـوال ضخمة أخذت تتدفق على إسرائيل وهي ما أسهمت كثيرا في بناء الدولة اليهودية.

وفي سنة ١٩٥٦ وكان رئيسا للوزارة الإسرائيلية شـنت القوات اليهودية هجومها المعروف على مصر، وكان هدفـه القضاء على القوة العسكرية المصـرية قبـل أن تسـتوعب السلاح الروسي الذي أخذ يتدفق عليها مـن تشيكوسـلوفاكيا سنة ١٩٥٥، وكان من أهدافه كذلك فـتح الملاحـة خـلال مضيق تيران، والوصول إلى إيلات.

في سنة ١٩٦٣ استقال ثانية من رئاسة الوزارة، وأفسـح المجال لخلفـه ليفـي أشـكول، وفـي سـنة ١٩٦٥ أنشـأ بن جوريون حزب رافي ثم ضمه إلى حزب المابـاي فيمـا بعد.

وفي سنة ١٩٧٠ انسحب بن جوريون نهائيا من الحياة السياسية وعاد إلى النقب، وتوفي سنة ١٩٧٣.

يعتبر بن جوريون من أشهر وأهم الزعماء الإسرائيليين في العصر الحديث، ومنذ سنة ١٩٣٠ حتى إنشاء دولة إسرائيل كان بن جوريون على رأس زعماء المجتمع الصهيوني تعصبا واهتماما ببناء الدولة اليهودية، ومن أهم إنجازاته: تكثيف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبناء المزيد من المستعمرات والمدن اليهودية، وعند توليه الوزارة سنة ١٩٤٨ قام بتوحيد جميع المنظمات الإرهابية والعسكرية اليهودية ودمجها معا في جيش الدفاع الإسرائيلي.

من أقوال بن جوريون:

١- إن مستقبل إسرائيل الاقتصادي وموقعها الدولي يتعلق في العلاقات التي تقيمها إسرائيل في أفريقيا وآسيا.

٢- الحل النهائي لما يسمى القضية الفلسطينية لا يمكن أن يحل إلا بالحرب؛ ولكي ننتصر في الحرب يجب أن نتفوق على الدول العربية تفوقًا عسكريا ساحقًا.

٣- لن يكون هناك أمن لإسرائيل بدون الهجـرة؛ فهـي التي تخلق واقعا استيطانيا في الأراضي المحتلة.

٤- يصف الشعب الإسرائيلي بأنـه تجمـع محـاربين وسيظل معبأ ومستفزا ومجتهدا بكل طاقاته وإمكاناته البشرية والاقتصادية والاجتماعية لحمايـة وجـوده ضد أمة ستظل تطالب باستعادة حقها المغتصب.

٥- عند إنشاء الدولة اليهودية سنة ١٩٤٨ قال إن الدولة التي نريدها ليست الهدف النهائي وليست المحطـة الأخيرة لتحقيق أهداف الصـهيونية بـل هـي أداة للتنفيذ، ووسيلة لبلوغ الهدف.

٦- بعد حرب ١٩٥٦ قال إننا وصـلنا بعـد عشـرات السنين إلى أولى مراحل استقلالنا في قسم من بلادنا الصغيرة، وإن خلق الدولة لا ينـتقص بحـال مـن الأحوال الحدود التاريخية لأرض إسرائيل.

٧- أظهر اهتماما كبيرا في سرعة الاستيطان بالقـدس وسرعة البناء والإسكان وقـال: يجـب أن نسـتقدم اليهود إلى القدس الشرقية بأي ثمن وتوطين عشرات

الآلاف في وقت قصير ـ ولو في الأكواخ ـ المهم أن يتواجد اليهود هناك.

٨- يقول بن جوريون: من الآن فصاعدا على اليهـودي ألا ينتظر التدخل الأجنبي لتحديد مصيره بل عليه أن يلجأ إلى الوسائل الطبيعية والعادية مثـل الفـانتوم والنابالم، **وأن الجيش هو خير مفسر للتوراة**.

أثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٤٢ في نيويورك، والمعروف باسم مؤتمر بلتمور، وحضره ٦٠٠ من زعمـاء يهـود العـالم المؤيـدين للحركـة الصـهيونية كـان بن جوريون من أبرز الحاضرين مـع وايزمـان، ونـاحوم جولدمان.

وسـيطر الخـلاف أثنـاء المـؤتمر بـين وايزمـان وبن جوريون حول أساليب الهجرة؛ فبينما وايزمـان يفكـر بهجرة الآلاف تلو الآلاف خوفًا من تعثر المفاوضـات مـع الإنجليز كان بن جوريون يفكر ويصرُ على هجرة الملايين، ويتصورها أن تشمل ربع يهود العالم أو أكثر، ونجـح فـي جعل المؤتمر يوافق على الهجرة الجماعية لإرسـاء دعـائم الدولة اليهودية.

عندما كان بن جوريون يرأس منظمة الهاجاناه اجتمع مع قادة المنظمة سـنة ١٩٣٩، وحـدد لهـم مهـام الهاجانـاه كما يلي:

١- الخروج من المستعمرات والقيام بالدفاع المتحـرك ومحاربة العدو.

٢- تشكيل جيش يكون بمقدوره محاربة الجيوش العربية النظامية مجتمعة.

٣- إنشاء صناعة سلاح تتسم بالفاعلية.

٤- الحصول على أسلحة ثقيلة.

وقد نشطت الهاجاناه برئاسته وخاصة في السنوات السابقة لحرب ١٩٤٨؛ حيث تم شراء مصانع سلاح مـن أمريكـا، ووصلت إلى فلسطين تحت ستار تجهيزات صـناعة، وتـم شراء دبابات وسفن وطائرات ومدافع بقيت خارج فلسـطين حتى تم مغادرة القوات البريطانية النهائية للـبلاد سـنة ٤٨، وتمكنت تحت قيادته مصانع الهاجاناه مـن صـنع الألغـام والقنابل اليدوية وذخائر البنادق والأسلحة الخفيفـة ومـدافع الهاون.

مناحم بيجين سفاح مذبحة دير ياسين

وِلِدَ مناحم بيجين في بولندا سنة ١٩١٣، ودرس القـانون في جامعة وارسو، وفي سنة ١٩٣٨ التقى بالزعيم الصهيوني المتطرف جابوتنسكي، واعتنق آراءه المتطرفة، وانخرط في صفوف الجيش البولندي عند اندلاع الحرب العالمية الثانيـة، نقله السوفيت إلى روسيا ومنها فرَّ إلى إيران فـالعراق، ثـم دخل فلسطين سنة ١٩٤٢ متسللاً إليها مـن الأردن بعـد أن عمل في صفوف قوات الحلفاء، التحق بالأرجون وسـرعان ما تربع على قمة الأرجون تسفاي ليؤمي (المنظمة العسكرية القومية) وكانت تلك المنظمات من أكثر المنظمات اليهوديـة تطرفًا ضد العرب، وترى أن إسرائيل الكبرى حق مشـروع لليهود، وأنها أرض وعدها الله لشعبه المختار، اتخذت تلـك المنظمة شعار: إسرائيل من النيل إلى الفرات.

وركز بيجين على استقطاب العناصر شـديدة التطـرف وصهرها في تنظيم عسكري هدفه الأول تفريغ الأرض مـن أصحابها العرب؛ تحقيقًا لنبوءة القدماء.

وكانت مجزرة دير ياسين في ٩/ ٤/ ١٩٤٨ التي اقترفتها منظمة الأرجون بقيادة بيجين من أشهر أعمالها الإجرامية ضد الفلسطينيين؛ وعلى أثر الضجة التي أُثيرت بعد تلك المذبحة وغيرها من المذابح الأخرى صرَح بيجين معللاً **أنه لولا دير ياسين لما قامت دولة إسرائيل،** وهو يعني بذلك أن تلك المذبحة أوقعت الرعب في قلوب الفلسطينيين في كافة أنحاء فلسطين حيث أخذوا يتزاحمون للفرار والخروج من البلاد؛ وأفسحوا المجال لليهود لاستلام الأرض فارغة من سكانها.

وبقيام دولة إسرائيل اندمجت منظمة الأرجون في جيش الدفاع الإسرائيلي أسوة ببقية المنظمات الإرهابية الإسرائيلية الأخرى وعلى رأسها الهاجاناه.

وقام بيجين بعد قيام الدولة بالاتفاق مع بعض الصقور بتأليف حزب حيروت المتطرف، وتبنى حزبه برنامج أستاذه جابوتنسكي، وتصدَر المعارضة في إسرائيل، وجنح إلى أقصى اليمين؛ وأخذ نجمه يتصاعد، ودأب على شن الهجمات ضد العرب الفلسطينيين أينما وجدت الفرصة.

وكان الخط الاستراتيجي لمناحم بيجين يقوم على النقـاط التالية:

١- إنجاز عمل عسكري يستهدف كل التراب الفلسطيني.

٢- العمل الدائم لتدمير القوى والأنظمة العربية.

٣- التحالف مع الإمبريالية الدوليـة لتنفيـذ المصـلحة المشتركة بينهما.

وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٩٧٣ تم تأليف تكتل الليكود بـين ممثلي حيروت، والأحرار، وحركة العمل من أجل إسـرائيل الكاملة.

وفي يونيو ١٩٧٧ تولى رئاسة الحكومة الإسرائيلية، وفي عهده جاءت زيارة السادات للقدس في نوفمبر سـنة ١٩٧٧، ثم محادثات السلام في الإسماعيلية حيث تقـدّم بمقترحـات رفضتها الحكومة المصرية، ثم انتهى المطـاف بمباحثـات "كامب ديفيد" واتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل.

وكان من أهم نتائج زيارة السادات إلى القدس، ثـم عقـد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل في "كامب ديفيد" انفـراط عقد التحالف العربي الذي كان يضم بصفة خاصـة مصـر وسوريا والفلسطينيين، وبدأت الانقسامات بين الدول العربية

وصـــارت أكثـــر عمقًـــا، وتحولـــت إلـــى صـــراعات عربية ـ عربية فيما بعد، وقد أشـرنا سـابقًا إلـى البنـود الأساسية لاتفاق "كامب ديفيد" فيما يتعلق بفلسطين، وفي عهده صدر قانون ضم الجولان رسميا إلى إسرائيل.

إسحق شامير

أحد أقطاب الإرهاب اليهودي في فلسطين

يعتبر إسحق شامير أحد تلاميذ الإرهاب اليهودي فلاديمير جابوتنسكي الذي اعتنق العنف المطلق؛ لتحقيق أهداف الصهيونية بالاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، وإنشاء دولة إسرائيل.

وهذه النزعة الفاشية العسكرية هي التي كوَّنت العصابات الصهيونية الإرهابية في فلسطين في سنوات الثلاثينيات والأربعينيات، وكانت منظمة شتيرن ويرأسها إسحق شامير قد انفصلت عن منظمة الأرجون سنة ١٩٣٩، والأرجون كانت قد انفصلت عن الهاجاناه بزعامة بيجين سنة ١٩٣٥.

تميزت منظمة شتيرن- وأعضاؤها عدة مئات- بالتعصب الأعمى، والاغتيالات، وتفننت في تنفيذ العمليات الإرهابية ضد العرب وكذلك ضد القوات البريطانية قبل مغادرتها فلسطين سنة ١٩٤٨، وقد اتخذت عصابة شتيرن تكتيكًا خاصا بحيث يقوم أفرادها بالعمليات المطلوبة منهم ثم يعودون إلى حياتهم اليومية.

ومن أبرز الأعمال التي تفخر بها منظمة شتيرن بزعامة شامير اغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولي الذي عينته الأمم المتحدة لحل النزاع العربي الإسرائيلي.

وكذلك قتل اللورد موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة أثناء الحرب العالمية الثانية، ومحاولة اغتيال المندوب السامي البريطاني في فلسطين السير هارولد ماك مايكل، وقتل وتعذيب الضباط والجنود البريطانيين، ونسف عدة دوائر للبوليس والأمن في فلسطين.

وكان إسحق شامير يعارض فكرة إقامة دولة فلسطين في الأردن عاصمتها عمان إلى جانب الدولة اليهودية في فلسطين وعاصمتها القدس، ويعتقد أن هذه سوف تكون تسوية مؤقتة وليست سهلة التنفيذ، وأن الأفضل إقامة حكم ذاتي في جزء من يهودا أو السامرة كما ورد في اتفاق "كامب ديفيد" بين إسرائيل ومصر.

وعندما أصبح شامير زعيما لحزب الليكود صرَح بأنه لا يوجد اختلاف كبير بين مواقف حزبه وحزب العمل وخصوصا أثناء الانتفاضة الفلسطينية؛ حيث يؤيد الحزبان ضرورة إعادة النظام في مناطق الحكم الذاتي المقترحة إلى

نصابه حتى باستعمال القوة، وكذلك عدم موافقة الحزبين على إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وعـدم التخلـي عـن القـدس كعاصمة أبدية لإسرائيل، وأن الحزبين يوافقان على أن حـل المشكلة الفلسطينية يجب أن يكون للسكان ولـيس لـلأرض، وادّعى شامير- وكان قد تولى رئاسة الحكومة الإسـرائيلية سنة ١٩٨٧ وبعد قيام الانتفاضة سنة ١٩٨٨- أن الانتفاضة محاولة لتصفية دولة إسرائيل، ويجب القضاء عليها بمنتهـى القوة من دون تردد وبحـزم وتصـميم، رغـم أن القيـادة الفلسطينية الموحدة لم تعلن أبـدا أن هـدفها تصـفية دولـة إسرائيل وتحرير كامل التراب الفلسطيني.

لماذا قتلت عصابة شتيرن بقيادة إسحاق شامير الكونـت برنادوت؟

الكونت برنادوت، وهو أحد أفراد العائلة الملكية السويدية، ورئيس الصليب الأحمر السويدي، وعينته الأمـم المتحـدة للتوصل إلى تسوية على أساس التقسيم الذي أقرّتـه الأمـم المتحدة، تقدّم برنادوت بعدة مقترحات لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي، فقد تعرّض لموضوع الهجرة اليهودية المتدفقـة إلى فلسطين، وطالب بوجوب تنظيمها وتحديـدها، واقتـرح

إجراء بعض التعديلات في قرار التقسيم مثل: ضم النقب إلى الدولة العربية، وضم منطقة الجليل إلى الدولة اليهودية على أساس إيجاد اتصال بين الدول العربية من خلال منطقة النقب بحيث تربط بين مصر والسعودية والأردن، وطالب بإدخال جميع القدس ضمن الدولة العربية مع منح الطائفة اليهودية استقلالاً ذاتيا لشئون البلدية مؤكدا أن القدس يجب أن تبقى تحت السيادة العربية، وكذلك طالب بعودة مدينة يافا من خلال جيب إلى الدولة العربية.

اعتبر اليهود الكونت برنادوت عقبة في سبيل تحقيق أهدافهم التوسعية وخصوصا بالنسبة للقدس، وفرض قيود على الهجرة اليهودية.

وكانت جماعة شتيرن بقيادة شامير هي الأكثر عنفًا واعتراضا، وبدأت الإعداد للتخلص من الوسيط الدولي، وبحث شامير تفاصيل الخطة لتنفيذ عملية الاغتيال، وتم تنفيذ ذلك في ضواحي مدينة القدس.

ملاحظة:

في سنة ١٩٧٧ كان شامير وزيرا للخارجية في وزارة بيجين، وعند تعيينه كرَّمه بيجين بصفته رئيس عصابة

شتيرن الإرهابية بإصدار طوابع بريـد إسـرائيلية تحمـل صورته ـ فعل ذلك بيجين وهو مدرك تماما ماضيه الدموي.

أرييل شارون
سفاح صبرا وشاتيلا

وِلدَ شارون عام ١٩٢٨ بفلسطين في مزرعـة جماعيـة "موشاف"، وكان أبوه فلاحا هاجر إلى فلسطين من روسـيا، وأمه ممرضة، وانضم في مطلع شبابه إلى شـرطة القـرى اليهودية، وارتبط اسمه بالعديد من المجازر ضـد العـرب، وبدعمه القوي للنشاط الاستيطاني اليهودي فـي الأراضـي المحتلة، وفي حرب ١٩٤٨ أصيب شارون بطلقات في بطنه وخصيته، وبعد الحرب عين رئيسا لاسـتخبارات المنطقـة الشمالية العسكرية، وفي سنة ١٩٥٥ سـيق شـارون إلـى محاكمة عسكرية إسرائيلية، ووجهت إليه تهمة ارتكاب سلوك لا يليق بضابط.

رأس شارون الوحدة ١٠١ التي كان هدفها ذبح وقتل أكبر عدد من العرب داخل حدود إسرائيل، **وكان بـن جوريـون يناديه يا أرييل أنت لا تصلح إلا للقتل** ونحن نريد مثله أكثر من المثقفين.

وفي حرب ١٩٦٧ كـان شـارون أحـد قـادة القـوات الإسرائيلية التي انطلقت داخل سيناء، وسقط في أيديـه آلاف الأسرى المصريين، ورفض اعتبارهم أسرى، وأجهز علـى أعداد كبيرة من الجرحى.

وشارون هو مهندس الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ في عهد وزارة بيجين، وهنالك حدثت أبشع جرائمـه وهـي مذبحة صبرا وشاتيلا؛ حيث دخلت قواتـه مـع ميليشـيات الموارنة اللبنانية المخيم الفلسطيني في صبرا وشاتيلا، وبدأت في ذبح الأطفال والنساء والشيوخ، وبلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثة آلاف، وأُجبِرَ عام ١٩٨٣ على الاستقالة من منصـب وزير الدفاع بعد أن حملته لجنة التحقيق في حـرب لبنـان مسئولية غير مباشرة في مذابح صبرا وشاتيلا، وكما وصفته مجلة تايم الأمريكية: "إنه رجل يضع الأفعى في فراش طفل" ويقول لقد أخبرت الأفعى ألا تقتل الطفـل، وهـذا بالضـبط ما حدث في صبرا وشاتيلا.

وبقي شارون بلا وزارة بين عام ١٩٩٠ ـ ١٩٩٢ حيث نسق حملة استيطانية دفعت الرئيس الأمريكي السابق جورج

بوش إلى تجميد ضمانات قروض لإسرائيل بقيمـة عشـرة مليارات دولار؛ لتمويل استيعاب المهاجرين.

وشارون يؤمن إلى حد الهوس أن لا مكان للفلسـطينيين على كافة أرض فلسطين، وأنه يجب تهجيرهم إلـى الـدول العربية المجاورة سواء بالقوة أو الاتفاق.

ويؤمن شارون بأن الاستراتيجية الإسـرائيلية يجـب أن تنطلق من الهجوم لا الدفاع، وممارسة الإرهاب علنًـا ضـد العرب.

ويؤمن أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن العرب هـم حثالة المجتمعات، وأن قتلهم وحرقهم وذبحهم واجب وطنـي إسرائيلي، ويؤمن كذلك بأن السلام ستدفع إسـرائيل وحـدها ثمنه، وأن الذين ينادون بالسلام مع العرب حمقى ويصـلون إلى حد الخيانة.

ويصرح شارون دائما- وقد اختار الانتقام مـن العـرب حتى آخر عمره- أن الجسد العربي مطرز بالشقوق والحفر والأنفاق، وأن قدرة الجيش الإسرائيلي تستطيع دائما كشـف العورات العربية.

إن شارون أكبر سفاح في تاريخ إسرائيل - صحيح أن السفاحين في إسرائيل كثيرون، وصحيح أيضا أن كثيرا من القادة السياسيين وبناة دولة إسرائيل هم في الأصل قادة في المنظمات الإرهابية وجاءوا إلى الحكم وأيديهم ملطخة بدم العرب.

قام شارون بعملية تهريب يهود الفلاشا من أثيوبيا بالاتفاق مع الرئيس جعفر النميري، وتولى الوساطة بينهما عدنان قاشقجي، وتمكن حتى ١٩٨٤ من نقل ثمانية آلاف أثيوبي يهودي إلى إسرائيل.

وجاء أخيرا إعلان قرار رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو بتعيين أرييل شارون وزيرا للخارجية هو رسالة إلى السلطة الفلسطينية والشعب الفلسطيني، ومعناه أن نتنياهو اختار الماضي، وأمن إسرائيل، والمذابح.

ملاحظة:

١- إن جدة شارون كانت الداية التي سحبت بيجين إلى الحياة في أرض الشتات، وكان جد شارون صديقًا حميما لوالد بيجين.

وقد أصبح شارون معبودا لسفاح محترف مثل بيجين، وقد تحالفا معا في أول حكومة تشكّلها كتلة الليكود سنة ١٩٧٧.

٢- في مذكراته يروي شارون أن الرئيس أنور السادات استدعاه؛ ليضع نموذجا للري في مزرعته في ميت أبو الكوم وذلك بعد توقيع معاهدة الصلح مع إسرائيل، وبعد إنجاز المهمة داعب شارون السادات قائلاً: سيأتي يوم ونطالب بهذه المستوطنة التي زرعناها في ميت أبو الكوم؛ فرد عليه السادات في هذه الحالة سندمرها كما دمرت مستوطنة ياميت قبل انسحابكم من سيناء.

القوانين التي سنتها إسرائيل بغرض الاستيلاء على الأراضي العربية

لقد سنت حكومات الكيان الصهيوني عشـرات القـوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين العرب، وتم ذلـك بعدة طرق:

١- **قانون الطوارئ**: وصدر عام ١٩٤٩، وتم بموجبـه مصادرة الأرض العربية في مناطق الحدود، وكانت نسبة السكان العرب ٨٠ ٪ وتشمل مناطق الجليـل الأعلى والمثلث والنقب بحجة المحافظة على أمـن الدولة، وأمكن انتقال أخصب الأراضي العربية إلى حكومة إسرائيل.

٢- **قانون الأراضي البور**: خوَّل هذا القـانون وزيـر الزراعة الاستيلاء على الأراضي التـي لـن يـتم زرعها خلال مدة معينة، وتتلخص اللعبة أن الحاكم العسكري الإسرائيلي كان يرفض إعطاء تصـاريح للمزارعين العرب خارج حدود البلدة التي يقيمـون بها؛ وبهذا يتم نزع ملكية تلك الأراضـي ومنحهـا للمزارعين اليهود.

٣- **قانون أملاك الغائب**: صدر سنة ١٩٥٠، وقد اعتبر كل عربي غادر قريته إلى قرية أخرى تحت ضغط الظروف غائبا وتتم مصادرة أملاكه؛ وبموجب هذا القانون فقد العرب أكثر من ٣٠٠ ألف دونم ووضِعت تحت تصرُّف الهيئات اليهودية.

٤- **الاستيلاء للأغراض العسكرية**: صدر سنة ١٩٥٢، وهو يجيز مصادرة الأراضي اللازمة للمشروعات العسكرية؛ وبهذا القانون تم الاستيلاء على أراضٍ واسعة من أملاك العرب الفلسطينيين.

٥- **قانون نسف القرى**: بحجة التضييق على المواطنين الفلسطينيين وحملهم على ترك البلاد ومن الأمثلة نسف قرية إقرت القريبة من الحدود اللبنانية، وهدم قرية كفر برعم القريبة من الحدود اللبنانية، وتدمير قرية اليحانة قرب الحدود السورية، وقد صودرت أراضي تلك القرى بموجب قانون استملاك الأرض الذي أقرَّه الكنيست في سنة ١٩٥٣، وصودرت أراضٍ أخرى في منطقة المثلث، وتم ترحيل بدو منطقة النقب، وبلغ مجموع القرى التي تم الاستيلاء على أراضيها ٢٣ قرية عربية، وتم طرد سكانها.

٦- **قانون ضريبة التحسينات**: يقضي بفرض ضـريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتهـا ٥٠ ٪ مـن قيمة التحسين بحجة تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية الحديثة؛ وأدى ذلك بكثير من المزارعين إلى تـرك أراضيهم بسبب ضيق ذات اليد.

٧- **قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة**: وأدى ذلـك إلى طرد المزارعين الفلسطينيين من أراضي الدولة التي كانوا يستغلونها منذ العهـد التركـي وعهـد الانتداب البريطاني؛ لأنهم لا يملكون الوثائق التـي تثبت ملكيتهم للأرض، وتم مصادرة حـوالي ١٥٠ ألف دونم من ١٧ قرية عربية بموجب هذا القانون.

٨- **قانون أراضي التدريبات العسـكرية**: وفـي سـنة ١٩٨٢ أغلقت السلطات الإسرائيلية حوالي ٣٥ ألف دونم في منطقة المثلث، و ٢٥ ألـف دونـم مـن أراضي قرية شفا عمرو؛ وذلك بحجة تخصيصـها للتدريبات العسكرية.

مشروعات المياه الإسرائيلية المستقبلية

لا شك أن حاجة إسرائيل إلى المياه تزداد عاما بعد عام، وهذا ما يجعل مراكز البحث الإسرائيلي تسـعى باسـتمرار للوصول أو البحث عن مصادر إضافية للمياه، ومن المتوقع أن تواجه إسرائيل عجزا مائيا كبيرا إذا استمرت تعتمد على مصادر المياه الحالية، والإسرائيليون يأخذون في حسابهم هذه المشكلة أيضا بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط برمتـه، وفـي تقديراتهم أن الطلب التقديري على المياه في المنطقـة الـذي كان ٧٣,٢ بليون متر مكعب سنة ١٩٨٥ سوف يصل إلـى ٩٢ بليون متر مكعب عام ٢٠٠٠، وإلى نحو ١٤٩ بليـون عام ٢٠٢٠.

والواقع أن الفكر الصهيوني في البحث المسـتقبلي عـن المصادر المائية الإضافية قد شمل عددا من الخيارات حتـى سنة ٢٠٢٠ منها مشروعات تحلية؛ لمنع اعتمادهم في ذلـك على جيرانهم، ولأن إسرائيل التي يبلـغ إجمـالي إنتاجهـا القومي حسب المصادر الإسـرائيلية نحـو٦٠ بليونًـا مـن الدولارات ربما يمكنهم من تحمل تكاليف التحلية ولو بأسعار مرتفعة؛ حيث تبلغ تكاليف تحلية المياه طبقًا لأرقـام البنـك

الدولي بما بين ١,٦ ـ ٢,٧ دولارات للمتر المكعب، إلا أن اللجوء إلى التحلية يتضمن استيراد الطاقة فضلاً عن تـدبير مساحات من مياه البحر النظيفة، ويتطلب أي مشروع للإمداد بمياه التحلية بطاقة قدرها ٢٥٠ مليون متر مكعـب سـنويا استثمارا يصل إلى بليون دولار.

بيد أن الأمر الـذي يقـض مضـاجع الإسـرائيليين أن المشروعات من هذا القبيـل سـوف لا تغطـي احتياجـات إسرائيل في العقدين القادمين.

وتذهب المصادر البحثية الإسرائيلية إلى أن الطلب المقدَر للاحتياجات الإسرائيلية للمياه التي كانت في عام ١٩٨٥ قـد بلغت ١,٩ بليون مترا مكعبا سوف تصل في عام ٢٠٠٠ إلى ٢,١ بليون متر كعب، وتصل عام ٢٠٢٠ إلـى نحـو ٣,٦ بليون متر مكعب (ويدخلون في تقديراتهم هـذه احتياجـات الفلسطينيين) ومن ثم فإن جهود التحلية لن تكفي لسـد هـذه الزيادة الكبيرة في الطلب على المياه.

ومن المشروعات الأخرى التي لجأت إسرائيل لدراسـتها مشروعات توصيل البحر المتوسط بالبحر الميـت والبحـر الأحمر بالبحر الميت ولكن سرعان ما تبين أن هنالك بعض

المشكلات الفنية من مزج مياه البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت.

تتلخص في أن عمليتي البلورة والتسوية تتسببان في تكون كميات كبيرة من الجبس في الماء؛ مما يعمل علـى تغييـر التوازن الكيميائي في البحر الميت والإمكانيـات السـياحية والعلاجية، فضلاً عن قيام صناعات إسرائيلية أخرى وأردنية تعارض إقامة مثل هذه المشروعات، بالإضافة إلى أن عملية التحلية تكون اقتصادية فقـط بـالقرب مـن مراكـز هـذه المشروعات؛ ومن هنا صارت الطريقة المثلى مـن ناحيـة الجدوى في استيراد المياه التركية.

وتشير المصادر الإسـرائيلية - دون مواربـة - إلـى أن استيراد المياه من تركيا قد يصبح بالنسـبة لإسـرائيل مـن الأمور التي لا يمكن الاسـتغناء عنهـا؛ لأنهـا مـن أقـل المشروعات انطواء على العنصر السياسي عما عداها مـن مشروعات.

ويتلخص هذا الاتجاه في صادرات تركيـا مـن الميـاه المحمولة بحرا في سفن عملاقة، وتمثلت الفكرة فـي حمـل المياه بأكياس في عبوات بلاستيكية عائمة ضخمة تكون سعة

الواحدة مليون متر مكعب؛ لتتجه صوب منطقة غزَّة ومنهـا إلى إسرائيل بمستوى سـعر لا يتجـاوز ٢٥ سـنتًا للمتـر المكعب.

على أن هناك خيارا تركيا آخر تضعه إسـرائيل ضـمن حساباتها وهو مشروع خط أنابيب السلام- وهو ما كان قـد اقترحه الرئيس التركي الراحل أوزال عام ١٩٨٦- يهـدف إلى إمداد تسعة من دول الشرق الأوسط (ولم تكن إسـرائيل من بينها) بنحو ٢,٢ بليون مترا مكعبا من المياه عبر خطين من الأنابيب أحدهما يبلغ طوله ٢٦٥٠ كيلو مترا إلـى مكـة وجدة، وآخر طوله ٣٩٠٠ كيلو متـر يصـل إلـى دولـة الإمارات، وكان المفترض أن يأتي الماء مـن منابعـه مـن نهرين في جنوب شرق آسيا هما جيهـان وسـيهان بتـدفق سنوي مشترك ١٤ بليون متر مكعـب؛ ونظـرا لأن هـذا المشروع كانت تكتنفه مشكلات تكنولوجية وأخرى سياسـية وتاريخية فقد أحجمت عنه الدول البترولية فـي الخلـيج، وفضلت اعتمادها على التحلية.

وهناك مشاريع أخرى اشتركت في دراستها أمريكا لسحب المياه من نهري جيهان وسيهان لتنتهي في عمان ودمشـق، وكانت التكلفة التقديرية بين ٤ ـ ٥ بلايين دولار.

ثم جاء الاختيار الخاص بشق قناة السلام التي شاركت في إعداده إسرائيل ويتكون على مرحلتين الأولى: التفاوض مـع تركيا وسوريا والعراق حول كمية المياه التي يمكن تحويلهـا من نهري جيهان وسيهان إلى الفـرات علـى مسـافة ٢٤ كيلومترا، والمرحلة الثانية تستخدم عامل الجاذبيـة لتحويـل المياه من سد أتاتورك في أعالي الفرات من خلال خطـوط أنابيب وقنوات إلى سوريا والأردن وإسرائيل.

ومما تقدم تتضح أهمية الخيار التركي في معادلة الميـاه الإسرائيلية المستقبلية سواء تغيرت الأوضاع السياسية بـين العرب وإسرائيل أم لم يصبها التغير خلال العقدين الـزمنيين القادمين في أغلب الاحتمالات.

المستوطنات اليهودية في فلسطين كلمة مستعمرات استبدلت بكلمة مستوطنات

بداية الاستيطان اليهودي في فلسطين كـان سـنة ١٨٨١ حينما اتجه بعض اليهود الروس إلى فلسـطين؛ هربـا مـن اضطهاد الحكومة القيصرية الروسـية، وأخـذت الهجـرة اليهودية تأخذ طابع الاستيطان مع بداية الموجة الثانية مـن سنة ١٩٠٣ ـ ١٩١٣، وكان أغلب مهاجري هذه الموجة من طبقة العمال يمولهم بعض الأثرياء اليهـود الـذين أقـاموا المستوطنات الأولى في فلسطين مستعمرة بتاح تكفا (ملبس) ـ مستعمرة ريسشون ليتسيون (عيون قارة) وبعض المراجع تعتبر عيون قارة أول مستعمرة أنشئت في فلسطين، ومراجع أخرى تعتبر ملبس أول مستعمرة، وأعتقد أن المسـتعمرتين أنشئتا في وقت متقارب مسـتعمرة الخضـيرة، ومسـتعمرة روشبينا واستغلوا عدم معارضة الدولـة العثمانيـة بقيـادة حكومة الاتحاد والترقي التي سمحت لهم بشراء الأرض من كبار الإقطاعيين من خارج فلسطين.

أما الموجة الثالثة التي اتسمت بالأعداد الكبيرة من المهاجرين اليهود فقد بدأت وتضخمت بعد احتلال بريطانيا لفلسطين، وإصدار وعد بلفور، وفتح أبواب فلسطين على مصراعيها لتدفق الهجرة اليهودية - وكان إنشاء المستوطنات الجديدة، وتوسيع المستوطنات القائمة هو الهدف الأساسي الذي يرتكز حوله نوايا الصهيونية العالمية بهدف تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود؛ وتحقيقًا لهذا الهدف أصدرت حكومة الانتداب البريطانية القوانين واللوائح والأوامر، وأخذت المسيرة اليهودية في قضم الأرض العربية الفلسطينية قطعة وراء قطعة.

تنبه الشعب الفلسطيني للخطر المحدق بوطنه، وأخذ يقاوم هذا المخطط بإمكانياته المحدودة أمام أعتى قوتين في العالم: الإمبراطورية البريطانية، والصهيونية العالمية، وقام بعدة ثورات وهبات دفع ثمنًا لها آلاف الضحايا والشهداء، وكان مطلبه الرئيسي إيقاف تدفق الهجرة اليهودية، ومنع الاستيطان اليهودي في البلاد، وكان هذا الطلب يقابل دائما بالرفض من قبل الحكومة البريطانية؛ لأن العمود الفقري لقيام دولة إسرائيل كان أساسه الهجرة والاستيطان والاستيلاء على

الأرض الفلسطينية بكافة السبل وبحماية القوانين الجائرة التي أصدرتها حكومة الانتداب.

فشلت جميع المحاولات الفلسطينية والعربية والدولية لوقف طوفان الاستيطان اليهودي أو على الأقل الحد من انتشاره، وتمكنت الصهيونية العالمية بمساعدة الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية من اكتساح جميع الحواجز والقوانين والاتفاقات الدولية، وأخذ بناء المستوطنات يتسع ويتمدد ويصادر حق الحياة والوجود للشعب الفلسطيني.

ويلاحظ دائما أن إقامة المستوطنات ارتبط بالخطط العسكرية الصهيونية قبل إنشاء دولة إسرائيل وبعد قيامها، وذلك في تعيين نوعيتها وطريقة بنائها وموقعها، ولو بحثنا عن المستوطنات الإسرائيلية لرأينا أغلبيتها الساحقة بنِيت في مواقع استراتيجية تسيطر على طرق المواصلات الهامة أو منافذ ومعابر تهدد سكان المدن الفلسطينية، وكانت المستوطنة الإسرائيلية تشبه الحصن المستقل القادر على الصمود، وبه الاحتياط الكافي من المؤن والذخيرة ووسائل الحياة.

أقيمت عدة أنمـاط مـن المسـتوطنات فـي الأراضـي الفلسطينية وأهمها وأشهرها:

الكيبوتز: وهي كلمة عبرية معناها (لم الشمل) وهي قرية جماعية أراضيها ومبانيها وأدواتها كلها ملك جماعي لأهـل القرية، والحياة فيها مشتركة، وقد برز هـذا النـوع خـلال الموجة الثالثة في أعقاب الحرب العالمية الأولى مـن سـنة ١٩١٨ ـ ١٩٢١.

الموشاف: معناها بالعبرية (المسـتعمرية) وهـي قريـة يملكها صغار الملاك الذين يملكون الأراضي، وتعتمد علـى مجهودهم الفردي في زراعتها وإدارتها، وظهر هذا النـوع خلال الهجرة اليهودية الأولى من سنة ١٨٨٢ ـ ١٩٠٤.

وهناك أنواع أقل شيوعا وهي عادة نقط استيطان تسـبق الاستيطان الدائم.

وهناك منظمة الناحال التي تتولى تدريب الشباب المهاجر تربية عسكرية، وإقامة معسكرات لتؤهل الشباب، وتعلمهـم أيضا وسائل الزراعة.

لم يتوقف بناء المستوطنات أو يتباطأ رغم الاتفاقات التي أُبرمت بين إسرائيل والفلسطينيين، وأصبح الوجود الفلسطيني

للأرض المحتلة في السنوات الأخيرة يشبه نتوءات متفرقـة من تقطعة الطرق والمستوطنات التي تتحكم فيها إسـرائيل، ولو نظرت إلى خريطة فلسطين الآن لرأيتها تعـجُ بـالنقط السوداء التي تغطـي كافـة الاتجاهـات مـن الأراضـي الفلسطينية؛ وهذه النقط ترمز إلى المستوطنات.

أقامت إسرائيل حتى سـنة ١٩٨٢ ـ ٢٠٥ مسـتوطنات داخل الأراضي العربية في قطاع غزَة والضفة الغربية، وفي الأراضي الفلسطينية داخل إسرائيل نفسها.

٧٩ مستوطنة في الضفة الغربية وغور الأردن.

١٤ مستوطنة في الجولان السوري المحتل.

١٠ مستوطنات في قطاع غزَة.

١٠٢ مستوطنة في الأراضي التي احتلتها إسرائيل سـنة ١٩٤٨ وخاصة منطقة الجليل التي أقـيم فيهـا وحـدها ٦٤ مستوطنة.

وفي عام ١٩٩٧ كان عدد المستوطنات الإسـرائيلية قـد ازداد وتضخم وأصبح كما يلي:

١٨٦ مستوطنة في الضفة الغربية يسـكنها ١٤١ ألـف نسمة.

٢٠ مستوطنة في قطاع غزّة يسكنها ٦ آلاف نسمة.

٤٣ مستوطنة في الجولان يسكنها ٢٠ ألف نسمة.

أما المستوطنات التي أقيمـت حـول القـدس الشـرقية (العربية) فقد بلغ عدد سكانها سنة ١٩٩٧ ـ ١٧٠ ألف نسمة ومنذ إعلان أوسلو صادرات إسرائيل ٧١ ألف دونم ؛ لإقامة مستوطنات فوق أرضها.

وتحاول إسرائيل إنقاص الوجود الفلسطيني قدر الإمكان، ويتم ذلك بالإضافة إلى بناء المسـتوطنات، ومـد الطـرق، والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية متذرعة بشتى القوانين والأوامر والأحكام القضائية الجائرة، والسيطرة على مصادر المياه، وعرقلة بناء المساكن، وتهـديم المسـاكن القائمـة، والضـرائب الباهظـة، ورفـض إعطـاء رخصـا للبنـاء أو الحيلولة دون التنمية الاقتصادية في المنـاطق العربيـة، والتلاعب بالعمالة الفلسطينية؛ مما أدى إلى بطالة واسعة في المناطق العربية.

ربما تكون إسرائيل قد توقفت مؤقتًا عـن تحقيـق حلـم إسرائيل الكبرى كما رسمه الصهاينة الأوائل من النيل إلـى الفرات، واكتفت بالأراضي الفلسطينية جميعهـا وأراضـي

الجولان وجنوب لبنان التي تملكها حاليا، ويظهر أن إسرائيل اتجهت إلى محاولات أخرى للسيطرة علـى المنطقـة مثـل التفوق الاقتصادي والتكنولوجي دون اللجوء إلى الحرب مع بقاء ميزان القوى دائما يميل إلى مصلحتها مـع بـذل كـل الجهود بالاشتراك مع الولايات المتحـدة الأمريكيـة لإبقـاء العرب في موقع الضعف والتخلف.

إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لم يرسم لهـا حدود دائمة؛ فهوس العظمة الذي تعيشه إسرائيل يجعلها تفعل كل شيء وبأي ثمن؛ لكي تبقى صـاحبة الصـوت الأقـوى والأعلى في المنطقة العربية.

والتاريخ لا يزال يذكر بالعار المفارقـة المشـينة التـي تمارسها أمريكا والدول الغربية وهي أن مـوت إسـرائيلي داخل الأراضي الفلسطينية يعتبر عملاً إرهابيا يوجب العقاب الصارم بينما مذبحة " قانا " الشهيرة التي راح ضحيتها مئات المدنيين ليست إلا حقًا ودفاعا عن النفس تمارسه إسرائيل.

وبعد أن هز الحجر في الانتفاضة الفلسـطينية المجتمـع الإسرائيلي، ولفت نظر العالم للممارسات الإسرائيلية، وأخذت القضية الفلسطينية تطفو على السطح ولم تعد منسية أخـذت

طريقة المفاوضات والاتفاقات السرية تحل محل الانتفاضـة وظهرت "أوسلو١" و"أوسلو٢"، ونحن الآن نحصد ما ارتكبناه في ظلام أوسلو، وضاعت فرصة الانتفاضة التي لن تتكـرر الآن، وأصبحنا نستجدي أمريكا التي لا تنظر إلـى منطقـة الشرق الأوسط وفلسطين إلا بالمنظار الإسرائيلي، وأصبحت القضية الفلسطينية تتركز الآن فقط في تحقيق أمن إسرائيل.

وكلنا ينتظر عطف أمريكا لتنفيذ الوضع المتردي والخطط التي تنفذها إسرائيل خطوة وراء خطوة.

عقب الانتهاء من كتابة هذا البحث حـول المسـتوطنات الإسرائيلية في فلسطين أعلنت الحكومـة الإسـرائيلية فـي منتصف شهر أغسطس سنة ١٩٩٧ عن خطة جديدة تعتـزم تنفيذها بهدف تكثيف المسـتوطنات اليهوديـة فـي القـدس الشرقية، وتشمل الخطة توسيع ١٦ مستوطنة حـول القـدس الشرقية، وأكد البيان أن مستوطنة جبل "أبو غنيم" سوف تضم ١٨ ألف وحدة سكنية في مرحلتيها الأولى والثانية، وأخيـرا قال البيان إن خطط الحكومة الإسرائيلية لتكثيف الاسـتيطان في الأرض الفلسطينية تصل تكلفتها إلى ٢,٣ مليار دولار.

المخطط الصهيوني لتكثيف الاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة

هذا المخطط الإسرائيلي يستهدف تكريس الاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وجنوب قطاع غزّة والجولان؛ وبالتالي تهويد تلك الأراضي، وخلق أمر واقع يصعب جدا تغييره أو حتى التفاوض بشأنه.

وهو إلى جانب ذلك يكرس إمكانية التدخل العسكري الإسرائيلي ضد المناطق التي في حوزة الفلسطينيين في حالة وجود أي تهديد تعتقد إسرائيل أنه يهدد أمنها.

ونذكر كيف أصرّت إسرائيل على بقاء ٤٠٠ يهودي في وسط مدينة الخليل؛ لتكون دائما سببا للتدخل العسكري ضد مائة ألف فلسطيني يعيشون في المدينة.

وحسب إحصاء ١٩٩٨ يوجد لإسرائيل في المناطق المحتلة ٢٠٥ مستوطنات موزعة كالآتي:

في الجولان السوري المحتل ٣٧ مستوطنة يسكنها ١٤ ألف مستوطن، وهنالك مشروع لبناء ألفي منزل في الجولان.

في الضفة الغربية ١٥٠ مستوطنة يسـكنها ١٤٥ ألـف مستوطن.

في جنوب غزَّة ١٨ مستوطنة يسكنها ٤ آلاف مستوطن.

والتخطيط المستقبلي حتى عام ٢٠١٠ يهـدف أن يصـل عـدد المسـتوطنات فـي الأراضـي المحتلـة إلـى ٢٥٠ مستوطنة تضم بين ١ - ٢ مليون يهودي أغلبهم فـي غور الأردن، وحول المدن الفلسطينية خاصة في القدس.

وتشكل المواقع الاستيطانية ثلاثة أحزمة رئيسـية تقسـم الضفة الغربية طوليا إلى ثلاث شرائح:

الشـريحة الأولـى: وتمتـد بطـول غـور الأردن.

الشريحة الثانية: على امتداد المرتفعات الشـرقية للضـفة الغربية، وتمتد من الجنوب الشرقي لبيت لحم وحتى بيسـان شمالاً.

الشريحة الثالثة: تمتد من القدس جنوبا وحتى جنين شمالاً بمحاذاة حدود ٤ يونيه ١٩٦٧، وتتقاطع هذه الأحزمة الطولية من المستوطنات عرضيا لتقسم الضفة الغربية إلى شـطرين

منفصلين أحدهما شمال القدس الكبرى، والآخر يشمل القدس والمنطقة جنوبها.

وبهذا التخطيط أصبح الفلسطينيون محاصرين في ثـلاث مناطق هي:

نابلس ـ رام الله ـ الخليل.

وقد أضيف إلى هذه الأحزمة والكتل الاسـتيطانية خـط استيطاني جديد داخل الأراضي المحتلة (الخـط الأخضـر) ويشمل ١٥ مدينة وقرية، والثـاني فـي الضـفة ويشـمل ٤٥ مدينة وقرية يمتد من قباطيية وحتـى باقـة الشـرقية، ويشمل عددا من قرى لواء جنين.

أما الاستيطان في القدس فإن الهدف هو إحاطتها بحزامين من المستوطنات؛ بحيث تتحول القدس إلى عاصـمة كبـرى تتلاحم فيها مدينة القدس من خلال المستوطنات مع مدن رام الله في الشمال، وبيت لحم في الجنوب، ومستوطنات أريحـا في الشرق ومستوطنات عتسيون في الغرب.

والمستهدف أن يقفز عدد اليهود في القدس الشرقية مـن ١٥٥ ألف يهودي حاليا إلى ٧٥٠ ألفًا عام ٢٠١٠، ويهدف هذا المخطط إلى زيـادة ممارسـات الجـيش الإسـرائيلي

والمستوطنين اليهود في إزعاج العرب الفلسطينيين وحـثهم بمختلف وسائل الترغيب والترهيب على تـرك أراضـيهم؛ لضمها إلى إسرائيل.

وتحاول إسرائيل أن تعالج مشاكل أمنها من خلال تطبيق استراتيجية تنفذها على كل من السياسة الخارجية والسياسـية الدفاعية وتتمثل في ثوابت الأمن الإسرائيلي:

١- لا لإقامة الدولة الفلسطينية.

٢- لا لمناقشة قضية القدس.

٣- لا لإيقاف عمليات الاستيطان.

٤- لا للانسحاب الكامل من الجولان والضفة الغربية.

٥- لا للتخلي عن الحزام الأمنـي فـي جنـوب لبنـان بلا ضمانات أمنية.

٦- لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين.

٧- لا لامتلاك أية دولة عربية لسلاح نووي.

٨- لا لأي خلل في الميزان العسكري القائم حاليا بـين العرب وإسرائيل لصالح العرب.

٩- لا لحرمان إسرائيل من مطالبها المائية في الأنهـار العربية.

١٠- لا لضـغوط أمريكيـة علـى إسـرائيل لقبـول ما يتعارض مع متطلبات أمنها وأهـدافها وغاياتهـا القومية العليا.

ولتحقيق أهدافها الاستراتيجية تحاول إسرائيل الحصـول علـى جميـع أسـرار التكنولوجيـا المتاحـة فـي العـالم بل والمنتظر أن تتاح مسـتقبلاً وجـاري أعمـال البحـث والتطوير بشأنها.

تفاصيل خطة توسيع المستوطنات الإسرائيلية بالضفة والقدس

بناء ١٤ ألفًا و ٦٠٠ وحدة سكنية في ٩ مستوطنات.

جاء في وكالات الأنباء تفاصيل خطـة بنـاء وتوسـيع المستوطنات الإسرائيلية في القدس، وباقي منـاطق الضـفة الغربية؛ تستهدف بناء ٣٠ ألف وحدة سكنية تنفـذها وزارة السكان على مراحل، وقد تمت الموافقة على بنـاء ١٤ ألفًـا و ٦٥ وحدة سكنية منها، وتنتظر باقي الوحـدات تصـديق وزارة الدفاع الإسرائيلية للبدء في إنشائها بعد موافقة لجنـة التخطيط الخاصة بالضفة الغربية على ذلك.

تشمل الخطة مضـاعفة عـدد الوحـدات السـكنية فـي ٩ مستوطنات على النحو التالي:

- بناء ٦٥١ وحدة سكنية في مستوطنة "معاليه أفـرايم" بمنطقة غور الأردن والتي تشمل حاليا ٤٠٠ وحـدة سكنية.

- بناء ٩٢٠ وحدة في مستوطنة "إفرات" التي يوجد بها ١١٥٠ وحدة سكنية حاليا.
- بناء ٦٣٣٠ وحدة سكنية في مستوطنة "بيتار عيليت" غرب بيت لحم.
- بناء ٢٢٠٠ وحدة سكنية في مستوطنة "جيفع بنيامين" إلى جانب ٩٢١ وحدة تمت الموافقة بالفعـل علـى إنشائها.
- ١٣٠٠ وحدة سكنية في مستوطنة "وجيفعات زئيف".
- ٨٣٠٠ وحدة سكنية في مستوطنة "معالية أوديم" التي يقطنها حاليا ٢٠ ألف نسمة.
- ٦٧٤١ وحدة سكنية في مستوطنة "عوفريم".
- مضـاعفة الوحـدات السـكنية فـي مسـتوطنة "ألفي منشئة".
- ٣٦٩٠ وحدة سكنية في مستوطنة "أرئيل" التي تضم حاليا ٣٣٠٠ وحدة.

تعليق:

هل الطريق الذي تسلكه السلطة الفلسطينية والدول العربية في تعاملها مع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكيـة هـو طريق إنقاذ الوطن الفلسطيني؟ هل المهم أن يعترف بنا العالم ويتعامل معنا ويستقبلنا في المحافل الدولية ليستمع إلى حديث الحقوق الضائعة والعدالة الغائبة ويستمع منا عـن التعنـت الإسرائيلي وعـن الانتهاكـات الإسـرائيلية والممارسـات الإسرائيلية؟ إذا كان الأمر كذلك فنحن "نستاهل" كل ما حدث لنا وما سيحدث.

سادة الإرهاب

أثبت الصحفي السويدي بيـورن كـوم بالـدليل القـاطع والوثائق التاريخية أن اليهود هم أول شعب مارس الإرهـاب المنظم في التاريخ.

لقد قام اليهود القدماء بعمل تنظيم سري لاغتيـال رجـال الحكم الروماني في فلسطين، وأشاعوا الرعب والفوضى في المنطقة؛ بهدف السيطرة عليها، ويصـف كتـاب الصـحفي السويدي اليهود بأنهم شعب برع في مجال الإرهاب، وتقـدَم في مجال الجاسوسية.

ويرى الكاتب أن الممارسات الإسـرائيلية الحاليـة ضـد الفلسطينيين لا تختلف كثيرا عن فظائعهم ضـد الكنعـانيين تحت الحكم الروماني، وأوضح أن الوكالة اليهوديـة التـي أنشأتها المنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٩٢٠ كـان لهـا جهاز خاص للتجسس، وهو جهاز كانت له فروع في جميـع الدول العربية والأوربية.

وفـي سـنة ١٩٣٧ تحـوَل جهـاز التجسـس بقيـادة بن جوريون إلى منظمة مستقلة تماما، وتحولت بدورها سنة

١٩٤٠ إلى إخطبوط سري يضم مخربين وعملاء بجميع مدن وقرى فلسطين.

وركزت هذه المنظمة جهودها على شن حملات سـريعة للإرهاب، وإشعال حروب صغيرة في العالم العربي.

ونلاحظ على الإرهاب اليهودي أنه بدأ قبل نشـأة دولـة إسرائيل ثم تطوَر بعد نشأتها فصار إرهابا للدولة يأخذ شكل العنصرية والتوسع، ويصيب أحيانًا اليهود أنفسهم.

وفي سنة ١٩٤٠ عمد القادة الصـهاينة فـي الهاجانـاه ـ وكان رئيسها بن جوريون ـ إلى إثارة المشـاعر ضـد الإنجليز الذين قرروا إنقاذ اليهـود المهـددين مـن هتلـر باستقبالهم في جزيرة موريس، وحين رست البـاخرة التـي تنقلهم في ميناء حيفا يوم ٢٤ ديسـمبر ١٩٤٠ لـم يتـورع هؤلاء القادة علـى تفجيـر البـاخرة فقُتِـلَ فـي الحـادث ٢٥٢ يهوديا بريئًا، وعدد من أعضاء الطاقم الإنجليزي، وبعد الحادث بثمانية عشر عاما كتـب موسـى شـاريت رئـيس الوزارة الإسرائيلية يقول في تقويم الحادث: "من الضروري أحيانًا التضحية ببعض الأفراد من أجل إنقاذ عدد أكبر".

وهناك مثل آخر هو ما حدث لليهود الإسـرائيليين فـي العراق وكانوا في الأربعينات قد ترددوا في تسجيل أنفسـهم في قوائم الهجرة لإسرائيل، ولم تتورع الخدمـة السـرية أن تلقي ضدهم القنابل؛ لكي تقنعهم بأنهم في خطر، ولكي تدفعهم دفعا إلى الهجرة، ولم يتغير هذا المنهج الإرهابي حتى الآن.

منذ عدة أسابيع قبل نهاية عام ١٩٩٧ صدر في إسـرائيل كتاب بعنوان "هويتنا اليهودية" من تأليف الكاتـب اليهـودي المعروف موشى شامير، ولقي الكتاب رواجا شديدا حتى إن الصحف اليهودية كتبت تقول إن كل يهودي متدين ووطنـي أو باحث في جذور الأيديولوجيا اليمينية في إسرائيل يجب أن يقرأ الكتاب.

والكتاب يشمل عدة فصول تكفي قراءة عناوينها لمعرفـة ما فيها من كراهية العرب - الشعور بـالتفوق علـى كـل أجناس العالم - كراهية اليسار - العنصرية تجاه الأغيـار (أي كل من هو غير يهودي ويسمونه "جوييم").

وفي الكتاب عدة عبارات وجمل يجب أن نقرأها؛ لـنفهم مشاعر الإسرائيليين ومنها على سبيل المثال:

العرب قذرون، وغير اليهود كذابون، اليسار الإسرائيلي يدمر الدولة، وأما عن ارتباط المسيحية والإسلام بالقدس فيقول الكاتب: "إن كل من جاءوا بعدنا واعترفوا بقدسية المكان جاءوا كلصوص أو في أحسن الأحوال سرقوا ميراث اليهودية، وقسموا الغنائم فوق أنقاض الخرائب اليهودية المقدسة"، ويقول أيضا: "إنه بسبب المسيحية والإسلام أصبح ما يقال عن قداسة مدينة القدس لا يمثل إلا تعبيرا خاطئًا غير ديني في أساسه معاديا لكل ما هو يهودي، وهدفه السيطرة والتوسع؛ فالدول القائمة في الشرق الأوسط هي مجموعة دول دكتاتورية حققت لنفسها الثراء بالسرقة، وكل يهودي هو في موقع الدفاع أما العرب فهم... قذرون، بيوتهم قذرة، وشوارعهم قذرة، وهم يدّعون أن لهم علاقة بالقدس وهذا غير صحيح، والعرب المقيمون في القدس، والمولودون فيها هم وآباؤهم وأجدادهم ليست لهم علاقة بالقدس".

صحيح أنه ليس كل اليهود والإسرائيليين مثل موشى شامير ولكن من يصدقونه يزدادون يوما بعد يوم، ويرددون أقواله؛ ويقيمون سياساتهم على أساسها.

هؤلاء هم الجيران عبر الحدود الذين يدَّعون أنهم دعـاة سلام.

الذاكرة لن تموت

يصعب الأمر علينا جميعا ونشعر بالحزن والأسى كلمـا جاء ذكر العنف الإسرائيلي، والمذابح والمجازر البشرية ضد السكان المدنيين التي دبرهـا ونفـذها زعمـاء العصـابات الصهيونية قبل إنشاء دولة إسرائيل، وتابع التنفيذ فيمـا بعـد أهم الشخصيات اليهودية التي حكمت إسرائيل بعد إنشائها.

لم يكتفِ اليهود بجرائمهم ضد المـدنيين داخـل حـدود فلسطين بل تعدى ذلك إلى الأقطار العربية المجـاورة فـي لبنان وسوريا والأردن ومصر، ولن ينسى الشعب المصري مذبحتا بحر البقر التي راح ضحيتها ستة وأربعـون طفـلاً، وأبو زعبل وضحيتها سبعون قتيلاً وثمانية وتسعون جريحا، ولن ينسى لبنان الاعتداءات الإسـرائيلية المتكـررة علـى أراضيه وآخرها مذبحة قانا التي قُتِلَ فيها مائة من الأبريـاء المدنيين، وفي سوريا هاجمت القوات الإسرائيلية عدة قـرى قرب سعسع؛ وأدى الهجوم إلى مقتل مائتي شخص وجـرح أعداد كبيرة، وفي الأردن هاجمت القوات الإسرائيلية قريـة عرندل على الحدود مع فلسطين حيث قُتِلَ تسعة من أفـراد

الشرطة، وتسعة عشر من المدنيين، ومهاجمة عـدة قـرى أردنية بقنابل النابالم، ومقتل ستة وخمسين شخصا.

لا شك أن العنف أحد أهم ركـائز الفكـر الإسـرائيلي، وتاريخ إسرائيل منذ بدأ التفكير والتخطيط للاسـتيلاء علـى فلسطين مليء بالجرائم والمذابح التي أُقْتُرِفَت ضـد السـكان المدنيين، وتم قتل الألوف من الأطفال والنساء وكبار السن.

وسيظل التاريخ شاهدا على تلك الجرائم التي ارتكبها ولا يزال يرتكبها الصهاينة على الأرض العربية حتى الآن.

وجميع الزعماء اليهود- وعلى رأسهم حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل، وبن جوريـون، ورابـين، وبيجـين وغيرهم- مقتنعون بأن العامل الذي يقرر مصير اليهود فـي فلسطين هو القوة اليهودية التي تعتمد علـى العنـف، وفـي تصريح لمناحم بيجين يقول: "أنا أحارب إذن أنـا موجـود". ويحدد شيمون بيريز مفهوم قوة الردع الإسـرائيلية فيقـول: "يجب أن يكون لإسرائيل القوة القادرة على إفناء العـدو إن لم يرتدع". واستمرت إسرائيل في تطوير مفهوم الردع إلـى أن وصل إلى العنف المطلق حتى قيل إن إسـرائيل عبـارة عن: "جيش له دولة".

الهجوم على المدنيين العزل من السلاح بدأ مبكرا؛ فأثناء ثورة سنة ١٩٢٩- والتي عرِفَت بثورة البراق بين العـرب واليهود- تسللت جماعة يهودية مسلحة إلـى حـي صـغير منعزل في مدينة يافا يدعى تل الريش، واقتحموا بيت الشيخ عون وذبحوه هو وزوجته وأولاده وأحفاده.

وسِجل الأعمال الإرهابية الإسرائيلية حافـل بالأحـداث الرهيبة التي يتعذر هنا إحصاؤها، ونكتفي بذكر أبرز تلـك الأحداث، ويلاحظ أن قطاع غزَّة قد حظي بنسبة كبيرة مـن الغارات الإسرائيلية منذ سنة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٦.

مذبحة دير ياسين:

كان وقوع تلك المذبحة في ٩ إبريل سـنة ١٩٤٨ نقطـة تحوُّل في تاريخ الصراع العربي الفلسطيني والإسرائيلي وقد صرح مناحم بيجين الذي قاد القوات الإسرائيلية فـي تلـك المذبحة: "لولا دير ياسين لما قامت دولة إسرائيل".

بدأت الجريمة حيث قامت عصابة الأرجون بقيادة بيجـين ووحدة من عصابة شتيرن وبتخطيط من الهاجاناه بمباغتـة سكان القرية الآمنة وهي قرية صغيرة مسالمة تقع في قضاء

القدس، ولا يزيد عدد سكانها عن ٧٠٠ نسمة، وكانت محاطة بعدد من المستعمرات (المسـتوطنات) اليهوديـة، وتركـز الهجوم من ثلاث جهات، وتوقع اليهود سقوط القرية الصغيرة بدون قتال؛ رفضت القرية الاستسلام رغم أن عدد المدافعين عنها لا يزيد عن سبعين شخصا يحملون السـلاح الخفيـف، وحاول المدافعون طلب النجدة من القرى المجاورة والجـيش البريطاني الذي كان يعسكر بالقرب من قـريتهم ولكـن لـم تصلهم أية مساعدة، دافع سكان القرية حتى نفدت ذخيـرتهم، وكان اليهود يتقدمون داخل القرية من بيت إلى بيـت، وتـم إخماد المقاومة الباسلة، وبدأت عملية الذبح والتقتيل ثم التمثيل بجثث الضحايا سواء الجرحى أو المـوتى علـى السـواء، وجمعت النساء وكان بينهن ٢٥ امرأة حاملاً حيـث بقِـرَت بطونهن، وتم ذبح ٥٢ طفلاً، وفقدت القرية بين رجل وامرأة وطفل ٣٠٠ قتيلاً، وجمع الإرهابيون من تبقى مـن النسـاء والبنات العربيات وجردوهن من ملابسهن ثم قاموا بوضعهن في عربات مكشوفة طافت بهن شوارع القـدس باعتبـارهن سـبايا، وفـي بئـر واحـد عثِـرَ علـى أكثـر مـن مائة جثة.

مذبحة قبية:

جاء في تقرير رئيس هيئة الرقابة الدولية التابعـة للأمـم المتحدة أنه بتاريخ ١٤ ـ ١٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣ انتقل إلى قرية قبية القائم بأعمال اللجنة الدولية (لجنة الهدنـة) وجـد ثلاثة وأربعين بيتًا قد نُسِفَت تماما منهـا مبنـى المدرسـة، ومحطة المياه، ومركز البوليس، ومكتب التليفـون، وكانـت الجثث تتناثر حول تلك المباني ممزقة بالرصـاص، وكـان هناك عدد من القتلى داخل البيوت المهدّمة؛ مما يدل على أن الإرهابيين اليهود أرغموهم على البقاء في بيوتهم قبل نسفها، وكان بين الجثث أطفال ونساء وشـيوخ عـدا ٢٥ شخصـا مصابين بجراح مختلفة، حتى المواشي والأبقار لم تسلم مـن القتل؛ حيث تم إعدام عشرات الأبقار ومئات الأغنـام التـي كانت القرية تهتم بتربيتها، وكان يقـود العمليـة الإرهابيـة أرييل شارون السفاح الإسرائيلي المعروف، وبلغ عدد القتلى أكثر من ٦٦ شخصا.

مذبحة اللاجئين الفلسطينيين في معسكر بريج بمدينة غزَة:

قام بهذه العملية بعض الأعضاء السابقين من عصـابات شتيرن وأرجون لم ينضموا للجـيش النظـامي الإسـرائيلي خصيصــا للقيــام بمثــل هــذه الأعمــال الإرهابيــة، بدأ الهجوم يـوم ٢٨/ ٢/ ١٩٥٥ علـى منـازل وأكـواخ المعسكر، وكانت هيئة إغاثة اللاجئين الدولية هي التي تتولى الإشراف عليه، قام المهاجمون بإلقاء القنابل من نوافذ البيوت على اللاجئين وهم نيام، ولمـا حـاولوا الهـرب هوجمـوا بالأسلحة الأتوماتيكية وقُتِلَ في هذه الهجمة أكثر من ثلاثـين عربيا، وجرح بإصابات خطيـرة ٢٧ آخـرون، وعشـرات أصيبوا بجراح مختلفة.

مذبحة خان يونس ٢ نوفمبر ١٩٥٦:

أثناء العدوان الثلاثي (حرب ١٩٥٦) قامت قوات الجيش الإسرائيلي يوم ٣ نـوفمبر ٥٦ بمهاجمـة مخـيم مـزدحم باللاجئين مجاور لمدينة خان يونس، وأطلقت النيران عشوائيا

على المخيم بعد أن حاصرته، وقُتِلَ من المدينة أكثـر مـن ٢٧٥ شخصا بين رجل وامرأة وطفل.

وكانت مدينة خان يونس قد تعرَضت لهجوم آخر بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٥٥ حاول فيه اليهود قطع الطريق بين خان يونس ورفح ولكن بسالة المدافعين أجبـرت اليهـود علـى الانسحاب ومعهم أعداد من القتلى والجرحى حيـث امتـدت آثار الدماء لمسافات طويلة ولكنهم تمكنوا من تفجير مستشفى الرحمة، ومركز البوليس قبل انسحابهم.

مذبحة غزَة ٤ ـ ٥ إبريل ١٩٥٦:

بدأ اليهود هجومهم في عملية تمويه بإطلاق النـار علـى منطقة دير البلح؛ حيث تعسكر بعض القوات المصرية التـي ردَت بإطلاق نيران كثيفة، وانسحب الجنود الإسـرائيليون، وكانت هذه العملية لتغطية خطة إسرائيلية للهجوم على مدينة غزَة وقذفها بالمدافع بدون تمييز علـى تجمعـات اللاجئـين والسكان، واستمر القصف حوالي أربـع سـاعات؛ وكانـت الحصـيلة مقتـل ٦٠ مـنهم ٢٧ امـرأة، و ٢٩ رجلاً، و ٤ أطفال.

وفي عملية أخرى بقطاع غزّة اجتاز اليهود خطوط الهدنة لمسافة ٣ كيلومترات، وقسموا أنفسهم إلى عـدة جماعـات بعضهم هاجم محطة توليد المياه، وأخرى هاجمـت محطـة السكة الحديدية، وثالثة قامت ببث الألغـام؛ لمنـع وصـول الإمدادات.

وقُتِلَ في العملية بعض الجنود المصريين، وجـرحَ عـدد آخر، ولما حاولت بعـض السـيارات العسـكرية ملاحقـة المعتدين تفجرت الألغام في السيارة الأولى، وقضت على من فيها من الجنود المصريين، واضطرت بقية السـيارات إلـى التوقف.

وكانت الحصيلة ٣٩ قتيلاً و ٣٣ جريحا.

مذبحة كفر قاسم:

مع بدء حرب ١٩٥٦ في نهاية أكتوبر فرضت السـلطات الإسرائيلية حظر التجول على كل السكان العرب في إسرائيل ابتداء من الساعة الخامسة مساء ٢٩ أكتـوبر سـنة ١٩٥٦، وكان سكان قرية في كفر قاسم لا يزالون في الحقول؛ لمتابعة زراعاتهم ورعاية مواشيهم، ولم يعلموا شيئًا عن إعلان منع

التجوُّل الذي فُرِضَ، وعند وصولهم أثناء العودة إلى قـريتهم بعد الساعة الخامسة مساء استوقفهم الجنود الإسرائيليون عند مدخل القرية، وأطلقوا عليهم النيران بتعمد ووحشـية؛ فبلـغ عـدد القتلـى مـن الرجـال والنسـاء والأطفـال ٤٧ شخصا.

مذبحة صبرا وشاتيلا:

كانت المذبحة التي وقعت في مخيمي صبرا وشاتيلا مـن أخطر ما تعرَّض له الفلسطينيون الآمنون، وتمـت المذبحـة نتيجة مؤامرة أطرافها الجيش الإسرائيلي، وميليشيات الكتائب اللبنانية، وقوات سعد حداد التابعة لجيش الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان.

في يوم ١ سبتمبر سـنة ١٩٨٢ رحـل آخـر المقـاتلين الفلسطينيين عن بيروت؛ لكي يجنبوا المدينـة المزيـد مـن المعاناة والقصف والدمار، وفي يوم ٩ سبتمبر رحلت القوات الأمريكية التابعة للقوة المتعددة الجنسـيات رغـم أن المـدة المتفق على بقائها في بيروت لم تنتهِ بعد.

وفي يوم ١٦ سبتمبر تمكنت القـوات الإسـرائيلية مـن السيطرة على بيروت، وعزلت الأحياء عن بعضها، وأغلقت جميع الطرق المؤدية إلى العاصمة بيروت، وفي اليوم التالي كانت مجموعة من القوات الإسرائيلية تضـم ١٥٠ دبابـة، و ١٠٠ حاملة جنود، و١٤ عربة مدرعة تحمل مجموعة من المدافع، و ٢٠ جرافة (بلدوزر) قد أحاطت تمامـا بمخيمـي صبرا وشاتيلا.

وبدأ تحرُّك القوات والميليشيات المتواطئة نحـو مـدخل المخيمين، ولما كانت الكهرباء مقطوعة عن بيروت قامـت القوات الإسرائيلية بإلقـاء المشـاعل المضـيئة، وتسـليط الكشافات لإنارة الطرق أمام الغزاة، وهكذا بـدأت مداهمـة السكان الآمنين، وبلغ ضحايا المذبحة ما يزيد علـى أربعـة آلاف ضحية عدا الجثث التي التقطتها الجرافـات وحملتهـا الشاحنات إلى أماكن مجهولة، ولم يكن بين الضـحايا جثـة واحدة يرتدي صاحبها الزي العسكري، ولا يتسع المجال هنا لسرد المآسي البشعة التي صاحبت تلك العملية.

هذه صور لبعض المذابح التي اقترفها اليهود ضد المدنيين الفلسطينيين العزَل من السلاح إلى جانـب مـا قامـت بـه

المخابرات الإسرائيلية من تعقب العديـد مـن الشخصـيات الفلسطينية وقتلهم أينما وجـدوا ومـنهم: كمـال ناصـر ـ كمال عدوان ـ يوسف النجار ـ غسـان كنفـاني ـ علـي سـلامة ـ محمـود الهمشـري ـ محمـد بوديـه ـ محمود صالح ـ حسين أبو الخير ـ وائل زعيتر ـ ماجـد أبو شرار ـ منذر أبو غزالة ـ خليل الوزير (أبو جهاد) عدا من قُتِلُوا داخل الأراضي المحتلة.

وبعد..

ونحن نختزن خمسين عاما مـن الحـروب والكراهيـة والإرهاب والتقتيل هل يمكن أن يحل كل ذلك بكتابة معاهدة سلام؟ وهل يمكن أن ينتزع المواطن العـادي وخصوصـا الفلسطيني هذه المرارة من داخله؟! صحيح أصـبح السـلام مطلبا عالميا ولكن السلام لا يتحقق بدون عدل.

فهل تحقق العدل؟.. لا أظن.

تعذيب ٨٥ ٪ من الفلسطينيين المعتقلين في السجون الإسرائيلية

أعرب قضاة المحكمة العليا في إسرائيل عن استيائهم من أن الحكومة الإسرائيلية والكنيست يتهربان من سـن قـانون يحدد صلاحيات الشاباك (البوليس السـري) فـي ممارسـة التعذيب بأساليب استثنائية مع المعتقلين الفلسطينيين.

اشترك في نقاش هذا الموضوع تسعة من قضاة المحكمة العليا؛ بسبب ستة التماسات ضد شـرعية هـذه الأسـاليب، واستمر النقاش لمدة ٤ ساعات. قال ممثل الدولـة المحـامي شاي نيتسان ودافع عن موقـف الدولـة إن اسـتخدام هـذه الأساليب مسموح به بسبب أن قانون العقوبات يـنصُ علـى الظروف الاستثنائية بما يعني إعفاء الشخص من المسـئولية الجنائية إذا كان العمل الذي قام به ضروريا بصورة فورية؛ لتجنب خطر جسيم ولا توجد وسيلة أخـرى لتجنـب هـذا الخطر.

ولكن القضاة لفتوا الانتباه إلى أنهم غير مقتنعين بإمكـان منح الظروف الاستثنائية سلفًا.

كانت منظمة بيت سليم الإسرائيلية لحقوق الإنسـان قـد عرضت تقريرا في مؤتمر صحفي عقِدَ في القدس، جاء فـي التقرير أن تعذيب الفلسطينيين محل التحقيـق فـي منشـآت الشاباك هو إجراء عادي ويومي.

وفي كل سنة يتم التحقيق مع عدد يتراوح ما بين ألـف و ١٥٠٠ فلسطيني، ويتم استخدام العنف ضـد ٨٥ ٪ مـنهم. عنوان التقرير: "التعذيب كعادة"، ويطرح بالتفصيل أسـاليب التعذيب التي يمارسها الشاباك تجاه المعتقلين، ومنها طريقـة الشبح وهي ربط الأيدي والأرجل بالقيود إلى كرسي صغير يميل إلى الأمام، ويغطى رأس المعتقل معه بكيس ملوث في معظم الأحيان، ويجبر على الاستماع إلى موسيقى صـاخبة بواسـطة مكبـرات الصـوت، وطـوال فتـرة التحقيـق لا يسمح للمعتقل بالنوم، وفي عطلتي الجمعة والسبت يمكـن أن يحصل المعتقل على قسط من النوم لتعاد الكرة من جديد يوم الأحد وهكذا، كما يوجد أسلوب آخر يتم فيـه إجـلاس المعتقل وظهره إلى منضدة، ويتم شدُّ ذراعيه وهما مثنيتـان إلى الخلف؛ مما يسبب ألما شديدا، وأحيانًا يبقى المعتقل على هذا الوضع لمدة ساعات، كذلك أسلوب الهز حيث يتم تعليق

المعتقل من قميصه وهزُّه بعنف للأمـام والخلـف بسـرعة شديدة؛ وقد لقي أحد المعتقلين في عام ١٩٩٥ حتفـه بسـبب هذا الأسلوب، ويتم أيضا ضرب المعتقلـين صـفعا، وجـر المعتقلين على الأرض، والتهديـد بقتـل المعتقـل موضـع التحقيق، وذكر أسماء معتقلين آخرين لقـوا حـتفهم أثنـاء التحقيق معهم، ويشير التقرير أيضا إلى أنه طوال عدة شهور من التحقيق يمنَع المعتقلون من استبدال الملابس، ويقدَم لهـم الطعام في المراحيض، كما أن غـرف الاعتقـال صـغيرة مكتظة.

ويقول التقرير إن الشاباك والدولة يبرران أساليب التعذيب بأنها تتم مع معتقلين تصفهم بأنهم قنابل موقوتـة أي أنهـم يمتلكون معلومات إذا تم انتزاعها منهم يصبح بالإمكان منـع وقوع عمليات انتحارية، وقتل جماعي؛ الأمر الذي سـيمسُ أمن إسرائيل.

انتهت مناقشات قضاة المحكمة العليا دون الوصول إلـى حل.

نشـــرت صـــحيفة هـــا آرتـــس الإســـرائيلية فـــي ١٧/ ٩/ ١٩٩٨ نقلاً عن إحصاءات يهودية موثوقة تتعلـق

بالفترة بين ٩/ ١٢/ ١٩٨٧ ـ ٣١/ ٨/ ١٩٩٨ أي حـوالي عشر سنوات وجاء فيها ما يلي:

١- في الأرض المحتلة بلغ عدد القتلـى الفلسـطينيين ١٤٣٩ فردا، وعدد القتلى اليهود ١٥٨ فردا.

٢- داخل إسرائيل بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ٥٥ فردا، وبلغ عدد القتلى اليهود٢٣١فردا.

أما في فترة السنوات الخمس الأخيرة منذ توقيع اتفاقيـة أوسلو وحتى ٣١/ ٨/ ١٩٩٨ فكان بيانها كالآتي:

١- في الأراضي المحتلة بلغ عدد القتلـى الفلسـطينيين ٣١٥ فردا، وبلغ عدد القتلى الإسرائيليين ٦٨ فردا.

٢- داخل إسرائيل بلغ عدد القتلى الفلسطينيين ١٧ فردا، وبلغ عدد القتلى الإسرائيليين ١٦١ فردا.

وبهذا يصل عدد القتلى الإسرائيليين في العقـد الماضـي ٣٨٩ فردا مقابل ١٤٩٤ فلسطينيا.

هذا بالإضافة إلى ٤٨٠٠ فلسطيني طُرِدوا من أراضيهم، وتم اعتقال ١٨ ألف فلسطيني يتعرَض معظمهـم للتعـذيب بوسائل وحشية وذلك طبقًا لتقارير الهيئات الدوليـة لحقـوق الإنسان، وتم تدمير ٥٨٠ منزلاً كإجراء عقابي، وبلغ عـدد

القتلى من الأطفال الفلسطينيين ٢٧٧ طفلاً خلال تلك الفتـرة سقطوا برصاص الاحتلال الإسرائيلي.

المذابح اليهودية التي ارتكبها اليهود بفلسطين في سطور

١٣ إبريل ١٩٤٨: مذبحة قرية ناصر الدين قـرب مدينـة طبريا، ولم يبق علـى قيـد الحيـاة مـن سـكانها إلا أربعين بين امرأة وطفل تمكنوا من الفرار إلـى القرى المجاورة.

٥ مايو ١٩٤٨: هاجمت الهاجاناه قرية بيت الحوري قـرب نهر الأردن، وسقط أكثر سكانها بين قتيل وجريح.

١٣ مايو ١٩٤٨: هاجم اليهود قرية بيت دراس في منطقـة غزَّة، وفعلوا ما فعلوه في دير ياسـين، وبعـد قتـل السكان هدموا جميـع بيـوت القريـة بالـديناميت والمدفعية.

٣١ مايو ١٩٥٠: مأساة عرب وادي عربـة فـي صـحراء النقب؛ حيث اضطرهم اليهود بالقوة إلـى مغـادرة أراضيهم، ودفعهم إلى الصحراء القاحلة بدون مـاء أو طعام؛ حيث مات العديد مـنهم بسـبب الجـوع والعطش.

٧ فبراير ١٩٥١: هاجم اليهود قرية شرفات قرب القـدس؛ حيث تسللوا إلى القرية، وبثوا الألغام والمتفجـرات حول المساكن؛ مما أدّى إلى سـقوط شـهداء مـن الرجال والنساء والأطفال بالإضافة إلى أعـداد مـن الجرحى.

٩فبراير١٩٥١: اعتدى اليهود على قرية فلمة قـرب مدينـة اللد، وهاجموها بالمـدافع الرشاشـة؛ وقُتِـلَ عـدة أشخاص من السكان.

١١ يوليو ١٩٥١: تسلل اليهود إلى قرية خربة النجار قـرب منطقة اللطرون، وقتلوا السكان أثناء الليل.

٢٥ سبتمبر ١٩٥١: دخلت قوة إسرائيلية إلى قريـة غـور الصافي، وهدموا عدة بيوت، وقتلوا من فيهـا مـن السكان.

٢٩ يناير ١٩٥٣: هاجمت قوة عسكرية كبيرة قريتي فلمـة ورنتيس، واستعملت مدافع المـورتر، ورشاشـات خارقات الدروع، والقنابل اليدوية، وبثـت الألغـام، واستمر الهجوم أكثر من أربع ساعات؛ أسـفر عـن مقتل عدة أشخاص، وهدم عدة بيوت.

٢٨ مارس ١٩٥٤: هاجمت قوة إسرائيلية قرية نحالين قرب بيت لحم، وأحاطت بها من ثلاث جهات، وأمطرتهـا بكافة أنواع السلاح ولما خفت القوات الأردنية لنجدة القرية انفجرت الألغام تحت سياراتهم، وقُتِـلَ قـائم النجدة، وأربعة جنود بجانب عشرة قتلى من القرية، و ١٤ جريحا بجراح بالغة، وهدم عدة بيوت.

١٤ أغسطس ١٩٥٤: تسللت قوات نظامية يهودية في داخل قطاع غزَة، ونسفت محطة المياه التي تمدُّ سكان غزَة بماء الشرب ودمرت المضخات، والمبنى، والبئر.

٢٨ فبراير ١٩٥٥: هاجمت قوة كبيرة يهودية، وتقدَمت داخل قطاع غزَة، وأعادت نسف محطة المياه، ولما حاولت بعض القوات التصدي للقوة المهاجمـة اصـطدمت بالألغام التي بثتها القوات المهاجمة، وقُتِلَ فـي هـذا الهجوم ٢٥ جنديا عربيا.

٣١ مايو ١٩٥٥: دخلت قوات نظامية إسـرائيلية تـدعمها الدبابات أطراف مدينة خان يونس، وهاجمت مركـز البوليس، ومعسكر الكتيبة المتمركزة قـرب المدينـة

ولكن استبسال القوة العربيـة أجبـر اليهـود علـى التراجع.

١٤ أغسطس ١٩٥٤: أعادت القوات اليهوديـة المصـحوبة بالدبابات الهجوم على خان يونس وتصدَت لها قوات الحرس الخاص، ورغم الفارق في التسليح استطاعت ردَ الهجوم.

٢٠ سبتمبر ١٩٥٥: هاجمت قوة يهوديـة منطقـة العوجـة المنزوعة السلاح، وقبضت علـى منـدوب الأمـم المتحدة الكابتن سيزلاند السويسري.

٢٨ أكتوبر ١٩٥٥: توغلت قوات إسرائيلية داخل الأراضي المصرية في منطقة الكونتلا قوامها ٢٠٠٠ جنـدي، وضربت المنطقة بنيران الهاون والرشاشات بمساعدة عدد من الطائرات.

٢ نوفمبر ١٩٥٥: باغتت قوات إسـرائيلية تُقـدَر بحـوالي ٣٠٠٠ جنـدي منطقـة الصـابحة علـى الحـدود المصرية، ونشب قتال عنيف مع الحامية المصرية، وكانت عملية واسعة النطاق وتكبد فيها الإسرائيليون

خسائر تقدَّر بنحو ٢٠٠ قتيل، وعدد من الأسـرى، وكميات من الأسلحة.

١٢ ديسمبر ١٩٥٥: هاجم الإسـرائيليون شـواطئ بحيـرة طبريا الشمالية، وقتلوا أكثر من خمسـين سـوريا، وأخذوا ٢٨ أسيرا، وقد استشهد عدد من العسكريين أمام القوات الإسرائيلية المتفوقة.

٢١ أغسطس ١٩٥٦: اجتازت قوات نظامية مـن الجـيش الإسرائيلي خط الهدنة داخل منطقة جنين، وصـبت نيرانها على قرية أم الريحان، وتصدَّى لها الحـرس الوطني؛ وأرغمها على الانسحاب.

٢ إبريل ١٩٥٦: دخلت قوات إسرائيلية خـط الهدنـة فـي منطقة خان يونس، وهاجمت بعض الفلاحين الـذين ردُّوا عليهم بالمثل؛ ممـا أدى إلـى مقتـل جنـدي إسرائيلي وجريحين، ولم تحدث خسائر في الجانـب العربي.

٥ إبريل ١٩٥٦: قامت مدفعية الميدان الإسرائيلي بقصـف وسط مدينة غزَّة الآهلة بالسكان؛ ونتج عـن ذلـك خسائر كبيرة بين المدنيين ٦٠ قتيلاً، و ٢٧ سـيدة،

و ٢٩ رجلاً، و ٤ أطفـال، و ٩٢ جريحـا مـنهم ٣٢ سيدة، و ٥٤ رجلاً، و ٨ أطفال.

١٣ سبتمبر ١٩٥٦: جرى اعتداء يهودي على مخفر شرطة غرندل قرب وادي عربة معزز بالطائرات؛ واستشهد بالحادث خمسة من رجال الشـرطة، واثنـان مـن الحرس الوطني، وثلاثة من المدنيين، وأصيب ثمانية آخرين بجراح، وتم نسف المخفر والمدرسة القريبة، وأصيب الإسرائيليون بعدة إصابات غير معروفة.

٢٥ سبتمبر ١٩٥٦: شنَ اليهود هجوما واسع النطاق علـى قريتي وادي فوكين، وحوسان الأردنيتين، وتصـدَى لهم الحرس الوطني، وتطوَرت المعركة إلى الالتحام بالسلاح الأبيض، وتكبد اليهـود خسـائر فادحـة، وأخذت سيارات الإسعاف اليهودية تنقـل الجرحـى وجثث القتلى، وبعد المعركة عِثِرَ على عشر جثـث أخرى للإسرائيليين.

١٠ أكتوبر ١٩٥٦: شنت مجموعة مـن القـوات اليهوديـة مؤلفة مـن كتيبتـي مشـاة، وكتيبتـين محمـولتين بالسيارات المدرعة هجوما على الجـيش الأردنـي

والحرس الوطني قرب قلقيلية، وكانت تساند القـوة كتيبة مدفعية خفيفة وهاونات ومدفعية ميدان وعشـر طائرات نفاثة، وتمكنت القوات العربية مـن إيقـاف الهجوم، والقيام بهجوم مضاد، وجاءت نجدات إلـى القوات العربية؛ وبلغت خسائر اليهود أكثر من ستين قتيلاً وعددا كبيرا مـن الجرحـى، وخسـائر فـي المصفحات والمدفعية، وخسر العـرب ٢٥ شـهيدا و ١٣ جريحا.

٣١ أكتوبر ، ١ ـ ٢ نوفمبر: هجـوم علـى مدينـة رفـح بمساعدة مدفعية الأسطولين الإنجليـزي والفرنسـي أسفر عن احتلال المدينة والاعتداء على معسـكرات اللاجئين، ونهب اليهود كل شيء؛ فلم يتركوا متجرا أو سيارة أو أثاثًا أو حيوانات أليفة وطيورا وأبقـارا إلا نهبوها حتى طعـام أطفـال اللاجئـين أخـذوه، ولم يكتفوا بالسرقة بل استباحوا الحرمـات وهتكـوا الأعراض، وبلغ عدد القتلى من اللاجئين أكثر مـن ٣٠٠.

٢ نوفمبر ١٩٥٦: دخلت القوات الإسرائيلية مدينة العريش، وأسرفت في القتل كعادتها؛ وبلغ عدد القتلى أكثر من ٢٥٠ شخصا.

سؤال وجواب

س: أي الدول في الشرق الأوسط لديها أسلحة نووية؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط ترفض التوقيـع علـى معاهدة منع انتشار الأسلحة غير التقليدية، وتـرفض أيضـا دخول المفتشين الدوليين لأرضها؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط استولت علـى أراضٍ لدول أخرى بالقوة المسلحة، واستمرت في احتلالها في تحـدٍ لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط دأبت على خرق حدود دولية لأراضي دولة أخرى ذات سيادة وتجاورها مسـتخدمة في ذلك الطائرات والمدفعية والدبابات؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول من حلفاء أمريكا في المنطقة اعتادت منـذ زمن- ولم تزل- على إرسال بعثات من مخابراتها إلى دول أخرى لاغتيال أعدائها السياسيين؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط اعترف فيها علنًا قـواد عسكريون بأنهم قد أمروا بإعدام أسرى في زمن الحرب؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسـط تـرفض أن تحـاكم عسكرييها الذين اعترفوا علنًا بإعدام أسرى حرب مجرَّديـن من السلاح؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط كانت سببا في تحويـل مواطنين إلى لاجئـين، ورفضـت عـودتهم إلـى ديـارهم وأراضيهم؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشـرق الأوسـط تـرفض أن تـدفع تعويضات لأناس صادرت أراضيهم وممتلكاتهم؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط أُغْتِيلَ ممثل هام للأمـم المتحدة على أرضها؟

ج: إسرائيل، (الكونت برنادوت).

س: في أي الدول من الشرق الأوسـط أصـبح زعـيم عصابة إرهابية رئيسا لوزرائها؟

ج: إسرائيل (شامير).

س: أي الدول في الشرق الأوسط هاجمت سفينة حربيـة أمريكية في المياه الدولية؛ فأغرقت السفينة، وأدت إلى قتـل ٣٣ وجرح ١٧٧ من البحارة الأمريكان؟

ج: إسرائيل (السفينة ليبرتي).

س: أي الدول في الشرق الأوسط جندت جاسوسا اسـمه جوناثان بولاريد؛ ليسرق لها وثائق سرية مـن أمريكـا ثـم قدّمت بعضها هدية لروسيا مقابل فـتح أبوابـه للمهـاجرين اليهود؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط تجرؤ بالضـغط علـى أمريكا؛ لكي تمنح بولاريـد عفـوا بعـد منحـه الجنسـية الإسرائيلية؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول لها أقوى لوبي في الولايات المتحدة ويؤثر في صنع القرار في أمريكا؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في العالم ليس لها حدود معروفة ومعترف بها؟

ج: إسرائيل.

س: من الدولة التي سمحت قوانينهـا رسـميا بتعـذيب الأسرى والمعتقلين للحصول على اعترافاتهم؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط بلغت تحدياتها لقرارات الأمم المتحدة حتى الآن ٦٩ قرارا من قرارات مجلس الأمن غير ٢٩ قرارا آخر ضدها لم يوقفها إلا الفيتو الأمريكي؟

ج: إسرائيل فقط.

س: أي الدول في الشرق الأوسط تخطط لنسف وإزالـة مواقع إسلامية مقدسة وتتحدى ألف مليون مسلم؟

ج: إسرائيل فقط.

س: من الدولة الوحيدة في العالم التي أُنْشِئَت على أنقاض شعب سلبته أرضه بالقوة وطردته من مدنه وقراه؟

ج: إسرائيل فقط.

الحمائم والصقور في إسرائيل

في أعقاب حرب سنة ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل أخذت تبرز في الصحف ووسائل الإعلام الإسرائيلية كلمتان مستعارتان من عالم الطيور وهما الحمائم والصقور واعتبرت الصحف الإسرائيلية كل زعيم أو مسئول إسرائيلي يفضل اتباع الطرق السلمية والدبلوماسية مع العرب "بالحمامة" وكل زعيم أو قائد عسكري يعارض سياسة الاعتداء والمرونة ويفضل اللجوء إلى الردع العسكري "بالصقر".

وكان الأمريكان أول من استعمل هذين الاصطلاحين بنفس المعنى مع كوبا، وأثناء الحرب في فيتنام.

وبعد أن استولت إسرائيل على كل الأراضي الفلسطينية سنة ١٩٦٥٧ احتدم الخلاف بين الحمائم والصقور - الحمائم يقولون بإعادة جزء من تلك الأراضي إلى العرب مقابل السلام الدائم والصقور يفضلون عدم إعادة شبر واحد من أرض إسرائيل كما أطلقوا عليه. والحقيقة أننا لو أمعنا النظر في فلسفة الصهيونية لوجدنا أن الفرق غير واسع بين

الفكرتين وأن الحمائم سرعان ما تتحول إلى صقور وأحياناً يتحول ريش الصقور إلى ريش حمامة.

إن أساس الفكرة الصهيونية إبقاء جميع أرض فلسطين ضمن السيطرة الإسرائيلية وعدم السماح للفلسطينيين بحق تقرير المصير أو إقامة دولة مستقلة. إن بناء المستوطنات وإنشاءها في كافة الأراضي الفلسطينية وجلب يهود العالم إلى إسرائيل هذه الأمور لا يختلف فيها أصحاب الفكرتين الحمائم والصقور لكن الخلاف الذي يظهر ويطفو على السطح في بعض الأحيان إنما في كيفية مواجهة هذه الأمور فالحمائم لهم رأي في نوعية السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية تختلف قليلاً عن نظرة الصقور.

الحزبان الكبيران في إسرائيل حزب العمل وتجمع الليكود يمثلان ظاهريا الحمائم والصقور. فحزب العمل قبل مبدأ الأرض مقابل السلام وهذا ما يرفضه حزب الليكود ويطالب بالسلام مقابل السلام. وأخيرا الأمن مقابل السلام.

الفئتان كما أشرنا يتفقان على تأييد الاستيطان في المناطق المحتلة والفرق فقط في أسلوب التنفيذ - وما تم إضافته من مستوطنات أو توسيع مستوطنات قائمة في أثناء حكم حزب

العمل لا يقل على ما تم بناؤه في زمن الليكود إن لـم يـزد عليه.

وكذلك إصدار القوانين المتعلقة بـالأرض ومصـادرتها والبناء وأمن إسرائيل والعقاب الجماعي وهدم البيـوت فـلا يختلف الأمر بين الحزبين وفي تمثيلية بارعة يحاول حـزب العمل الظهور أمام أنظار العالم الخارجي بأنه غير متعنـت بينما حزب الليكود وحلفاؤه يتحدثون بصراحة عن أهـدافهم وخططهم وهم بالحقيقة يريدون أخذ كل شيء مقابل لا شيء وكلا الحزبين يصر على استعمال كلمة تقديم تنازلات بـدل كلمة انسحاب من الأراضي المحتلة ويطلقون على الأراضي الفلسطينية اصطلاح جملة الأراضي المحررة (أي انسـحاب يسمونه إعادة انتشار).

ويجب أن لا ننسى أن المؤسسة العسـكرية الإسـرائيلية تعتبر العمود الفقري لتوجيه وبلورة السياسة الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين والعرب سواء كان الحـاكم مـن الصـقور أو الحمائم.

إن كافة الإيماءات الإسرائيلية بوجود اختلافـات داخـل الشعب الإسرائيلي نحو تصور التسـوية مـع الفلسـطينيين

والعرب هو بالحقيقة على جانب كبير من التضليل، ولا فرق بين شيمون بيريز، ونتنياهو، وبراك في الاتفاق على أهداف إسرائيل القومية، وجميعهم يعتبرون الأراضي الفلسطينية أراضي إسرائيلية محررة، والجميع يرفضون تقسيم القدس، وإعادة الجولان، ووقف بناء المستوطنات، وفرض القوانين الجائرة على الفلسطينيين.

والحمائم تحاول إضفاء مسحة من التساهل المحدود مقابل المواقف المتشددة للصقور ولكن الحقيقة أن الخلاف حول الأسلوب وليس الهدف، إن الصقور والحمائم هما وجهان لعملة واحدة هذه العملة هي الصهيونية بكل ما تمثله من معايير وأهداف.

وفي محاولة لعقد مقارنة بين حزبي العمل والليكود ننقل فيما يلي بعض أفكار وآراء كل من براك زعيم حزب العمل، وبنيامين نتنياهو زعيم حزب الليكود.

من الأفكار التي يؤمن بها براك:

١- لا يجوز أن نسيطر على شعب غريب؛ ولذلك نؤيد اتفاق أوسلو الذي يفصل بين الشعبين الإسرائيلي والفلسطيني.

٢- لا يجوز إقامة دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة كاملة في الأراضي العربية المحتلة؛ لأن ذلك يشكل خطرا على وجود إسرائيل.

٣- لا يجوز التخلي عن المجتمع اليهودي في مدينة الخليل والأماكن المحيطة بها.

٤- لا نوافق على اقتلاع أية مستوطن، أو أن نتوقف عن بناء مستوطنات جديدة وتوسيع المستوطنات القائمة.

٥- لا نستطيع رسم خريطة دقيقة لإسرائيل في الوقت الحالي.

٦- لا حق لعودة اللاجئين الفلسطينيين للأراضي الإسرائيلية أو المحتلة.

٧- عرفات والسلطة الفلسطينية تتحمل مسئولية التظاهرات والإضراب وعدم مقاومة الإرهاب بقوة ولم يستطع السيطرة على أفراد الشرطة.

٨- الحل الدائم: يجب أن تبقى القدس موحدة، وقابلة للتوسع، وعاصمة أبدية لإسرائيل.

٩- جميع المستوطنات حتى في الأراضي الفلسطينية يجب أن تبقى تحت السيطرة الإسرائيلية.

١٠- إجراء تنسيق بشأن المياه بشرط أن تبقى مصادرها تحت السيطرة الإسرائيلية.

وهذه بعض الأفكار التي يؤمن بها نتنياهو:

١- عداء العالم العربي لإسرائيل لا يزال واسعا للغاية، والعرب غير مقتنعين بالسلام الحقيقي مع إسرائيل.

٢- تبقى قدراتنا للوصول إلى سلام مع جيراننا قائمة بفضل تفوق قواتنا المسلحة، وفي اللحظة التي يختل فيها التوازن العسكري على الدول العربية سيتحطم كل تقدُّم سياسي يمكن أن نكون قد حققناه.

٣- السلام وحده لا يوفر الأمن لإسرائيل؛ فالقوة العسكرية هي الشرط للسلام، وإبراز قوة الردع بوضوح شديد هو وحده الكفيل بالمحافظة على السلام وإقراره.

٤- نتفق مع أوسلو مع مراعاة سياستنا وخطوطنا الأساسية، وأوسلو لم تصمم جيدا بالنسبة للبعد الأمني لإسرائيل، وهي حافلة بالثغرات، ولا يمكن أن يستمر الجانب الإسرائيلي في العطاء والجانب الفلسطيني في الأخذ.

٥- لا يمكن قبول الحل السياسي بأي ثمن، ومن المحتمل أن لا نصل إلى سلام حقيقي في عهدنا ونترك ذلـك للأبناء؛ وعليهم إيجاد الحلول.

٦- قيام دولة فلسطين يشكل أخطارا ملموسـة بالنسـبة لدولة إسرائيل.

٧- إن ما يحمله نتنياهو من شحنات الحقـد والكراهيـة والغدر للفلسطينيين، وما يحمله مـن أدوات القهـر والتعذيب والإبادة يطلقها الآن في حملـة مسـعورة، وبمباركة تامة من الولايات المتحدة الأمريكية.

٨- الحل الدائم يجب أن يبقي القدس الموحدة الموسـعة عاصـمة أبديـة لإسـرائيل، وأن تبقـى جميـع المستوطنات في الأراضي العربية المحتلـة تحـت السيطرة الإسرائيلية.

٩- السوريون يرغبون في تحقيق النمـوذج المصـري؛ وهذا لا نقبل به، والجولان غير سيناء، وتحقيق أمن إسرائيل هو ما يهمنا المحافظة عليه بأي ثمن.

١٠- هناك التهديد الإسلامي الـذي يطالـب بمواصـلة الجهاد وحق العودة، وهذا لا يخيفنا، وأنا متفائل بأن

إسرائيل تستطيع خلال الأعوام المقبلة أن تزيد مـن قوتها العسكرية وقوتهـا الصـناعية والاقتصـادية، وتتحول إلى عنصر جبار شديد الأهميـة، وسـوف تصبح إسرائيل خلال ١٥ عاما من أغنى دول العالم، ويتضاعف فيها دخل الفرد مع مضاعفة عدد السكان، وستتحول إسرائيل إلى مشارك أساسي من الدرجـة الأولى في الأسرة الدولية.

والشروط التي يضعها المعتدلون في إسرائيل (الحمـائم) للموافقة على إقامة دولة فلسطينية:

١- أن لا يكون لها القدرة على إبرام اتفاقيات أو أحلاف عسكرية خصوصا مع إيران والعراق.

٢- أن لا يكون لها الحق بامتلاك أسلحة ثقيلة كالدبابات والطائرات والصواريخ.

٣- أن لا يكون لها الحق في امتلاك مجالها الجوي.

٤- أن لا يكون لها الحق في إدخال آلة حفر لضخ المياه وسحبها.

٥- أن لا يكون لها الحق في إدخال مليونين من اللاجئين مثلاً.

٦- أن لا يكون لها الحق في إقامة صناعة يمكن أن تهدد الصناعة الإسرائيلية.

هل يعني ذلك الموافقة على إقامة دولة فلسطينية؟

في حوار أجرته الإذاعة البريطانية مع بعض أقطاب حزبي العمل والليكود عن التصوُّر الإسرائيلي للسلام - سألوا يوسي بيلين مهندس اتفاقية أوسلو الأول، وأحد الشخصيات الهامة في حزب العمل الإسرائيلي، وعضو الكنيست.

أليس صحيحا أن عمليات الاستيلاء على أراضي العرب، واغتصاب بيوت الفلسطينيين واعتقالهم، وبناء المستوطنات، والاستيلاء على المياه كل ذلك تمَّ في عهد حكومة حزب العمل ولم يخترعه نتنياهو؟ وأكثر من ذلك ألم يتم الاعتداء على المدنيين من النساء والأطفال في جنوب لبنان وهم يحتمون بمبنى الأمم المتحدة في قانا، وتم قتلهم بوحشية بجيش حزب العمل، وبقرار من وزير الدفاع في حكومة حزب العمل؟ فأجاب بأن ذلك صحيح وحدث فعلاً وهكذا لا فرق بين الليكود والعمل وكل ما أضافه يوسي بيلين

أن سياسة نتنياهو القائمة على مبدأ السلام مقابل السلام تمثل قمة الغباء السياسي.

وأجاب السيد جولدن سفير إسرائيل في الأمـم المتحـدة ومستشار نتنياهو السابق وهو واحد من أصـحاب العقـول المقفولة على أحلام إسرائيل العظمى عن مطالبـة العمـال الفلسطينيين بالخروج من غزَّة كل يوم للعمل داخل إسـرائيل غير مقبول ومعقول، والأفضل لهم أن يتوقفـوا عـن هـذه المطالبة وكأنه يريد أن يقول إن على الفلسطينيين أن يموتوا جوعا داخل القفص الذي اسمه غزَّة الذي يتكدّس فيه البشـر من الفلسطينيين بلا طعام ولا حقـوق ولا أبسـط المواثيـق المنصوص عليها في بعض الدول.

وأجاب السيد جولدن أيضا يجب أن نعامـل الفلسـطينيين بحــزم وإلا انتزعــوا منــا الــبلاد، ولا يجــب أن نعطيهم شيئًا مقابل السلام، وأرى أنه لـن يكـون هنـاك سلام؛ لأن كره العرب لنا قوي جدا.

وأجاب بنيامين آلون عن تصوُّره فقال: الضفة لإسرائيل، وإن هناك خطأ جسيم يتردد مثل القول بأن السلام هو الـذي يحقق الأمن لإسرائيل؛ وهذا غير صحيح.

هذا هو السلام الإسرائيلي كما يفهمه الحمائم والصقور في العمل والليكود، في السلطة وفي الشارع.

في تصريح لإسحاق رابين أثناء توليه رئاسـة الـوزارة الإسرائيلية، وفي نفس الوقت كان رئيسا لحزب العمل الـذي يصنف بأنه حزب المعتدلين أو الحمائم كما يحلو لهم القول:

"إن الهدف الأول والأساسي في سياسة إسرائيل الأمنيـة هو أن تضمن عدم تغيير نسب القوة العسكرية بينـنـا وبـين القوة العربية الشاملة التي قد تشـترك فـي الحـرب لغيـر مصلحتنا، وفي المفهوم العالمي فإن الأمن القومي هو قضية نسبية أما بالنسبة لنا نحن الإسرائيليين فليس الأمن القـومي عنصرا نسبيا مطلقًا؛ لأن وجودنا المادي بالذات متوقف عليه أي في حالتنا يصبح الفحوى الكامل لعبارة أمن مطلق مطابق لمفهوم الوجود ذاته تماما".

أما نتنياهو وهو رئيس تجمـع الليكـود ورئـيس وزراء إسرائيل، ومن أشد الصقور حماسة قال في حوار لـه مـع صحيفة ها آرتس نشرته مجلة مركز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام.

أجاب على سؤال يتعلق بجدوى استمرار إسـرائيل فـي سياسة الحائط الحديدي منذ الانتفاضة بقوله: "إننا نعيش فـي منطقة الشرق الأوسط في عهد الحوائط الحديدية، وتسـاعدنا هذه الحوائط على كسب بعض الوقـت، ونأمـل أن تشـهد المنطقة بعض التغيرات التي تقلل من ارتفاع هذه الحـوائط ولكن يتعين علينا من أجل إكمال هذه المسيرة أن نخلق فـي العالم العربي حالة من التفهم مفادها أنه من العبث التفكير في زوالنا من المنطقة، ويجب أن يقتنع العرب بـأن إسـرائيل ليست بمثابة كيان صليبي مسـتحدث أو أن مصـيرها إلـى زوال، وأثار أن الحكومات السابقة ارتكبت خطأ جسيما حينما تصوَرت أن مقدور السلام أن يوفر لنا الأمن، وأنـا أعتـزم تغيير هذا الاتجاه، وإذا كانت اتفاقيات السلام تسـاعد علـى تحقيق الأمن فالقوة العسكرية هي شرط السلام.

تحقيق الحلم الإسرائيلي
بين حزبي الليكود والعمل

يعتقد بعض الكُتاب والمحللين السياسـيين أن القـرارات الاستراتيجية في إسرائيل يتخذها رئيس الوزراء وحكومتـه، والحقيقة أن الأهداف الاستراتيجية السياسـية مخطـط لهـا بأسلوب دقيق محكم لا يتغير بتغير الأشخاص أو الحكومات، والتغيير الواحد يحصل في أسلوب التنفيـذ، واجتهـاد كـل حكومة أو حزب، وطريقة تحقيق تلك الأهداف ضمن إطـار الاستراتيجية المخططة، والتي تحظى بإجماع النخبة السياسية والأحزاب عليها.

إن ما يقـوم بـه الحزبـان الرئيسـيان فـي إسـرائيل "الليكود والعمل" من تطبيق تلك السياسات يتبع أولاً توزيـع الأدوار ومن تصعيد المواقف التفاوضية للحصول على أكبر كمية من التنازلات.

ويمكن تلخيص الاستراتيجية الإسرائيلية التفاوضية منـذ سنة ١٩٨٥ بالملامح التالية:

١- رفض العودة إلى خطوط الرابع من يونيو سنة ١٩٦٧ بالنسبة للضفة والجولان والقدس.

٢- رفض الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير وإقامة دولة مستقلة.

٣- رفض التراجع عن ضم القدس والجولان.

٤- رفض التوقف عن بناء المستوطنات أو إزالة أي جزء منها.

٥- رفض مشاركة دولية أو عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط.

٦- وضع حد أدنى متفق عليه لتحقيق الأمن الإسرائيلي.

٧- تأمين مصادر المياه بما يحتاجه التوسع الإسرائيلي واستيعاب المهاجرين الجدد.

٨- محاولة الوصول بالدول العربية إلى الاعتراف الكامل بإسرائيل، وأن تكون المفاوضات مباشرة مع الأطراف العربية، وأن يتبع ذلك إقامة علاقات طبيعية: وتعني التمثيل الدبلوماسي الكامل، وفتح الحدود، والانفتاح التام في كافة المجالات وخاصة

المجال الاقتصادي؛ باختصار الوصول إلى التطبيـع الكامل مع العرب.

وكان حزب الليكود (الائتلاف اليميني) قد أخذ المبادرة في توزيع الأدوار سنة ١٩٩١، واسـتجابة لرغبـة الولايـات المتحدة في تحقيق تسوية سليمة للصراع العربي الإسـرائيلي التي تمرُّ بها الأمة العربية بعد حرب الخليج الثانية على أمل فرض السلام الإسـرائيلي، واضـطرت منظمـة التحريـر الفلسطينية للدخول في عملية السلام الأمريكية الإسرائيلية بعد أن خسرت رهانها بهزيمة العراق الساحقة، وتوقف المـوارد المالية لاستمرار الانتفاضة والتنظيمات الفلسطينية.

وانعقد مؤتمر مدريد في أكتوبر سنة ١٩٩١، وأخذ مظهرا شكليا في مراسم الافتتاح، وبعد ذلـك بـدأت المفاوضـات المباشرة، وضمنت إسرائيل تأييد الولايات المتحـدة، وعـدم الضغط عليها لتقديم تنازلات فيما يتعلق بالأمور الجوهريـة كالحدود والمستوطنات.

واستمرت المفاوضات في إطار صيغة مدريد دون إحراز أي تقدُّم؛ حيث رفضت إسرائيل الاستجابة لأي مطلب مـن مطالب الوفد الفلسطيني.

وجاءت حكومة حزب العمل في يونيه ١٩٩٢، وبدأت مبادرة جديدة في توزيع الأدوار بالسماح بالتفاوض المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية مقابل تنازلات ضخمة قدّمتها المنظمة فيما عُرِفَ "باتفاق المبادئ الفلسطيني- الإسرائيلي" الذي وقعه الجانبان في سبتمبر ١٩٩٢، وجاءت بعد ذلك معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية سنة ١٩٩٤.

وأخيرا جاءت حكومة الليكود برئاسة نتنياهو؛ لتنسف ما تم الاتفاق عليه في أوسلو ١، ٢ وحتى اتفاق الخليل الذي تم بمشاركة أمريكا رُفِضَ أيضا، ويمكن تلخيص سيناريو السلام في ذكر المكاسب والمخاسر التي تحققت.

خسائر الفلسطينيين:

١- تمكنت إسرائيل من احتواء منظمة التحرير الفلسطينية والسيطرة عليها بعد أن قدّمت المزيد من التنازلات.

٢- القضاء على الانتفاضة الفلسطينية والحد من كل أشكال الكفاح المسلح الفلسطيني.

٣- ضمان تعاون الشـرطة الفلسـطينية مـع القـوات الإسرائيلية في فرض الأمـن ومطـاردة واعتقـال العناصر المناوئة للسلام الفلسطيني الإسرائيلي.

٤- إظهار وإبراز السـلطة الفلسـطينية وكأنهـا تقـوم بالمشاركة في حفظ الأمـن الإسـرائيلي وتخفيـف الضغط عن القوات الإسرائيلية.

٥- عدم حصول السلطة الفلسطينية على أية صـلاحيات حقيقية سواء منع الحصار، أو مصادرة الأراضـي، وهدم المنازل، والاعتقال، والسجن؛ ممـا أدى إلـى سوء الحالة الاقتصادية، وتفشي البطالـة، وأعمـال القمع الوحشي ضد الفلسطينيين.

٦- عدم السماح بأي تحركات أو زيارات لمناطق الحكم الذاتي الفلسطيني إلا بموافقة الإدارة الإسرائيلية؛ مما حوّل السلطة الفلسطينية إلى موظفين إداريين في ظل سلطة الاحتلال.

٧- السيطرة التامة على كافة المعابر إلى الضفة وغـزّة والدخول إليها بتأشيرات إسرائيلية.

٨- إعادة انتشار القوات المسلحة الإسرائيلية داخل مناطق الحكم الذاتي بعيدا عن الكثافة السكانية، وتخفيف الأعباء التي كانت تقوم بها.

وتشير وزيرة الاقتصاد الفلسطيني الدكتورة غائبة مليحس إلى الخسائر الاقتصادية الفلسطينية بما يلي:

١- تراجع الناتج المحلي الفلسطيني بنسبة تصل إلى ٢٤ ٪ خلال النصف الأول من عام ١٩٩٦.

٢- تراجع نصيب الفرد الفلسطيني من الناتج المحلي الإجمالي من ١٢٠٠ دولار عام ١٩٩١ إلى ٨٠٠ دولار أي ما يعادل ٥ ٪ من نصيب الفرد الإسرائيلي.

٣- تراجعت قيمة الصادرات الفلسطينية من ٤٠٠ مليون دولار في المتوسط في مطلع التسعينيات إلى أقل من نصف هذا المعدل في عام ١٩٩٦.

٤- انخفضت نسبة التكوين الرأسمالي الفلسطيني من نحو ٣٠,٤ ٪ من إجمالي الناتج المحلي عام ١٩٩٠ إلى ١٦,٧ ٪ عام ١٩٩٥ ثم إلى أقل من ٧ ٪ خلال النصف الأول من سنة ١٩٩٦.

٥- ارتفع معدل البطالة من متوسط ١٨ ٪ في مطاع التسعينيات إلى حوالي ٣٠ ٪ في الضفة الغربية و ٥ ٪ في قطاع غزَّة، وإلى أكثر من ٧٠ ٪ في مخيمات اللاجئين خلال النصف الأول من سنة ١٩٩٦.

٦- ارتفع العجز المقدَّر في الموازنة الحكومية لعام ١٩٩٦ من نحو ٧٥ مليون دولار إلى أكثر من ١٩٥ مليون دولار في موازنة ١٩٩٦.

وهذه الأرقام تبدو واضحة فيما وصلت إليه حالة الاقتصاد بالمعاناة لأفراد الشعب الفلسطيني، وفي ظل سياسة الحصار المحكم والإغلاق المستمر للضفة والقطاع إلى جانب الممارسات القمعية.

ولا شك أن الخسائر الفلسطينية تنعكس في المقابل إلى مكاسب إسرائيلية، وفي دراسة أجراها البروفسور إيلي ساجي من جامعة تل أبيب تقول فيها الإحصائيات والأرقام من مصادرها الإسرائيلية الموثقة إن إسرائيل استفادت في الفترة ما بين عام ١٩٩٠ إلى عام ١٩٩٥ في ظل مناخ

السلام وتوقيعها لإعلان المبادئ أوسلو ٢,١ مع الفلسطينيين وأيضا معاهدة السلام مع الأردن كالآتي:

- ارتفع معدل النمو للنـاتج المحلـي الإجمـالي مـن ٣,٨ ٪ من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٩ إلـى ٦ ٪ عام ١٩٩٥.
- ارتفع نصيب الفرد الإسرائيلي من الناتج المحلي من نحو ١٠,٩٥٠ دولار عـام ١٩٩٠ إلـى ١٥,٥٠٠ دولار عام ١٩٩٥.
- انخفضت نسبة الدين الخارجي الإسرائيلي إلى الناتج المحلي الإجمالي من ٨٠ ٪ عام ١٩٨٥ إلى حـوالي ٢٣ ٪ عام ١٩٩٥.
- زاد حجم الاستثمار في إسرائيل من ٤,٨ مليار عـام ١٩٩٠ إلى ١٢ مليار دولار سنة ١٩٩٥ أي حوالي ثلاثة أضعاف، وهناك حوالي ٥٠ شركة دولية قـد بدأت أو في الطريق لأن تبدأ في إقامة مشـروعات لها في إسرائيل منذ بدء عملية التسوية السلمية.
- ارتفع حجم الصادرات الإسرائيلية من ١٥,٥ مليـار دولار عام ١٩٩٠ إلى نحو ٢٨ مليـار دولار عـام

١٩٩٥؛ نتيجة لحالة الاسـتقرار المنتظـرة وإقبـال الدولة الآسيوية والأفريقية على التعامل مع إسرائيل بعد مقاطعتها تعاطفًا مع العرب.

- انخفضت نسبة الإنفاق الإسرائيلي على الأمـن مـن الناتج المحلي من ١٢٪ عام ١٩٩٠ إلى حوالي ٨ ٪ عام ١٩٩٥ بعد أن كانت قد وصلت عام ١٩٨٥ إلى حوالي ١٤ ٪ ووصـلت عـام ١٩٧٧ إلـى ١٧ ٪ وبلغت عام ١٩٧٥ أكثر من ٢٠ ٪.
- هبطـت نسـبة التضـخم مـن نحـو ٣٤ ٪ عـام ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ إلى نحو ٢ ٪ سنويا في الفترة من ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥.
- زادت نسبة الهجرة إلى إسرائيل خاصة بعد انهيـار الاتحاد السوفيتي إثر توقف الانتفاضة الفلسطينية.
- ويمكن اعتبار هذه المكاسب الإسرائيلية مما يقـوي الجانب الإسرائيلي ويضعف الموقف الفلسطيني.

ونعود إلى مبدأ توزيع الأدوار بين الحزبين الرئيسيين في إسرائيل حزب العمل وحزب الليكود، وأنهما يعملان في إطار الاستراتيجية الإسرائيلية؛ ليحققا الحلم الإسرائيلي،

وأن أهم ركائز تحقيق ذلك الحلم هو إضعاف الموقف الفلسطيني إلى الحد الأدنى، والوصول إلى القضاء على الطموحات والآمال الفلسطينية.

الفجوة التكنولوجية بين القوة العسكرية الإسرائيلية والقوة العربية

لا شك أننا نجـد دائمـا أن القـوة العسـكرية التقليديـة الإسرائيلية تحتفظ بصفات معينة وهي: الإبقـاء علـى قـوة عسكرية صغيرة الحجم نسبيا، وتقليص مدة الخدمة العسكرية للأفراد، وخفض عدد قوات الاحتياط ولكن بالمقابـل يبـرز الاهتمام بزيادة عدد القوات المدرعة سواء من ناحيـة الكـم أو النوع، وتحسين ذخائر المدفعية، والاستمرار في تطـوير القوات الجوية بإحلال مقاتلات جديدة بدلاً مـن الطـائرات القديمة، وإدخال أنظمة تسليح متطورة للقاذفات مثل صاروخ "دليلة - آي - آر" المصمم لضرب أجهزة الرادار وشبكات الدفاع الجوي، وقد قاربت الطـائرة إف - ١٥ الأمريكيـة لتصبح عصب القوات الجوية الإسرائيلية وهي مـن أحـدث الطائرات الأمريكية وأقواهـا، واهتمـت إسـرائيل بشـراء طائرات الاستطلاع الأمريكية المتقدمـة - "آي - ٨ - س" والتي يمكنها القيام بأعمال المراقبة والرصد والتتبع لحركات المركبات والهيلكوبتر وإدارة وتوجيـه عمليـات تصـويب

الأسلحة إلى أهدافها من مسافة تزيد على ٩٣ ميلاً، كما تـمَ التوسع في استخدام طائرات الهيلكوبتر الهجومية، وبالنسـبة للسلاح البحري بدأت إسرائيل في زيادة عـدد الغواصـات الحديثة، والتوسع في شراء وبناء زوارق الصـواريخ مـن طراز إيلات ـ ورامات.

أخذت إسرائيل توجه معظم ميزانيتها العسـكرية لـدعم الصناعات العسكرية والأبحاث، ومن الجـدير بالمعرفـة أن ميزانية إسرائيل العسكرية تزيد عن الميزانيـات العسـكرية للدول الأربع المحيطة بها مجتمعة.

وتهتم إسرائيل بتطوير برامجها العسكرية الاسـتراتيجية فالعمل مستمر في برامج الفضاء، وقد تـم إطـلاق القمـر الصناعي الإسرائيلي الثالث أوفيك ـ ٣، وهذا القمر يتمتـع بقدرات تكنولوجية متقدمة في مجـال التجسـس العسـكري وأعمال المراقبة والكشف والتتبع، وأجرت إسـرائيل أولـى تجاربها للجيل الثاني من صـاروخها المضـاد للصـواريخ البلاستيكية والذي يطلق عليه "أرو ـ ٢"، وتمتلك إسـرائيل صواريخ أرض أرض متقدمة مـن طـراز أريحـا ـ ١، وأريحـا ـ ٢ والـذي يصـل مـداه إلـى ١٦٥٠ ك. م،

وأريحا ـ ٣ المنتظر إنتاجه قريبا، ويتوقع أن يصل مداه إلى ٢٧٠٠ ك. م.

ومما تقدَّم يتضح أن البناء الإسرائيلي في مجال التسـليح يرمي إلى إحداث نقلة نوعية بارزة فـي القـوة العسـكرية الإسرائيلية على مختلف الأبعاد، ويرمي إلى الوصول إلـى التفوق المطلق ضد التهديدات الكامنة والمحتملة والمتصورة لدى القيادة الإسرائيلية، وهذا يـتم بالتعـاون الاسـتراتيجي الوثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ حتى تستمر إسرائيل في المحافظة على الفجوة النوعية والكمية التكنولوجية بينهـا وبين الدول العربية مجتمعة.

لا شك أن إسرائيل تمتلك أسـس ومبـادئ التكنولوجيـا المتقدمة في صناعة الإلكترونات الدقيقة وأنظمة الاتصـالات ومنظومة القيادة والسيطرة والمعلومات، فضلاً عن اشتراكها في برامج الدفاع الاستراتيجي وبـرامج تطـوير الأسـلحة الأمريكية؛ مما أتاح لها التعرُّف على تكنولوجيا وتقنية حديثة غير ميسرة للدول العربية.

وتقدُّم إسرائيل في علوم وتكنولوجيا الفضاء جعلها تطلق عدة أقمار صناعية سواء للاتصالات أو المعلومات أو التجسس.

وتنفرد إسرائيل في المنطقة بامتلاكها هذا التقدم والمستوى في تكنولوجيا الفضاء؛ مما حقق لها عمقًا استراتيجيا للإنذار، والكشف عن جميع تحركات القوات العربية، بالإضافة إلى كشف ومتابعة إطلاق صواريخ أرض - أرض من الدول العربية وغير العربية.

الفجوة في الأسلحة التقليدية:

إسرائيل لديها اكتفاء ذاتي في إنتاج الأسلحة والذخائر، والطائرة بدون طيار متعددة الأغراض، وإنتاج الصواريخ والدبابات المتطورة "مير كافا - ٣"، وتقوم بإنتاج معدات توجيه الطائرات، وأجهزة القيادة الحديثة فضلاً عن وجود منظمة متكاملة للدفاعات المضادة للصواريخ.

الفجوة في الأسلحة غير التقليدية:

تقوم إسرائيل بإنتاج الأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية بالإضافة إلى امتلاكها للعديد من وسائط الإطلاق سواء بالصواريخ أو الطائرات أو المدفعية متعددة المدى.

ويمكن إضافة مصادر أخرى للتفوق والقوة العسكرية الإسرائيلية وهي الصراعات الداخلية، أو بسبب النزعات الانفصالية لدى بعض الجماعات المتواجدة داخل بعض الدول العربية.

فتواجه كل من الجزائر ومصر مستويات مختلفة من العنف الذي تمارسه الجماعات الإسلامية ضد النظام الحاكم وضد المخالفين لهم في الرأي.

بينما نجد في حالتي تركيا والسودان والعراق أن العناصر المتمردة تسعى للحصول على الاستقلال الذاتي كحد أدنى، أو تطالب بالاستقلال وتكوين دولة مستقلة كحد أقصى، وفي لبنان ورغم انتهاء الحرب الأهلية التي استمرت كصراع عرقي طائفي إلا أن مظاهر الحرب الأهلية لا زالت مستمرة في الجنوب اللبناني، وفي الصومال لا زال الوضع متوترا وقابلاً للانفجار، وفي المغرب العربي لا زالت مشكلة

الصحراء والبوليساريو لم تُحـلّ لـلآن، وضـعف الكثافـة السكانية في دول الخليج العربي جعلها تعيش فـي أحضـان أمريكا، وبعيدة عن أي قرار عربي مؤثر.

وتقف أمريكا بكل قوتها ونفوذها ضـد تمكـين سـوريا وإيران وحتى باكستان من الحصول على أسـلحة أو مـواد تمكنها من إنتاج صواريخ حديثة.

أخيرا تمكنت باكستان من إنتاج قنبلة ذرية وصواريخ أو قنابل نووية؛ وذلك حتى لا تبقى إسرائيل منفردة في امـتلاك الأسلحة غير التقليدية، وتتبنى الولايات المتحدة فـي الوقـت الراهن الحيلولة دون أي تغير في التوازن الحالي للقوى فـي منطقة الشرق الأوسط، وقد بذلت - ولا زالت - جهودا مكثفة لدى روسيا وكوريا الشمالية والصين لمنـع تزويـد إيـران وسوريا بما يساعدهما على تطوير تكنولوجيا السلاح غيـر التقليدي.

وقد عمدت أمريكا إلى تعطيل مشروع تطوير الصـاروخ "كوندور ـ ٢" بين مصر والعراق والأرجنتين حتى توقـف المشروع نهائيا.

تأثير التسويات على معادلة التوازن الاستراتيجي مع إسرائيل:

أ ـ تأثير التسوية الفلسطينية/ الإسرائيلية:

١- تتيح لإسرائيل بصورة مباشرة أو من خلال السلطة الفلسطينية القضاء على نشاط المقاومة والانتفاضة سواء داخل أو على حدود إسرائيل؛ وهذا يسمح لإسرائيل بالتفرغ لإعادة تنظيم وبناء قواتها المسلحة.

٢- تعطي لإسرائيل الفرصة والمبرر للتعاون مع الدول الأخرى (خاصة الخليجية والمغرب العربي) مما يوفر لإسرائيل الحصول على معلومات وبيانات استراتيجية، وإمكانية إثارة القلاقل الداخلية في تلك الدول بحيث تخرجها من معادلات التوازن الاستراتيجي العربي.

ب ـ تأثير التسوية الإسرائيلية- الأردنية:

لقد أدى الاتفاق الأردني الإسرائيلي إلى التعاون بين البلدين في العديد من المجالات، وأدى إلى توسيع شُقة الخلاف الفلسطيني الأردني والسوري الأردني، وقد أدت هذه

التسوية إلى خروج الأردن من معادلة التوازن الاستراتيجي العربية في مواجهة إسرائيل، وإتاحة الفرصة لإسرائيل للتركيز على الجبهات العربية الأخرى، وإتاحة فرص جديدة لأعمال التجسس وجمع المعلومات والمراقبة.

وأدّى أيضا إلى تهديد العمق السوري من الناحية الشرقية، وإلى توفير المياه للقوات الإسرائيلية المتمركزة بالقرب من الأردن، وتسهيل إمكانيات الإعاشة والشئون الإدارية لإسرائيل.

ج ـ تأثير التسوية المصرية- الإسرائيلية:

لا شك أن معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية أخرجت إسرائيل من عزلتها؛ وأصبحت حقيقة مؤكدة في قلب العالم العربي، وفتحت الباب أمام عشرات الدول -وخصوصا الأفريقية- للاعتراف بدولة إسرائيل، وكسرت طوق المقاطعة الاقتصادية، وتقلص الطوق الذي يحيط بدولة إسرائيل بخروج أكبر دولة عربية، وأصبح الطريق ممهدا نحو التسوية الإسرائيلية الفلسطينية ثم معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية؛ وهكذا اختل التوازن العسكري الاستراتيجي كثيرا بين إسرائيل والعرب.

وأدت تلك التسويات بين مصـر والأردن والفلسـطينيين وإسرائيل إلى بدء التقارب بين إسرائيل وبعض دول الخلـيج العربي مثل قطـر وعمـان، وأخـذت بعـض الشـركات الإسرائيلية طريقها لإقامة بعض المشاريع في تلـك الـدول مثل: تحلية مياه البحر، ومد خطوط البترول؛ وهكذا أصـبح لإسرائيل منفذ اقتصادي هام في السوق الخليجية، وأصبح لها أيضا إمكانيات استخبارية في دول الخليج.

ونتيجة لتلك التسويات أصبح الموقف السوري يقف وحده مصطدما بالتعنت الإسرائيلي وتصـلب موقفهـا مدعومـة بموافقة من الولايات المتحدة الأمريكية.

وفقدت سوريا أكثر الأوراق التي تدعم موقفها التفاوضي مع إسرائيل، ولم يبق بجانبها إلا لبنـان والضـغوط التـي يمارسها حزب الله في الجنوب اللبنـاني، وبـات الموقـف السوري وعلى المدى المتوسط غير قادر على فرض أي حل رغم موافقته على قبول معاهدة سلام مـع إسـرائيل مقابـل الأرض.

استطاعت إسـرائيل عقـد عـدة محالفـات واتفاقيـات استراتيجية مع:

١- مذكرة التعاون العسكري بين إسرائيل وروسيا المنعقدة سنة ١٩٩٥.

٢- اتفاق التعاون العسكري التركي الإسرائيلي سنة ١٩٩٦.

٣- اتفاق التعاون العسكري الأردني الإسرائيلي وبمساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية.

٤- اتفاق التعاون الاستراتيجي العسكري بين الولايات المتحدة وإسرائيل سنة ١٩٩٦.

تطوير العلوم والهندسة في نظم التعليم الإسرائيلية

منذ عام ١٩٦٦ ركزت إسرائيل علـى تطـوير العلـوم الهندسية بحيث أتت في مقدمة الدول التي تتميز بمستوى عالٍ للنشاط العلمي، معتقدة أن التطور العلمي شرط مهم لتعزيـز كيانها؛ باعتباره مفتاح التطوُّر الاقتصادي والقوة العسكرية.

وقد انعكس هذا في أن أربعة عشر من كل ألف يعملـون في إسرائيل يحملون درجات علمية في العلوم والهندسة؛ وقد ساعد هذا التطور على قيام إسرائيل بتدريب علمائهـا فـي الخارج في بعثات إلى الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيـا وهولندا إلى جانب هجـرة ٣٠٠٠ عـالم وفنـي مـن ذوي المهارات العالية ممن لهـم خبـرة فـي تكنولوجيـا الـدفع الصاروخي وعلوم الطيران والهندسة النووية في الولايـات المتحدة إلى إسرائيل إضافة إلى العلماء اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل من دول أوربا الغربية والشرقية، وعلى ذلك فإن إسرائيل تمتلك خبرة وذخيرة كافية من المهارات المتمثلة في

العلماء والمهندسين والفنيين مكنتها من التفوق في التكنولوجيا والبرامج العسكرية المتقدمة.

وهكذا تمكنت إسرائيل ليس فقط مـن امـتلاك السـلاح النووي ولكن منظومة كاملة من أسلحة الدمار الشامل وهـي تعمل بالاتفاق والتعاون مع الولايات المتحدة على منع الدول العربية والإسلامية من امتلاك الأسلحة المتطـورة وعلـى رأسها السلاح النـووي، وتعمـل الـدولتان- الإسـرائيلية والأمريكية- على تجريد الأمة العربية من كل عناصر قوتها العسكرية المتطورة.

وتصرح إسرائيل بأنها ستعمل على منع الدول العربية من امتلاك أسلحة نووية حتى لو تطلب ذلـك أن تقـوم بعمليـة عسكرية كما حدث حين دمرت المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١.

لو أخذنا في الاعتبار عدد السكان، وأجرينا مقارنة بـين العرب مجتمعين وإسرائيل سوف نصدم للتفوق الهائل الـذي تتمتع به إسرائيل؛ فهي تتفوق بمعدل عشر مرات في الأفراد العلميين، وأكثر من ثلاثين مرة في الإنفـاق علـى البحـث العلمي والتطوير، وأكثر من خمسين مـرة فـي وصـلات

الإنترنت، وأكثر من سبعين مرة في النشر العلمي، وقرابة ألف مرة في براءات الاختراع، هذه القفزة الهائلة في إسرائيل لها دلالات غاية في الأهمية؛ لأنها ترشح إسرائيل لدور **القوة الكبرى المهيمنة في المنطقة،** وقد استطاعت أن تخترق القلاع التي كانت يوما ما مؤيدة للحق العربي، فعلاقاتها تنمو باضطراد مع الصين والهند واليابان التي أصبحت أهم شريك اقتصادي لإسرائيل بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأت مغازلتها لليونان.

وهذا الاختراق جاء نتيجة للتطور العلمي الهائل في إسرائيل الذي أقنع تلك الدول بأن لديها ما تعطيه وما تقدُمه من فوائد لهم.

والمصالح لا تعرف المجاملات، والعلاقات الوثيقة التي أخذت تنمو بين إسرائيل والدول الأخرى جعلت تلك الدول تغض الطرف عن ممارسات إسرائيل القمعية والوحشية في الأراضي الفلسطينية المحتلة؛ لأن ما يهم تلك الدول مصالحها الخاصة، والمنفعة التي تعود عليها من ارتباطها بإسرائيل.

إن الثورة العلمية والتكنولوجية التي تسود العالم اليوم لـم تعرفها البشرية من قبل، وإن ما حدث خلال الثلاثين عامـا الأخيرة يعد أعمق وأخطر من كل التغيرات التي حدثت منذ ظهور الإنسان على الأرض.

أصبحت معدلات النمو في البحث العلمي تتضاعف كـل عشر سنوات، وأصبح عدد العلماء يتضاعف بشكل مـذهل، وأصبح العالم يواجه اختراعا جديدا كل دقيقتين.

إن الإصلاح الاقتصـادي وحـده فـي الـبلاد العربيـة لا يحقق النهضة إذا لم يصـاحبه تطـوير البحـث العلمـي والتكنولوجيا؛ لأن البحث العلمي هو الذي يـوفر للإصـلاح الاقتصادي قدرته على الصمود والتجديد والدخول في حلبـة المنافسة العالمية خصوصا أن المعرفة العلمية تمثـل ٨٠ ٪ من اقتصاديات العالم المتقدم.

مـن المؤسـف أن العـالم العربـي لا يـزال يمـارس ما يسمى بنقل التكنولوجيا أو استيرادها من الخارج، ولم يهتم حتى الآن بالقدرة على تطوير العقل العربي علـى التفكيـر والإبداع.

إن تطوير البحث العلمي وإعطاءه الأولويـة لا يحتمـل الانتظار بعد أن اتسعت الهوة والفجوة كثيرا بـين العـرب وإسرائيل.

البدء في العمل ليس سهلاً، ويحتاج إلى جهـاد طويـل، وجهد متواصل، وأمامنا تجارب الصين، والهند، والباكستان، والأرجنتين، والبرازيل.

فهل يستمر تقاعس العالم العربي الآن والأبـواب بـدأت تضيق، والدول المتقدمة أخـذت تحظـر نقـل التكنولوجيـا المتقدمة؟

إن كل وزارة في إسرائيل لها مستشار علمي كبير فهـل هناك أية وزارة إنتاجية بين الوزارات العربية لها مستشارون علميون؟ وهل هنالك مستشار علمي لأية قيادة فـي العـالم العربي؟!

إن الشرعية الدولية، وعدالة القضية العربية لا تلعب فـي صراعنا مع الدولة العنصـرية الإسـرائيلية إلا دورا شـديد الهامشية.

إن القوة الاقتصادية إذا ما تنامت علـى أسـس علميـة وصحية سليمة سوف تكون أمضى في التأثير من الأسـلحة

الأخرى في مواجهة العدو الإسرائيلي، ونورد فيما يلي بعض الإحصائيات التي تتعلق بالشرق الأوسط طبقًـا لتصـنيفات صندوق النقد الدولي، وتضم إسرائيل وإيران وكـل الـدول العربية فيما عدا شمال أفريقيا.

في عام ١٩٧٦ بلغ مجموع صادرات الشـرق الأوسـط ٩,٢٩٩ مليار دولار أمريكي، ووصل في أحدث إحصاء سنة ١٩٩٥ إلى ١٥٦,٦١ مليار دولار.

وكانت سنة ١٩٦٧ صادرات إسرائيل ٥٥٥ مليون دولار بنسبة ٦ ٪ وصادرات مصر ٥٦٦ بنسبة ٦ ٪ وسوريا ١٥٥ مليونًا بنسبة ١,٧ ٪، في عـام ١٩٩٥ بلغـت الصـادرات الإسرائيلية ١٩,٤٦ مليار دولار بنسبة ١٢,٢ ٪ مـن كـل المنطقة، أما الصادرات المصرية فقد زادت لتصـبح ٣٤٤٥ مليون دولار، وزادت صادرات سوريا إلى ٣٥٦٣ مليون.

أما واردات المنطقة فكانت ٦٢٧٥ مليون دولار في عـام ١٩٦٧، وحصـة كـل مـن مصـر وسـوريا وإسـرائيل ١٢,٦ ـ ٤,٢ ـ ١٢,٣ على الترتيب، أما في عـام ١٩٩٦ -وبياناته متوافرة على عكس الصادرات- فقـد اسـتوردت المنطقة ما قيمته ١٥٣,٧٥ مليار دولار بلغت حصة مصـر

منها ٨,٥ ٪ وسوريا ٣,٥ ٪ أما إسرائيل فكانت حصتها ٢٠,٦ ٪ أي ما يقرب من مثلي حصة مصر وسوريا مجتمعتين.

وقد نجحت إسرائيل في امتلاك قوة ذاتية في مجال إنتاج وتصنيع الأقمار الصناعية المخصصة للاستطلاع الاستراتيجي، وعمليات التنصت، والاتصالات الهاتفية واللاسلكية؛ وبهذا أصبحت المنظومة الدفاعية الإسرائيلية ترتكز على أربعة عناصر:

١- الأقمار الصناعية للاستطلاع الاستراتيجي والإنذار المبكر.

٢- وحدات التحكم الأرضية المرتبطة بالأقمار الصناعية.

٣- الوسائل الاعتراضية للهجمات الصاروخية بواسطة الصاروخ السهم.

٤- الهجوم المضاد بواسطة الصواريخ الإسرائيلية أريحا ١ - أريحا ٢ - أريحا ٣ القادرة على حمل رءوس نووية والطائرات البعيدة المدى F. 15،F. 16 .

التحدي الحضاري بيننا وبين إسرائيل يرتكز على عدة عوامل:

١- الجانب السياسي: وهي الممارسة الحقيقية للديمقراطية ووجود أحزاب فعلية.

٢- الجانب الاقتصادي: قدرة الاقتصاد على إشباع الحاجات الأساسية للجماهير، وهو ما يسمى التنمية البشرية، وتوسيع الفرص والخيارات أمام الناس وليس التنمية لحساب القلة.

٣- التحدي التكنولوجي: وهل نستمر ننقل التكنولوجيا من الغير أم نعمل على تخليق التكنولوجيا والإضافة إليها؟

٤- التحدي الثقافي: كيف نتعامل مع الآخرين وإيجاد الثقة بالنفس والقيم لدى المجتمع.

وهل نستطيع مواجهة التحديات المختلفة ونسبة الأمية في الشعب العربي حوالي ٦٠ ٪؟ وهل نستطيع في هذه الحالة أن نكسب المعركة؟.

ترسانة إسرائيل من الأسلحة التقليدية
وأسلحة الدمار الشامل

آخر إحصاء نشرته بعض المعاهـد المتخصصـة عـن ترسانة الأسلحة الإسرائيلية التقليدية، وأسلحة الدمار الشـامل صدر آخر عام ١٩٩٧.

الأسلحة التقليدية:سلاح الطيران:

يضم سلاح الطيران الإسرائيلي ١٢١٤ طائرة من مختلف الطرازات منها ٧٠٠ طائرة قتال من أحدث طائرات إف ـ ١٥ ـ وإف ـ ١٦ بأجيالهـا المختلفـة بخـلاف طـائرات الفانتوم، والسكاي هوك المطورة والكـافير ـ ١١٦ طـائرة هليكوبتر هجومية سلاح الدبابات:

يضم ٤٢٠٠ دبابة مـن طـرازات إم ـ ٦٠ بأجيالهـا، وسنتوريون، ومير كافا بأجيالها، و ٨٤٠ مدرعة مختلفة.

سلاح المدفعية:

يضم ٤٦٤٠ قطعة مدفعية ما بين مجنزرة، وذاتية الحركة، وصاروخية، وعديمة الارتداد، وهاونات بخلاف ٥٠٠ مدفع صغير.

أسلحة الدمار الشامل:

الكيماوي ـ البيولوجي ـ النووي

الكيماوي والبيولوجي:

أخذت إسرائيل منذ إنشائها سنة ١٩٤٨ في تحويل الصناعات الكيماوية ذات الاستخدام المدني كالأدوية والدهانات والعطور والبلاستيك إلى عدد من المجمعات الكيماوية العملاقة لإنتاج المواد الكيماوية الأساسية كحامض الفسفوريك، والنيتروجلسرين، والكلورات، وساهمت الاستثمارات الفرنسية والأمريكية في إقامة هذه المجمعات، ولم تكن إسرائيل بحاجة إلى خبرات علمية بهذا المجال؛ فكان لديها نخبة من العلماء في مجال الكيمياء حتى إن حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل كان في الأساس عالم كيمياء، وقامت إسرائيل بتأهيل العديد من الكوادر

العلمية والفنية المتخصصة في المراكز البحثية والجامعـات على مدى عدة سنوات مثل مركز التخنيون بكليـة الهندسـة التطبيقية في حيفا، وجامعتي بن جوريون وتل أبيب، وكذلك معهد رخبوت الذي يعدُّ أهـم المراكـز المتخصصـة فـي استخدامات الكيمياء للأغراض العسكرية، وبدأت إسرائيل في إنتاج الأسلحة الكيماوية منـذ أوائـل الخمسـينات، وتقـول التقديرات إن المخزون الكيماوي لدى إسرائيل يتراوح حجمه بين ٤٠٠ و ٥٠٠ طن من الغازات الحربية كغـازات الـدم والأعصاب والغازات الخانقة والكاوية، وهي معبأة في ألغام وذخائر مدفعية وقنابل.

أما بالنسبة للأسلحة البيولوجية فإن المعامل الإسـرائيلية نجحت في استحضار ٨ أنواع من الأسلحة البيولوجية تسبب أمراضا وبائية فتاكة منها: الطاعون، والتيفوس، والكـوليرا، والتهاب الأغشية المخية، والكلاب غير أنه لا توجـد أرقـام محدودة بحجم ما لـدى إسـرائيل فـي مخـزون الأسـلحة البيولوجي.

أحد الأسرار الخطيرة التي تخفيها إسرائيل حول أبحاثها الكيماوية والبكترولوجية

جاء في كتاب المنشق الإسرائيلي فكتور أوستروفسكي - "الجانب الآخر من الخديعة" - وكان أحد ضباط الموساد في إسرائيل ثم هرب، ويعيش حاليا متخفيا في كندا.

جاء في كتابه عن عمليات مطاردة الفلسطينيين الذين يخترقون الحدود ليقوموا بأعمال تخريبية داخل إسرائيل وكانوا غالبا ما يتعرَضون للقتل خلال المطاردة إنما كانت هناك حالات يتم فيها القبض على بعضهم أحياء هذا بينما يعلن عن مقتلهم في الإذاعة، وكانوا في الحقيقة يقادون إلى موقع قرب مدينة نس زيونا الصغيرة قرب تل أبيب، وكان هذا الموقع في الحقيقة معمل سري يجري فيه بعض العلماء اليهود التجارب على هؤلاء الأسرى باعتبارهم **حيوانات تجارب** حيث يتم اختبار بعض الفيروسات الجديدة والمضادات عليها؛ بما يوفر على الأبحاث الإسرائيلية ملايين الجنيهات.

السلام النووي:

سعت إسرائيل منذ نشأتها إلى امتلاك أسلحة ردع نووية، وانتهجت كل السبل بمساعدة أمريكا والدول الغربية؛ لتصبح الوحيدة في منطقة الشرق الأوسط التي تمتلك السلاح النووي، وأن تحول دون أية دولة أخرى في المنطقة من امتلاك سلاح نووي، ونذكر هجومها سنة ١٩٨١ على المفاعل العراقي؛ لإجهاض أية محاولة للعراق لامتلاك سلاح نووي.

أنتجت إسرائيل قنبلتها النووية الأولى سنة ١٩٦٦، وانتهجت استراتيجية "الردع بالشك" أي ردع جيرانها عن التفكير في مهاجمتها من خلال شكهم بامتلاكها سلاحا نوويا.

وعندما أصبح مخزونها من القنابل النووية يغطي كافة الأهداف التي تسعى إلى تدميرها في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط غيرت إسرائيل استراتيجيتها لتصبح "الردع باليقين" أي عن طريق اقتناع القوى الإقليمية المحيطة بها مما يمنعها عن التفكير بمهاجمتها أو التعرض لها؛ واستطاعت إسرائيل ممارسة الابتزاز السياسي تحت مظلة الرعب النووي.

والتقديرات تشير أن إسرائيل تمتلك ٢٠٠ قنبلة نووية عيارية أي أن القنبلة الواحدة تعادل قوة القنبلة التي ألقيت على هيروشيما فبلغت قوتها الانفجارية ٢٠ ألف طن.

كيف أنتجت إسرائيل السلاح النووي:

بعد قيام دولة إسرائيل شكلت وزارة الدفاع الإسرائيلي لجنة علمية للدراسات النووية، ثم أنشأت مؤسسة الطاقة النووية، وأوفدت بعثات علمية إلى الخارج لدراسة الفيزياء النووية، وأنشأت قسما خاصا لأبحاث النظائر المشعة في معهد رخبوت، وفي مطلع ١٩٥٣ وقعت إسرائيل مع فرنسا اتفاقية مشتركة للتعاون الذري، وأعقبتها معاهدة أخرى مع الولايات المتحدة سنة ١٩٥٥، وأتيح للعلماء الإسرائيليين الاطلاع على أسرار صناعة القنبلة الذرية الأمريكية.

وعندما نجح الإسرائيليون في إنتاج الماء الثقيل بطريقة كيماوية بدلاً من الطريقة الكهربائية التي كانت تحتكرها النرويج، وقايضت إسرائيل فرنسا في اتفاقية سرية أُبرمت سنة ١٩٥٧ للحصول على مفاعل نووي مقابل تزويدها بتكنولوجيا إنتاج الماء الثقيل؛ وبدأ إنشاء المفاعل في منطقة

ديمونة بصحراء النقب، واستمر تطوير المفاعـل، وأنشـأت إسرائيل "مسرعات نووية" وهي وحدات تسـتخدم لتسـريع النيترونات وقصفها داخل المفاعل النووي مكملة للمفـاعلات النووية، ثم أنشأت معامل أخرى في حيفا ونحـال سـوريك، ومعملاً للفيزياء في القدس، وكانت إسرائيل تحصـل علـى اليورانيوم من فرنسا وجنوب أفريقيـا، وفـي سـنة ١٩٦٦ أنتجت إسرائيل قنبلتها النووية الأولى، وفي فترة السبعينيات زادت إسرائيل من قدرة المفاعل في نحال سوريك، وكـذلك قدرة مفاعل ديمونة، وفي التسعينيات لجأت إسرائيل إلى الحد من إنتاج القنابل العيارية، وأخذت تتوسع في إنتـاج رءوس نووية تكتيكية تتيح لإسرائيل ضرب أهداف محددة مجـاورة لها أو تجمعات عسكرية دون أن يمتد أثر الضربة إليها.

وقـــد ســـاعد حصـــول إســـرائيل علـــى جهـــاز **السوبر كمبيوتر** من الولايات المتحدة على تصنيع الأسـلحة النووية التكتيكية دون إجراء تفجيرات.

وتُجمِع المعاهد الاستراتيجية الدولية إن إسـرائيل تملـك أسلحة نووية تجعل منها القوة النووية السادسة في العالم بعد الدول الخمس الكبرى.

وهناك بعض الاختلافات فيما تملكه إسرائيل من السـلاح النووي وهو بين ٢٤٨ ـ ٢٧٢ قنبلة نووية عيارية، ورغـم اختلاف التقدير فإن هناك اتفاقًا في أن إسرائيل لديها أعيـرة مختلفة من الأسلحة النووية تبـدأ مـن كيلـو طـن واحـد إلى ٢٠ كيلو طن، كما أن لها ذخائر نووية يمكن إطلاقها من المدفعيات عيار ١٥٥ مليمتر، وهناك تقديرات تشـير إلـى أن إسرائيل لا تقتصر ترسانتها على الأسـلحة الانشـطارية وإنما تضم أيضا قنابل هيدروجينية اندماجية.

القدرات الصاروخية:

تحتوي ترسـانة الصـواريخ الإسـرائيلية ١٢ منصـة و ٢٠٠ صاروخ من طراز لانس الأمريكي، ويصل مداه إلى ١١٠ كم، كما تحتوي علـى ٣٠٠ صـاروخًا مـن طـراز أريحا I الذي يبلغ مداه ٥٠٠ كم، وأريحا II وهو يحمل ألف كيلوجرام أو قوة نووية ٢٠ ك طن.

وتجـري الآن تجـارب علـى صـاروخها الفضـائي "شافيت" الذي استخدمته فـي إطـلاق أقمارهـا الصـناعية

أوق ١ ـ ٢ ـ ٣ ليصبح صاروخًا أرض ـ أرض طويـل المدى.

وبخلاف الصواريخ تملك إسرائيل طائرات جديـدة مـن طراز إف ١٥ القادرة على حمل قنابل نووية، ويبلغ مـداها ثلاثة آلاف كيلومتر دون حاجة إلى التزود بالوقود من الجو.

وحصلت إسرائيل على الصواريخ المضادة للصـواريخ، وهي من نوع الأنظمة الدفاعية؛ وبذلك أصبح في اسـتطاعة إسرائيل ضرب الدول المجاورة، وإحباط أي صاروخ بفضل صـــواريخها المضـــادة للصـــواريخ؛ وهـــذا ما يزيد اختلال التوازن في المنطقة.

وحصلت إسرائيل من الولايات المتحدة علـى بطاريـات صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ، وعلى التمويل اللازم لإنتاج الصاروخ وجيتس المضاد للصواريخ،

ومن المتوقع أن يبدأ إنتاجه خلال السنوات القادمة.

ونعود إلى التاريخ لنذكر أن بريطانيا أعطت إسرائيل وعد من لا يملك لمن لا يستحق، فرنسا أمدتها بالبنيـة الأساسـية لترسانتها النووية، وروسيا أمدتها بالعقول البشرية والعلمـاء والسكان، والولايات المتحدة قدمت ولا تزال تقـدم الغطـاء

المادي والسياسي وأسلحتها حتى الإنسـان، ألمانيـا بـدأت تزودها بأحدث أنواع الغواصات بعد أن أغرقتها بالتعويضات المادية بحجة التكفير عن مذابح النازي.

أحدث الأسلحة التي تملكها إسرائيل في ترسانتها العسكرية

تبدأ في مجال الفضاء الخارجي حيث نجحت إسرائيل في اقتحام هذا المجال، وأصبحت تملك منظومات تسليح تنفـرد بها يمكن تسميتها بالنظام الفضائي المتكامل؛ فهي تسـتطيع إنتاج وإطـلاق الأقمـار الصـناعية سـواء للاتصـالات أو أعمال التجسس مع إمكانية السيطرة والتحكم الأرضي في تلك الأقمار، إلى جانب حصولها على البيانات والمعلومـات الخاصة التي تستقبلها في محطاتها الأرضية.

وأصبحت إسرائيل تملك سلسلة أقمار الاستخدام العسكري من طراز أوفيك، والقمر الصناعي عـاموس للاتصـالات، بالإضافة إلى قمر الملاحة البرية ودراسة الأرض والطقس؛ كل ذلك أتاح لإسرائيل مزايا عديدة أهمها: الحصـول علـى المعلومات البالغة الدقة والموثقة بالصـور الفضـائية، إلـى جانب تأمين الاتصالات الخاصة بقيادة القوات الإسرائيلية.

وأخطر ما في هذه الأنظمة المتطورة أنها تتيح الفرصـة لتغذية الأسلحة الذكية مثل تلك التـي اسـتخدمتها الولايـات

المتحدة في حرب الخليج حيث تقدم المعلومات الدقيقة عـن أهدافها سواء قبل الإطلاق أو أثناء طيرانها نحـو أهـدافها؛ وهكذا أصبحت إسرائيل تملك عيونًا ذكية تحدد أهدافها بدقـة متناهية، وقامت إسرائيل بتزويد طائراتها طراز إف ١٦ بتلك الأنواع من الصواريخ الذكية.

والشيء الجديد والمخيف أن قـدرات إسـرائيل الجويـة مكنتها من توفير الفرص الملائمة للاشتباك عـن بعـد مـع وسائل الدفاع الجوي المعادية، أي بمعنـى آخـر تسـتطيع القاذفات والمقاتلات الإسرائيلية أن تطلق أسلحتها ضد أهدافها بلا خوف من رد الفعل؛ وذلك لأنها ستكون خـارج مـدى أسلحة الدفاع الجوي، وتوصلت إسرائيل إلى تحويل قنابلهـا وصواريخها التقليدية إلى قنابل وصورايخ ذكيـة بتزويـدها بالمستشعرات المختلفة وخاصة الحرارية.

وتقوم حاليا بإنتاج بعض نظم التسليح الجـوي الموجـه بالليزر، وتقوم كذلك بتطوير طرازات من الطائرات الموجهة بدون طيار تتفق مع المهام المستقبلية سواء كانـت للإنـذار المبكر أو لتأمين الضربات الجوية أو معاونة القوات البريـة

والبحرية إلى جانب اشـتراكها فـي أنظمـة الـدفاع ضـد الصواريخ البالستية.

وأصبحت إسرائيل تمتلك منظومة كاملة من الصـواريخ متوسطة وبعيدة المدى القادرة على حمـل أسـلحة نوويـة وكيماوية.

وتعمل الآن لإنتاج القنابل الانشطارية وإلى إنتاج الرءوس النووية التكتيكية، وتمتلك إسرائيل برنامجا متكـاملاً لإنتـاج الأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

وقامت إسرائيل بتطوير العديد من الأسلحة التقليدية مثـل الدبابات وقطع المدفعية وجميع أنواع الذخائر وأجهزة الرؤية سواء النهارية أو الليلية.

وقد تم تصنيف إسرائيل عالميا على أنهـا مـن الـدول المتقدمة عالميا في مجال الصـناعات الإلكترونيـة وإنتـاج أجهزة الاستطلاع والتنصت للإعاقة والتشويش.

ورغم كل ما تقدم وللحقيقة فإن إسرائيل لم تصل إلى مـا وصلت إليه من هذا التقدُّم المذهل وما أصبحت تملكـه مـن قدرات وإمكانيات لكي تحولها إلى أسطورة؛ لأننا نعلـم أنـه لولا الدعم الأمريكي، ولولا سماح الولايات المتحدة لإسرائيل

بالحصول على كل جديد وكل مبتكر من فكر وتكنولوجيـا، وحصولها على أدق الأجهزة المتطورة والمعقدة أولاً بـأول لما استطاعت أن تصل إلى ما وصلت إليه الآن.

ملف إسرائيل من أسلحة الدمار الشامل لا يزال مفتوحا

ما زال البرنامج النووي الإسرائيلي يحوطـه الغمـوض والسرية، وقد دلت الأقمار الصناعية الروسية والفرنسـية أن إسرائيل قامت بتطوير ما لا يقـل عـن ٢٠٠ رأس نـووي حربي تخزنها كخيار أخير في حالة التعرُّض لخطر الإبادة.

ويقع موقع المفاعل ومصنع معالجة البلاتونيم في الجنوب وبالتحديد في ديمونة بصـحراء النقـب، ومصـنع اختبـار الأسلحة النووية في الوسط في سوريك، أما موقع التجميـع ففي "بوديفات"، ويتم تصنيع الأسلحة في بير يعقوب، ويـتم تخزينها في " عيلبون ".

وتوجد قاعدة الصواريخ ووسائل الـردع النـووي فـي "كفار زخريا" في تلال يهودا، وتتلاءم طبيعة المنطقة لإقامة التحصينات تحت الأرض التي تتكون من طبقات من الحجر الجيري، وتكثر فيها الكهوف، وبدأت أعمال الإنشاء في هذه المنطقة عام ١٩٧٦، وصارت القاعدة جـاهزة بعـد عـدة سنوات، ولا تزال أعمال التطوير والتوسيع مستمرة، ويتكون

الجزء القديم من القاعدة من أربعة مبانٍ خرسانية، وتـؤدي إلى تحصينات تحت الأرض تحـوي صـواريخ أريحـا ١، وقنابل الجاذبية التي تحملهـا الطـائرات إف ١٤ وإف ١٦، أما في اتجاه الجنوب الشرقي فإنه تقوم أحدث قاعدة لتخزين صواريخ أريحا ٢ المتطـورة، وتـم إنتاجهـا فـي أوائـل التسعينيات، وتحيطها شبكة طرق تؤدي إلى خمسين موقعـا حصينًا تحت الأرض، وهذا يفترض أن خمسين صاروخًا من أريحا ٢ مخزنة هناك، أما الأسلحة الاستراتيجية فإنها توجـد في سفوح تلال يهودا في وسط إسرائيل، وهي محاطة بجدار سميك للغاية وبأشجار كثيفة وساحات خضراء حتـى وسـط الصحراء القاحلة؛ وذلك لإخفـاء المنشـآت مـن الطـرق المتاخمة، وتتنوع الترسانة الإسرائيلية النووية من قنبلة فـي شكلها التقليدي المتطور التي يمكن إسقاطها مـن الطـائرات القاذفة، وكذلك رءوس نووية يمكن تركيبهـا فـي مقـدمات الصواريخ البلاستيكية من طراز أريحا ١، أريحا ٢ بالإضافة إلى الدانات النووية التي يمكن إطلاقها من مدافع الهـاوتزر البعيدة المدى بالإضافة إلى الألغام النوويـة، ويوجـد لـدى إسرائيل منظومة متكاملة من وسائل الاتصال، وأصـبح الآن

باستطاعة الصاروخ أريحا ٢ المعـدّل حمـل رأس نوويـة لمسافة ٤٥٠٠ كم.

ملف إسرائيل
أحلام الصهيونية وأضاليلها

هذا الكتاب ملف إسرائيل - أحلام الصهيونية وأضـاليلها - أصدره المفكر الفرنسي المسلم رجـاء جـارودي سـنة ١٩٨٢ خلال الاجتياح الصهيوني للبنان ومحاصرة بيروت، ولم يجد المؤلف ناشرا واحدا في فرنسا أو أوربا يقبل طبـع الكتاب؛ بتأثير الضغوط التي مارسها الصهاينة على كبريات دور النشر في أوربا، وأخيرا طبعه لبناني شاب مقـيم فـي باريس باللغة الفرنسية، وتُرجِمَ فيما بعد إلى اللغة الإنجليزية.

بدأ جارودي كتابه بقولـه "**إنـك تسـتطيع فـي فرنسـا أن توجه الانتقاد إلى العقيدة الكاثوليكية أو تهاجم الإلحـاد، والقومية، وإدانة نظام الحكم في شتى أنحاء العالم ولكنـك لا تستطيع أن تقترب من تحليل الصهيونية أو انتقاد دولـة إسرائيل؛ لأنك تخضع حينئذ لمساءلة القانون وللملاحقـات القضائية** ".

وقسم جارودي كتابه إلى ثلاثة أجزاء:

١- الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية

٢- الصهيونية واليهودية.

٣- إسرائيل التوراتية ودولة إسرائيل الصهيونية.

في الجزء الأول أوضح جارودي الفارق الأساسـي بـين اتجاه بعض اليهود دينيا إلى إقامة مركز ثقافي وروحي لهـم في فلسطين دون أن يكون استعمار فلسـطين نفسـها مـن أهدافهم ـ وهؤلاء أطلق عليهم الصهيونية الدينية ـ وبـين الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل الملحد الذي عمد إلى استغلال الدين اليهودي والاعتماد على التزييفات الكثيرة عبر التاريخ للكتب اليهودية الدينية؛ لكي ينشيء دولة اسـتعمارية صهيونية في فلسطين.

كانت الصهيونية الروحانية بعيدة كل البعد عن أي برنامج سياسي، ولم يكن الاتجاه الديني الصوفي يلقى أية معارضـة من المسلمين، ولم يثر أي خلاف بين الطوائف اليهودية وبين السكان العرب في فلسطين. ولكن اليهود في نظر اليهوديـة السياسية هم "أمة" وشعب واحد في أي مكان يقطنون، ويجب أن يجمعهم وطن واحد، وأخذت تخلط بين الدين والقوميـة، وفسـرت الصـهيونية السياسـية وعـد بلفـور

أن إقامة الوطن القومي معناه إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وإلغاء كل وجود للسكان الأصليين.

والصهيونية أخذت تُسخر الدين لخدمة السياسية، وتناهض أي معترض ينتقد السياسة الصهيونية، ومن يفعل ذلك يـتهم بمعاداة السامية، وأخذت تنتقي من التوراة ما تـراه مناسـبا لتزوير مقاصدها السياسية وتمويهها، ففي الوقت الذي تنفـق فيه إسرائيل ٣٠ ٪ من صافي دخلها وناتجها القومي علـى جهازها العسكري تستند إلى ما تنتقيه من التـوراة؛ لتبريـر أمرين: الأول التوسع المستمر في الحدود، والثاني الطـرق التي تتبعها الدولة في التقتيل والإرهاب، وفي ظل عدم رسم الحدود تستعين دائما بالتوراة؛ لإضفاء الشرعية سلفًا على أي عدوان مبيت أو لتبرير أي إلحاق أو ضم للأراضـي، وقـد أضفت إسرائيل القداسة على المذابح التي اقترفتها وتقترفهـا من أجل ضروريات القضية مثل تدمير المدن والقرى، ودك بيروت بالقنابل، ومذابح مخيمي صبرا وشاتيلا لتكملة المذابح السابقة في دير ياسين وقبية وغيرها، وقد حاولت الصهيونية بموجب المذكرة التي قدَمتها إلى مؤتمر السلام العالمي سـنة ١٩١٩ أن تثبت أن قيام دولة إسرائيل فـي فلسـطين يـتم

بموجب الحق الإلهي الـذي يعطـي الأرض للإسـرائيليين لامتلاكها والسيطرة عليها.

وهذا التزييف للتاريخ يفترض أن العبرانيين هم الشاغلون الأوائل لفلسطين، بينما فلسطين زخرت بشعوب كثيرة غيرهم قبلهم وبعدهم، ولا يستطيع اليهود المطالبة بوضع اسـتثنائي لهم في سياق هذا التاريخ الطويل، إلا أن الصهيونية تُخْضِـع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف المنظمين حينما لا يبقى فـــي الكتـــب المدرســية الإســرائيلية ما يشير إلى تاريخ فلسطين سوى الكلمات العابرة أما بقيـة التاريخ فلا أثر له كما أن شيئًا لم يحدث فوق هـذه الأرض منذ الألف الثالثة قبل الميلاد حتى مجـيء العبـرانيين، ثـم لا شيء أيضا حتى إنشاء دولة إسرائيل والصهاينة يستكملون ادعاءاتهم لوجهين تاريخيين.

١- حولوا فلسطين إلى صحراء تاريخيـة عـدا فتـرة الوجود العبري فيها، وحوَلوهـا كـذلك إلـى أرض بلا شعب.

٢- وبعـد طمـس الاسـتمرارية التاريخيـة لـلأرض الفلسطينية ابتدعت الصـهيونية (تمامـا كالمعـادين

للسامية) تواصلاً عنصريا للشعب اليهـودي، وأنـه رفض الاندماج بالشعوب الأخرى؛ انتظارا للعـودة إلى أرض الجدود كما لو أن اليهود الحـاليين هـم الأحفاد والورثـة الطبيعيـون لإسـرائيل الأزمنـة التوراتية.

ونـذكر تصـريح جولـدا مـائير سـنة ١٩٦٩ بأنـه لا وجود للفلسطينيين، وليس حقيقيا أننا جئنا لطرد شعب من أرضه؛ لأنه لم يكن موجودا أصلاً، ومن وجِـدَ فـي تلـك الأراضي يجب أن يعاملُ كما عامل المهاجرون إلى أمريكـا الهنود الحمر.

ويجب أن نذكر أيضا أن تلك الصحراء المزعومة بأرض فلسطين كانت تصدر الحبوب والبرتقال، وقد زادت مساحات بساتين البرتقال من سنة ١٩٢٢ إلـى سـنة ١٩٤٢ سـبعة أضعاف، وإنتاج الخضروات تضاعف عشرات المرات مـن سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٣٨ ولو قارنا هذا التقـدم فـي الإنتـاج بالمساعدات المذهلة التي تدفقت على إسرائيل مـن الخـارج يتضح عدم حدوث أدنى معجزة إسرائيلية في مجال الإنتاج.

والحقيقة أنه لم يكن للعنصر اليهودي من وجود أصلاً فيما عدا هذيان هتلر والصهيونية؛ لأن اليهود كانوا خلال جميـع مراحل التاريخ أحد مركبات الفئات السكانية التي لم تشـكل أصولاً عرقية.

إن الأكثرية الساحقة من اليهـود الـروس والبولنـديين ينحدرون من " الخزر " وهم شعب من جنوب آسيا، واليهود لم يكونوا سوى قبيلة من العديد من القبائل العربية أو السامية التي استقرت في غربي آسيا؛ ونخلص من ذلك أنه لا يوجد عنصر يهودي ولا أمة يهودية بل مجرد ديانة يهودية.

والحقوق التاريخية المزعومة التي يرددها الصـهاينة لـم تحقق لليهود احتلال فلسطين بل يعود الاحتلال إلـى ثلاثـة مواقف جوهرية:

١- وعد بلفور سنة ١٩١٧.

٢- قرار تقسيم فلسطين ١٩٤٧.

٣- الفترة الفاصلة بين قرار التقسيم وانتهـاء الانتـداب البريطاني في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨.

حينما استولى الجيش الصهيوني بمسـاعدة البريطـانيين على أراضٍ كانت مخصصة للعرب الفلسطينيين وما تبع ذلك

من محاولة تفريغها من السكان عن طريق إرهـاب مـنظم ومذابح بين السكان الفلسطينيين، ومن الخطأ القول إن نشوء دولة إسرائيل قد تمَ على يد منظمة الأمم المتحدة بل نشوءا قد قام على سلسلة من الأمر الواقـع عبـر عنـف الهاجانـاه والأرجون وشتيرن؛ وهكذا أسدل الستار على تمثيلية الحقوق التاريخية، والصهيونيون لا يملكون من الحقـوق التاريخيـة أكثر مما كان يملكه الصليبيون الذين تم طردهم جميعا سـنة ١٢٩١ ميلادية.

الصهيونية والاستعمار:

إن الصهيونية السياسية المجرَدة من بهـارج الأسـطورة التاريخيـة التـي تـزعم أنهـا قامـت علـى أساسـها ؟ لا تعدو أن تكون في جوهرها ظاهرة استعمارية، واختلافهـا الوحيد عن الاستعمار التقليدي كالإنجليزي والفرنسي مثلاً أن المقصود هنا ليس استغلال السـكان أو تصـريف منتجـات الدولة المسـتعمرة ونهـب المـواد الأوليـة، والاسـتعمار الصهيوني يرمي إلى تجريد السكان من الأراضي، وطردهم منها، واضطرارهم للرحيل أو البقاء عاجزين سياسيا؛ بسبب

تطبيق التميز العنصري والشعارات الصـهيونية السياسـية تنادي: أرض يهودية ـ عمل يهودي ـ دولة يهودية.

وإذا كان الألمان قد ظلموا اليهود فهل يعقـل أن تُرتَكَـب مظلمة أخـرى بطـرد شـعب مـن أرضـه بينمـا هـو لم يشترك أبدا في الجريمة الهتارية ضـد اليهـود، وكـان الأحرى أن تُقْطَعَ قطعة من ألمانيا للناجين من المذابح علـى سبيل التكفير والتعويض.

خرافة الهولوكست:

كلمة هولوكست معناها التضحية الدينية في تقديم القرابين أو الأضحيات إلى الآلهة. فهل جريمة هتلر ضد اليهود تتسم بهذا المعنى الديني أم هي قضـية سياسـية بعيـدة المـدى، واستغلت الصهيونية كلمة هولوكست؛ لكي تصل إلى عـزل ضحايا اليهود عن بقية ضحايا الحرب العالمية الثانية التـي بلغت ٦٠ مليونًا من الرجال والنساء والمدنيين، بشكل خاص لقد أبيدَ ثلاثة ملايين بولوني، وستة ملايـين سـلافي غيـر محارب فلماذا التفريق بين الضحايا اليهود وغيرهم؟ ولمـاذا

الإصرار دائما على أن اليهود هم وحدهم ضـحايا النازيـة؟ وما شأن العرب لتنتزع أرضهم وتعطى لليهود تعويضا لهم؟

وهذا شأن الصهيونية السياسـية دائمـا؛ فهـي تتمسـك بالاستثناء والتفرقـة تعزيـزا للفكـرة القائلـة إن اليهـود لا يستطيعون العيش في أمان في الشتات (ديا سبورا) ولكـن في دولة منفصلة فقط.

أليس العديد مـن الـدول المنفصـلة لحقهـا الاجتيـاح أو الخراب؟ ولكن الغزاة لم ينهبوا أهلهـا أرضـهم، ولـيس صحيحا أن مشروعات الصهيونية العالمية قد أنقذت اليهـود من النازيين بل تم ذلـك بفضـل انتصـارات سـتالينجراد والعلمين، ولولا ذلك لباتت فلسطين بالدولة اليهودية أو بدونها رهينة الإرهاب النازي.

ونتيجة لترويج الصهيونية العالمية لوهم الاستثناء والتميز أصبحت إسرائيل في عزلة داخل منظمة هيئة الأمم المتحـدة حيث لم تكن لتتحدى كل شيء لولا الدعم غيـر المشـروط وغير المحدود من الولايات المتحدة الأمريكية؛ ولذلك تَعمـد الصهيونية العالمية إلى إذكاء معاداة السامية، وفي التهويـل بالتهديد العربي في الشرق الأوسط، وأخذت أمريكا تسـاندها

دائما؛ لتبقى القوة العسكرية المتفوقة على جميع الدول العربية مجتمعة.

خرافة رسالة المستعمرين:

دأب المستعمرون لتبرير كل ما يقومون به من الاستيلاء على أراضي الشعوب الأخرى والتحكم في مقـدراتها تـارة باسم الدين وأخرى لمساعدة الشعوب المتأخرة على النهوض والارتقاء.

والصهيونية السياسية الاستعمارية تقرأ التوراة، وتنتقـي منها، وتقتطع ما تشاء حيث اختارت ثلاث خرافات رئيسـية هي: خرافة الشعب المختار، والهبة المعطاة لهذا الشعب في أرض كنعان، وأخيرا خرافة إسرائيل الكبرى المقتصرة على اليهود، وهذا الاختيار تعتبره الصهيونية السياسية سند ملكية أو إرثًا سياسيا حتى أنهم يربطـون منجـزات مملكـة داود وسليمان بتدبير كوني من الله.

ولكن الحقيقة أن مجمل سياسة دولة إسـرائيل الداخليـة والخارجية مستمد من الخاصيتين الأساسـيتين للصـهيونية السياسية باعتبار هذه الأخيرة ظاهرة استعمارية متخفية فـي

زي عقائدي، إن عنصرية الصهيونية السياسية نظـام شـديد التماسك تستمد منه إسرائيل تشريعها وتطبيقاتها لكل قوانينها.

وحتى تدافع الصهيونية السياسية عن أهدافها هبَّ هرتسل بضراوة يهاجم اندماج اليهود في مجتمعاتهم؛ وذلك دفاعا عن الفكرة القائلة بأن اليهود غيـر قـابلين للانـدماج بغيـرهم، وبالتالي يجب عليهم الانعزال من أجل تشكيل دولة منفصلة، وكان هرتسل على أتم معرفة بـأن اللاسـامية ضـرورية للصهيونية السياسية؛ بغية حمل اليهود على الفرار لإسرائيل اعتمادا على حملات الاضطهاد لتنشيط الهجرة، ومن الغريب سماع الدعاية الصهيونية التي تقول إن دولة إسـرائيل هـي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وإن الحريـة فيهـا تصـل إلـى أقصـى مـداها، ولكـن هـذه الحريـة لا تتوافر داخل المؤسسة اليهودية؛ وهذا ينطوي على تمييـز عنصري كما هو حاصل في جميع الدول الاستعمارية حيـث كان الجنس الأبيض هو الحاكم والمسيطر.

وأكثر التمييز العنصري في إسرائيل يتركز في:

١ ـ الأحوال الشخصية ٢ ـ قانون العودة.

وقد اتخذ قانون العودة لصالح اليهود فقط؛ بحيث يصبح اليهودي القادم من الخارج مواطنًا إسرائيليا حالما تطأ قدمه أرض مطار تل أبيب، بينما يجوز اعتبار الفلسطيني المولود في فلسطين من أبوين فلسطينيين متشردا، وترى المؤسسة الصهيونية أن في هذا الأمر لا يوجد أي تمييز عنصري ضد الفلسطينيين بل هو إجراء لصالح اليهود ومستقبل دولتهم.

وكانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أصدرت قرارا سنة ١٩٧٥ باعتبار الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، ولو تتبعنا قوانين الزواج والجنسية اليهودية فإن سليمان لم يكن يهوديا طبقًا للقانون الجاري تطبيقه حاليا في إسرائيل؛ لأن أمه كانت حبشية، وكذلك الحال بالنسبة للملك شاول، لأن أمه كانت كنعانية، ويمكن اعتبار الملك داود أيضا غير يهودي؛ لأن أم جدته كانت مؤابية.

وقد استخدمت إسرائيل قانون الطوارئ الذي أصدره الإنجليز في فلسطين سنة ١٩٤٥، والذي يعطي الحاكم العسكري بحجة الأمن الحق في تعليق جميع حقوق المواطنين بما في ذلك حرية الانتقال، ويكفي أن يعلق الجيش

لافتة منطقة ممنوعة لدواعي الأمن أو ما يسمى أمن الدولـة حتى يصبح متعذرا على العربي أن يتوجه إلى أرضـه دون ترخيص، وإذا رفض إعطاؤه هذا الترخيص تعتبـر الأرض بورا؛ ويحق حينئذ لوزارة الزراعة أن تضـع يـدها علـى الأرض البائرة بغية تأمين زراعتها.

قوانين الاغتصاب:

- جهاز نزع ملكية الفلاحين في ٣٠/ ٦/ ١٩٤٨ م.
- القرار بشأن أملاك الغائبين في ١٤/ ٣/ ١٩٥٠ م.
- قانون حيازة الأراضي في ١٣/ ٣/ ١٩٥٣ م.

بالإضافة إلى عشرات الإجراءات الرامية إلـى إضـفاء الشرعية على السرقة بإجبار العرب على ترك أراضيهم لكي تقوم عليها المستوطنات؛ وأدى ذلك إلى تدمير القرى العربية بمنازلها ومـدافنها وقبورهـا، وفـي عـام ١٩٧٥ وضـع إسرائيل شاحاك الوزير الإسرائيلي قائمة بأسماء ٣٨٥ قريـة عربية دمرت وسويت للأرض بواسطة البولدوزر من أصل ٤٧٥ قرية كانت عام ١٩٤٨.

وهكذا أصبحت الأرض اليهودية والتي لم تكـن تتجـاوز ٦,٥ ٪ عام ١٩٤٧ أصبحت اليوم تمثل ٩٣ ٪ من أراضـي فلسطين، منها ٧٥ ٪ ملك للدولة، و ١٤ ٪ يملكها الصندوق القومي اليهودي.

إن توطين اليهود في فلسطين لا يسير بنجـاح ملحـوظ؛ وذلك بسبب أن الصهيونية السياسية وعدت بتوفير السـلامة لليهود في إسرائيل، إلا أن هذه الحجة لم تكن أبـدا مقنعـة؛ بسبب تتابع الحروب، وعدم توفر الأمن في الداخل.

وقد عمل الصهاينة على تفجير أعمال العنف ضد اليهود؛ لإجبارهم على الرحيل إلى فلسطين، وهذا مـا حصـل مـع اليهود العراقيين.

إن تحديد حدود دولة إسرائيل مرفوض حتى الآن حتـى تبقى مسألة الحدود مرنة مطاطة، وكما قال بـن جوريـون: علينا أن ننشئ دولة ديناميكية تتوجه دائما نحو التوسع.

إن إثارة البسالة العسكرية الإسرائيلية وما يمتلك الجـيش الإسرائيلي حاليا من تجهيزات عسكرية هائلة نجد أن مجموع جنود مصر وسوريا والأردن ولبنان خلال حرب ١٩٤٨ كان أقل من ٢٢ ألفًا مقابل ٦٥ ألف جنـدي إسـرائيلي، وفكـرة

الحرب الوقائية كانت دائما تراود النظام الصـهيوني؛ ففـي ١٩٥٥ أعلن مناحم بيجين في الكنيست الإسرائيلي أن الحرب الوقائية ضد الدول العربية ضرورية لأمن إسرائيل، ويجـب إطلاقها دون تردد؛ فهي الوسيلة لتحقيق أهدافنا، وهي تدمير القدرة العربية، وتوسيع أراضينا.

وفي تصريح للـوزير الإسـرائيلي مردخـاي بنتـوف سنة ١٩٧٣ جاء ما يلي: "كل القصص حول خطـر الإبـادة كانت مخترعة وملفقة ومضخمة بقصد تبرير ضـم منـاطق عربية جديدة، وهذا ما أكده مرارا عزرا وايزمان، والجنرال بليد، إن الحجج التي أثيرت لغزو لبنان وتبرير ذلك بمحاولة اغتيال السفير الإسرائيلي في لندن اتخذتها إسرائيل لخـوض حرب جديدة، وعلى بعد مـائتي متـر مـن مقـر القيـادة الإسرائيلية في بيروت وتحت أنظارها ليلاً قام أعوان المحتل الإسرائيلي بمجزرة جماعية تم فيها ذبح أولئك الـذين كـان الزعماء الإسرائيليون يهدفون إلى إبادتهم.

الخلاصة:

ليس للدولة اليهودية- حينما زرعـت- أيـة مشـروعية تاريخية ولا توراتية ولا قانونية، كذلك ليس لها أخلاقية فـي تصرفها بالداخل والخارج فهـي عنصـرية ـ توسـعية ـ إرهابية، والعقيدة المكونة للصهيونية السياسية هي شكل مـن أشكال العنصرية والعرقية والاستعمار، إن الدولة التي تقـوم على سلسلة من أعمال العنف والإرهاب لم تنشأ إلا بموجـب قــرار غيــر شــرعي مــن هيئــة الأمــم المتحــدة (المحكومة يومئذ بقوى غربية اسـتعمارية) صـادر بفعـل ضغوط ورشاوى مخجلة.

كما أن هذه الدولة لم تعش نتيجة عملها الـذاتي وبقوتهـا النابعة منها بل بساطة تدفق الأموال والسلاح من الغرب مثل الصليبيين في سالف الزمن.

إن الحل الوحيد الذي يشرف الجميع، ويـوفر السـلامة والأمن للجميع هو قبول الطرفين بجميـع قـرارات الأمـم المتحدة بشأن فلسطين ومنذ القرار الأول المتعلـق بالتقسـيم الذي يعين حدودا دقيقـة للـدولتين الإسـرائيلية والعربيـة، ويعترف القرار الثـاني بدولـة إسـرائيل، ولكـن الساسـة

الإسرائيليين يعرقلون التطبيق؛ لأنه لو تـم فسـوف يجمـد المشروع الإسرائيلي الصهيوني القائم علـى بسـط النفـوذ والاستمرار في التوسع.

إن تحقيق هذه التسوية السلمية المطفئة لشـرارة حـرب عالمية ثالثة محتملة هو من مسئوليات المجموعـة الدوليـة، ولا يحتاج الأمر إلى اللجوء إلى العنف بل تخفـيض معـدل المساعدات المتدفقة على إسرائيل؛ لأن اعتمادها على الخارج في مجالات الاقتصاد والمال والتسلح هو الأساسي.

حينئذ فقط يفتح المجال أمام اندماج هذه الدولة فعليا بالقارة الآسيوية بعد أن تكون قد كفـت عـن مسـلكها العنصـري الاستعماري وتحقيق الأمنية التي يتعايش فيهـا أبنـاء ملـة إبراهيم من يهود ونصارى ومسـلمين دونمـا أيـة تفرقـة عنصرية.

إن أهم ما يجيز كتاب جارودي هو الكـم الهائـل مـن الاستشهاد بنصوص ووثائق تدعم أفكاره، ويضم الكتاب كمية هائلة من المعلومات، ويقول في نهايته إنه مـا زال عرضـا مؤقتًا قابلاً للمراجعة والتنقيح طبقًا لاكتشاف عناصر جديدة، فهناك أطنان من المحفوظات الألمانية التي تم الاستيلاء عليها

ونقلت إلى الولايات المتحدة ولم يتم جردها بعـد بالكامـل، وهناك محفوظات أخرى في روسيا بدأت تفتح بعد أن كانت محرَمة على الباحثين؛ ومن ثم فما زال هناك عمـل ضخـم ينبغي القيام به شريطة عدم الخلط بين الأسطورة والتـاريخ أو الادعاء بالوصول إلى النتائج قبل البحث كما حاول نـوع من الإرهاب الفكري أن يفرض حتى الآن.

نظرة على كتاب نتنياهو

مكان تحت الشمس

في كتابه "مكان بين الأمم" أو مكان تحت الشمس يفصـح نتنياهو عن الفكر المعاصر الذي يسود المجتمع الإسرائيلي، وعن خططه وأهدافه المستقبلية المبنية على حق القـوة فـي النهاية ولا قوة للحق، وهي السياسة التي ترسم طريق السلام الذي تنتهجه إسرائيل، ويقول إن سلامنا هو سـلام الـردع، سلام القوة اليهودي إلى الأبد.

والسلام الذي يقبله نتنياهو هو التسليم التام بوجود إسرائيل دون شروط، ووقف التعاظم العسكري لدى الدول المحيطـة بإسرائيل بصفة خاصة وجميع الدول الإسلامية بصفة عامة، وقبول إسرائيل في المنطقة بوصفها القوة الأعظم دون تحفظ، ودون أية إشارة إلى العرب الفلسطينيين وحقوقهم ومصيرهم.

أصدر نتنياهو كتابه سنة ١٩٩٥ قبـل انتخابـه رئيسـا لوزراء إسرائيل، وضمنه أيديولوجيته وقناعاتـه الأساسـية، وتتركز حول فكرة أن أكثر الدول وليس العرب وحدهم فـي حالة تآمر تاريخي ومستمر ضد اليهود وإسرائيل، وأنه ينبغي

التصدي لهذه المـؤامرة بكـل الوسـائل المتاحـة العنيفـة والسياسية؛ حتى يكتشف المتآمرون حقيقة وهم أن هناك شعبا فلسطينيا له حقوق في أرض إسرائيل، والتي يحددها نتنياهو بالأرض الكائنة على ضفتي نهر الأردن غربية وشرقية على السواء بمعنى أنه يعتبر الأردن أرضا إسرائيلية محتلة مـن العرب يجب تحريرها.

وفي برنامجه الانتخابي اعتبر اتفاقيات أوسـلو السـلمية خيانة للصهيونية واليهود، وقاد حركة ضد رابين متهما إيـاه بتدمير إسرائيل؛ لاعترافه بمنظمـة التحريـر الفلسـطينية، وموافقته على دخول السلطة الفلسطينية إلى غـزَة والضـفة الغربية.

وعندما تولى السلطة حاول نتنياهو أن يظهر نفسه بأنـه يمثل الوسط بين المتشددين (المتطـرفين) والمعتـدلين فـي ائتلافه الحاكم؛ وذلك لكي يجد مبررا لمراوغته فـي تنفيـذ الاتفاقات المبرمة مع الفلسطينيين، واستئناف المفاوضات مع سوريا للجلاء عن الجولان مقابل السلام الكامل، وهو يحاول كسب الوقت أمام الضـغوط الدوليـة والعربيـة، وجميـع التحليلات التي تجد بعض العذر لنتنياهو على أساس أنه يقع

تحت ضغوط شديدة من المتطرفين، وأنه يحاول التوفيق بين المتطرفين والمعتدلين هذه تحليلات يجانبها الصواب؛ لأنهـا تخالف التكوين الفكري والنفسي والسياسي لنتنياهو والبيئـة العنصرية التي نشأ فيها، وهو في الحقيقة من أكثر العناصر المتطرفة في المجتمع الإسرائيلي.

إن ننتنياهو يتخذ من "المكراه"- ومعناها جملـة أسـاطير صاغها كهان اليهود في تواريخ متباعدة، وهي في مجموعها تشكل الأساس الديني لمجمل التراث اليهودي في التـاريخ- أساسا لتاريخ فلسطين منذ الأزل.

ونتنياهو يروي التاريخ مقلوبا؛ فالعرب هم الذين اسـتلبوا أرض إسرائيل وليس اليهود الذين استلبوا فلسطين، ويقول إن الصراعات والاضطرابات في المنطقة لا علاقة بها بوجـود إسرائيل؛ فهي صراعات عربية- عربية.

ويثني نتنياهو على تصريحات هرتسل التي تتحدث عـن الحلم الصهيوني، وأن وقـود القـاطرة الصـهيونية يتـألف لا محالة من عنصرين:

الأول: إحياء الأسطورة القادرة على بث روح الماضي أو ما يسمى التركيز على الأرض المسكونة بروح الأجداد.

الثاني: عنصر واقعي وعملي يتمثل بالدعم اليهودي العالمي ماديا وسياسيا لتحقيق الحلم.

وتحدث نتنياهو عن نابليون حين وصفه بأنه كان شـريكًا بالرغبة في رؤية اليهود عائدين إلى وطنهم، وعن الساسـة البريطانيين الذين أعلنوا عـن تأييـدهم للنهضـة القوميـة اليهودية، ومراكزهم المهمة في الإدارة البريطانية العليا مثل: بالمرستون ـ دزرائيلي ـ سولبري ـ ماتشستر ـ تشرشل، ومن رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية: ولـيم مـاكتلي ـ تيودور روزفلت ـ وليم بنت ـ وقد اكتفوا جمـيعهم بـأن خلاص البشرية الروحي لن يتحقق إلا بعد تجميـع الشـتات اليهودي.

وقـال أيضـا إن الصـهيونية سـواء بالنسـبة لليهـود أو المسيحيين هي: "تحقيق نبوءة تاريخية قديمة".

ويصور نتنياهو حرب ١٩٤٨ كعدوان واقع من خمسـة جيوش عربية ضد بلد صغير (إسرائيل) وينسى أن أهم المدن الفلسطينية سقطت بأيدي اليهود قبل ١٥ مايو سـنة ١٩٤٨، وهو تاريخ دخول الجيوش العربية لفلسطين، وتلك المدن هي

طبريا - صفد - بيسان - سمخ - حيفا - عكا - يافا - أجزاء من القدس - النقب.

والجزء اليهودي المقرر بالتقسيم احتلته القوات اليهودية قبل ١٥ مايو أيضا، وكذلك تم تشريد حوالي ٤٠٠ ألف فلسطيني وطردهم من بيوتهم قبل دخول الدول العربية إلى فلسطين.

وفي كتابه يظهر للعلن إمكان استخدام أسلحة غير تقليدية في النزاع العربي - الإسرائيلي، وأن إسرائيل تمتلك قوة هائلة، وهو لا يرى فائدة من إخفاء الخيار النووي.

ويتحدث عن الإرهاب العربي الذي يقتل الزعماء الذين يبرمون صلحا مع إسرائيل، وأن الزعماء الآخرين يخشون مصير الرئيس المصري أنور السادات، والرئيس اللبناني بشير الجميل.

ويستعرض بكل وقاحة التنازلات التي قدَمتها الصهيونية للعرب.

- عام ١٩١٩ تنازلت الصهيونية عن حقها في مياه نهر الليطاني!!

- عام ١٩٢٢ سكتت الصهيونية عـن اقتطـاع ٨٠ ٪ من أراضي الوطن القومي لمملكة شرقي الأردن.

- عام ١٩٧٩ تنازلت إسرائيل عـن صـحراء سيناء.

- عام ١٩٨٩ سلمت إسرائيل طابا للمصريين.

ويقول نتنياهو إنه أصبح واضحا أن المتطلبـات القوميـة لإسرائيل تستوجب استمرار السيطرة على الجـدار الـواقي المتمثل في الجولان والضفة الغربية، وإن قيام دولة فلسطين سيؤدي في النهاية إلى قيام حرب حتمية.

ومن الثوابت التي يؤمن بها نتنياهو: أن تـدوم السـيطرة الإسرائيلية على مصادر المياه في المناطق المحتلة جميعها.

مراقبة مستمرة تمنع إغراق الضفة والقطـاع بالعائـدين الفلسطينيين أو طالبي العودة.

اتخاذ إجراءات صارمة بشأن وحدة مدينة القدس، وأنهـا العاصمة الأبدية لإسرائيل، وأن ما يجـب أن يبقـى تحـت السيطرة الإسرائيلية ـ الأمن ـ الأرض ـ الميـاه والـدمج بين هذه العناصر بالنسبة لإمكانية الإخلال السكاني بالنسـبة

للعرب واليهود في إسرائيل، وخشية ازدياد الكثافة الســكانية العربية فإن نتنياهو لا يتورع عن اســتخدام ســلاح الطــرد الجماعي للسكان، ويبــدأ بالمــداهمات، وتفجيــر البيــوت، والاستيلاء على الأرض، وطرد السكان منهــا، والتضــييق الاقتصادي، ويدعو نتنياهو إلى منح قروض لإنشــاء أســر يهودية، ومساعدة النساء اللائــي يعــانين مــن صــعوبات الإخصاب، وتقديم المساعدات المتميزة للعائلات التي تريــد زيادة عدد أولادها.

هذه بعض أفكار وأيديولوجيات وقناعــات نتنيــاهو كمــا وردت في كتابه:

"مكان بين الأمم"

الاعتداء الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦
إسرائيل ـ بريطانيا ـ فرنسا

وكيف انعكس على الساحة الفلسطينية

صور من الأعمال الوحشية والمذابح التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية عندما احتلت قطاع غزَّة في ٣١/ ١٠/ ١٩٥٦.

مدينة رفح:

ما إن دخلت طلائع القوات الإسرائيلية مدينة رفح في ٣١/ ١٠/ ١٩٥٦ وكان يساندها بعض القوات الفرنسية والإنجليزية حتى بدأت في التنكيل والقتل دون تمييز بين طفل أو امرأة أو عجوز ثم جمعت الشباب في فناء المدرسة الحكومية ومدرسة اللاجئين وبدءوا يضربونهم بالهراوات فوق رءوسهم حتى وقع أكثرهم صرعى، وأعدوا سيارات نقلت الجثث إلى منطقة الرمال وأمر الأحياء بحفر القبور الواسعة لدفن الموتى ثم قاموا بقتل الأحياء، وفي يوم ٣/ ١١/ ١٩٥٦ كانت الجثث تملأ الطرقات والجرحى

ينزفون في البيوت، وبلغت القسوة بشاويش إسرائيلي أن دخل بيتًا عربيا فقتل طفلين أمام أمهما، ولما سئِلَ عن الداعي لذلك أجاب إن زوجته طلبت منه أن يقتل أربعين عربيا فتمكن من قتل ٣٨ وعزَّ عليه أن لا يحقق رغبة زوجته فقتل الطفلين.

مدينة غزَّة:

تعرَّضت يوم ٢/ ١١/ ١٩٥٦ إلى قصف من الطـائرات الفرنسية والإسرائيلية، ودخلت القوات الإسرائيلية والـدبابات ترفع شعارات الجيش المصري؛ فظن السكان أن المصريين جاءوا لنجدتهم ولكن ما إن وصلوا وسط المدينة حتى فتحـوا الرشاشات فأردوا أكثر من ٣٠٠ شهيد، واقتحموا المحـلات التجارية، ونهبوا ما فيها ثم احتجـزوا الرجـال وعصـبوا عيونهم ونقلوهم بالسيارات وفي يوم١٩٥٧/٣/٢٤ اكتشـفت بالصدفة جثثهم المتآكلة مدفونة خارج غزَّة، وقد تفنن اليهود في أساليب التعذيب فكان الرجل يعرى وتربط يداه ورجـلاه بالحبال ويطرح على الأرض، ثم تطلق الكـلاب البوليسـية تنهش لحمه؛ وقد أدى نهب المدينة إلى أزمة حادة في المواد الغذائية.

ثم أخذ اليهود يقتحمون معسكرات اللاجئين وبدءوا بمعسكر جباليا، وأخذوا يطلقون النيران؛ مما أدى إلى مقتل مئات.

ولما دخلت القوات الإسرائيلية بيت حانون لم يجدوا إلا بعض الشيوخ؛ فقتلوهم عن آخرهم.

وفي مدينة خان يونس:

أخذت سفن الأسطولين البريطاني والفرنسي تقصف المدينة تمهيدا لدخول القوات الإسرائيلية التي بدأت جرائمها بالهجوم على المستشفى وقتل جميع من فيه ثم ساقوا الأطباء وبعض الممرضات إلى ساحة المدينة، وأردوهم بالرصاص وتركوهم في العراء دون دفن.

ثم بدءوا يجمعون بين خمسة أو عشرة أشخاص، ويطلقون عليهم الرصاص دفعة واحدة.

وفي دير البلح اقتحموا عيادة المعسكر، وكان يرفع عليها الصليب الأحمر وعلم الأمم المتحدة، وجمعوا الممرضات والممرضين وأطلقوا عليهم النار جميعهم.

وفي معسكر النصيرات:

دخلت القوات الإسرائيلية بحجة تفتيش المعسكر بحثًا عن الأسلحة ولكنهم نهبوا كل ما أمكن حمله ثم اعتقلـوا حـوالي ٣٠٠ شاب بين موظف ومدرس وتلميذ وعامل ونقلوهم إلـى السجون، ولم يعد الكثير من هؤلاء إلى أهلهم.

وفي معسكر البريج: أثناء تفتيش المعسكر جـرت عـدة محاولات للاعتداء على الأعراض بجانب السلب والنهـب، وإطلاق النيران العشوائية.

تقرير لجنة التحقيق المنبثقة عن هيئة الأمم سنة ١٩٧٦
انتهاك حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة

من تقرير قدَّمته لجنة التحقيق المنبثقة عن هيئـة الأمـم المتحدة قُدم في الدورة ٣١ للجمعية العامة سنة ١٩٧٦ جـاء فيه:

لقد دأبت اللجنة الخاصة منذ وضعت تقريرها الأول عـام ١٩٧٠ على القول في جميع تقاريرها بأن جـذور المشـكلة التي تمسُّ حقوق الإنسان لسكان الأرض المحتلة تكمن فـي السياسة التي تتبعها حكومة إسرائيل بهدف تنفيذ عملية ضـم هذه الأراضي، وأشارت اللجنة إلى الممارسـات المباشـرة وغير المباشرة، وأخطر التدابير المباشرة إنشاء المستعمرات الإسرائيلية وفقًا لخطط الحكومة التي كانت أُقِرَّت من قبـل، ونقل المواطنين الإسرائيليين إلى هذه المسـتعمرات، ومـن أمثلة التدابير غير المباشرة التي اتخذتها الدولة المحتلة لقمع

كافة التظاهرات والاحتجاجات ضد الاحتلال بما فـي ذلـك أعمال القمع من قبيل هدم المنازل، وحظر تصدير المنتجات الزراعية.

وفي تقرير اللجنة الأول المقدَم سـنة ١٩٧٠ وبموجـب وثائق قدمتها اللجنة في تقريرها إلى الجمعية العامة:

١- تغيير الطبيعـة القانونيـة، والتشـكيل الجغرافـي، والتركيب السكاني، والمعالم المادية والدينية للأرض المحتلة.

٢- الحالة غير الطبيعية التي يعيش فيها السـكان تحـت الاحتلال العسكري وتحت السلاح.

٣- وصف حالة السجون والمعتقلين.

٤- التعليم وما ناله من تدهور وتحريف.

٥- مصادرة الأملاك ونزع ملكيتها.

٦- الاعتقال الجماعي والحجز الإداري والتعذيب.

٧- التعدي على الحريات والشعائر الدينيـة والأعـراف الخاصة بالأسرة.

٨- إجلاء السكان وترحيلهم وطردهم وتشرديهم ونقلهم وإنكار حقهم في العودة.

٩- الاستغلال غير المشروع للثروات الطبيعية في الأراضي المحتلة.

١٠- نهب الممتلكات الأثرية والثقافية.

إن تطبيق العقوبات الجماعية أدّى إلى حرمان عشرين ألف فلسطيني من منازلهم التي تمَّ هدمها أو نسفها.

تقرير إسرائيلي يتحدث عن الأوضاع في قطاع غزَة صدر سنة ١٩٨٧

عرفَ التقرير باسم " نبشستي " أعدَته مجموعة بحث إسرائيلية، ونكتفي هنا بالجانب الاقتصادي من التقرير، يقول التقرير: من المعروف أن أي احتلال في العالم يحمل الدولة القائمة بالاحتلال عبئًا ماليا هذا إذا كانت تراعي القانون الدولي واتفاقيات جنيف؛ لأن الاحتلال له قوانين يتعامل على أساسها العالم ولكن إسرائيل لا تستنزف من قطاع غزَة مصاريف الاحتلال فقط بل إنها فوق ذلك تحقق مكاسب مالية أيضا.

وأهم العناصر في التقرير المذكور:

- إن إسرائيل تحاصر غزَة اقتصاديا، ولا تسمح لها بالتجارة ولا الاستثمار ولا النمو، فهي تخنق إمكانيات الحياة فيها؛ فيضطر عشرات الألوف من العمال للذهاب إلى إسرائيل صباح كل يوم والعودة

في المساء، حيث يقومون بكـل الأعمـال الشـاقة والمتدنية؛ فتتوفر العمالة الإسرائيلية لما هـو أهـم، ويأخذ العمال العرب أحط الأجور فالبديل الوحيد هو الموت جوعا فهو أرخص عمل في العالم، وليس لهم تأمينات أو علاج.

- إن كل ما يشتريه أهل غزَّة بما فيهم طبعـا هـؤلاء العمال وأسرهم التعيسة لا بد أن يكون مـن إنتـاج إسرائيل؛ لأنه محظور عليهم الحصول على أي إنتاج آخر، وهم يبيعون لهم أقل منتجات إسرائيل قيمـة، ويحددون ثمنها كما يشاءون فغزَّة سوق أسيرة لدولة معينة، سوق تعدادها أكثر من ثلاثة أرباع مليون.
- إن إنتاج أهل غزَّة الزراعي أساسا أو من الحـرف التقليدية غير مسموح لهم بتصديره إلا مـن خـلال إسرائيل؛ وتستفيد إسرائيل من ذلك، إلى جانب أنهـا تعرضه في العالم على أنه إنتاج إسرائيلي كالبرتقال وغيره.
- إن من يريد أن يضع طوبة في مكان مـا عليـه أن يحصل على ترخيص، والترخيص من الصعب جدا

الحصول عليه؛ لأن إسرائيل لا تريد أي نمو لزيادة التكدُّس البشري، والترخيص عليه رسوم باهظة.

هذه السياسات أقسى على أهل غزَّة من طلقات الرصاص، وجريمة الاحتلال الإسرائيلي مستمرة؛ لأن إسرائيل تريد خنق شعب بأسره، وجعله يموت موتًا بطيئًا.

لا شك أن السياسة اليهودية متمثلة في نتنياهو تُحضر لنقض الاتفاق مع الفلسطينيين حتى لو تم عقده؛ وذلك بربط مجموعة من الشروط الأمنية التي تعطيه مجالاً واسعا للتراجع عن الاتفاق كما اعتاد بالنسبة للاتفاقات السابقة، وهذه الشروط الأمنية هي:

١- القبض على المتهمين في أعمال عنف وإرهاب، ومحاكمتهم وفق قائمة يتم بلورتها مع الجانب الأمريكي.

٢- قيام لجنة أمريكية فلسطينية بمراجعة الخطوات المتخذة لمحاكمة المتهمين الفلسطينيين في أعمال العنف قبل إطلاق سراح أي متهم في هذه القضايا.

٣- وضع خطة بالتعاون مع الجانب الأمريكي لمحاربة المنظمات الإرهابية، وتدمير بنيتها التحتية.

٤- قيام لجنة أمريكية فلسطينية للاجتماع دوريا؛ لمراجعة الخطوات المتخذة نحو محاربة الخلايا الإرهابية.

٥- قيام الفلسطينيين بوضع إطار قانوني لتجريم حيازة الأسلحة والذخيرة غير المرخصة.

٦- وضع نظام دقيق ومحكم لجميع الأسلحة غير المرخصة.

٧- إصدار قانون حظر جميع أشكال التحريض على العنف والإرهاب.

٨- إنشاء لجنة فلسطينية إسرائيلية أمريكية لمتابعة حالات التحريض المحتملة، ورفع توصيات بشأن مواجهتها.

٩- استئناف التعاون الأمني الثنائي بشكل كامل بين الجانب الإسرائيلي والجانب الفلسطيني.

١٠- إنشاء لجنة فلسطينية إسرائيلية أمريكية لتقويم المخاطر الأمنية الحالية، والتعامل مع الصعوبات التي تعيق التعاون الأمني.

١١- قيام الفلسطينيين بتقديم قائمة إلى الجانب الإسرائيلي بأسماء أفراد الشرطة الفلسطينية، والحقيقة التي تكشف عنها هذه القائمة الطويلة هي أنها تضع الوضع الأمني الفلسطيني بكامله في أيدي الإسرائيليين حتى لو غطتها بعض الأحيان بيد الأمريكيين خاصة أنها موجهة فقط إلى الجانب الفلسطيني دون الجانب الإسرائيلي؛ فالجانب الفلسطيني مطالب بجمع الأسلحة غير المرخصة، وإصدار تشريعات تحظر تداولها بينما لا يطبق هذا على الأسلحة التي في أيدي المستوطنين الإسرائيليين، كما أنهم مطالبون بحظر وتجريم التحريض على العنف ولا ينسحب هذا على الجانب الإسرائيلي الذي يزخر بالتحريض على العنف في وسائل الإعلام اليمينية الإسرائيلية، بل إن المدارس الإسرائيلية ذاتها فيها كل ما يغرس التعصب والكراهية للعرب.

كيف تخطط إسرائيل لإدارة عمليات التفاوض مع العرب وبصفة خاصة مع الفلسطينيين

النظرية الإسرائيلية للتفاوض مع العرب، والتي تأسست على خبرة طويلة بدأت مع مفاوضات الهدنة بعد الصراع المسلح بين إسرائيل والعرب سنة ١٩٤٨، وأعقب ذلك مفاوضات فصل القوات مع مصر سنة ١٩٧٣، وفصل القوات مع سوريا سنة ١٩٧٣ أيضا، ثم مفاوضات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية سنة ١٩٧٩، وجاء مؤتمر مدريد سنة ١٩٩١، وتوالت المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية ولا زالت مستمرة، وتمت خلال هذه الفترة المفاوضات الإسرائيلية الأردنية، وإبرام معاهدة السلام بينهما.

الاستراتيجية الإسرائيلية للتفاوض تمرُّ بمراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: وتُسمى المرحلة التمهيديـة، يـتم فيهـا التعرف على نوايا وتوجهات الجانب الآخر، ومـدى قدرتـه على إدارة التفاوض وتحمل النتائج والوصول إلى قرارات.

المرحلة الثانية: إدارة عملية التفاوض، ويشترك فيها عادة أقطاب النخبة الحاكمة والأجهزة المختصـة ورئـيس لجنـة الأمن والشئون الخارجية في الكنيست، وترتكز هذه المرحلة على حجم المعلومات التي توافرت، وموقف الخصم، وموقف الحليف الاستراتيجي الإسرائيلي وهو أمريكا.

المرحلة الثالثة: حيث يتم إعداد وفد التفاوض على ضوء وضوح توجهات الخصـم، ولا يخلـو أي وفـد تفاوضـي إسرائيلي في أي نوع من المفاوضات أيا كان موضوعها من احتوائه على خبـراء فـي السياسـة والشـئون العسـكرية والاقتصادية والقانونية، وتكون المفاوضات تحـت إشـراف مباشر من رئيس الوزراء، وعادة يضاف إلى الوفد الرسمي المفاوض مجموعة استشاريين وخبـراء يختـارهم مجلـس الوزراء؛ لمعاونة الوفد الرسمي وتقـديم المشـورة الفنيـة المتخصصـة، ومراقبـة التـزام المفـاوض الإسـرائيلي بالاستراتيجية المستهدفة من التفاوض، وتهتم إسرائيل اهتماما

خاصا بدارسة شخصية المفاوض الآخر وخصائصه ومـدى قوته ونقاط ضعفه ونواياه وأهدافه وأسـلوبه فـي الإقنـاع أو الإغراء ومدى تصلبه والتزامه بمواقفه.

وتشترك مراكز البحوث والأجهزة العلمية المختلفة بجانب الأجهزة المعاونة من الدول الحليفة وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية في استكمال تلك الدراسات، وتعتمد إسرائيل فـي اختيار وفد التفاوض على نجاح مراحل التفاوض المختلفـة، وتعتبر كل خبير إسرائيلي يمثل واجهة حضارية لإسـرائيل، ومنفذًا أمينًا لاستراتيجية التفاوض، وممارسة الحد الأقصـى والحد الأدنى لما يمكن قبوله ورفضه، ومدى إظهار التشـدد والمرونة تجاه الخصم.

وتقوم إسرائيل بالتدريب والتأهيل العلمـي للمفـاوض أو المستشار أو الخبير الإسرائيلي والذي يشمل حدود الأهـداف المراد تحقيقها ومنها إتقان اللغة العربيـة باعتبارهـا لغـة الخصوم المنتظرة.

وتسمح إسرائيل بالمساندة الكاملة من كل أجهزة الدولـة، وتطويعها لخدمة وفد التفاوض، والسماح لهم بالاطلاع علـى

كافة المستندات والوثائق التي تبرر حسم القضايا التفاوضـية لصالح أهداف إسرائيل.

ويأتي خلال مرحلة التفاوض مبدأ توزيع الأدوار، وتنوع أساليب تلك الأدوار بين التعنت والقبـول، وبـين الجمـود والمرونة؛ بما يتيح القدرة علـى التلـون والتكيـف حسـب الموقف التفاوضي.

وتهتم إسرائيل بأن يكون المفاوض علـى إلمـام مبكـر بالقضايا التفاوضية التي سيتم التفاوض بشـأنها علـى كـل اتجاه، وجعل المفاوض على دراية تامة بالمتغيرات الدوليـة والإقليمية لتناسب التوقيت الزمني للتفاوض، وتدرس إسرائيل دائما مدى حاجة المفاوض على الجانب الآخر إلى السـلام، والوصول بحلول إيجابية خلال التفاوض، وتهتم بجماعـات الضغط والتأييد الإقليمي والعـالمي، وتهـتم بإطالـة مـدة التفاوض لتصل إلى إغراق المفاوض الآخـر بالتفصـيلات، وغالبا ما يضم وفد التفاوض الإسرائيلي بعض العسـكريين السابقين الذين لديهم إلمام بالنواحي العسكرية.

وفي أي تفاوض مع العرب كان هدف إسرائيل الأساسـي الوصول إلى اتفاقية سلام شامل، وإقامة علاقـات طبيعيـة

وليس مجرد إنهاء حالة الحـرب؛ وهـذا مـا حصـل مـع المصريين والأردنيين والفلسطينيين.

وفي جميع اللقاءات التفاوضية الإسرائيلية مـع العـرب وخصوصا مع الفلسطينيين كانت تصر إسرائيل على مبدأين أساسيين الأول: رفض إسـرائيل الانسـحاب الكامـل مـن الأراضي المحتلة، والثاني: رفض طلب الفلسطينيين القـاطع بالسماح لهم بممارسة حق تقريـر المصـير، ونـذكر هنـا أن قوات متعددة الجنسيات معظمها أمريكية تقيم بصفة دائمة في سيناء المصرية بعد انسحاب القوات الإسـرائيلية منهـا، ولا تستطيع مصر طلب سحب تلـك القـوات إلا بموافقـة إسرائيل، وكذلك استمرت إسرائيل باحتلال بعض الأراضـي الأردنية تحت ستار كلمة "تأجير".

وفي جميع مراحل التفاوض وفـي مسـاراته المختلفـة وخصوصا مع الفلسطينيين كانت تعتمد إسرائيل على أسلوب المفاوضات السرية المباشرة كما حصل فـي أوسـلو ١، ٢ بالخروج بعيدا عن جلسات وفود التفاوض التي كانت تُعقَـد في واشنطن كما حصل تماما في مفاوضات كامـب ديفيـد واتباع أسلوب اللقاءات السرية.

ودائما يتركز مفهوم المفاوضات الإسرائيلية العربية وخصوصا مع الفلسطينيين على مصطلح الأمن كمبرر للتوسع الإقليمي، وضمان التفوق العسكري على العرب ككل، وأخيرا اعتماد عملية التفاوض مع كل طرف عربي من أطراف التسوية على حدة، ورفضها الكامل للربط بين الأطراف الأخرى؛ وهي بذلك تعتمد على استراتيجية الحل المنفرد مع كل دولة عربية لوحدها.

ومن جميع ما تقدَم يمكن تلخيص المبادئ والركائز التي تستند إليها الاستراتيجية التفاوضية الإسرائيلية في الحقائق التالية:

المفهوم الإسرائيلي للسلام مع العرب يعني:

١- الوصول دائما إلى اتفاقيات سلام منفردة مع كل طرف على حدة وبالشروط الإسرائيلية.

٢- الاحتفاظ دائما بقدرة فائقة للردع بأسلحة غير تقليدية متمثلة بالأسلحة النووية.

٣- تطوير السلاح الإسرائيلي بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية بما يسمح بالتفوق النوعي للأسلحة التقليدية على العرب مجتمعين.

٤- اعتقاد إسرائيل وأمريكا أن مشاعر العداء بين العرب وإسرائيل يمكن أن تزول تـدريجيا طالمـا اسـتمر التفوق الإسرائيلي الساحق اقتصاديا وعسكريا علـى العرب، وهو مـا تسـعى إليـه إسـرائيل خـلال المفاوضات مع العرب.

٥- الاهتمام البالغ بالتخطيط العلمي ومراكـز البحـوث والتقدُم التكنولوجي بالمساعدة الأمريكية تساند أيضا المفاوض الإسرائيلي وهذا مـا يجعـل أي تغييـر وزاري أو تغييــر بالأشــخاص لا يــؤثر علــى استراتيجية التفاوض.

٦- ترمي إسرائيل بالتخطيط البعيد المدى إلـى تحقيـق أكبر قدر من المصالح القوميـة والأهـداف، وفـي المقابل نجد الدولة العربية تُفْرَض عليهـا المواقـف سواء في الفعل وتوقيته ومكانه أو في قوة هذا الفعل.

٧- تعتمد إسرائيل على غلبة المصالح الذاتية، والقضـايا الفرعية للدول العربية، والخلافات العربية- العربية.

يبتعد العرب دائما عن التخطيط المدروس البعيد المـدى الذي يستطيع أن يواجـه المخططـات الإسـرائيلية ويمنـع

استغلال القدرة العربية ويوجهها الاتجـاه الصـحيح، وهـذا ما تستغله إسرائيل إلى أبعد مدى.

إن الترتيبات الأمنية من وجهة النظر الإسرائيلية ترمـي بالنسبة لسوريا إلى استمرار احتلال الجولان؛ لتأمين شـمال إسرائيل مع حرمان القوات السورية من أية مزايا استراتيجية تتيحها مرتفعات الجولان، وتأمين المياه من الهضبة السورية، والمحافظة على نقاط وثوب فـي اتجـاه سـوريا والأردن، وبالنسبة للجبهة اللبنانية ربط الانسحاب من جنـوب لبنـان بالقضاء التام على الوجود الفلسطيني المسـلح والميليشـيات المختلفة، وإيجاد منطقة منزوعة السلاح بعمق ٤٠ كيلومترا، وتأمين مياه الليطاني والحاصباني، وفيمـا يتعلـق بالضـفة الغربية وغزَة يعتبر الحد الأدنى للنوايا الإسرائيلية تجاه تلك القضية من أصعب الأمور؛ لارتباط التنازلات الإسـرائيلية بالحل الشامل، وتلك التنازلات تتمثل في اسـتمرار الوجـود العسكري الإسرائيلي، والوجود الاستطياني، ووجود حـزام أمن إسرائيلي حول الكيان الفلسطيني المقتـرح، مـع ضـم أجزاء متعددة من أراضي الضفة القريبة في مناطق قلقيليـة والقدس الشرقية وطول الحدود الأردنية، إضافة إلـى نـزع

سلاح الضفة الغربية، وضمان عدم قيام أية قـوة عسـكرية للكيان المقترح الذي سيمنح حكما ذاتيا فقط، وبقـاء حريـة المرور والاتصال بالمستوطنات الإسرائيلية بالضفة وغـزّة والتوسع في تطبيع العلاقات الاقتصـادية الخاصـة لصـالح إسرائيل، وإبقاء موضوع القدس خارج المفاوضـات وعـدم طرحه بأي شكل، وبقاء القدس عاصمة موحدة لدولة إسرائيل مع منح الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية شـكلاً مـن أشكال الإدارة الذاتية ربما للأردن أو السعودية والفاتيكان.

والمفهوم الإسرائيلي للحكم الـذاتي يتركـز فـي ثلاثـة اتجاهات:

١- يطبق الحكم الذاتي علـى السـكان فقـط، ويتـولى الفلسطينيون شئونهم المحلية الخاصة بهـم، وتبقـى الأراضي تحت سيطرة جيش الدفاع الإسرائيلي.

٢- تشكيل إدارة إسـرائيلية فلسـطينية لشـئون الميـاه والهجرة والجمارك.

٣- الضمانات الدولية التي تتمسك بها إسرائيل فيمـا إذا تمَ التوصل إلى نتائج مع الأطراف العربية هو وجود قوات دولية على الحدود الجديدة التي ستنسحب إليها

القوات الإسرائيلية؛ بهدف مراقبة المناطق المنزوعة السلاح، وعدم انفراد أي طرف بمفرده بحق سـحب تلك القوات كما حصل مع مصر في اتفاقيات سيناء.

٤- إقامة محطات إنذار محايدة (أمريكية أساسـا) فـي المناطق التي يتم الانسحاب منها؛ لتـوفير سـرعة الإنذار ضد أي هجوم عربي.

خمسون سنة لذكرى نكبة فلسطين
وإنشاء دولة إسرائيل

بعد مرور خمسين عاما من إنشاء دولة إسـرائيل يـأتي السؤال الهام: هل توقف المشروع اليهودي وتحققت أحـلام الصهيونية العالمية؟ وهل توقف الهدف الإسرائيلي عند هـذا الحد؟

لو رجعنا إلى أرض الواقع لرأينا أن المشروع الصهيوني كما تريده الصهيونية العالمية لم يكتمل بعد، وأن حلم إسرائيل الكبرى لا يزال يحتل الموقع الأول في أهداف الصـهيونية؛ ويعني ذلك الاستيلاء على بقية الأرض الفلسطينية، وتهويـد القدس، ورفض الجلاء الكامـل عـن الجـولان السـوري، والتضييق الخانق على الشعب الفلسطيني؛ لكي يرحل عـن مدنه وقراه في الضفة وغزَة، وتسير خطى هذا الهدف بخـط ثابت منذ أن استولت إسرائيل على الضفة والقطاع.

ومن الواضح أن الأنظمة العربية التي وقعـت اتفاقيـات سلام مع إسرائيل:

١- كامب ديفيد ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ قد التزمـت بجانـب اعترافها الكامل بالكيان الصهيوني كدولـة تعهـدت ضمنًا بالامتناع عن أي عمـل لتحريـر فلسـطين أو تقديم مساعدة حقيقية للشعب الفلسطيني، وتعهدت كذلك بالمحافظة على أمن إسرائيل.

٢- اتفاقيــات أوســلو ١ ســنة ١٩٩٣، وأوســلو ٢ سنة ١٩٩٤ بين الفلسطينيين وإسرائيل.

٣- ثم اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية في وادي عربة (العقبة) سنة ١٩٩٤.

وبالإضافة لهذه الاتفاقيات التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على الأطراف العربية تقوم أمريكا اليوم بتجـاوز البلاد المحيطة بإسرائيل، وتضغط وتضـرب دولاً عربيـة أخرى أو إسلامية مثل العراق وليبيا وإيران، ومرشحة الآن باكستان.

لماذا وقعت نكبة فلسطين منذ خمسين عاما؟ وهل كان من المحتم قيام دولة إسرائيل وطرد الشـعب الفلسـطيني مـن أرضه؟

يقول اليهود إن إسرائيل قامت؛ لأن الشعب اليهودي عـاد إلى وطنه الأم بعد أن تفرَّق في الشتات لأكثر من ألفي عام.

والعرب يقولون إن قيام دولة إسرائيل كان نتيجة مؤامرة سياسية اتفق فيها الصهاينة مع القوى الاستعمارية؛ مما أدَّى إلى نجاح المخططات الاستعمارية والصهيونية، وأمكن قيـام دولة إسرائيل.

ويقول الأستاذ أحمد بهاء الدين السياسي القومي المصري:

"إن الصدام الذي وقع على أرض فلسـطين سـنة ١٩٤٨ وما قبلها وما بعدها لم يقع بين عدة آلاف من الجنود العرب والإسرائيليين إنما كان الصدام بين أوربا بقوتها الحضـارية والمادية وسلطتها السياسية من جهة، وبين العرب بـنظمهم المفككة الإقطاعية وتخلفهم الحضاري من جهة أخرى".

"كانت الصهيونية باختصار شديد تمثل الغرب بكل قوتـه ومعرفته العلمية والحضارية بينما كان الشعب العربي مختنقًا من الاستعمار الغربي، ومن الأذناب المحليين، ومن مماليـك القرن العشرين في صورة جديدة".

كانت المواجهة بين المجتمع العربي بأبنيتـه الاقتصـادية المتواضعة، وأبنيته الاجتماعية والثقافية المتخلفة، وبين قوى

تمتلك خبرات الحضارة الأوربية المتقدمـة فـي التخطـيط والتنظيم وتهيئة البيئة الدولية.

هل كان ارتباط الشعب الفلسطيني التاريخي بأرضه يمكنه أن يواجه تلك القوى والتصدي لهـا ويحـول دون تحقيـق أهدافها؟

منذ ١٨٩٧ بدأت المنظمات الصهيونية بمسـاعدة الـدول الاستعمارية تعمل لتحقيق هدف إنشاء الدولة اليهوديـة فـي فلسطين؛ فأخذت تنشئ مؤسسات شراء الأراضـي متسـلحة بالأموال الضخمة، وبناء المستوطنات بطرق وأماكن محكمة، وأنشأت المؤسسات العسكرية لحماية المهاجرين الجدد، ومع بدء الانتداب البريطاني بدأت الأموال والخبرات الصـناعية تتدفق على فلسطين بتشجيع من حكومة الانتداب، وبعـد أن كانت رءوس الأموال العربية عام ١٩٢٨ تمتلك ٦٥ ٪ مـن المؤسسات الصناعية انخفضت النسبة إلى ٢٩ ٪ سنة ١٩٣٩ لصالح الصناعة اليهودية المدعمة، وشملت الصناعة اليهودية ٨٠ فرعا مختلفًا في حين اقتصرت الصناعة الفلسطينية على ١٩ فرعا فقط.

وفي سنوات الأربعينيات كان في فلسطين ٤٩ ألف عامل صناعي يهودي مقابل ٩ آلاف عامل صناعي عربي.

وأخذت المعاهد والمؤسسات التعليمية والصـناعية تنشـأ وأهمها معهد وايزمان سنة ١٩٤٥، وبدأت الصحافة اليهودية تزدهـر وبلـغ عـدد الصـحف سـنة ١٩٤٨ - ١٩ صحيفة.

والواقع إن إعلان دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ كان عبـارة عن اللمسات الأخيرة لإنشاء تلك الدولـة، وعـدد الجيـوش العربية التي دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨ كان أقل مـن ربـع عدد القوات الإسرائيلية المواجهة لها، والتي كانت تمتاز بقوة العتاد والتنظيم والدعم الخارجي، ولعب الـدور البريطـاني دورا هاما في إنشاء الدولة اليهودية بوضع العقبات، وسـن القوانين أمام أي تقدم للشعب الفلسطيني.

هل كان بإمكان الشعب الفلسطيني أن يقـيم دولـة تقـف بالتوازي مع الدولة اليهودية بكل المقومات التي أشرنا إليها؟ وهل كان الكيان السياسي الفلسطيني قـادرا علـى مجابهـة الخطط الصهيونية المدعمة من حكومة الانتداب البريطاني؟!

وعندما أعلنت حكومة عموم فلسطين في أواخـر سـنة ١٩٤٨ رفضت هيئة الأمم الاعتراف بها دوليا - حتى الدول العربية رفضت دعمها والوقوف بجانبها.

وقد ساعد تخلف الوعي السياسي الفلسـطيني، والتنـافس الحزبي، وإنشاء أحزاب سياسية متباعدة في أهدافها؛ مما أدى إلى عدم وقوف القوى الفلسطينية صفًا واحدا أمـام الكارثـة المرتقبة.

كانت روح المقاومة ثابتة وموجودة لدى جماهير الشـعب الفلسطيني والإصرار على الثـورات وتقـديم التضـحيات جسدتها الانتفاضات المتتالية، ولكن معظـم القيـادات فـي أصعب لحظات التحدي عجزت عن تجاوز خلافاتها، وكذلك وقوف أكثر الدول العربية موقف المتفرج، ووضع العقبات، وعدم مساندة الشعب الفلسطيني أدى إلى نكبة فلسطين.

بمناسـبة الاحتفـال بقيـام دولـة إسـرائيل ومـرور ٥٠ عاما على إنشائها عرض التلفزيون الإسـرائيلي عـدة برامج تسجيلية، ولأول مرة يظهر بها الجانب الخفي من قيام هذه الدولة، ولم يقدم كعادته الأساطير والبطـولات للـرواد الأوائل، وإنما عرض وقائع اقتلاع وطرد الشعب الفلسطيني

من أرضه ويتعاطف مع معاناة الفلسطينيين، ومنتجـو هـذه التسجيلات وهم فريق من الأكاديميين المتخصصـين أقـرُوا أنهم حاولوا تقديم الوقائع بموضوعية بمعنى أنهـم قـدّمـوا الأحداث الحقيقية التي ربما تهز الإسرائيليين الـذين تربـوا على حواديت تبرر الفظائع التي ارتكبت بحق الفلسـطينيين. فإنشاء دولة إسرائيل يمثل عدالة لليهود ولكنها عدالة مقرونة بظلم بشع لحق الفلسطينيين.

ويقول بعـض المـؤرخين اليهـود إن إسـرائيل بعـد أن بلغت نضجا يسمح لها بمواجهـة الزيـف الـذي سـبق أن أسبغته على وقائع تحقيقها للمشروع الصهيوني لـم تعـد تخشى إظهار بعض الحقائق عن دور الميليشيات الصهيونية قبل قيام الدولة، وما قامت به من مذابح واقتلاع الفلسطينيين من مئات القرى.

هل هي صحوة ضمير؟.

ملاحظة: على هامش احتفال اليهود بالعيد الخمسين على إنشاء دولة إسرائيل يحاول الفكر العربي أن يبني تحليلاتـه وأفكاره بالاستناد إلى كلمة "المؤامرة" أي أن جميع ما أصابنا من تخلف وهزيمة طيلة خمسين عاما يعـود إلـى مـؤامرة

حاكتها الدول الاستعمارية بالاتفاق مع الصهيونية العالميـة، وأن الأنظمة العربية الحاكمة وجماهير الأمة العربية لم يكن باستطاعتها أن تفعل شيئًا أمام تلك المؤامرة الدولية، وتحـت هذا الشعار أخذت الأنظمة العربية تتنصل من مسـئولياتها، وغابت الديمقراطية وحقوق الإنسان، وتخلفت التنمية، وتقهقر الاقتصاد، وضعف المجتمع العربي، ولـم يسـتطع اللحـاق بأسباب التقدُم؛ وهكذا أقنعنا أنفسنا بأننا ضحايا تلك المؤامرة.

أخذت عدة دول وشعوب مختلفة كانت أقل تحضرا مـن الشعوب العربية تقترب من الغرب وتحاول اللحـاق جـديا بركب الحضارة.

ونحن نقف على حافة الطريق ونكتفي بالصراخ من الذئب الذي لن يستطيع اقتحامنا لو استطعنا أن نجعل أسوارنا تعلو يوما بعد يوم عندما تتبين الشعوب العربية مدى القوى الكامنة لديها، وتقوم بالعمل الجاد، ويمتلك المواطن العربـي عقلـه وحريته، وينتصر العمل المثمر على الحوار الأجـوف، وأن الحق ليس له قيمة بدون القوة، وأن لا قوة بدون التقدُم العلمي والحرية الفكرية؛ عندئذ يبدأ المسار الحقيقي للـتخلص مـن فكرة المؤامرة.

التوزيع الكلي للفلسطينيين اللاجئين وغير اللاجئين إحصاء سنة ١٩٩٨

يظْهر الإحصاء أدناه أن عدد اللاجئين الفلسطينيين بلغ خمسة ملايين لاجئ موزعين في جميع أنحاء العالم المختلفة بمن فيهم أولئك الذين يعيشون تحت سيادة السلطة الفلسطينية، وأولئك الذين يعيشون تحت الحكم الإسرائيلي في أراضي سنة ١٩٤٨ بعد أن تم تهجيرهم داخليا وانتزاعهم من أراضيهم وبيوتهم الأصلية.

ورغم مرور أكثر من خمسين عاما على الكارثة الفلسطينية فإن آمال الشعب الفلسطيني وتطلعاته تلح باستعادة دياره وأملاكه وحصوله على حقوقه واستقلاله.

ورغم استمرار هذه المأساة الإنسانية فلا يزال الفلسطيني- أينما وجد- يحلم بالعودة إلى وطنه وبلاده وأرض أجداده منذ مئات السنين.

صراعنا مع إسرائيل **بدأ بالأرض، واستمر الصراع حول الأرض**، وسيبقى صراعنا حول أمر واحد لا غير وهو **الأرض** وكل ما تبقى تفاصيل لا أهمية لها.

التوزيع الكلي للفلسطينيين اللاجئين وغير اللاجئين ١٩٩٨		
مكان اللاجئين	التعداد الكلي	عدد اللاجئين من التعداد الكلي
إسرائيل	٩٥٣,٤٩٧	٢٠٠,٠٠٠
قطاع غزَة	١,٠٠٤,٤٩٨	٧٦٦,١٢٤
الضفة الغربية	١,٥٩٦,٥٥٤	٦٥٢,٨٥٥
الأردن	٢,٣٢٨,٣٠٨	١,٧٤١,٧٩٦
لبنان	٤٣٠,١٨٣	٤٠٨,٠٠٨
سوريا	٤٦٥,٦٦٢	٤٤٤,٩٢١
مصر	٤٧,٧٨٤	٤٠,٤٦٨
السعودية	٢٧٤,٧٦٢	٢٧٤,٧٦٢
الكويت	٣٧,٦٩٦	٣٤,٣٧٠
دول خليجية أخرى	١٠٥,٥٧٨	١٠٥,٥٧٨
العراق ـ ليبيا	٧٤,٢٨٤	٧٤,٢٨٤
دول عربية أخرى	٥,٥٤٤	٥,٥٤٤
الأمريكتان	٢٠٣,٥٨٨	١٧٣,٠٥٠
دول أخرى	٢٩٥,٢٤٨	٢٢٠,٣٦١
المجموع	٧,٧٨٨,١٨٦	٤,٩٤٢,١٢١

الفصل الثالث:

القدس ـ المقدسات الإسلامية في فلسطين ـ الإجراءات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس

مأساة القدس

ألهمت الشاعر الأبيات التالية

يا قدس ما مرت علي سحابةٌ

إلا وقلت لها بقلب مكلم

بالله مري يا سحابة فوقها

وعلى رباها يا سحابة سلمي

أُبعدتُ عنكِ وفي الفؤادِ مرارةٌ

والعين كادت من فراقك تنعمي

والعين بعدك لا ترى الدنيا سوى

ليلٍ عبوس في نهار مظلم

يا قدس يا مدينة الأحزان

يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان

من يوقف العدوان

عليك يا لؤلؤة الأديان

من يغسل الدماء عن حجارة الجدران

من ينقذ الإنجيل

من ينقذ القرآن

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح

من ينقذ الإنسان

بمناسبة زيارة ولي عهد المملكة العربية السعودية الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود لاحقًا) سنة ١٩٣٤ لفلسطين خاطبه الشاعر قائلاً:

المسجد الأقصى أجئتَ تزوره

أم جئتَ من قبل الضياع تودعه

بيت المقدس مدينة القدس

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ [٣] صدق الله العظيم.

وجاء عن رسول الله ﷺ قوله:

"لا تُشدُّ الرحال إلا في ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى".

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنه الأنبياء ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي أو أقام فيه ملك".

---

(3) سورة الإسراء ـ آية ١.

مقدمة:

ستظل القدس هي التحدي الأكبر الذي يواجه الأمم العربية والشعوب الإسلامية، فبقدر المحافظة على عروبـة القـدس يكون حجم الإرادة العربية وهي ما تفتقر إليـه الآن، ومـا دامت أمتنا العربية تعتمد على الإدانة والاحتجاج والشـجب وعقد المؤتمرات واتخاذ القـرارات والتمسـح بالمؤسسـات الدولية وهو ما دأبت عليه منذ بداية المأساة الفلسطينية فـي أوائل هذا القرن حتى يومنا هذا، وإسرائيل مستمرة في تنفيذ مخططاتها في التوسع والتشـييد والاسـتيلاء علـى الأرض وتشجيع الهجرة وتقول دع العـرب يحتجـون ويصـرخون ودعونا نبني ونشيد، وهكذا لن يطول الزمن ويـأتي اليـوم لنترحم على أطلال فلسطين وذكريات المسجد الأقصى.

إن جميع المراجع التاريخية أثبتـت أن القبائـل العربيـة خرجت من شعاب الجزيرة العربية منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ومن بطونها قبائل اليبوسيين التي بنت مدينة القدس، وتوجد نصوص مصرية فرعونية قديمة ترجع إلـى ألفي سنة قبل الميلاد تشير إلى وجود الكنعانيين في القـدس،

وتكشف عن الحضارة المتقدمة التـي حققهـا الكنعـانيون، واستمر الكنعانيون في حكم القدس حتى غزاها تحتمس الثالث فرعون مصر سنة ١٤٧٩ ق. م، ويمضـي التـاريخ فـي حركته فبعد الكنعانيين جاء العموريون (الأموريـون) وهـم قبيلة عربية أيضا وهم أول من بنى سورا للمدينة.

وكلمة أورشليم هي الاسـم الكنعـاني للمدينـة المقدسـة ومعناها مدينة السـلام، وفـي سـنة ١٢٥٠ ق. م خـرج بنو إسرائيل من مصر، وتمكنوا من احتلال أريحـا ولكـنهم فشلوا في دخـول القـدس التـي دافـع عنهـا اليبوسـيون - وهي كما أشرنا قبائل كنعانية- وفي محاولة ثانية استطاع اليهود دخول القدس ولكن اليبوسيين تمكنوا من طردهم منها، وفي سنة ١٠١٩ ق. م استطاع داود الاستيلاء على المدينة، وجاء بعده سليمان وفي عهده تم بناء المعبد وهيكل سليمان، وبعد انقسام المملكة اليهودية دخلـت القـدس تحـت حكـم الآشوريين سنة ٧٠١ ق. م، ثم توالى على غزوها الكلدانيون سنة ٥٨٧ ق. م ؛ حيث قتلوا أعدادا كبيـرة مـن اليهـود، وساقوا البقية إلى الأسر في عاصمتهم بابل، وتم هدم الهيكل بالكامل، وبعهدهم جاء حكم الفـرس ثـم الحكـم اليونـاني

فالروماني، وكان قد أُعِيدَ بناء المعبد؛ فدمره الروم ـان كم ـا قاموا بتدمير مدينة القدس برمتها.

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية دخل ـت المدين ـة تح ـت الراي ـة الإسلامية، وأصبحت تُعرَفُ ببيت المقدس، واستمرت القدس عربية، وكان الرومان قد أطلقوا على القدس اسم إيليا ب ـدلاً من أورشليم، وبقي اسم إيليا حوالي ٢٠٠ سنة حت ـى ج ـاء الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق المسيحية، وأعاد إليها اسم أورشليم، ولكن بقي اسم إيليا مستعملاً حتى الفتح الإسلامي.

وفي سنة ١٩١٧ دخل الجيش البريطاني فلسطين، وب ـدأ إعداد البلاد لتكون وطنًا قوميا لليهود حتى استطاع الصهاينة الاستيلاء على فلسطين والقدس سنة ١٩٦٧، ورفعوا راياتهم فوق أسوارها، وفوق الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية.

ومن ه ـذا الس ـرد المختص ـر لحق ـائق الت ـاريخ نج ـد أن الموجات اليهودية التي دخلت فلسطين لم تج ـدها خالي ـة بل كانت آهلة بالسكان زاخرة بالحضارة والتقدُّم، وأن وجود اليهود في فلسطين كان دائم ـا طارئً ـا ولفت ـرات قص ـيرة، وأن العرب استمروا يحكمون القدس باستثناء فترات قصيرة خضعت فيها القدس للحكم الصليبي ثم عادت لحكم الأيوبيين

والمماليك وأخيرا الحكم التركي، وبقيت القدس عربية حتى استولى عليها اليهود- كما ذكرنا- سنة ١٩٦٧.

ومنذ أن استولى اليهود على القدس وهم يحاولون التنقيب في منطقة الحرمين الأقصى والصخرة بحثًا عن بقايا هيكل سليمان؛ اعتقادا منهم أنه يقع تحت الحرمين، ورغم أنهم لم يجدوا أي أثر حتى الآن فإنهم مستمرون في أعمال الحفر والتنقيب؛ مما أصبح يهدد أساسات المسجد الأقصى وهي خطة متعمدة ربما ترمي إلى تدمير المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وهذا صوت ناقوس بدأ يدق فهل يصحو الضمير العربي والضمير العالمي ويستيقظ لإيقاف هذه المأساة؟

بدأت السلطات الإسرائيلية مخططًا مرسوما لإزالة الطابع العربي عن المدينة المقدسة، وواصلت عمليات التهويد، واستخدمت في ذلك أساليب العنف والإرهاب والقتل، وتشريد المواطنين العرب أصحاب الأرض، ومصادرة أراضيهم، وقامت كذلك بالاستيلاء على أرض القرى العربية المحيطة بالقدس، وأنشأت فيها المستوطنات؛ لمحاولة خنق المدينة من كافة الاتجاهات وهي تحاول الآن إتمام تطويق القدس وغلق

الدائرة حولها ببناء المستوطنتين الجديدتين في جبل "أبو غنيم" الواقع بين القدس وبيت لحم، ورأس العامود قرب المسـجد الأقصى.

وقام الإسرائيليون باقتحام المحكمة الشرعية فـي القـدس سنة ١٩٩١ وسرقوا جميع الوثائق التـي تتعلـق بـالأملاك الوقفية والأراضي الأميرية والشهادات التي تؤكـد عروبـة القدس، وللأسف لا توجد حركة عربية جديدة تعمـل لإنقـاذ تراث القدس وجمع الوثائق المبعثرة، وكلمـا طـال الـزمن والانتظار ربما يؤدي ذلك إلى فقدان واندثار وضياع وسرقة المزيد من وثائق المدينة المقدسة.

وحبذا لو قام العرب بإنشاء مركـز متخصـص لتحقيـق التراث وجمعه ونشر الإحصاءات ومراجعة مراكز الدراسات في أوربا وأمريكا لإثبات المزيد من الحقائق؛ من أجل تأكيد عروبة القدس عبر التاريخ.

حول قضية القدس

محاولة استشراف المستقبل بشأن ملف القدس غير ممكنة قبل الحديث عن مستقبل القـدس السياسـي، نعـود لنتتبـع الخطوات التي قامت بها إسـرائيل لنـزع عروبـة القـدس وتحويلها إلى مدينة يهودية، وتزايد الخطر المحدق بالمدينـة المقدسة.

إن هذه المدينة المقدسة تعرَضت خلال تاريخها الطويـل لأكثر من عشرين حصارا، وتم تدميرها أكثر من سبع عشرة مرة، وبعد أن تمكن الاحتلال الإسرائيلي من السيطرة الكاملة على القدس الشرقية بعد هزيمة ١٩٦٧ أصبحت تلك المدينة المستهدف الرئيسي للمخطط الإسـرائيلي بجعلهـا عاصـمة إسرائيل الموحدة؛ بتمكين المستوطنين والمستعمرين اليهـود من الاستيطان في داخل القدس العربية وضواحيها، والعمـل على طرد السكان الفلسطينيين وترحيلهم تدريجيا بكافة السبل وأهمها مصادرة أراضيهم، وتضييق الخناق عليهم، وأصـبح الخطر الداهم عند بدء مفاوضات الحل النهـائي أن لا يجـد الفلسطينيون قدسا يتحدثون عنها، ويفـرض علـيهم الحـل

العنصري التي تخطط لـه إسـرائيل والولايـات المتحـدة الأمريكية.

إن ٦٦ ٪ مما يسمى بالقدس الموحدة هي بـالواقع أراضٍ أُحتُلت بالقوة من الضفة الغربية وضمت إلى القـدس عنـوة وقسرا، حتى الحي اليهودي بالقدس القديمـة كـان يهوديـا بالاستئجار؛ لأن غالبيته يخصُّ عائلات مقدسية قديمة بصفة أوقاف إسلامية، وكذلك القدس الغربية فإن الأملاك التابعـة لليهود فيها قبل سنة ١٩٤٨ لم تتعد فـي مجموعهـا ٢٠ ٪، والباقي يخصُّ فلسطينيين مسلمين ومسيحيين وهيئات دوليـة مسيحية - وكان ذلك القطاع الغربـي مـن القـدس يضـم العائلات الفلسطينية الأكثر ثراء.

وقد أدخل الاحتلال الإسرائيلي إلى القدس الغربية أراضي تابعة لقرى فلسطينية قام بتدميرها بعد احتلالها مثـل ديـر ياسين - لفتا - عين كارم - المالحة - الشيخ بدر وغيرها، وأقام عليها أغلبية مباني الحكومـة الإسـرائيلية بمـا فيهـا الكنيست بعد أن نزع ملكيتها وشرد أهلها.

ولم تسمح إسرائيل لفلسطيني واحد بالعودة إلى أرضه أو بيته في القدس الغربية.

وأسكن الإسرائيليون أكثر من ١٧٠ ألفًا من اليهـود فـي القدس الشرقية؛ حتى يتماثل عددهم مع الفلسطينيين العرب.

وأصبح عدد اليهود في القدس الشرقية والغربية حـوالي ٤١٥ ألفًا حاليا سنة ١٩٩٨، وبلغت المستوطنات حول القدس ١٥ مستوطنة، وتقوم إسرائيل حاليا سـنة ١٩٩٨م بإنشـاء مستوطنة جبل "أبو غنيم"، ومستوطنة رأس العامود؛ وبهـذا يتم إحاطة القدس العربية بطوق كامـل مـن المسـتوطنات، وعزل المسجد الأقصى عن بقية القدس.

وهكذا نرى أن عملية التهويد بعد أوسلو تجري بسـرعة وبكثافة، وتستمر عملية الاغتصـاب بوضـع اليـد علـى الأراضي العربية خصوصا بحجة الأغراض العسكرية.

وهكذا أخذت إسرائيل تشوه معالم القدس العربية؛ حتى لا يبقى ما يتم التفاوض عليه في المرحلة النهائية.

وعند بدء المفاوضات النهائية سيجد المفاوض الفلسطيني نفسه في إطار غير متكـافئ مـع المفـاوض الإسـرائيلي خصوصا أن اتفاق "واي بلانتيشن" قد أوجد مناخًـا يعطـي انطباعا أن إسرائيل متعاونة ومتجاوبة في عمليـة السـلام؛

وهذا المناخ سوف يؤثر بشدة على نتيجة المفاوضات النهائية بالنسبة لمدينة القدس.

لا شك أن المواقف الفلسطينية الإسرائيلية تتناقض تناقضا تاما، وميزان القوى يميل بشكل واسع جدا لصالح إسرائيل؛ فهي تضع يدها على المدينة المقدسة، وتعمل على تغيير معالمها العربية، ولا ننسى أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تنقل سفارتها إلى القدس في العام الحالي سنة ١٩٩٩ م.

ومما يزيد في صعوبة موقف المفاوض الفلسطيني -بوصفه الجانب الأضعف- أن المواقف العربية والإسلامية تتضارب حول قضية القدس وخصوصا الموقف الأردني، بينما الموقف الإسرائيلي الذي تؤيده أمريكا بشدة بشكل ثابت ومعلن باستمرار وهو أن القدس مدينة موحدة وعاصمة أبدية لإسرائيل، ولن تقبل دولة إسرائيل خلال أي تفاوض الحديث عن موضوع تقسيم القدس أو تدويلها.

المواقف العربية المترددة تنادي أن القدس الشرقية يجب أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية، وتترك القدس الغربية لإسرائيل؛ باعتبار أن القدس الشرقية أراضٍ محتلة ضمن

الضفة الغربية، ويجب أن يسري عليها مـا يسـري علـى أراضي الضفة الغربية.

وهناك اتجاه آخر أن تظل القدس مدينة موحدة جغرافيـا، ومقسمة سياسيا حسب الأحياء اليهوديـة والعربيـة؛ بحيـث تمارس إسرائيل السيادة على الأحياء اليهوديـة، وتمـارس الدولة الفلسطينية سيادتها على الأحياء العربية، ويتم التعاون بين الجانبين لتطوير هياكل المدينة.

والاتجاه الثالث أن توسع حدود مدينة القدس بحيث تشمل أربعة أمثال مساحتها الحالية بإضافة مساحات متساوية مـن إسرائيل والضفة الغربية، وإدخال أعداد متساوية من السكان من كلا الجانبين فيما يسمى بالقدس الكبرى.

ويخضع كل جانب- كما في الاتجاه السابق- إلى إسرائيل والدولة الفلسطينية.

واتجاه رابع لاعتماد صيغة السيادة المشتركة على المدينة، ويديرها مجلس بلدي شامل ومجالس محلية للمناطق، وينزع سلاح المدينة.

واتجاه خامس للتفريق بين البلدة القديمة داخل الأسـوار، والمناطق الواقعة خارجها؛ بحيث تخضع المدينـة القديمـة

لمجلس عالمي يمثل الأديان الثلاثة، والمناطق خارج الأسوار الفلسطينية تخضع للدولة الفلسطينية، والإسـرائيلية تخضـع لإسرائيل.

هذه بعض الأفكار المطروحة لحل مشكلة القدس ولكن أي من هذه الأفكار يخضع خضـوعا تامـا لموافقـة إسـرائيل بالدرجة الأولى؛ فهي كما قلنا الجانب الأقوى الذي يسـيطر سيطرة كاملة على شقي القدس العربي واليهـودي، ويـأتي الموقف الأمريكي المنحاز دائما إلى الجانـب الإسـرائيلي، والموقف الأوربي الذي لا يقف بعيدا عن الموقف الأمريكي وإن تظاهر بعكس ذلك.

ويأتي الموقف المتخاذل والمتردد للدول العربية والعـالم الإسلامي وموقف الفاتيكان.

والأمـة العربيـة كالعـادة مشـغولة بقضـايا هامشـية أو واقعة تحت ضغوط دولية مفروضة عليها.

ولم يعد موضوع القدس يحتمل بيانات جديـدة للشـجب والإدانة؛ فالوقت لم يعد يتسع لذلك.

وما لم يبلور العالم العربي والإسلامي موقفًا اســتراتيجيا موحدا يكون سندا قويا للمفاوض الفلسطيني فقل على القــدس السلام.

والمهم الآن إنشاء صندوق خاص لتمويل القدس ومساعدة المؤسسات والمقاومة الفلسطينية فيها.

وعلى مدى العصور قاومت مدينة القدس العربية قوافــل الاحتلال، وبقيت عربية، وسوف تبقى عربية بــإذن الله مــا دامت المقاومة مستمرة والإيمــان يعمــر قلــوب الشــعوب الإسلامية والعربية ويحرضهم للوقوف أمــام هــذه الغــزوة الاستعمارية الصهيونية؛ للحفاظ على ثالث الحرمين المســجد الأقصى المبارك فهذا هو الحق، وسوف ينتصر بإذن الله.

القدس وما تضمه من مقدسات

مسجد الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى

تضم القدس العديد من المقدَسات منهـا الحـرم القدسـي الشريف الذي جاءت الإشارة إليه صراحة في صدر سـورة الإسراء والتي قال فيها الله عز وجل ﴿**سبحان الذي أسـرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصـى الـذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾.

وقد شرع في بناء الصخرة المشرفة عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الخامس سنة ٦٨٥ ميلاديـة (٦٨ هجريـة) ورصد لبنائها خراج مصر لمدة سبع سنوات، وعهـد بـذلك إلى اثنين من رجاله الموثوقين بالإشراف على عملية البناء، وتم بناء قبة الصـخرة المشـرفة سـنة ٧٢ هجريـة ٦٩١ ميلادية.

وهذا البناء الضخم مثمن الأضلاع، والثمانية تنقسم إلـى قسمين الواحد فوق الآخر، تتوسطه رقبة تحمل القبة الذهبيـة التي تغطي الصخرة المشرفة في كل ضلع مـن أضـلاعه الثمانية، وتواجه الجهات الأصلية الأربع بابا ارتفاعـه ٣,٤

مترا وعرضه ٢,٦ مترا، ولم تتغير مقاييس الأبـواب منـذ عصر عبد الملك بن مروان، وعلى كل بـاب مـن القسـم العلوي من الجدار نافذتان يمر منهما الضوء إلى الداخل.

أما الصخرة المشرفة ذاتها فهي قطعة غير منتظمة مـن الحجر الجيري، وترتفع عن أرضـية المسـجد نحـو متـر ونصف، وحولها سياج من الخشب المنقوش من عهد الملـك ابن عبد العزيز بن عثمان الأيوبي، ولمسجد الصخرة أربعة أبواب تواجه الأبواب الأصـلية، وهـي أبـواب مزدوجـة مصنوعة من الخشب المطعم بالحديد، وكانت قبة الصـخرة المشرفة مغطاة بالذهب في عهد الخليفة عبـد الملـك بـن مروان، وترتكز قبة الصخرة على رقبة مسـتديرة يحملهـا صف من القناطر في دائرة تتكون من اثني عشـر عمـودا مستديرا وأربع دعائم مربعة بحيث تتلو أحد الدعامات كـل ثلاثة أعمدة، عرض كل ضلع من الأضلاع نحو ثلاثة أمتار مكسوّة بالرخام.

والمسجد الأقصى شرع في بنائه عبد الملك بـن مـروان أيضا، وهو يقع إلى الجنوب من مسجد الصخرة، وعلى بعد بضع مئات من الأمتار، وتم البناء سنة ٧٠٥ ميلادية، وطرأ

على المسجد تغيرات متعددة؛ بسبب الزلزال والأمطار، وحاول الصليبيون تحويله إلى كنيسة، وجاء صلاح الدين الأيوبي بعد التخريب الذي حدث زمن الصليبيين وأعاد ترميم الجامع، وأتى بأجمل منبر خشبي تمَّ صنعه في مدينة حلب، وكان آية من آيات الزخرفة الإسلامية ولسوء الحظ احترق هذا المنبر الجميل عندما حاول اليهود حرق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩ ميلادية، وتعاقب الملوك والسلاطين والأمراء على ترميم المسجد وإصلاحه، ولم تتوقف عمليات الإصلاحات حتى سنة ١٩٤٥، وبذل المجلس الإسلامي الأعلى في القدس جهودا كبيرة في سبيل ذلك، واستمرت عمليات الترميم في عهد المملكة الأردنية الهاشمية حتى سنة ١٩٦٧ خصوصا بعد أن بدأت المياه الجوفية في التأثير على أساساته.

وتُسمى جميع الأماكن التي يقع فيها المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وما بينهما وحولهما من منشآت حتى الأسوار هي التي تدعوها الحرم القدسي، ومساحته تقريبا ٢٦٠ ألف متر مربع، وتبلغ تلك المساحة حوالي خُمس مساحة القدس العربية، وتسميته بالحرم القدسي تعود؛ لأنه

في نظر المسلمين كافة يعتبر أولى القبلتين وثالث الحـرمين ومسرى النبي ﷺ.

وأصبح الناس يزورون الحرم القدسي ويطوفـون حـول الصخرة، ويعتبر مسجد الصخرة من أجمل الآثار التي خلدها التاريخ.

وتقع قبة المعراج غرب مسجد قبة الصخرة إلى الشـمال الغربي، وهي مبنى كبير مثمن الأضلاع تعلوه قبة حجريـة مضلعة قائمة على ستة عشر عمودا مستديرا مـن الرخـام تعلوها رءوس رخامية من أنمـاط مختلفـة كـل عمـودين متلاصقين، وعلى كل من جانبي باب القبة عمود من الرخام ذو رأس رخامية، وقد بنيت قبة المعـراج تـذكارا لعـروج النبيﷺ إلى السموات العلا، ومنقوش على محرابهـا الآيـة الأولى من سورة الإسراء.

وقبة النبي وتقع غرب قبة الصخرة إلـى الشـمال فـي مواجهة الجدار الغربي للمسجد بينه وبـين قبـة المعـراج، وتُعرَفُ أيضا باسم قبة جبريلعليه السلام و المحراب منقوش عليـه من الخارج "أنشأ هذا المحراب مولانا الكبيـر محمـد بـك صاحب لواء غزة"، ويقول السيوطي: إن موقع هذا المحراب

هو موضع صلاة الرسولﷺ وهو يؤم الأنبياء والملائكة في ليلة الإسراء، وفوق قبة المحراب قبـةٌ مفتوحـة الجوانـب محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام على شكل دائرة.

وهناك رواية تقـول: إن سـيدنا إبـراهيم الخليـل عليه السلام أبو الأنبياء بنى المسجد الأقصى كبناء مقـدّس بعـد بنـاء المسجد الحرام (الكعبة المشرفة) في مكـة بـأربعين سـنة، ويؤكد ذلك حديث نبوي شريف " عـن أبـي ذر رضي الله عنه قـال: "سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضِع في الأرض فقال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي، قال: المسجد الأقصى وبينهمـا أربعون عاما".

وتذهب بعض التفاسير إلى أن الذي بنى الأقصـى هـو يعقـوب بـن إسـحقعليه السلام ولـيس سـيدنا إبـراهيمعليه السلام، وأن سليمانعليه السلام طوره وجدده.

أما المسجد الأقصى الحالي"البناء المتعارف على تسـميته بالمسجد الأقصى فتنسبه بعض الروايات والمصادر إلى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد بني من الخشب مربع الشكل أمر به سيدنا عمررضي الله عنه مسجدا لرجـال الفـتح يـؤدون فيـه صلاتهم"، وعندما انتهى عبد الملك بن مروان من بناء مسجد

قبة الصخرة شرع في بناء المسـجد الأقصـى فـي مكانـه الحالي، وتوفي عبد الملك قبل إتمام البناء؛ فأتمه الوليد بـن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦ هـ ـ) (٧٠٥ ـ ٧١٥ م) وأحضـر الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشـق ومنهـا إلـى بيـت المقدس، وخرج البناء على الطراز الباسيليكي الذي يتناسـب مع الأبنية الواسعة، وعلى غرار المسجد الأموي في دمشق، ويقال إن أبواب المسجد الأقصى أيام الأمويين كانت مصفحة بالذهب والفضة، وإن أبا جعفـر المنصـور أمـر بخلعهـا وصرفها دنانير تنفق على المسجد، ويقال في رواية أخـرى إنه خشي على المسجد من البهرجة الزائدة؛ وهكذا فإن أقرب الروايات إلى الحقيقة أن عبد الملك بدأ بناء المسجد، وأن ابنه الوليد أتمه.

وقد تأثر المسجد بالهزات الأرضية، ولم يبق من هيئتـه الأصلية إلا أجزاء قليلة، وأعيد البناء في العهـود العباسـية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية والجزء الأكبر من المسجد في شكله الحالي الذي نراه اليـوم هـو مـن عمـل وإعمار الخليفة الفاطمي الظاهر لإعـزاز ديـن الله، وأمـا الأقواس السبعة التي تقابل الأبواب وتصنع الرواق الشـمالي

للمسـجد فقـد أقامهـا الملـك عيسـى بـن أيـوب سـنة ٦١٤ هـ ـ ١٢١٧ م، وقام العديد من سلاطين الأيوبيين ثم المماليك ثم العثمانيين بإجراء إصلاحات وإعمارات كثيـرة إلا أن إصلاحات الناصر صلاح الدين الأيوبي ومـن بعـده الملك عيسى بن الملك العادل أخو صلاح الدين هـي التـي بقيت واضحة، وتشكل الشكل الحالي للمسجد الأقصى.

وفي سنة ١٠٩٩ سقطت القدس في أيدي الصليبيين وكما يقول تشارلز جولستون في كتابه "القدس التراجيديا والملهاة" الصادر سنة ١٩٧٨: يعتبر وصمة لا تمحى في تـاريخهم؛ ففي منطقة حائط البراق وصل الدم إلى ركب الخيل لدى تقدم الغزاة نحو المسجد الأقصى، وعبثت أيديهم بالحرم القدسـي الشريف وبساحة المسجد الأقصى، وحوّل الصليبيون بعـض المساجد إلى الكنائس ومنها مسجد قبة الصخرة الذي صـار كنيسة باسم "هيكل السيد"، وجعلوا قسما من المسجد الأقصى كنيسة، واتخذوا القسم الآخـر سـكنًا للفرسـات الاسـبتالية ومستودعا ذخائرهم.

السور الذي يحيط بمدينة القدس وهو سور متين محيطـه ميلان ونصف الميل طوله من الشمال ٣٩٣٠ قـدما، ومـن

الشرق ٢٧٥٤ قدما، ومن الجنوب ٣٢٤٥ قدما، ومن الغرب ٢٠٨٦ قـدما، وأمـا ارتفاعـه فيتـراوح بـين ٣٨ قـدما و ٤٠ قدما.

ولهذا السور أربعة وثلاثون برجا وسبعة أبـواب، بـاب الأسباط من الشرق، وباب العمـود، وبـاب السـاهرة مـن الشمال، الباب الجديد بالشمال الغربي، وبـاب الخليـل مـن الغرب، وباب النبي داوود، وباب المغاربة من الجنوب.

وترتفع القدس حوالي ٢٥٠٠ قدم عـن سـطح البحـر و ٣٥٠٠ قدم عن الغور والبحر الميت، ويملك العرب مـن مساحتها البالغة ٢٠١٩٩ دونما ٥٨ ٪ بينما يملـك اليهـود ٢٥ ٪ والباقي طرق ومرافق، وكان قد أطلق عليها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد عدة أسماء.

يبوس ـ أورسالم ـ أورشاليم ـ إيليا ـ بيت المقدس ـ القدس، ويملك العرب من مساحة البلدة القديمة ٨٩ ٪ واليهود ١١ ٪ وكان عدد سكان القدس سـنة ١٩٤٧ ـ ١٦٤ ألـف نسمة منهم ٦٥ ألفًا من العرب و٩٩ ألفًا من اليهود، ليسـت القدس مدينة صناعية هامة ولكن ترتكز أهميتها في مركزها الديني وكونها عاصمة فلسـطين ومركـز إدارة الانتـداب

البريطاني وجميع الدوائر التي تشرف على البلاد، ومواردها الزراعية ضعيفة؛ لقلة المصادر المائية المتاحة، والاعتماد الهام لسكان القدس كان السياحة، وكان يؤمها في كل عام أفواج كبيرة من السياح من الدول المسيحية من كافة أنحاء العالم.

والمقدَّسات الدينية في القدس تتركز في الأماكن والمزارات المسيحية والإسلامية، أما مقدسات اليهود فهي بالدرجة الأولى حائط المبكي، وبضع كنائس، ومزارات ثانوية مثل قبة راحيل، وبعض المقابر.

وربما يتساءل المرء عن قلة المقدسات اليهودية الدينية في القدس رغم أنهم يدّعون أنها مدينة يهودية الأصل، وأن صلتهم بها لم تنقطع على مر الدهور والحقيقة كما سبق وأوردنا أن إقامتهم في فلسطين كانت لمدد قصيرة ومتقطعة.

وقال بتاجيا الذي زار القدس في القرن الثاني عشر للميلاد إنه لم يجد فيها سوى يهودي واحد، وقال موسى ابن نحمان الذي زارها في القرن الثالث عشر الميلادي إنه لم يجد فيها سوى عائلتين يهوديتين، وفي عام ١٨٨٨ لم يزد عدد اليهود في القدس عن ١٥٠ فردا، ولم يبدأ تدفق اليهود

في مدينة القدس إلا في أواخر القرن التاسع عشر، ونشـاط الحركة الصهيونية، ويتبع محافظة القدس (لواء القدس) ستة وستين قرية وأهمها بيت حنانيا ـ بتير ـ بيت صفافا ـ دير ياسين ـ دير عمرو ـ سلوان ـ شعفاط ـ صور بـاهر ـ العيزرية ـ عين كـارم ـ لفتـا ـ قلنديـة ـ القسـطل ـ القبيبة ـ أبو ديس.

القرارات الدولية التي تحكم وضع القدس القانوني:

القدس بموجب قرار التقسيم سـنة ١٩٤٧ كانـت كيانًـا مستقلاً تخضع لإدارة دولية طبقًا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الصـادر ٢٩ نـوفمبر (تشـرين ثـاني) ١٩٤٧، وقد وضِعَ لها نظام إداري خاص بعـد أن ضـمت إليها بعض القرى والبلدان المجـاورة "أبـو ديـس شـرقًا" و "بيت لحم" جنوبا، وعين كارم غربا، وفي القرار المـذكور تقرر أن تكون القدس مدينة حيادية مجرَّدة من السلاح حتـى إن مجلس الأمن أصدر في ٢ مايو (أيار) سنة ١٩٦٨ قرارا يمنع إسرائيل من إقامة عرض عسكري في القدس، وتعاقبت

قرارات الجمعية العامة للأمم المتحـدة ففـي القـرار رقـم ٣٢٥٣ تعرب الجمعية العامة عن استيائها وقلقهـا؛ بسـبب الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع القدس، وتعلق أنها باطلة وغير مشروعة، وكان ذلك في ٤ يوليـو(تمـوز) سنة ١٩٦٧، وجاءت القرارات التالية للجمعية العامة بـنفس المعنى، وجاء قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ الصادر في سنة ١٩٦٩ يحمل عدم اعترافه بالأراضـي المكتسـبة بـالغزو العسكري، وفي سنة ١٩٨٠ رفض مجلـس الأمـن جعـل إسرائيل القدس عاصمة لها.

وقررت اتفاقية أوسلو تأجيل البت في موضوع القدس إلى المرحلة الأخيرة من المفاوضات، وعدم إجراء أي تغيير في وضع القدس حتى يتم التفاوض حولها، ثـم بـدأ الموقـف الأمريكي يتغير ويتجه إلى التأييد المطلق لإسرائيل واستعمال حق الفيتو، والتسليم بجميع ما تتخذه إسـرائيل مـن تغييـر المعالم في القدس وما حولها، وآخرهـا قـرار الكـونجرس الأمريكي في مجلسيه بنقل السفارة الأمريكية من تـل أبيـب إلى القدس سنة ١٩٩٩.

المقدسات الإسلامية في فلسطين

لقد خص الله أرض فلسطين بقبلة الإسلام الأولى المسجد الأقصى المبارك، وفي حائط المسجد الأقصى ربط رسول الله ﷺ البراق؛ ليصعد إلى السماء حيث فرض الله الصلوات الخمس.

حلت الكارثة بأرض فلسطين بعد أن سيطر اليهود عليها، وأبادوا العديد من المدن والقرى بما فيها من مساجد ومعابد ومقدسات وأضرحة الصحابة والشهداء ومقابر العلماء وأولياء الله الصالحين، وفداحة هذه الكارثة أن النكبة لم تحلّ بالفلسطينيين وحدهم ولكنها عمت العالم الإسلامي بأسره بعد أن حفظها التاريخ وديعة في أعناق المسلمين الذي قدَموا آلاف الضحايا والشهداء؛ لتبقى القدس على مدى التاريخ ترفرف فوقها الأعلام الإسلامية، وأخشى أنه رغم ما بذِلَ من تضحيات وتوالى عليها من حروب للحفاظ على تلك المقدسات وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك أن يستطيع اليهود بوسيلة ما أن يدمروا ثالث الحرمين ويقضوا على هذه البقعة الإسلامية المقدَسة.

ونستعرض هنا خلاصة موجزة لتاريخ تلك المقدَسات، وقد شرحنا في حديث سابق تاريخ المسجد الأقصى المبارك وحائط البراق.

وننتقل إلى مدينة الخليل، وتقع جنوبي القدس، وفيها المسجد الإبراهيمي الشريف والغار المحتوى على قبر نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام وزوجته سارة وأضرحة وقبور أبنائه النبيين إسحق ويعقوب ويوسف، والحرم الإبراهيمي يعتَبر من أهم الآثار والأبنية الإسلامية الجليلة.

وفي بلدة حلحول القريبة من الخليل يوجد مقام نبي الله يونس عليه السلام وعليه مسجد أثري تقام فيه الصلوات.

وفي بلدة بيت جبرين غربي الخليل يوجد ضريح تميم بن أوس الداري رضي الله عنه الصحابي الجليل، وعليه أيضا مسجد أثري تقام فيه الصلوات.

وفي قرية بني نعيم شرقي الخليل يوجد مقام نبي الله لوط عليه السلام وفيه كذلك مسجد أثري تقام فيه الصلوات.

وفي قرية عمواس دفن الصحابي الجليل "أبو عبيدة بن الجراح" عليه السلام ومعاذ بن جبل عليه السلام وفي مدينة الرملة قبر الفضل

بن العباس عليه السلام ابن عم النبي ﷺ وعليه مسجد أثري تقام فيه الصلوات.

ومنذ فتحت الجيوش العربية الإسلامية فلسطين استشهد فيها نفر من صحابة رسول الله في معارك اليرموك وأجنادين، ودفنوا في أرض فلسطين، وانتشرت قبورهم في سهولها وسائر أرجائها، وفي بلدة سلمة قرب يافا يرقد ضريح الصحابي سلمة بن هشام المخزومي رضي الله عنه وبقربه مقبرة لعدد من شهداء معركة أجنادين، وتعرف باسم مقبرة النحام ومنهم عبد الله بن عبد المطلب، وطليب بن عمير، وأبان بن سعد بن العاص، وتميم بن الحارث السهمي، والحارث بن أوس، وهشام بن العاص وغيرهم.

وفي قرية يبنا بين يافا والمجدل (عسقلان) يوجد ضريح الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه أمير مصر في عهد خلافة عثمان بن عفان، وفي المجدل (عسقلان) مسجد الحسين بن علي رضي الله عنهما وفيه المقام الذي كان فيه رأسه، ويختلف العلماء فيما إذا كان الرأس بقي في عسقلان أو انتقل إلى مسجد سيدنا الحسين في القاهرة.

وفي مدينة غزّة ضريح هاشم بن عبد مناف جد الرسولﷺ، وفي مقبرة باب الرحمة في القدس توجد قبور جماعة من الصحابة منهم شداد بن أوس وعبادة الأنصاري وكان أول قاضٍ مسلم في فلسطين.

وفي مقبرة مأمن الله (بالقدس) توجد قبور وأضرحة آلاف الشهداء من قتلى المسلمين أثناء الحروب الصليبية، وقد عبث بها اليهود، وأقاموا الشوارع فوق عظام الشهداء، وفي عين جالوت قرب بيسان استشهدت طائفة كبيرة من أبطال المسلمين أثناء المعارك ضد التتار.

ومع استمرار الثورات والحروب التي خاضها أهل فلسطين ضد عدوان الإنجليز واليهود خلال عشرات السنين استشهد فيها آلاف من رجال فلسطين وشبابها المجاهدين. وإلى جانب المساجد والجوامع في فلسطين توجد مئات المقامات والزوايا والتكايا وهي منتشرة في مدن فلسطين وقراها.

ومن أشهرها في القدس الخانقاه الصلاحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وزاوية الشيخ جراح، والزاوية الهندية، وفي مدينة الخليل يوجد عدد من الزوايا

الصوفية منه زاوية الشرفاء، وزاويـة الرفاعيـة، وزاويـة القواسمة وغيرها.

وفي يافا يوجد عدد من الأضرحة لأولياء الله منها ضريح سيدنا علي، وضريح العجمي، وضـريح الشـيخ مـؤنس، وضريح الشيخ مراد، وضريح روبين.

وفي الرملة يوجد ضريح النبي صالح عليه السلام وفي طبريـا اكتشف ضريح الصحابي "أبو هريـرة" رضي الله عنه ومـن المسـاجد الهامة التـي احتلهـا اليهـود مسـاجد: يافـا - حيفـا - عكا - صفد - طبريا - الناصرة - بيسـان - سـمخ - قيسـارية - الرملـة - اللـد - المجـدل - الفالوجـة - بئر السبع - بيت جبرين، وقد دأب اليهود على هدم المساجد والمعابد الإسلامية، ونبش المقابر، وإزالة معالمها في كثيـر من المدن والقرى.

ومن كبار الصحابة الذين زاروا القدس والمسجد الأقصى عمر بن الخطاب - سعد بن أبي وقاص - عبد الله بن عمر - عبد الله بن عباس - محمود بن ربيع الأنصاري.

ومن الأئمة الكبار الذين ترددوا باسـتمرار علـى بيـت المقدس الإمام سفيان الثوري إمام أهـل العـراق - الإمـام

الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو فقيه أهل الشام - الإمـام الليث بن سعد عالم مصر وإمامها - والإمام الشافعي الـذي وِلِدَ في غزَة وأحد الأئمة الأربعة، ومن كبار أصحاب الطرق الصوفية الإمام الطرطوشي، وحجة الإسلام الإمام الغزالـي، والإمام "أبو بكر بن العربي الأندلسي".

وفي أكثر المـدن الفلسـطينية أنشـأ ملـوك المسـلمين وسلاطينهم في مختلف العصور مدارس أثرية إسلامية مثـل المدرسة المأمونية، ومدرسة قايتباي، والمدرسـة العمريـة، والرصاصية، والمدرسة العلمية الدينية في جامع الجزّار بعكا وفي جامع الجزّار توجد المكتبة الإسلامية، وتحتـوي علـى كثير من الكتب الدينية واللغوية والتاريخيـة ومخطوطـات أثرية نادرة في علوم التفسير، وكان يؤمها طلاب العلم مـن مختلف المدن الفلسطينية، وكانت توجد مكتبات إسلامية فـي معظم مدن فلسطين تحتوي الكثير من الكتب والمخطوطـات في مختلف العلوم والفنون، وقد أمسى كل ذلك تحت سيطرة اليهود.

وعلى مر العصور درج خلفاء بني أمية وبنـي العبـاس والسلاطين والأمراء والمماليك على زيـارة بيـت المقـدس

بصفة مستمرة، ومتابعة إصلاح المسجد الأقصى والصـخرة المشرفة.

قصة حائط البراق أو حائط المبكى كما يسميه اليهود

إن أحد أخطر أكاذيب اليهود المتعلقة بالمسجد الأقصى أن لهـم ملكيـة فيـه وهـي أكذوبـة حـائط المبكـي؛ إذ يزعم اليهود أن حائط المبكي هو الجزء الذي تبقـى مـن هيكلهم المزعوم، وبالتالي يطالبون بملكيته، وبأحقيتهم ببعض أجزاء حرم المسجد الأقصى، وحقيقة الأمر أن حائط المبكي ما هو إلا حائط حرم المسـجد الأقصـى، ويشـكل الجـزء الجنوبي من حائط الجدار الغربي عند أحد أبـواب المسـجد الأقصى وهو باب المغاربة، أي أنه جزء من أحد الجـدران المستطيلة الأربعة التي تحدد مساحة الحرم؛ وبالتـالي فهـو جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف.

وقد نشأت تلك الأكذوبة تدريجيا؛ فقد كان اليهود ممنوعين من دخول القدس طوال قـرون طويلـة، ثـم أدى تسـاهل المسلمين وتسامحهم إلى السماح لليهود بالدخول إلى القـدس، ثم السماح لهم- تحت الإلحاح الشديد- بالوقوف أمام حـائط البراق للبكاء أمامه، وظل الأمر كذلك حتى جـاء الانتـداب

البريطاني ووعد بلفور؛ فتحركت المطامع اليهودية للاستيلاء على هذا الجدار الغربي، وادّعوا ملكيته، وأطلقوا عليه حائط المبكى بدلاً من الاسم التاريخي وهو حائط البراق؛ وقد أدى هذا الادعاء إلى حدوث مواجهـات داميـة ضـد الجاليـات اليهودية وأهمها ثورة سنة ١٩٢٩، وهو ما دفـع الحكومـة البريطانية إلى إرسال لجنة خاصة للتحقيق في ملكية الجـدار عرِفَت باسم لجنة "شو"، وأفادت اللجنة في تقريرهـا الـذي قـدّمتـه إلـى وزارة المسـتعمرات أن السـبب المباشـر للاضطرابات هو المظاهرة اليهودية التي سارت نحو حـائط البراق في ١٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٨ حيث رفعت العلم اليهودي، وقالت لجنة "شو" إن موضوع حائط البراق لـيس من اختصاصها وخارج عن صلاحياتها، وأوصت بإرسـال لجنة أخرى لبحث موضوع الحائط.

وقررت عصبة الأمم سنة ١٩٣٠ إرسال لجنـة محايـدة مكونة من سويدي وهولنـدي وسويسـري، وزارت اللجنـة فلسطين، وصدر قرارها في العـام التـالي؛ ليؤكـد علـى المحافظة على الوضع الراهن للحائط المـذكور، **ويؤكـد أن الحائط من أملاك الأوقاف الإسلامية**، وأن للمسلمين وحـدهم

تعود ملكية الحائط الغربي، ولهم وحدهم الحق العيني فيـه؛ لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من مسـاحة الحـرم الشـريف، وكذلك أن للمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمـام الحائط وأمام المحلة المعروفـة بحـارة المغاربـة المقابلـة للحائط، وأضافوا أن أدوات العبادة التـي يضـعها اليهـود بالقرب من الحائط لا يجوز بحال من الأحوال أن تنشـئ أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجـاور لـه، وقد اقترن تقرير اللجنة بموافقة مجلس عصبة الأمم وإقراره، كما أقرته حكومة بريطانيا بصفتها الدولـة المنتدبـة علـى فلسطين، وأصدر ملك بريطانيا على أسـاس هـذا التقريـر مرسوما ملكيا باسم مرسوم الحائط الغربي سنة ١٩٣١ يؤكد تقرير اللجنة.

وظل الأمر كذلك حتى احتلال اليهود للقدس سـنة ١٩٦٧ فحاولوا مرة أخرى الاستيلاء على هذا الجدار، وقاموا بهـدم حارة المغاربة - وهي وقف إسلامي - المواجهـة لسـاحة الحائط، وهدموا المسجدين المجـاورين هنـاك وكـل مـا يجاورهما من أوقاف المسلمين ثم صادروا سـاحة الحـائط،

وقاموا بعمل حفريات عديدة بها؛ في محاولة لإثبات أنها من بقايا الهيكل القديم، وكل تلك الحفريات باءت بالفشل.

إن الحائط لا يزال حتى الآن من الناحية القانونيـة ملكـًا للأوقاف الإسلامية، إن القدس الشريف والمسـجد الأقصـى لهما نفس المكانة من القداسة في قلوب المسلمين بعـد مكـة ومسجدها الحرام والمدينة المنورة مسجد سيدنا محمـد ﷺ، والقدس هي المدينة المقدسة التي وطئ أرضها معظم الأنبياء والمرسلين وقد أمر سيدنا محمد ﷺ أن الرحال تُشدُّ إليه كما تُشدُّ إلى المسجد الحرام بمكة المكرمـة، والمسـجد النبـوي الشريف بالمدينة المنورة.

وكما ورد في رواية ابن عباس رضي الله عنه:

"بيت المقدس بناه الأنبياء، وسكنه الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبي".

ويبلغ طول حائط البراق حوالي ٤٨ مترا، وارتفاعه ١٧ مترا، وهو مبني من الأحجار الفخمة، وقد تم ترميم الحـائط عدة مرات أيام الأيوبيين والمماليك؛ ويظهر ذلك من اختلاف نوعية الأحجار، والمعروف أن سبب تسمية الحائط بـالبراق نسبة إلى الدابة التي حملت الرسول ﷺ حـين أُسـري بـه،

ويوجد في داخل غرفة صغيرة ـ تجويف ـ يعتقد المسلمون بأن الرسولﷺ ربط فيه البراق ليلـة الإسـراء والمعـراج، والحائط يشكل جزءا من أساسات المسجد الأقصى.

ويدّعي اليهود أن حائط البراق جزء من جدران الهيكـل الثالث الذي بناه هيرودس سنة ١٨ قبل الميلاد، وجاء طيتس الروماني سنة ٧٠ ميلادية ودمره عن آخره، ورغم جميـع محاولات اليهود لإثبات هذا الادعاء والحفريات التي قـاموا بها لم تثبت أي دليل مادي يعزز ذلك، واكتفى اليهود بالذهاب إلى الحائط للنوح والبكاء؛ باعتباره أثرا دينيا مقدسا.

وبعد استيلاء اليهود على الحـائط سـنة ١٩٦٧ قـاموا بتوسيعه حتى وصل طوله إلى ٨٣ مترا.

وأثناء الانتداب البريطاني على فلسطين حاول اليهود تقديم مبلغ مليون جنيه إنجليزي ذهب لرئيس المجلس الإسـلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني وإلى مدير الأوقاف الإسـلامية مقابل التنازل عن الحائط، ورفض العرض رفضـا قاطعـا رغم إغرائه المادي في ذلك الوقت.

يطول بنا الحديث عن مدينة القدس التي لعبت دورا هاما في حياة الأديان الثلاثة، وشهدت الإسراء معجزة الإسـلام، وهي أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ونتوجه بالسؤال التالي إلى كافة العرب والمسـلمين فـي أرجاء العالم: هل يكفي رفع شعارات الاحتجاج والصـراخ والبكاء لكي تعود القدس عربية؟؟

هيكل سليمان

المحاولات الأولى لبناء الهيكل:

كان اليبوسيون على عادة الكنعانيين جميعا قد بنـوا بيتًـا (هيكلاً) للإله شالم على أحد مرتفعات القدس؛ حيـث كانـت مدينة يبوس على الطرف الشرقي الجنوبي من حرم المسجد الأقصى الحالي، وقد حاولت قبائل العبرانيين البسيطة تقليـد أهل البلاد المتحضرين، ففكر داود في بناء بيـت (هيكـل) للرب في القدس وعلى مرتفع على الطريقة الكنعانية، وكانت غايته أن يضع فيه تابوت العهد الذي يضم الوصـايا التـي نزلت على موسى، ولكن الآلهة- كما تقول التوراة- لم تمكنه من ذلك؛ لأنه أراق دماء كثيرة في حروبه، ولأنه اغتصـب أرض الموقع المزمع البناء فوقه.

وكان تابوت العهد الرمز الأساسي لعبادة يهـوه، وكـان يتنقل مع الإسرائيليين في تحركاتهم المتكـررة، ونقلـه داود باحتفال كبير إلى القدس بعد أن كان في قرية إسـدود علـى ساحل فلسطين الجنوبي بعد اسـتنقاذه مـن أيـدي القبائـل

الفلسطينية التي كانت تحتل أكثر الساحل الفلسطيني؛ وهكـذا توقف بناء الهيكل في عهد داود.

تسلم سليمان الحكم بعد أبيه داود، وكـان حكمـه أكثـر ازدهارا، ورغم أن حكمه امتد جهات سيناء وسوريا إلا أنـه لم يسيطر على فلسطين كلها، ولم يكن اليهود أكثرية فيهـا، ورغم أن التوراة تورد أرقاما ضخمة لأعداد اليهـود فـإن الوثائق الأثرية التي عِثِرَ عليها لا تؤكد تلك الأرقام.

اشـتهر سـليمان ببنـاء "بيـت الـرب" أو الهيكـل - على غرار بيت "بعل" عند الكنعانيين- واختار له مكانًـا مرتفعا على طريقة الكنعانيين، وتـم بنـاء الهيكـل رغـم معارضة أحبار اليهود، واستعان في بنائـه بحيـرام ملـك الفينقيين الذي أمدَّه بخشـب الأرز الـلازم، وبالمعمـاريين، والبنائين.

وتكاد المصادر التاريخية تُجمِع أن سليمان أقام مع الهيكل قصورا ملكية له ولنسائه، وسخر النـاس تسـخير العبيـد، وفرض عليهم الضرائب الباهظة؛ ممـا أدى إلـى التـذمر الشديد، وإلى انقسام مملكة العبرانيين التي لم تعش أكثر مـن

سبعين عاما إلى مملكة إسرائيل في الشمال، ومملكة يهـوذا في الجنوب.

وبالنسبة للمكان المرتفع الذي بنى عليه سـليمان هيكلـه والذي يحاول الصهيونيون بكافة الطرق من الحفر والتنقيـب لعلهم يجدون أثرا لذلك الهيكل.

وبحجة الكشف عن التاريخ اليهودي، ومكان الهيكل أخذت السلطات الإسرائيلية تقوم بعدة عمليات من الحفر والتنقيـب في أماكن متعددة خاصة الملاصقة للحرم الشريف، وللحائط الجنوبي، والحائط الغربي من منطقة الحرم؛ وقامت نتيجـة لذلك بهدم مئات المباني والبيوت والمحال التجارية وإزالـة حي المغاربة بكامله، ولا تزال الحفريـات مسـتمرة رغـم اكتمال تصدُّع الأماكن الإسلامية المقدَّسـة وفـي مقـدمتها المسجد الأقصى المبارك، وقد فشلت جميع هذه المحـاولات حتى الآن، ولم يكتشف إلا آثار من الحجارة لجـامع أمـوي قديم قرب حائط البراق.

وفي السنوات الأخيرة أخذ اليهـود يكثفـون الحفريـات والتنقيب، وأطلقوا اسم جبل الهيكل علـى مكـان المسـجد الأقصى، ويحاولون نشر هذا الاسم الجديد؛ ليأخذ مكانة لدى

المؤرخين والكُتاب ويتحول إلى حقيقة كما حصل في اسم حائط البراق الذي حوّله اليهود إلى حائط المبكي مدّعين أنه من آثار الهيكل القديمة بينما الحقيقة أن حائط البراق هو جزء من الحائط الغربي للمسجد الأقصى، ويتبع الأملاك الإسلامية، وهو المكان الذي عرج منه الرسول ﷺ إلى السماء؛ وهذا ما أكسبه اسم حائط البراق.

ويقول هـ. ج ولز المؤرخ البريطاني المعروف إن المجد الذي بلغه سليمان لم يكن إلا ملكًا صغيرا خاضعا لغيره في مدينة صغيرة، ولم تمضِ سنوات قليلة على موته حتى تمكن فرعون مصر من الاستيلاء على القدس، ونهب معظم ثروتها ومعالم ازدهارها، وكثير من الكُتاب يشكون في قصص التوراة في سفري الملوك والأيام، ويقولون إن الكُتاب اليهود المتأخرين قد أضافوها وبالغوا فيها بدافع من الكبرياء الوطني، إن هيكل سليمان إذا أمعنا النظر في مقاييسه يمكن إدخاله في كنيسة صغيرة لبلد صغير، وكان طول الهيكل من الداخل ١٠٠ قدم وعرضه ٣٥ قدما، والهيكل نفسه لم تعثر له جميع الحفريات الأثرية على بقية، وتقول دائرة المعارف البريطانية (مجلد ١٣ ص ٦) إنه ليس من المؤكد أن الهيكل

كان في حرم المسجد الأقصى خاصة أن تيطس القائد الروماني عندما هدم المدينة سنة ٧٠ م لم يترك شيئًا قائما فيها، وطُمِست سائر معالم المدينة فالبحث عنه إذن عبث في عبث حتى لو كان مكانه في الحرم الشريف.

ولم يجد الأثريون أثناء بحثهم وتنقيبهم في فلسطين أية آثار إسرائيلية؛ والسبب أن الإسرائيليين الذين دخلوا فلسطين كانوا بدوا بسطاء لا ثقافة لهم ولا حضارة، ولم يطل حكمهم في البلاد لينشأ لهم تراث يذكر في الفن أو البناء أو الحضارة، وما أقاموه كان بمساعدة الفينقيين، وقد اندثر بفعل التخريب.

ويقول بعض المؤرخين إن هيكل سليمان لم يكن معبدا لجميع اليهود إلا في عهد سليمان ومن بعده وجه اليهود الإسرائيليون وجوههم نحو معبدين: الأول شمال القدس، والثاني في دان - تل القاضي شمال فلسطين.

ولم يكن اليهود ينظرون إلى هيكل سليمان نظرة القداسة التي يتظاهر بها الصهيونيون الآن، ولم يتورع جيش مملكة السامرة أثناء غزوه لمملكة يهوذا بالقدس من هدم أجزاء من

المعبد، ونهب ما في الهيكل من كنوز الذهب والفضة، وقـد اتخذت مملكة إسرائيل هيكلاً خاصا في الساحة بجوار نابلس.

وزال حكم قبائل الجماعات اليهودية في فلسطين بعد حكم دام بضعة مئات من السنين، وظل الكنعانيون والعموريـون وغيرهم من القبائل العربية خلال تلك المدة سكان فلسـطين الأصليين يقيمون في البلاد جيلاً بعد جيل على الـرغم مـن تعاقب الغزاة، ويحاول الإسرائيليون ومن يشايعهم أن يوهموا العالم بأن تاريخ فلسطين قبل الفتح الإسلامي إنما هو تـاريخ شعب عبري يملأ جوانبها وأزمانها، ورغم أن العلم الحديث كشف النقاب عن زيف تلك الأوهام فإن المؤرخين الغـربيين لم يزالوا متأثرين بالادعاءات الصهيونية وربطهـا بحقـائق التوراة والإنجيل.

والحقائق التاريخية تشير إلى أن هدريان الرومـاني أزال كل آثار الهيكل عام ١٣٥ م إثر ثورة قام بها اليهود ونكـل بالسكان اليهود، وحول القدس إلى مستعمرة رومانيـة حـرَم على اليهود العيش فيها أو الاقتراب منها، والعرب هم الذين سمحوا لليهود بالعودة إلى الصلاة قرب حائط البراق.

هذه هي قصة الهيكل التي يثيرها اليهود في العـالم هـذه الأيام بحجة إعادة بنائه في مكان المسجد الأقصى بعد هدمه.

المحاولات الإسرائيلية لهدم المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة

تعددت المحاولات الإسرائيلية لنسف المسـجد الأقصـى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة.

محاولة إحراق المسجد الأقصى المبارك في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩:

"تمت المحاولة بواسطة مجموعة من الإسـرائيليين فـي عملية من أكبر عمليات التخطيط الإسرائيلية لهدم هذا المسجد الإسلامي البالغ القداسة عند المسـلمين، ولـولا مسـارعة الجموع الإسلامية وفرق الإطفاء العربية المحلية والمجاورة لما كان بالإمكان إنقاذ القسم الأكبر مـن المسـجد وإفشـال المخطط الإسرائيلي، وكان الحريق قد شبَّ في موقعين وليس في موقع واحد، وكان الأول عند منبر صلاح الدين التاريخي الذي يعتبر من أقدم المنابر الإسلامية، ويمتاز بدقة الصناعة والجمال والفن؛ وقد أتت النيران عليه تماما، والثاني قـرب

الحائط الشرقي الجنوبي حيث أتت النيران على سقف ثلاثـة أروقة.

ألصـقت إسـرائيل التهمـة بشـاب إسـرائيلي اسـمه مايكل روهان، وأقيمت له محاكمة صورية، وألصـقت بـه حالة الجنون، ووضِعَ في مستشفى الأمراض العقلية لفترة من الزمن، ثم أخلي سبيله، وسافر إلى أستراليا موطنه الأصلي.

المحاولة الثانية:

قام بها جماعة "جال" المتطرفة، وتُعرَفُ بجماعة المدافعين عن يهودا وخلاص إسرائيل، تألفت تلك الجماعة في منتصف السبعينيات، وكان تفجير المسـجد الأقصـى مـن أهـدافها الرئيسية، وبالصدفة ألقت السلطات الإسرائيلية القبض علـى رئيس الجماعة "ليرنس" وهو يهودي أمريكي، وعند تفتـيش منزله عثِرَ على الخطة الكاملة المكتوبة لتتم علـى مراحـل لنسف قبة الصخرة المشرفة، وحوكم وحكِمَ عليـه بالسـجن خمسة أعوام ثم أُطْلِقَ سراحه فيما بعد.

المحاولة الثالثة:

قام بها يهودي يدعي "عتصيون"، واشترك في التنفيذ عدد من أعضاء "الحركة السرية اليهودية"، وهـي مـن أضـخم وأخطر الحركات المتطرفة اليهودية، وقد أسهمت في عمليات كثيرة إرهابية ضد الفلسطينيين.

وكانت الجمعية تعتقد أن حرق ونسف المسجد الأقصـى والصخرة المشرفة بالنسبة للرأي العام العالمي لن يخرج عن نطاق التصريحات والاحتجاج، واشترك في المؤامرة عـدد من الحاخامات اليهود وعلى رأسهم رئيس الطائفة الشـرقية "عوفريا يوسف"، وتم إعداد الخطة وتوزيع الأدوار بدقة بالغة حتى إنهم قاموا بعمليات استطلاعية أثناء جولة بالطائرة حول موقع المسجدين، وحصل الأعضاء الذين أُوكِلَ لهـم عمليـة التنفيذ على تدريبات مكثفة، وراقبوا أساليب الدفاع العربيـة وأجهزة الإنذار حول المسجدين ولكن الجريمة سقطت بأيدي رجال الأمن سنة ١٩٨٤، ووجِدَ لديها ترسانة هائلة لعمليات النسف – كميات من البارود والمـواد المتفجـرة، وألغـام، وكبسولات، وقنابل غاز، وقنابل دخان، وأصابع ديناميـت،

وقنابل يدوية، وكان المقرر أن تتم عملية النسف في نصـف ساعة.

المحاولة الرابعة:

قام ٤٦ من الإسرائيليين بالتسلل إلـى الحـرم القدسـي الشريف عن طريق الحفريات التي كانوا يقومون بها، وكانوا يحملون صناديق تحتوي على مواد متفجرة؛ لنسـف جميـع الأماكن داخل الحرم الشريف، وقد اكتشفهم حراس الأوقـاف الإسلامية، وأبلغوا سلطات الأمن الإسرائيلية التي اعتقلـتهم مع معداتهم، وأقامت لهم محاكمة صورية ثم أفرجت عـنهم فيما بعد.

المحاولة الخامسة:

اكتشفت السلطات الإسرائيلية تنظيما سريا داخل الجـيش الإسرائيلي كان يخطط لنسف الحـرم القدسـي، واعتقلـت رجاله، وحكمت على بعضهم بالسجن مددا تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات ثم أفرجت عنهم في فترة لاحقة.

المحاولة السادسة:

وأحدث المحاولات لاقتحام الحرم القدسي الشريف قام بها وفد البرلمان الإسرائيلي في ٨/ ١/ ١٩٨٦، وثار على أثرها العالم العربي والإسلامي بالاحتجـاج والاسـتنكار، وتقـديم شكوى إلى مجلس الأمن الدولي، وانتهت الشكوى باسـتعمال الفيتو الأمريكية، وإفشال اتخاذ أي قرار ضد إسرائيل.

هذا إلى جانب الحفريـات التـي تقـوم بهـا السـلطات الإسرائيلية تحت حوائط المنطقة المحيطة بالمسجدين بحجـة التفتيش عن آثار هيكل سليمان؛ مما يشكل خطـورة علـى أساسات المسجدين.

حول هدم المسجد الأقصى:

يستخف البعض بالأنباء التي تتردد في إسرائيل بين حين وآخر عن نيتها هدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان على أنقاضه، ولا يمكن أن تستبعد إقدام إسرائيل على علمية الهدم في ظل الظروف المتردية التي تعيشها الأمة العربية بصـفة خاصة والأمم الإسلامية بصفة عامة، الذين يستخفون بهـذا الأمر لا يضعون في حسابهم كيف نشأت وتطوَّرت الدولـة

اليهودية بعد أن كانت مجرد هدف ومأوى، وأصبحت حاليـا أقوى دولة في المنطقة تفرض إرادتها وتحقق أهدافها علـى حساب الفلسطينيين والدول المجاورة، هل ننتظر معجزة من السماء تنقذ القدس وقد ولى عصر المعجزات؟ وهـل يملـك العرب غير الكلمات والاحتجاج اللفظي والصـوت العـالي الأجوف بينما يقفون مكتوفي الأيدي؟

يعلن الفلسطينيون وباستمرار أن المسجد الأقصـى فـي خطر؛ لأن الشعب الإسرائيلي والحكومة الإسرائيلية مصران على بناء هيكلهم فوق أنقاضه، وفي مسرحيات عبثية تقـوم الشرطة الإسرائيلية بالقبض على بعض المتطـرفين اليهـود بالقرب من المسجد الأقصى وفي حوزتهم متفجـرات أرادوا بها نسف المسجد الأقصى، وسوف تتكرر هـذه المسـرحية الهزلية لتهيئة العالم الإسلامي نفسيا لقبـول أنبـاء تـدمير المسجد الأقصى، خصوصا في ظل حكومة أعدَّت كل شيء لبناء هيكل سليمان على أنقاضه.

هناك استحالة لاحتواء الرغبة الجامحة الإسرائيلية، هـدم الأقصى وبناء هيكل سليمان الثالث، ومن الصعب إلغاء مـا

تقوم به الإدارة اليهودية للإعداد ليوم أسود قادم يتم فيه تدمير المسجد الأقصى.

لقد انتشرت في جميع أنحاء العالم جمعيات يهودية تُسمى جمعيات بناء الهيكل؛ لجمع الأموال من يهود العالم لبنائـه، وقد جمعوا عدة ملايين تكفي لبناء أكثر من هيكل، وأُرسِـلت هذه الأموال إلى الحكومة الإسرائيلية، وتم تخصيص المبالغ المطلوبة، والباقي رصدوه للاستيطان فـي القـدس وبقيـة الأراضي العربية في الضفة وقطاع غزَة.

وقامت جمعيات بناء الهيكل في الولايات المتحدة بإعـداد الرسومات الهندسية للبناء، وتم في إسرائيل جمـع الحجـارة المطلوبة للبناء وعددها ستة ملايين حجر عِثِرَ عليهـا فـي جبال ووديان صحراء النقب، وتم صـقل هـذه الحجـارة؛ استعدادا ليوم البناء، وقام يهودي أمريكي من أصل مصـري بالتبرع بشمعدان من الذهب الخالص بحجم كبير يوضع فـي بهو الهيكل طبقًا للطقوس اليهودية.

وأقامت دولة إسرائيل منذ مدة معهدا ليلتحق بـه شـباب إسرائيل؛ ليتعلموا الطقوس الدينية، وهؤلاء سـيعملون فـي المعبد المقرر إقامته.

كل شيء جاهز للتنفيذ: الأثاث جاهز - رسومات البناء جاهزة.

مواد البناء كلها جاهزة - الشباب الذي يقيم الشعائر اليهودية في الهيكل تخرَّجوا في انتظار العمل، البقرة الحمراء التي قيل إن الرب سيأتي بها في إسرائيل كعلامة لبناء الهيكل قد ولِدَت في حيفا.

والحكومة الإسرائيلية الحالية أعدَّت نماذج مصغرة من الفضة لشكل الهيكل تهديها لكبار الزوار؛ تأكيدا على أنها ستبني الهيكل.

وقد أودع الفلسطينيون في سجلات جامعة الدول العربية عدة صور كانت قد أعدَّتها إسرائيل للهيكل اليهودي في شكله النهائي، ولا تزال هذه الصور في سجلات جامعة الدول العربية.

هل أعددنا شيئًا لهذا الحدث الخطير القادم؟!

لا شيء على الإطلاق.

أذاعت وكالات الأنباء من عمان بالأردن بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٩٨

ذكر عالم الآثار والحفريات الفلسطيني الدكتور إبراهيم الغني في تصريح له أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي شرعت عمليا في إنشاء مدينة سياحية تحت المسجد الأقصى وفق مشروع لترحيل معماري لنقل الصخرة المشرفة تمهيدا لإقامة الهيكل اليهودي المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى.

وقد أخذت السلطات الإسرائيلية بالإسراع في تنفيذ هذا المشروع الذي كان محددا له سنة ٢٠٢٥ إلا أن حكومة نتنياهو قدَّمته إلى عام ٢٠٠٨ عبر نقل الصخرة المشرفة من موقعها الحالي إلى باب الخليل مشيرا إلى البدء فعلا في إقامة هيكل صغير بجوار حائط البراق (المبكى).

وقد عرض عالم الآثار خرائط ومعلومات نادرة وحديثة تظهر أهداف مشروعات سلطات الاحتلال، إلى جانب فيلم وثائقي حول طبيعة الإنفاق والأعمال الإسرائيلية الجارية، والتي يزن حجر الأساس فيها ٤٥٠ كيلوجراما.

وأضاف أن مستوطنة رأس العامود المزمع إقامتها ستكون إشارة بدء تنفيذ الهيكل المزعوم.

ولفت النظر إلى كثرة الحفريات تحت المسجد الأقصـى والبلدة القديمة التي باتت تشكل تهديدا حقيقيا لانهيـار تلـك المباني.

الإجراءات الإسرائيلية لتهويد القدس

منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ وإعلان دولة إسـرائيل أخـذت السلطات الإسرائيلية في تنفيذ مخططاتها لتحويل مدينة القدس إلى عاصمة لدولة إسرائيل الكبرى والتخاص تـدريجيا مـن سكانها العرب، وكانت قد استولت على ٨٠ ٪ من مسـاحة مدينة القدس، وقامت بطرد ٦٠ ألفًا مـن سـكانها العـرب المسلمين والمسيحيين، وتابعت مخططاتها إثر استيلائها على الجزء الغربي من مدينـة القـدس، وقـد لعبـت المقاومـة الفلسطينية دورا هاما في الحفاظ على هذا الجزء من مدينـة القدس عربيا، وحالت بين سقوطه في أيـدي اليهـود سـنة ١٩٤٨.

بدأت إسرائيل في تنفيذ عدد من الإجراءات ضد المدينـة المقدسة سكانًا وأرضا وعقارات وحضارة ومقدَسات وتنظيما ومن أبرزها:

١- إعــلان القــدس عاصــمة لإســرائيل بتــاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٤٨، ونقل مقر حكومتها من تل أبيـب إلى القدس، وقد تغاضت الأمم المتحـدة عـن هـذا

الإجراء رغم أنه مخالف لقرار التقسـيم، وقـدّمـت الولايات المتحدة وبريطانيـا أوراق اعتمادهـا فـي القدس سنة ١٩٥٤.

٢- إصــدار ســلطات الاحــتلال الإســرائيلية فــي ٣١/ ٣/ ١٩٥١ قانون أحوال الغائبين؛ وبهذا القانون وضعت إسرائيل يدها على جميع الأموال المنقولـة وغير المنقولة التي تركها السكان الفلسطينيون حينما غادروا القدس.

٣- منع اللاجئين من حق العودة وذلك رغـم قـرارات الأمم المتحدة - إعادة اللاجئين إلـى بلادهـم ورد ممتلكاتهم أو تعويضهم - وبلغ المحرومـون مـن العودة من سكان القدس مائة ألف.

٤- فتح باب الهجرة لليهود للاستيطان في القدس علـى مصراعيه.

كان السكان اليهود بالقدس سنة ١٩٤٨ - ١٠٠ ألفًا.

وبعد سنة ١٩٦٧ بلغ ١٩٠ ألفًا.

وفي سنة ١٩٧٥ بلغ ٢٥٠ ألفًا.

والآن يزيد عددهم عن ٣٠٠ ألف.

٥- بعد سنة ١٩٤٨ لجأت إسرائيل إلى استعمال سـلاح الإرهاب لطرد الفلسطينيين الذين بقوا فـي الأحيـاء التي استولت عليها؛ فأحرقت مئات العقارات السكنية والمتاجر التي كانت خارج أسوار المدينة.

وبعد حرب ١٩٦٧ أضافت إسرائيل فقرة جديدة إلى قانون الإدارة والنظام الصادر سنة ٤٨، وهـذه الفقـرة خـوّلـت الحكومة الإسرائيلية تطبيق القانون الإسـرائيلي علـى أيـة مساحة من الأرض ترى حكومة إسرائيل ضرورة ضمها إلى أرض إسرائيل، وشمل هذا التعديل إدارة بلدة القدس العربية التي كانت تشمل حوالي ١٠٠ ألف من سكان المدينة الـذين أصبحوا- بدون مـوافقتهم- خاضـعين للقـانون والسـيادة الإسرائيلية مباشرة.

٦- قامت السلطات الإسرائيلية بـإجراءات اقتصـادية؛ فأغلقت البنوك العربية وكانت سـتة فـي القـدس، وصادرت أموالها، واستبدلت العملة الأردنية بالعملة الإسرائيلية، ثم منعت إدخـال أي إنتـاج صـناعي أو زارعي من خارج القـدس إليهـا، واقتصـرت الأسواق على السلع والمنتجات الإسرائيلية.

٧- أجرت السلطة الإسرائيلية إحصاء عاما لسكان القدس، واعتبرت الموجودين هم فقط مواطنين، وأجبرتهم على حمل الهويات (البطاقات) الإسرائيلية، واعتبر جميع الغائبين محرومين من حق العودة، ووضعت يدها على أملاكهم، وبدأت تدريجيا الاستيلاء عليها - حتى المقيمين لم يسلموا من السطو الإسرائيلي؛ حيث أخذت السلطة الإسرائيلية في اقتطاع أجزاء من أراضيهم بحجة لزومها للغابات والخدمات العامة والملاعب والحدائق وخزانات المياه، حتى المدارس والمستشفيات لم تسلم من هذا السطو وأُتبع ذلك على أراضٍ انتزعت من عشر قرى عربية تحيط القدس، وإزالة مساكنها وتشريد أهلها، وفي سنة ١٩٧٢ صادرت بلدية القدس خمسة آلاف دونم من القرى العربية شرقي القدس، ثم سبعين ألف دونم من أراضٍ عربية بين القدس وأريحا؛ بحجة إنشاء مدينة صناعية عليها.

٨- واتخذت إسرائيل من الحفريات وسيلة لهدم العقارات التي تقع فوقها أو المجاورة لها؛ بحجة الكشف عن

التاريخ اليهودي وهيكل سليمان، ووصلت أعمال الحفر إلى أكثر من ٢٣٠ مترا أسفل عقارات الوقف الإسلامي الملاصق للحرم الشريف، وأصبحت الحفريات تهدد المسجد الأقصى وسور الحرم بالتصدع والانهيار، وقد أدانت منظمة اليونسكو بشدة استمرار السلطات الإسرائيلية بأعمال الحفر وطالبتها عدة مرات بالتوقف، ولكن إسرائيل رفضت ذلك.

٩- نتيجة لضغوط بلدية القدس المستمرة على السكان العرب تم إخلاء خمسة آلاف منزل ودكان ومحل داخل الأسوار وحدها عدا ما تم إخلاؤها خارجها، وأخذت البلدية تهدد السكان بترك منازلهم؛ بحجة عدم لياقتها الصحية.

١٠- ومن الخطوات الأخرى في عملية التهويد بدأت بالنظام القضائي الإسلامي؛ فأغلقت المحاكم النظامية في المدينة، ونقلت محكمة الاستئناف العليا من القدس إلى رام الله، وأدمجت جميع المحاكم بالنظام القضائي الإسرائيلي، وأخذت تتجاهل شهادات الزواج والطلاق والإرث والوصاية والوقف وما له علاقة

بالأحوال الشخصية للسكان، وانتقلت إلـى التعلـيم العربي ووضعت يدها على جميع المدارس الحكومة، وأجبرتها على الخضوع لنظم التعلـيم الإسـرائيلية، وخفضت عدد الطلاب في تلك المدارس.

١١- فرضت قوانين تهويد الإنسان العربي؛ والقصـد هو إعـادة تسـجيل جميـع المحـلات والمهنيـين والحرفيين والشركات وإعادة تسجيلها لدى المحـاكم الإسرائيلية، وشملت كـذلك الجمعيـات التعاونيـة والأطباء والمهندسـين والمحاسـبين والمحـامين، وفرضت عليهم تسـجيل أسـمائهم فـي النقابـات الإسرائيلية، ومن يرفض يعـرض نفسـه للتجميـد والتوقف عن مزاولة العمل.

١٢- بدأت الاعتداء على الأماكن المقدّسة الدينية سواء إسلامية أو مسيحية، واتخذت عدة خطوات لتحقيـق ذلك بدأت بهدم ونسف العقارات الوقفية الملاصـقة للمسجد الأقصى من الغرب والجنوب، وهدمت حـي المغاربة بأكمله، واستولت على باب المغاربة أحـد أبواب المسجد الأقصى، وسمحت بإقامة الصـلوات

اليهودية داخل مساحات الحرم الشريف، ووضعت يدها على مقبرتي باب الرحمة واليوسفية الملاصقتين للحرم وضمتهما لمنتزه إسرائيل الوطني، ولا ننسى الحريق المفتعل للمسجد الأقصى وحرق منبر صلاح الدين، وتعمد قطع المياه في ٢١/ ٨/ ١٩٦٩؛ للحيلولة دون عمليات الإطفاء.

وبالنسبة للمقدسات المسيحية

إلى جانب الإزعاج والتحقير للمقدَّسات المسيحية الضغوط بشدة على الطوائف المسيحية للتنازل عن مساحات من أراضيها وعقاراتها في القدس سواء بالبيع المباشر أو التأجير الطويل الأجل، والضغط على رجال الدين المسيحيين لاضطرارهم للنزوح من القدس.

وقد تعرَّضت كنيسة القيامة وهي أقدم كنيسة في العالم إلى السرقات حيث تم سرقة تاج العذراء مريم، وتحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدَّس، واحتراق المركز الدولي للكتاب المقدَّس على جبل الزيتون، ومحاولة سرقة إكليل العذراء المرصع بالماس، وقد اضطرت الكنيسة

الأرثوذوكسية للتنازل عن المسكوبية والأراضي التابعة لهـا وكذلك فندق فاست والعمارات المجاورة له في وسط المدينة، والتنازل عن مدرسة شنلر الألمانية المعروفة ومعها مساحات واسعة من الأرض، وقد أُعتُدِي على ديـر الأقبـاط وعلـى ممتلكاته ورهبانه وعلى أراضي وأحياء المصلبة والقطمـون وكرم الرهبان والأراضي الواقعة بين السكة الحديد وفنـدق الملك داود، والاعتداء بالضرب على الرهبان ومنهم المطران فاسيلوس الرجل الثاني بالبطريكية الأرثوذكسية، وكان عـدد أفراد المسيحيين بالقدس قبل سـنة ١٩٦٧ ـ ١٨٣٠، وهـو لا يزيد الآن عن ١٢٠٠٠.

١٣- تم نقل جميع المراكـز الصـحية العربيـة إلـى رام الله ومنها مديرية الصحة العامة والمختبـرات وبنك الدم ومكافحة السل، وتم إغلاق دائرة الشئون الاجتماعية العربية وجميع الجمعيـات الخيريـة، وإخضاع جميع المستشفيات والملاجئ ودور الطفل والمعهد الديني لليتيم الفلسطيني والمعهد العربـي العلمي وعشرات العيـادات والمـدارس الأهليـة جميعها أصبحت خاضعة للقوانين الإسرائيلية.

١٤- أخذت السلطة الإسرائيلية في إبعاد المواطنين بدون إبداء الأسباب، ومن المبعـدين رؤسـاء بلـديات ووزراء سابقين وأعيان ونواب وأطباء ومحـامين ومدراء كليات ومعلمين ومزارعين وملاك وتجار وطلاب ذكورا وإناثًا.

١٥- تم تغيير أسماء الشوارع والطرق والساحات العامة والميادين وطُمِست أسماؤها العربيـة، وأُسـتُبدِلت بأسماء عبرية.

١٦- تقوم إسرائيل بتنفيذ مشروع يستهدف تغييرا للطابع الديني والتـاريخي للمدينـة المقدسـة، وسـلبها روحانيتها وعروبتها، وتحويلها إلى مدينة يهوديـة عصرية بعـد أن أصـبحت تمتلـك ٩٠ ٪ مـن الممتلكات العربية الإسلامية والمسيحية بينما كانت نسبة الملكية قبـل الاحـتلال الإسـرائيلي ٩٤ ٪ للعرب ٤ ٪ لليهود ٢ ٪ للأجانب.

وأخيرا قامت إسرائيل بعد فرض جميـع هـذه القـوانين بحملة تضليل تتهم عرب القدس بأنهم تنازلوا وباعوا أملاكهم بمحض إرادتهم.

وهكذا ضربت إسرائيل عرض الحائط بكـل القـرارات الدولية وبكل الاتفاقات التي عقدتها مع السلطة الفلسـطينية، والتي تقضي بعدم التصرف بالأراضي المحتلـة المسـتولى عليها بالقوة بعد سنة ١٩٦٧، وأن يرجأ مصير القدس إلـى المفاوضات النهائية.

ولا تتوقف إسرائيل وتستمر في حملاتها حيث قامت بفتح بجانب حائط المسجد الأقصى يصـل إلـى حـائط المبكـي (البراق) وهو يهدد أساسات المسجد والصـخرة المشـرفة، وتقوم الآن ببناء مستوطنة جديدة في منطقة جبل "أبو غنـيم" وهي منطقة عربية لتتسع إلى ستة آلاف يهودي، وعند إتمام تلك المستوطنة تكون الدائرة قد أغلقت تماما علـى الجـزء الغربي من القدس؛ وتصبح محاصرة من كافـة الاتجاهـات وتتجه الخطط الإسرائيلية لبناء مساكن في الحـي الغربـي برأس العامود.

هذا الإسهاب في شرح خطط إسرائيل وإجراءاتها لتهويـد القدس المقصود منه إيضاح الوسـائل الإسـرائيلية سـواء السريعة أو البطيئة للاسـتيلاء علـى الأرض والممتلكـات

الفلسطينية لتحقيق أهدافها في إنشاء دولة إسـرائيل الكبـرى وتفريغ فلسطين من سكانها العرب.

وهناك مشروع إسرائيلي أقرَه الكنيست وأُرجِئ تنفيذه الآن يقضي بإضافة ثلاث مدن عربية للقدس وسـبعة وعشـرين قرية مجاورة وهي بيت لحم ـ بيت جالا ـ بين سـاحور ـ وسيخضع بهذا المشروع مائة ألف عربي لحكـم السـلطات الإسرائيلية المباشر سياسيا وقانونيا، والمعـروف أن إنشـاء دولة إسرائيلية قام على مشروع أقرَه المـؤتمر الصـهيوني الأول في بازل بسويسرا سنة ١٨٩٧.

حصاد المفاوضات بشأن القدس
هل وصلت إلى طريق مسدود؟

المخططات الإسرائيلية لتهويد مدينة القدس بـدأت منـذ صدور قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين فلسطينية ويهوديـة، وكذلك القرار الخاص بشأن المدينة المقدسة، والإعلان عـن تدويلها، ووضع نظام خاص بها وذلك سنة ١٩٤٧.

قَبِلَ اليهود هذا (التدويل) ظاهريا مقابل الاعتراف الدولي بإنشاء دولة إسرائيل - ولكـن الحقيقـة أن هـذا التـدويل الظاهري انتهى عمليا بعد حـرب سـنة ١٩٤٨، وبعـد أن تمكنت إسرائيل من احتلال أكثر منـاطق القـدس الغربيـة العربية، وأصبحت تابعة تماما للسيادة الإسـرائيلية، وبـدأت إسرائيل زيادة معدلات الهجرة إلى القدس حتى بلـغ عـدد سكانها اليهود قبل سنة ١٩٦٧ - ١٩٥ ألفًا، وأخذ هذا العدد يزداد تدريجيا بمحاولات جادة لتهويـد المدينـة المقدسـة، واستطاعت إسرائيل بعد هزيمة ١٩٦٧ من احتلال القـدس الشرقية (القسم الغربي) وأعلنت بجلاء أن القدس أصـبحت

مدينة موحدة غير قابلة للتقسيم، وأنهـا العاصـمة الأبديـة لإسرائيل.

توالت القوانين الإسرائيلية بدءا بقانون أملاك الغائبين سنة ١٩٥٠، ثم جاء قانون السيادة والقضاء سـنة ١٩٦٨ الـذي فُصل خصيصا على مدينة القدس، وأقدمت السلطة لإسرائيلية على حل مجلس أمانة القـدس الغربـي، وطـردت رئيسـه "روحي الخطيب"، وإزالة بوابة مندلبوم وهي نقطة العبـور بين الشطرين الشرقي والغربي للمدينة المقدَسة.

وعندما تولى جيمس بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة المفاوضات قبيل انعقاد مؤتمر مدريد فـي ٣٠/ ١٠/ ١٩٩١ أصدرت الحكومة الأمريكية رسالة إلى الفلسطينيين أشـارت فيها إلى قضية القدس بأنها (قضية خاصة) تنفصل عن بقيـة المناطق الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غـزة، وفـي رسالته أصرَ على أن تبقى القدس مدينة موحدة دون الإشارة إلى موضوع السيادة عليها، وأن المفاوضات تستبعد وترفض وجود مقدسي ضمن الوفد الفلسطيني الأردني إلـى مـؤتمر مدريد، وحصر قضية القدس بأنها قضية سـكان مقدسـيين وعرب وأماكن مقدَسة، وأن إثارة قضية القـدس يجـب أن

تؤجل إلى المرحلة النهائية للمفاوضات، أما بالنسبة لمشاركة أهل القدس بالنسبة للمرحلة التالية فقـد وضـعت إسـرائيل وأمريكا بعض الشروط:

١- أن يكونوا من سكان القدس المقيمين.

٢- أن توافق إسرائيل على تمثيلهم.

٣- إلغاء التزام المقاطعة العربية لإسرائيل.

٤- بدء مفاوضات تشترك فيها عناصر دينيـة عربيـة حول إدارة المسجد الأقصى.

وهكذا بدأت قضية المدينة المقدسة تتحـول إلـى قضـية أماكن عبادة وجاء بعد "بيكر" "وارين كريسـتوفر" وزيـر خارجية أمريكا الجديد، وفي جولاته لدفع عملية المفاوضات بين العرب وإسرائيل ظهر موقف أمريكا بجلاء وهو عـدم التدخل لوقف الممارسات الإسرائيلية على الأرض، واعتبار قضية القدس ذات شقين سياسي وديني، وحصر كريسـتوفر جولاته في البحث عن الشق الديني فقط.

وأخذت القوانين الإسرائيلية المخصصة للقـدس تتـوالى ومنها: قوانين الإقامة والسفر، ومصاريف وتراخيص البناء، وأوامر الهدم.

وجاء اتفاق أوسلو سنة ١٩٩٣ لإقامة حكم ذاتي فلسطيني يؤكد تأجيل قضية القدس إلى بدء المرحلة النهائيـة، وعـدم بحث وضع القدس قبل هذا التاريخ.

ازدادت إجراءات الاستيطان اليهودي داخل أسوار المدينة العربية بجوار المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وفي القـرى المحيطة بالقدس وآخرها مشروع جبل "أبو غنيم" الذي يرمي إلى إتمام الطوق حول المدينة نهائيا، وجاء حكم الليكود ليعلن نتنيـاهو- بالاتفـاق مـع الولايـات المتحـدة- أنـه لا يقبل التفاوض قطعيا بموضـوع تحديـد القـدس، وأنهـا العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل، وأن المفاوضات يجب أن تقتصر على حق المرور إلى المسجد الأقصى، وعلى قطعـة صغيرة من الأرض تضم قرى أبو ديس والعيزرية وسلوان؛ بهذا يقتصر مجال التفاوض على هذه النقاط المحددة.

وفي ١٨ مايو سنة ١٩٩٧ وجهت السلطات الإسـرائيلية إنذارات إلى خمسين ألف فلسطين من سكان القدس المقيمين خارجها بإلغاء حقهم في العودة (تحت شـعار سـقوط حـق الغائب أكثر من سبع سنوات) ومصـادرة هويـات الإقامـة الإسرائيلية الزرقاء منهم.

وحيث إن عددا كبيرا من السكان المقدسيين لم يعد يقـيم إقامة دائمة في القدس إما لأنهم يدرسون في جامعات عربية قريبة من القدس، أو يعملون في مناطق أخرى من الضـفة، وكـ ذلك السـيدات المقدسـيات المتزوجـات بفلسـطينيين لا يعيشون في مدينة القدس، جميع هؤلاء سقط حقهـم فـي العودة إلى القدس؛ وأصبحوا بموجب القوانين الإسـرائيليين مقيمين وليسوا مواطنين، ويخضعون لقانون الإقامة رغم أنهم يقيمون في وطنهم فلسطين.

يحضرنا السؤال الهام على ماذا يكون تفاوض المرحلـة النهائية بخصوص القدس وإيجاد الحل النهائي لها..؟

لقد أصبحت قنوات التفاوض بالنسبة للقدس واضحة كـل الوضوح، وإذا لخصنا خطوط الموقف الإسرائيلي المتطـابق مع الموقف الأمريكي نجد أنه يتحدد في مرحلتين:

١- مدينة موحدة غير قابلة للتقسيم قطعيا تحت السيطرة الإسرائيلية وعاصمة أبدية.

٢- يتم توسيع حدود القدس الحاليـة؛ لتصـبح القـدس الكبرى، وتضم القرى الثلاث التي ذكرناهـا سـابقًا أبوديس، والعيزرية، وسلوان، ويطلق على القـدس

الكبرى مدينة أورشاليم ويطلق على القرى الـثلاث - من قبيل الترضية- اسم "قدس"، ويكون للمسـجد الأقصى حصانة بيد الفلسطينيين.

ويشترط لتنفيذ ذلك اعتراف الفلسـطينيين بـأن القـدس الموحدة هي عاصمة دولة إسرائيل، وبقيت نقطـة تركتهـا إسرائيل وهي ترتيبات الوصول إلى المسجد الأقصى حيـث يجري بحثها في المرحلة النهائية من المفاوضـات؛ وهكـذا أصبحت المفاوضات تقتصر على أماكن العبادة.

وهناك رأي إسرائيلي لا يحظى بالقبول الكافي وهـو أن هذه القرى الثالث يمكن أن تكون يوما عاصمة لدولة فلسطين بشروط خاصة.

أما سكان القدس فلهـم أن يحملـوا الهويـة الإسـرائيلية ما داموا يعيشون فيها على أن يخضعوا للقوانين الإسـرائيلية التي تمنع تزايد عددهم وتسعى إلى الـتخلص مـنهم بشـتى الطرق.

بعض الإحصائيات المتعلقة بالقدس:

١- بينما كان الفلسطينيون يملكون حـوالي ٩٠ ٪ مـن أراضي القدس الشرقية عام ١٩٦٧ أصبحت إسرائيل تسيطر على ٨٧ ٪ من هذه الأراضي سـنة ١٩٩٥ ليعيش الفلسطينيون على ١٣,٥ ٪ فقط من مسـاحة القدس الشرقية.

٢- زاد عدد اليهود بين عـامي ١٩٢٢ ـ ١٩٩٣ أحـد عشر ضعفًا، بينما زاد عدد الفلسطينيين ٥ أضـعاف فقط رغم ارتفاع نسبة المواليد بينهم.

٣- تُلْغَى نسبة كبيرة من تصاريح البناء للفلسطينيين بينما تشيد المستوطنات في القـدس وضـواحيها بشـكل محموم، وهناك برامج دورية لهدم المنازل العربيـة القريبة من المستوطنات الإسرائيلية حـول القـدس، والتي تقع بجانب الطرق الالتفافية حولها.

٤- تحاول إسرائيل إفهام العالم الغربي أنها وحدها لهـا السيادة الدينية على كل المقدسات في القدس، وهـي وحدها التي تملك حق منح (المواطنة الدينية) لمـن يريد، وقد رفض عمدة القدس الإسـرائيلي السـماح

لدائرة الأوقاف الإسلامية بالقدس بترميم المصلى المرواني تحت المسجد الأقصى؛ بحجة أنه تابع لبلدية القدس اليهودية.

٥- تعلن إسرائيل أنها وحدها التي تملك إعطاء الصلاحيات- سواء للملك حسين أو لغيره- وحق الإشراف على الأماكن المقدسة.

ومن قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس:

١- حائط البراق (المبكى) ملك للمسلمين (قرار لجنة البراق سنة ١٩٣٨).

٢- كل الإجراءات التي قامت بها إسرائيل من مصادرة وغيرها لتغيير الوضع القانوني في القدس باطلة (قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ الصادر ٢١ مايو سنة ١٩٦٨).

٣- عدم الاعتراف بقانون الكنيست بتوحيد شطري المدينة وجعلها عاصمة لإسرائيل (قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ الصادر في ١٢ أغسطس سنة ١٩٨٠).

٤- إدانة أعمال العنف الإسرائيلية في القدس ضد السكان العرب (قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٢ ـ ١٣ أكتوبر سنة ١٩٩٠).

٥- المستوطنات القائمة في القدس الشرقية غير قانونيـة بموجب مواثيق جنيف، واعتبار اليهود فـي القـدس الشرقية مواطنين باطل (تصريح كوردسمان الخبيـر الاستراتيجي الأمريكي في ١٢ يونيه ١٩٩٥).

٦- من منظور القانون الدولي فـإن لفلسـطين ولـيس لإسرائيل حق صريح وشرعي في المدينة (تصـريح البروفسور جون كويجلي أسـتاذ القـانون الـدولي والعلوم السياسية بأمريكا).

ماذا يريد الفلسطينيون لكي يفلتوا من الفخ الذي يـدعوهم إلى البدء في مفاوضات الحل النهائي سواء بالنسبة للقضـية بصفة عامة أو للقدس بصـفة خاصـة أن تلـويح أمريكـا وإسرائيل بإعادة الانتشار في الضفة مقابل البدء فـي الحـل النهائي مع تبني استراتيجية إسرائيل هو فـخ يجـب علـى الفلسطينيين أن يتجنبوا الوقوع فيه.

ولكن على الفلسطينيين الاستمرار، وعدم رفـض عمليـة التفاوض مع اسـتعمال الـذكاء فـي تفريـغ المفاوضـات مما تضمره إسرائيل لجر الفلسطينيين إلى مفاوضات طويلـة وعقيمة، والاحتفاظ بالحقوق الأساسية المشـروعة للشـعب الفلسطيني.

إن الفتور الذي تبديه الإدارة الأمريكية تجاه عملية السلام، وإحجامها عن التدخل لإنقاذها، وتراجعها عن بعض الركائز التي سبق ووافقت عليها سواء في مدريد أو بعدها، والتكيف مع مواقف الحكومة الإسرائيلية الحالية خصوصا إزاء قضية الاستيطان أو إعادة الانتشار وللأسف ثبت عجـز الموقـف العربي وخصوصا فـي ظـل ضـعف السـلطة الوطنيـة الفلسطينية؛ مما ترتب عليه افتقـار أوراق عربيـة مـؤثرة للضغط على الولايات المتحدة.

ورغم كل ذلك يجب على السلطة الفلسطينية عدم التخلـي عن مواقفها الثابتة وحقوقها المشروعة، وأن تتوقـف عـن استمرار تقديم التنازلات رغم الضغوط المماثلة التي تمارس عليها.

نظرة الغرب إلى قضية فلسطين ومدينة القدس

إن التوراة عند المسيحيين في سائر أنحاء العالم كتاب مقدَس، والإنجيل استمرار للتوراة؛ فالأول يسمى العهد القديم، والثاني يسمى العهد الجديد، وقصص التوراة تدور معظم أحداثها في فلسطين فالطفل المسيحي الغربي يخرج من دراسة تلك القصص وذهنه مملوء العقيدة أن فلسطين هي موطن اليهود، وقد أجبروا على الخروج منها في العهود السابقة، وأن من حقهم العودة إليها، وأن القدس هي عاصمة اليهود ومكان مقدس للمسيحيين واليهود على السواء؛ ولذلك فهو على استعداد تام لكي يصدق أكثر الأفكار التي يروجها اليهود بأحقيتهم بالعودة إلى فلسطين ومدينتهم المقدَسة أورشليم؛ لأنها موطنهم الأصلي.

وقد استغلت الصهيونية العالمية هذه العقيدة الغربية، وحصلت على تأييد الدول الغربية والرأسمالية، ولم تجد معارضة قوية لما تقترفه إسرائيل من آثام وأعمال وحشية ضد الشعب الفلسطيني، وقد وجد صدى واسع لدى الغرب

المسيحي أن استيلاء اليهود على فلسطين جاء مصداقًا لوعد إلهي، وحق تاريخي.

ولا تزال البعثات الأثرية المسيحية وبمساعدة المؤسسات الصهيونية تبذل كل الجهد في منطقة الهلال الخصـيب فـي محاولة للعثور على آثار عبرانية يهودية، ورغم ذلـك فـإن أكثر الآثار التي تم العثور عليها كانت للكنعانيين والآشوريين والبابليين، أما آثار العبرانيين فكانت زهيدة جدا؛ لسبب المدد المتقطعة التي قضوها في المنطقة.

الموقف السياسي للفاتيكان
فيما يتعلق بمدينة القدس

تباينت الآراء حول موقف الفاتيكان من قضـايا السـلام بالشرق الأوسط وخصوصا موقفه من مدينة القدس.

هنالك رأي يرى أن الفاتيكان يساند قضايا اليهـود فـي العالم خصوصا بعد إعلانه وثيقة الاعتذار الرسمي لليهـود؛ بسبب الجرائم التي ارتكبها النازي خلال الحـرب العالميـة الثانية.

ورأي آخر يرى أن الفاتيكان يساند القضايا العربية مـن خلال تصريحات البابا يوحنا بولس الثـاني فـي مناسـبات مختلفة؛ فهو يرى ضرورة رفع الحصار الاقتصـادي عـن العراق وليبيا، ومناهضة كل الإجراءات التعسفية التي تتخذها السلطات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وأعلن قداسـته مرارا عن مساندة الفاتيكان للحقـوق المشـروعة للشـعب الفلسطيني.

ولتعزيز الرأي الثاني نوجز فيما يلي الكلمة التي أدلى بها كبير الأساقفة ووزير خارجية الفاتيكان (جان روي تـوران)

خلال زيارته للقدس التي تمـت قبـل نهايـة عـام ١٩٩٨، وأوضح فيها موقف الكرسي البابوي بشـأن حـل مشـكلة القدس.

فقد جاء في كلمته أن القدس الشـرقية محتلـة عسـكريا بصورة غير مشروعة، وأشار إلى القـرارين ٢٤٢ ـ ٣٣٨ باعتبار القدس الشرقية أرضـا محتلـة، وأدان الممارسـات الإسرائيلية بجميع أنواع العنف التـي تشـهدها الأراضـي المحتلة، وأشار بوضوح أن الفاتيكان يؤكد تبنيـه المشـاركة السياسية لقضية القدس، وعدم الفصل بين قضـية فلسـطين وموضوع القدس.

وأعلن أن من حق الفاتيكان التدخل في موضوع قضـية القدس استنادا إلى البعد الأخلاقي، ورفـض سياسـة الأمـر الواقع، ورفض الحلول وإملائها بطريقة غير عادلة وإعادتها إلى الأذهان اقتراح الفاتيكان بأن تصبح القدس مدينة موحـدة ومركزا وطنيا لكـلا الشـعبين الفلسـطيني والإسـرائيلي، واعتبارها عاصمة للشعبين، وأكد ضـرورة قيـام الدولـة الفلسطينية وعاصمتها القدس، ووجوب التوصل إلـى حـل النزاع الحدودي بموجب قرارات الأمم المتحدة.

وأن فكرة عالمية القدس تستوجب مسئولية المجتمع الدولي لضمان حمايتها، وأشار إلى عدم رضاء الفاتيكان عن تأخير بحث مشكلة القدس وترحيلها إلى المفاوضات النهائية، وأن ضمان حماية القدس يجب أن يتم من خلال وضع خاص يتم باتفاق دولي؛ لأجل الحفاظ على خواصها التاريخية والدينية والثقافية لكل أتباع الديانات الثلاثة، والمحافظة على الأماكن المقدسة، وحق ضمان الوصول إليها بكل حرية، ورفض فكرة اكتفاء كل ديانة بإدارة الأماكن التابعة لها مع استمرار السيادة الإسرائيلية على المدينة، وأكد أن الفاتيكان يعتبر نفسه طرفًا معنيا بالنسبة لتحديد مستقبل مدينة القدس.

وأخيرا أكد مسئولية المجتمع الدولي عن تلك المدينة التاريخية، وأن من أبرز رغبات الفاتيكان هي المشاركة في مفاوضات الوضع النهائي لمدينة القدس.

هذا هو تحليل مختصر للخطاب الذي ألقاه رئيس أساقفة الفاتيكان ووزير الخارجية "جان روي توران" في مدينة القدس يوم ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٨، ولا شك أن هذا الخطاب هو رسالة مفتوحة وصريحة للشعوب العربية الإسلامية وعلى رأسها الأزهر الشريف؛ للتضامن مع الفاتيكان من

أجل التوصل إلى حل لمشكلة القدس بطريقة موحدة سياسـيا ودينيا وحدوديا؛ حتى يتم إجهاض الخطط الإسرائيلية لتوسيع وإخفاء معالم القدس، وفرض السيطرة عليهـا، واعتبارهـا العاصمة الشرعية الأبدية لإسرائيل، وتأكيد حق المسلمين في المدينة المقدسة، وحتى لا نعود كعادتنا إلى البكاء على اللبن المسكوب.

موقف كنائس العالم من قضية القدس

الموقف الوطني للكنيسة القبطية:

أصدر البابا شنودة رئيس الطائفة القبطية في مصر قرارا تاريخيا يمنع فيه الأقباط الأرثـوذكس مـن زيـارة القـدس (للتقديس) واشترط أن يتم ذلك مع المسـلمين بعـد تحريـر القدس، وإعادة دير السلطان للأقباط المصريين.

وقصة دير السلطان في القدس بدأت سنة ١٩٧٠ حينمـا قامت السلطات الإسرائيلية بطرد الأنبا باسيليوس رئيس الدير ومن معه من الرهبان، وسلموا الدير بطريقة وحشـية إلـى الرهبان الأحباش؛ وذلك مجاملة للـرئيس منجسـتو رئـيس أثيوبيا في ذلك الوقت، وذلك لمساعدته إسـرائيل فـي نقـل اليهود الفلاشا من أثيوبيا إلى إسرائيل، وقد لجـأت الكنيسـة القبطية إلى المحاكم الإسرائيلية، وصـدر لمصـلحتها حكـم المحكمة العليا بإعادة دير السلطان إلى الأقباط الأرثـوذكس، ورغم ذلك رفضت السلطات الإسرائيلية تنفيذ حكم المحكمة؛ وهكذا استمر على هذا الوضع إلى اليوم، ولا أحد يشك فـي

مكانة القدس الروحية والعقائدية بالنسبة للأقباط - والأقباط في مصر محرومون من زيارة القدس منذ سنة ١٩٥٦.

إن القدس لم تكن يهودية منذ القرن الأول الميلادي وقد توالى على حكمها عدة شعوب وأجناس من الفرس واليونانيين والبطالمة والروم ثم العرب حيث تم فتحها سنة ٦٣٨ ميلادية، وظلت القدس عربية منذ ذلك التاريخ حتى سنة ١٩٥٦.

الجمعية العامة لمجلس الكنائس العالمي في أواخر سنة ١٩٩٨:

شارك في الاجتماع وفود كنائس الشرق الأوسط وبخاصة من مصر وسوريا ولبنان والأردن، ونوقشت في الاجتماع الوثيقة التي أعدَتها لجنة العلاقات الدولية بالمجلس حول قضية القدس، وتم إقرار الوثيقة بالإجماع.

وجاء بالوثيقة:

١- القدس مدينة مقدَسة لأبناء الديانات التوحيدية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية الذين يتقاسمون

المسئولية للتعاون في ضمان أن تظل القدس مدينـة مفتوحة، ومكانًا يستطيعون اللقاء والعيش فيه معا.

٢- المفاوضات بشأن القدس يجـب أن تـتم دون أيـة مماطلة أو تأخير، ويجب أن تأخذ في اعتبارها كـل ما أُتفق عليه في مفاوضات بين الجانبين الفلسـطيني والإسرائيلي منذ عام ١٩٩١ وحتى الآن، والمطالبـة الشرعية لشعوب المنطقة وخاصـة حـق الشـعب الفلسطيني في إقامة دولته على أرضه.

٣- يجب أن يؤخذ في الاعتبار كـل القـرارات التـي أصدرتها الأمم المتحدة بشأن القدس منها: ١٨١ لعام ١٩٤٧ الذي قرر الوضع القانوني لمدينـة القـدس وحدودها الجغرافية ومقدساتها - القرار ١٩٤ لعـام ١٩٤٨ الذي قرر حق اللاجئـين الفلسـطينيين فـي العودة، ثم قرار مؤتمر جنيف ١٩٤٩ الذي أكـد أن فلسطين هي أرض محتلة، وقرارا مجلـس الأمـن ٢٤٢ و ٣٣٨ لعام ١٩٧٣ اللذان يطالبان بانسـحاب إسرائيل من المناطق التي احتلتها بما فيها القـدس، وأخيرا مؤتمر جنيف الذي قرر رفض أية تغيـرات

جغرافية من خلال ضم أرض بالقوة دون اتفاق بين الأطراف المعنية وموافقة المجتمع الدولي، كما طالب بضمان وحماية دخول الشعب الفلسطيني إلى القدس.

الكنيسة المشيخية المتحدة في أمريكا:

فقد أصدرت بيانًا هاما بشأن القدس جاء فيه أن القدس منذ أمد طويل وما زالت المدينة المقدسة لدى المؤمنين مسلمين ومسيحيين ويهود، وأنها ركن هام لمفاوضات السلام، وتدعو إلى العدالة مع التوصل إلى تسوية نهائية للصراع العربي الإسرائيلي، وتؤكد ضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية، وقد أيد المحفل العام للكنيسة المشيخية المتحدة القرارات التي اتخذها في أعوام ١٩٧٤ ـ ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠، والتي تدعم وضع القدس ومنها حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، ويدعو المحفل الكونجرس الأمريكي لدعم موقف الأمم المتحدة في تنفيذ قراراتها المتعقلة بالقدس، ولجعل الدعم الأمريكي لإسرائيل مشروطًا بإيقاف الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية في

القدس وحولها، وإيقاف إقامة مستوطنات جديدة في الأراضي المحتلة.

وعن موقف الفاتيكان فقد أشرنا إليه فـي بحـث سـابق، وتحدثنا عن زيارة وزير خارجية الفاتيكـان إلـى القـاهرة والقدس، ومؤتمره الصحفي، وقراراته.

أما مجلس كنائس الشرق الأوسـط الـذي يضـم جميـع الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية في المنطقة فإنه في مختلف وثائقه يؤكد عروبة القدس، كما أنه يقوم ببرنامج ضخم لخدمة اللاجئين الفلسـطينيين منـذ بدايـة الاحـتلال الإسرائيلي، ويقوم بتقديم مختلف الخدمات التنموية للاجئـين الفلسطينيين ولاسيما فـي النـواحي التعليميـة والصـحية والاقتصادية.

التحديات التي تواجه مدينة القدس
مع بداية سنة ١٩٩٩

لا شك أن سنة ١٩٩٩ ستكون سنة حسم بالنسبة لقضـية القدس، ومن المتوقع حدوث تطورات خطيرة خلال الشهور القادمة.

وقد سارع الكنيست الإسرائيلي مـع بدايـة عـام ١٩٩٩ بإصدار قانون جديد بشأن القدس يحظر فيه مـن استصـدار قرار أو قانون جديد يتعلق بمصـير القـدس إلا بالأغلبيـة العظمى من أعضاء الكنيست.

ومن أخطر التحديات التي تواجه المدينة المقدَسة خطورة البدء في بناء مستوطنة جبل "أبو غنيم" باعتبارهـا أخطـر مشروعات الحزام الاستيطاني الجنوبي لمدينة القدس، وهـذا الحزام يدعو إلى إقامة ٨٥٠٠ وحدة سكنية، وكانـت ورقـة إنشاء هذه المستوطنة الورقة الرابحة التـي اعتمـد عليهـا نتنياهو في انتخابات سنة ١٩٩٦، وخطورة مشـروع هـذه المستوطنة جبل "أبو غنيم" (هارحوما) في أن هذا الجبل الذي يقع جنوبي القدس بارتفاع ٨٧٠ مترا فوق سـطح البحـر،

وعلى مساحة ١٩٥٠ دونما تتوزع ملكيته على النحو التالي: ١١٠٠ دونم مدينة بيت لحـم ـ ٥٥٠ دونمـا قريـة بيـت ساحور.

٣٠٠ دونم قرية أم طابا. ولا يملك اليهود مـن أراضـي الجبل إلا مساحات ضئيلة جدا.

وهذا الموقع المقرر إقامة مستوطنة (هارحومـا) عليـه يستكمل حصار القدس بإغلاق المدخل الجنوبي لعزلها عـن محيطها العربي كلية حيث يلاحظ في توزيـع المسـتوطنات حول القدس أنه ينتظم في طوقين لهما مركز واحد، ويتكون الأول الداخلي من الأحياء التي أقيمت في القدس الشـرقية، وهي تشكل حاجزا ماديا متواصلاً يفصل القدس عـن مـدن الضفة، أما الطوق الثاني فيحيط القدس من جهات الجنـوب والشرق والشمال، وهذه المستعمرة تغلق هذا الجانب الجنوبي كله بعد أن يتم وصلها بالمستوطنات الجنوبية الغربية؛ ويكون عندئذ الشارع الواصل بين القدس وبيت لحم تحت السـيطرة الإسرائيلية تغلقه متى شاءت.

وهذا يصعب الحديث عن أية وحدة جغرافية من أي نوع لكيان فلسطين؛ ويؤدي بالتالي إلى تـدمير البنيـة السـكانية

الفلسطينية وخفض نسبتها، ويعقب ذلـك تفتيـت الأراضـي الفلسطينية العربية من جهة، وشق الطرق الالتفافية حولهـا من جهة أخرى، وتحويل الأحياء الفرعية إلى مجرد جيتـو "فقيرة ومعزولة".

وثاني التحديات أن عملية بناء السفارة الأمريكية بالقـدس تتسارع.

ومن المقرر الانتهاء منها في موعد لا يتجاوز ٣١ مـايو سنة ١٩٩٩ القادم لتتم أكبـر صـفقة دبلوماسـية أمريكيـة لإسرائيل في توقيت قاتل؛ لأن الإدارة الأمريكية في ظروفها الحالية لا تقوى على مواجهة ضغط اللـوبي اليهـودي فـي الكونجرس الأمريكي بمجلسيه النواب والشيوخ، ولا يستطيع الرئيس استخدام سلطاته لتأجيل تنفيذ قرار نقل السفارة فـي الموعد المقرر ٣١ مايو سنة ١٩٩٩، ولا يخفى خطورة ذلك بالنسبة للمقاطعة الدبلوماسية الدولية الشاملة بالنسبة للقـدس تحت الاحتلال الإسرائيلي، وينذر هذا بلا شك إلـى انهيـار المقاطعة إذا ما قامت دول أخرى تحت الضغوط الأمريكيـة والإسرائيلية بنقل سفاراتها إلى القدس.

وتقوم إسرائيل حاليا بالإسراع في مصـادرة الأراضـي العربية حول القدس، ومن تلك الأراضي المرشحة للمصادرة قرى "أبو ديس"، والعيزرية، والعبادية، والطـور وسـوف يؤدي ذلك إلى الإحاطة بمدينة بيت لحم وسلبها الكثيـر مـن دورها السياحي.

هذه التحديات مجتمعة جعلت مدينة القدس تعيش أجـواء الحصار الشديد وعزلها عن سائر المدن الفلسطينية.

وتواصل إسرائيل بلهفة وسرعة سياسة تهويـد المدينـة، وتسابق الزمن؛ لتحقيق أمر واقع على الأراضي بالاسـتيلاء على بعض العقارات والمباني داخل المدينة، ووضـع يـدها على المزيد من المواقع والأراضي ومصادرتها، وتضـييق الخناق على السكان المقدسيين، وجاء في تقرير صدر مؤخرا أن القدس تشهد تصعيدا خطيرا في سياسة هـدم المنـازل، وحجب رخص البناء للمساكن العربية في المدينة وضواحيها.

وزاد استملاك المنازل الفلسطينية داخل المدينـة القديمـة وفي محيط المسجد الأقصى وفي رأس العامود، وغالبا ما يتم ذلك بأوامر وأوراق استدعاء بشراء تلك المباني في سـنوات العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن.

وتحتل قرية سلوان - وموقعها قريب جدا مـن المسـجد الأقصى - المرتبة الأولى في عمليات الاستهداف؛ حيث عمد اليهود للاستيلاء على العديد من منازل القرية وهدم منـازل أخرى، وقد جرى مؤخرا هدم أجزاء كبيرة من مقبرة الرحمة القريبة من القرية والممتدة حتى باب الأسباط؛ بحجج توسيع الشوارع.

أما المسجد الأقصى فتستمر محاصرته، وتزداد الأخطار المحيطة به من كـل جانـب؛ حيـث تواصـل السـلطات الإسرائيلية أعمال الحفر والتنقيب المكثف أسـفل أساسـات المسجد، وتحفر الأنفاق حوله وفي محيط مساحته؛ مما سوف يؤدي إلى خلخلة أساساته.

وزادت السلطات الإسـرائيلية دعـم نشـاط الجمعيـات الاستيطانية وحمايتها للسيطرة على المزيد مـن العقـارات العربية في المداخل المؤدية إلى المسجد الأقصـى؛ للـتحكم والسيطرة على أبواب الحرم الشريف.

ومع بداية عام ١٩٩٩ بدأت الأسواق العربية في القـدس تصاب بشبه الشلل، وأخذت المرافق التاريخية الأثرية داخل البلدة القديمة وخارجها تغلق أبوابها؛ لعـدم وجـود نشـاط

تجاري، وهذا سوف يؤدي إلى إخلاء المدينة لتكون مرتعـا لقطعـان المسـتوطنين والمتطـرفين اليهـود خصوصـا أن المحلات التجارية لم تعد تحتمل الضرائب الباهظة التـي تفرضها بلدية القدس اليهودية. حتى الجمعيات الخيرية التـي تمارس نشاطها الإنساني والاجتماعي لم تسـلم مـن آثـار الضرائب؛ وتضطر أحيانًا إلى وقف نشاطها.

الفصل الرابع:

إسهام الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء دولة إسرائيل

المصالح والأطماع الاستعمارية الأوروبية وتعاطفها مع اليهود

في بريطانيا:

منذ القرن السابع عشر ظهرت في بريطانيا فكـرة نقـل أبناء إسرائيل على السفن الإنجليزية إلى الأراضي الموعودة لأجدادهم؛ لتصبح إرثًا دائما لهم، ونشـأت بعـد ذلـك فـي بريطانيا عدة جمعيات دينية منذ أوائل القرن التاسـع عشـر اهتمت بإعادة اليهود إلى فلسطين، ورأت الحكومة البريطانية أن دعوة تلـك الجمعيـات تخـدم المصـالح الاسـتعمارية البريطانية، وكانت بريطانيا أسبق الدول في إقامـة قنصـلية بريطانية في القدس إثر انسحاب الحكم المصري للقدس مـن ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ وبدأ يزداد الاهتمام الأوربي ببلاد الشـام عامة وفلسطين خاصة، وسارعت الدول الأوربية إلى تعيين قناصل لها في القدس، وبدأ التنافس بين بريطانيـا وروسـيا وفرنسا على توسيع مناطق نفوذهم في البلاد الفلسطينية.

وتبعت فرنسا بريطانيا في تعيين قنصل لها في القدس ولحقتهما ألمانيا والنمسا وأسبانيا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وآخرها إيطاليا سنة ١٨٧٣، وتنافست الدول الأوربية وخاصة فرنسا وروسيا وبريطانيا في إرسال رجال الدين، وبناء الكنائس والأديرة والمستشفيات والمدارس في القدس وسائر أنحاء فلسطين، وأخذت تنتشر تلك الإرساليات التبشيرية وتتوسع أنشطتها في سائر المدن تحميها القنصليات، وضعفت الدولة العثمانية، وقدمت تلك القنصليات خدمات كثيرة للجالية اليهودية في فلسطين، وساعدت اليهود على الوقوف في وجه الإجراءات العثمانية ضد الهجرة وشراء الأراضي.

ويمكن اعتبار سنة ١٨٣٨ بداية اهتمام بريطانيا الرسمي باليهود، وأخذت تتدخل لدى الدولة العثمانية؛ للسماح بهجرة اليهود إلى فلسطين، وحماية أملاكهم، ومنحهم جوازات سفر بريطانية لضمان حمايتهم بوصفهم رعايا بريطانيين.

وفي سنة ١٨٤٩ تأسست في القدس جمعية يرأسها القنصل البريطاني؛ للتفتيش والتحري عن الآثار في الأراضي التوراتية وخصوصا التنقيب عن هيكل سليمان في

منطقة الحرم الشريف، ولعبت البعثات الخارجية التي رافقت أعضاء الجمعية- وأكثرهم من اليهود- دورا فـي توجيـه أنظار اليهود إلى فلسطين.

في فرنسا: المصالح الاستعمارية:

أعدّت الدوائر الاستعمارية الفرنسية خطة عـام ١٧٩٨؛ لإقامة كومنولث يهودي في فلسطين في مقابل تقديم اليهـود قرضا لحكومة فرنسا التي كانت تعاني من ضـائقة ماليـة، على أن يقوم اليهود بإشعال الفتن والفوضى في المناطق التي يرتادها الجيش الفرنسي بقيادة نـابليون بونـابرت لتسـهيل احتلالها؛ وهذا ما دعا نابليون إلى إصدار نداء بعد وصـوله إلى مصر يدعو اليهود إلى إعادة بناء الهيكـل؛ باعتبـارهم ورثة فلسطين الشرعيين.

بدأ نشاط الإرساليات الفرنسية في القدس وضواحيها سنة ١٨٤٠، ولقيت تلك الإرساليات بعض المعارضة من الدولـة العثمانية؛ بسبب وقوف فرنسا بجانب الموارنة في لبنان ضد الدروز سنة ١٨٦٠، ولكن النشاط الفرنسـي أخـذ يـزداد وخصوصا الثقافي، وأخذت اللغـة الفرنسـية تنتشـر بـين

المتعلمين في فلسطين وخصوصا بين الطوائف المسيحية، وكان القنصل الفرنسي- كمثيله الإنجليزي- يتدخل دائما لحماية اليهود ومساعدتهم، والضغط على الباب العالي العثماني؛ لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

المصالح الألمانية:

سمحت العلاقة المتينة بين الدولة العثمانية وألمانيا التي كانت تسعى للسماح بزيادة الاستيطان اليهودي في فلسطين، وبلغ النفوذ الألماني ذروته بزيارة إمبراطور ألمانيا لفلسطين سنة ١٨٩٨، وجرى بعد ذلك بناء الكنيسة الألمانية فوق جبل صهيون، وأخذت المستعمرات الزراعية الألمانية تنتشر في فلسطين ومن أشهرها مستعمرة قرب يافا، ومستعمرة ولهلمينا قرب اللد، وكان الألمان يعتقدون بقرب ظهور المسيح في الأراضي المقدَسة بفلسطين.

النفوذ الروسي:

حصلت روسيا بموجب معاهدة كوجيك مع الدولة العثمانية في عام ١٧٧٤ على حق رعاية وحماية الأرثوذكس في شتى أنحاء الدولة العثمانية وخاصة في الأراضي المقدسة

بفلسطين، وازداد النفوذ الروسي بعـد حـرب القـرم سـنة ١٨٥٦، وبدأت روسيا القيصرية في بناء الكنائس والأديـرة في شتى أنحاء فلسطين القدس ـ الخليل ـ الرملة ـ يافا ـ الناصرة، وعرفت تلك الأماكن باسم المسكوبيات، ودعمـت مركزها في الأرض المقدَسـة، وكـان القنصـل الروسـي - بجانب قناصل الدول الأجنبية الأخرى- يمارس الحمايـة على اليهود في فلسطين، وبدأ يزداد تسلسل المهاجرين اليهود الروس إلى فلسطين، وأصبحت روسـيا المـورد الرئيسـي للقوى البشرية الوافدة إلى فلسطين.

النفوذ الإيطالي:

رغم معارضة فرنسا تأسيس قنصلية إيطالية في القـدس؛ لتحتكر حماية المسيحيين اللاتين في الأراضي المقـدَسـة ـ رغم أن أكثر المؤسسات اللاتينية كانت إيطالية ـ فقد تمكنت إيطاليا من تأسيس أول قنصلية لها في سنة ١٨٧٢، ورغـم الخلاف الدائم بين القنصلية الفرنسية والإيطالية، ومحاولة كل منهما إنشاء المزيد من المباني والمستشفيات والمـدارس إلا أنهما كانتا دائما تقفان صفًا واحدا ضـد الإدارة العثمانيـة؛

لحماية الرعايا اليهود في فلسطين، وقد رحبت إيطاليا بصدور وعد بلفور حينما عرضَ على عصبة الأمم في جنيف.

النفوذ الأمريكي:

بدأ نشاط الرعايا الأمريكان في فلسطين حوالي عام ١٨٤٩؛ حيث كانت لهم بعثات أثرية تقوم بالتنقيب والبحث عن الآثار التوراتية وهيكل سليمان، وكانت القنصلية البريطانية تتولى رعاية مصالح أمريكا حتى تأسست أول قنصلية أمريكية عام ١٨٥٧، وكان الرعايا الأمريكان يتبعون ما يسمى "كنيسة المسيح"، وأنشئوا مستعمرة قرب القدس لم يلبثوا أن غادروها؛ بسبب عداء الفلاحين الفلسطينيين، وعدم ارتياح الدولة العثمانية لوجودهم، وانتقلت المستعمرة إلى جماعة "المعبد الألماني"، وكانت الجماعة اليهودية في فلسطين تساعدها وتقف إلى جانبها في مواجهة الإدارة العثمانية في البلاد.

النفوذ النمساوي:

تمتعت النمسا بأفضلية بين الدول الأوربية الأخرى في علاقاتها مع الدولة العثمانية لاسيما في مجال الخدمات البريدية، وكان لها قنصل في القدس، وزار الإمبراطور النمساوي القدس عام ١٨٦٩ وهي الزيارة الأولى التي يقوم بها حاكم أوربي للقدس منذ عدة قرون، ومما هو جدير بالذكر أن ولي عهد روسيا، وولي عهد ألمانيا زارا القدس في العام نفسه، وكان اهتمام النمسا بفلسطين باعتبارها الأرض المقدسة والتي وقعت أكثر قصص التوراة في أرضها إلى جانب قدسيتها المسيحية، وكانت القنصلية النمساوية تعطف على أماني اليهود وحبهم لأرض صهيون.

وهكذا قدمنا عرضا سريعا للأهداف والأطماع الاستعمارية الأوربية في فلسطين، وكيف التقت مع الصهيونية العالمية لتحقيق المصالح المشتركة في المنطقة العربية وفلسطين؛ ولذلك لا يمكن الفصل بين الصهيونية والأهداف الاستعمارية.

صورة من صور هيمنة وسطوة النفوذ اليهودي في أوربا حرية الفكر ونفوذ اليهود في أوربا

باسم حرية الفكر وحرية الاعتقاد تسمح الدول الأوربية وخصوصا الغربية منها بالكفر بالأديان، والسخرية من الرسل والأنبياء، حتى إنهم يسمحون بالتشكيك في وجود الله سبحانه وتعالى، ولا يعتبرون أيا من هذه الأفكار جريمة تستحق المحاسبة، ويعتبرون هذه الأمور حرية شخصية وحقًا من حقوق الإنسان.

ولكن هذه الدول التي تسمح بالتشكيك في الأديان والأنبياء لا تسمح - بسبب النفوذ الصهيوني - بالتشكيك أو الاعتراض على القصص والأرقام التي تروى عن جرائم النازي في حق اليهود، وتعتبر كل من يقال أو يثير بعض الشك في حقيقة هذه الجرائم مجرما خارجا على القانون يستحق المحاكمة والعقاب، ولا يعتبر هذا التشكيك حرية

شخصية أو حقًا من حقوق الإنسـان إنمـا يعتبـر جريمـة وخروجا على القانون.

وقد حدث ذلك مع المفكر الكبير جارودي وقُدم للمحاكمة؛ بسبب اعتراضه على ما تروجه الصـهيونية العالميـة مـن قصص حول جرائم النازية ضد اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، ولا تزال قضية جارودي منظـورة أمـام المحـاكم الفرنسـ ـ ـية حتـ ـ ـى الآن، ومِنـ ـ ـعَ كتابـ ـ ـه (أساطير الصهيونية) من التداول في جميع أوربا الغربية.

وأيضا ما حدث مؤخرا مع السياسي الفرنسـي اليمينـي المتطرف جان ماري لوبن زعيم حزب الجبهة الوطنية الذي يدعو إلى تطهير فرنسا من الغرباء قاصدا الجاليات العربيـة والأفريقية والآسيوية وغيرها وبالذات الجاليات العربية، وقد تعرض جان لوبن إلى اليهود، وشكك في قصصهم المبـالغ فيها ضد النازية، وقد أعلنت السلطات الفرنسية معارضـتها لآرائه، وأصبح هذا الشخص اليميني المتطرف مهددا بفقـد حريته لمجرد رأي أبداه بشأن الجرائم التي ارتكبها النـازي ضد اليهود، وأنها لا تزيد عن الجرائم التي ارتكبها النازيون

ضد الشعوب الأخرى، وقد قامت الدنيا ضد هـذا السياسـي العجوز وأُعتُبِرَ ما قاله جريمة يعاقب عليها.

وبالفعل طلبت ألمانيا من البرلمان الأوربي بأغلبية ساحقة ٤٢٠ صوتًا ضد ٢٠ صوتًا رفع الحصانة عن لوبن، وأصبح من حق الألمان محاكمته وربما سجنه لمدة خمس سنوات.

ونذكر هنا أن دول أوربا الغربية جميعها أوقفت تـدريس وقراءة رواية شكسبير "تاجر البندقية"؛ لأنها تمـسُّ اليهـود، ومنعت طباعتها أو تداولها.

وهكذا أصبح التشكيك في أمر وجود الله لا يعتبر جريمة في نظر الأوربيين بينما التشكيك في قصص تعذيب وإبـادة اليهود جريمة يستحق صاحبها المحاسبة والعقاب.

تحامل ومهاجمة أمريكا والغرب للإسلام المستفيد الأكبر دولة إسرائيل

إن موضوع الإسلام كما تتناوله وسائل الإعلام الغربية، وكما يتحدث عنه أكثر المستشرقين والمعنيين بالدراسات الإسلامية في جامعات أوربا وأمريكا تحاول دائما ترسيخ فكرة غير كاملة عن حقيقة الإسلام، وهذه الصورة السلبية تظهر دائما في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والسمعية ـ والوسائل المذكورة تتعمد ربط الإسلام بفكرة العنف والجريمة، والرجعية، والتصرف الهمجي.

وقد أخذت هذه الصورة تكبر وتنمو منذ حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ عندما قطعت الدول العربية وأوقفت تصدير البترول الذي يعتبره الغرب موردا مهما لحياته، وبما أن معظم سكان البلاد العربية مسلمون فقد ارتبطت فكرة الإسلام في العقل الغربي بالخطر الذي يهدد حياتهم، ويثير فيهم الخوف، وأصبح كل من هو مسلم عدوا لهم.

هنا جاء دور إسرائيل المتخصصة بالهجوم على كل ما هو عربي في تضخيم تلك المفاهيم وتصديرها للغرب

باعتبارها الواحة الديمقراطية القريبة جدا من نفوس الغربيين.

ويلاحظ أن معظم المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط بالجامعات والمعاهد الغربية يرتبطون بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمراكز الدعاية الكبرى، وبالبنوك الكبيرة أو قطاعات البترول أو المراكز المؤثرة في الحكومة، وجميع تلك الارتباطات تقع بدورها إلى حد بعيد ضحية للدعاية الصهيونية التي تملك بدورها دور النشر والصحافة والإعلان والإذاعات بمختلف أنواعها، وأصبح هنالك شبه رقابة قوية وتوجيهات عليا ترى من مصلحتها إظهار الإسلام بصورة سلبية وخصوصا عندما تعمد دائما للمقارنة بين دولة إسرائيل ودول البلاد الإسلامية.

وأخطر ما يواجه الإسلام حاليا هو ترسيخ هذه الصورة السلبية حتى أصبحت جزءا من المعتقدات الغربية، وبات من الصعب تغيرها.

دائما يحاول الإعلام الأمريكي والغربي (ويلاحظ هنا سيطرة الصهيونية على تلك الوسائل الإعلامية) تغطية أحداث العالم الغربي بصورة مخيفة وغير صحيحة،

وأكثر المراجع التي يكتبها المؤرخون الغربيون عن تاريخنا -وبالذات المعاصر- ويعود إليها الدارسون العرب توضـح دائما أن العلوم المفيدة تأتي إلينا دائما من الغرب، وتشير في أحيان كثيرة إلى أن الدين الإسلامي يمثل عقبة فـي طريـق التقدُّم والمستقبل.

ويريد الغـرب وإسـرائيل مـن وراء تلـك المراجـع أن يرسموا لنا تاريخًا حسب رؤيـتهم للتـأثير فـي مسـار مستقبلنا.

ويجب أن نعترض أن بعض التصرفات والأحداث السلبية التي تجري في البلاد العربية والإسلامية تسهم في تكـريس مثل هذه الادعاءات الغربية والإسرائيلية.

ولن يتحرر الفكر العربي وينطلق في شرح حقيقة الإسلام ويقنع الغرب بعدم صحة توجيهاته الخاطئة نحو الإسـلام إلا إذا تخلصنا من الدكتاتوريات التي تتحكم في عالمنا العربـي، وحصلنا على الديمقراطية الحقيقية في كافة المجالات.

إسهام الدولة الأوربية في
إقامة دولة إسرائيل

بريطانيا:

أعطت وعد بلفور، وفرضت على عصبة الأمم في جنيف أن يتضمن صكُ الانتداب في فلسطين ضرورة الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وعدم السماح للشعب الفلسـطيني بالاسـتقلال، وطيلة فترة انتدابها على فلسطين مارست كافة الضغوط على الشعب الفلسطيني بفرض القوانين الجائزة المفصلة لمصلحة إقامة الوطن القومي اليهودي؛ مما مهد السبل لإقامـة دولـة إسرائيل.

ألمانيا:

دفعت مليارات الدولارات لإسرائيل؛ لاستقبال المهاجرين اليهود، وإنشاء المستوطنات اليهودية، وتقوم حاليـا بتجديـد وبناء القطع البحريـة الحديثـة لحسـاب دولـة إسـرائيل وخصوصا الغواصات الحديثة، ولا تزال إسـرائيل تطالـب بتعويضات جديدة، وتستمر ألمانيا في الدفع.

فرنسا:

أنشأت المفاعل الذري الإسرائيلي في ديمونـة، وأعطـت إسرائيل أسرار القنبلة الذرية، وساهمت في تسـليح الدولـة اليهودية.

روسيا:

لعبت روسيا دورا أساسيا فـي إمـداد إسـرائيل بـالقوة البشرية، وحجبت بعض أنواع السلاح المتقدمة عـن الـدول العربية وخصوصا الأسلحة الهجومية رغم تلقـي إسـرائيل أحدث أنواع الأسلحة من الترسانة الأمريكية.

الولايات المتحدة:

وقفت خلف إسرائيل في جميع ما تقوم به مـن حـروب وأعمال بربرية وإذلال للعرب، وأمـدّتهـا بأحـدث أنـواع الأسلحة والتكنولوجيا حتى أصبحت إسرائيل من أقـوى دول العالم، وغدت واشنطن الراعي الأكبر لإسرائيل على حساب العرب، وأصبح ما يتعلق بإسرائيل أو يسيء إليها يتعـرض باستمرار للفيتو الأمريكي.

سويسرا:

بضـغوط مكثفـة مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة والصهيونية العالمية بدأت تفتح خزائن البنوك السويسـرية؛ لتنهل منها إسرائيل بحجة أنها الوريثـة الشـرعية لضـحايا النازية ولأموالهم المودعة في البنوك السويسرية.

السوق الأوربية المشتركة (مجموعة الدول الأوربية):

منحت إسرائيل العديد من الامتيازات الاقتصادية؛ مما فتح أبواب السوق أمام الصادرات الإسرائيلية، وتبيع إسرائيل ٨٠ ٪ من صادراتها إلى دول السوق الأوربية بينما توضع القيود الكثيرة أمام صادرات الـدول العربيـة، وتتمتـع إسـرائيل بإعفاءات جمركية لصادراتها لجميع دول السـوق الأوربيـة المشتركة.

إن الذين يؤسسون أفكارهم السياسية على إمكانية الفصـل بين إسرائيل وكيانها وقوتها، وبين استراتيجية أمريكا والدول الأوربية ـ واهمون.

إن وجود دولة إسرائيل في قلب العالم العربـي مـرتبط ارتباطًا وثيقًا مع مصالح وأمن الدول الأوربيـة والولايـات المتحدة.

المساعدات الخارجية التي أسهمت بأكبر قسط في بناء الدولة اليهودية

المساعدات الخارجية التي تدفقت إلى إسرائيل منذ إنشائها سنة ١٩٤٨، وحتى سنة ١٩٩٦ لعبت دورا حاسما في قيـام هذه الدولة، واستمرار وجودها.

وقد بلغت المساعدات المعلنة التي تلقتها إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ مـن المصـادر الرئيسـية الثلاثـة وهـي: ألمانيـا - الولايـات المتحـدة الأمريكيـة - المؤسسـات الصهيونية في شتى أنحاء العالم - ١٧٩,٤ مليار دولار وهو ما يساوي بالأسعار الحالية ٤٥٠ مليار دولار حتـى سـنة ١٩٩٦، أكثر من كل ما تلقته مصر، والبرازيل، والمكسيك، والأرجنتين مجتمعة.

هذه التدفقات تنوَعت بين مساعدات وقـروض وهبـات أمريكية وصلت إلى ٧٦,٦ مليار دولار، ثم تعويضات ألمانية بلغت ٦٠ مليار دولار، و ١٩,٤ مليار دولار جباية يهودية، و ٢٣,٤ مليار دولار استثمارات أجنبية مباشرة سواء كانـت في الزراعة أو الصناعة.

من هـذه المبـالغ ١٢٢,٢ مليـار دولار هـي أسـاس التعويضات الألمانية، والجباية اليهودية، والمنح الأمريكية.

ولو تلقت الدولة المذكورة مساعدات مبنية على أسـاس نصيب الفرد فيها مع نصيب الفرد في إسرائيل فإنهـا كـان يجب أن تتلقى نحو ٢٨٢١٥ مليار دولار أي ما يزيد عـن الناتج العالمي والذي لم يتجاوز ٢٧٨٤٦ مليار دولار عـام ١٩٩٥، ولا شك أن تلك المساعدات الخارجية من سـنة ٤٨ ـ ٩٦ هي في جوهرها "قصة صناعة دولة" لفرضها كـأمر واقع لا يستند لأي حق.

هذه السيول من المساعدات توجهـت لبنـاء الاقتصـاد الإسرائيلي الذي لم يقم علـى أكتـاف الإسـرائيليين الـذين تواجدوا في دولة إسرائيل عند إنشائها؛ حيث كان عدد اليهود ٦٥٠ ألفًا، وعدد الفلسطينيين ١٥٦ ألفًا وهم من تبقـوا مـن عرب فلسطين بعد حرب ١٩٤٨ في إسرائيل.

ولو رجعنا إلى المصادر المالية التي تـوفرت لإسـرائيل عند إنشائها لوجدناها تعتمد على عنصرين وهما: الزراعـة وبالتحديد زراعة الحمضيات، ثم الكيماويات المستخرجة من البحـ ـ ـر الميـ ـ ـت، والعنصـ ـ ـران لا يشـ ـ ـكلان

إلا نسـبة تتـراوح مـن ١٨ ٪ ـ ٢٥ ٪ مـن الميزانيـة الإسرائيلية، ومن الطبيعي أن هذين العنصرين لا يمكـن أن يكونا كافيين لبناء دولة، وإنشاء قوة عسكرية، واستقبال آلاف القادمين الجدد من اليهود.

وهكذا اعتمـد الاقتصـاد الإسـرائيلي علـى التـدفقات الخارجية، ولم يبنَ على أكتاف اليهود الذين تواجـدوا علـى أرضها سنة ١٩٤٨، وهو اقتصاد خلقته: السياسات الخارجية المؤيدة للدولة الجديدة.

ولدى مراجعة جداول المساعدات الأمريكية تظهر الأرقام حيث أخذت تلك المساعدات تتضاعف من سنة ١٩٦٨ وحتى الآن، ومنذ سنة ١٩٨٨ تركزت على:

١- المساعدات المباشرة.

٢- الهبات الاقتصادية.

٣- الهبات العسكرية.

هذا بالإضافة إلـى المسـاعدات الائتمانيـة الخاصـة؛ لاستيعاب اليهود السوفييت الذين أخذوا فـي الهجـرة إلـى إسرائيل منذ رفع الحظر الذي كان مفروضا عليهم بالاتحـاد السوفيتي السابق.

لا شك أن إسرائيل بلغت مرحلـة متقدمـة فـي مجـال الصناعة والزراعة وخصوصا صناعة الأجهزة التكنولوجية الدقيقة، وبلغ معدل دخل الفرد حوالي ١٧ ألف دولار؛ وهـو ما يعادل مثيله في الدول المتقدمة.

ولكن يبقى التساؤل: كيف تم هذا الإنجاز وذلـك التقـدُم الهائل في وقت تبني فيه إسرائيل المستوطنات الجديدة وتقيم الصناعة الحربية لإنتاج الأسلحة غير التقليدية وهي مكلفـة جدا وتنشئ جيشًا ضخما وتستقبل آلاف المهاجرين كل عام؟ كيف أمكن الوصول إلى هذه المعادلة التي ليس لها نظير في أي موقع آخر في العالم؟

إن هذا الجهد المبهر، وهذا الإنجاز الهائـل لـم يصـنعه الاقتصاد الإسرائيلي لولا تلك الـدفعات والهبـات والمـنح والتعويضات وعلى رأسها المسـاعدات الأمريكيـة الماليـة والعسكرية والتكنولوجيـة التـي تقـدمها أمريكـا بسـخاء وبلا حدود.

وفيما يلي الناتج القـومي (أي قيمـة السـلع الزراعيـة والصناعية، والخدمات المنتجة داخل الـبلاد التاليـة سـنة ١٩٦٣):

- مصر ٤٠٠٠ دولار.
- سوريا ٩٥٠ دولارا.
- العراق ١٥٥٠ دولارا.
- الأردن ٢٥٠ دولارا.
- لبنان ٧٠٠ دولار.
- إسرائيل ٢٢٥٠ دولارا.

أي أن الناتج القومي المصري بلغ وحده سنة ١٩٦٣ ١,٧٨ مرة قدر الناتج الإسرائيلي ولكن هذه النسبة بدأت تميل لمصلحة إسرائيل منذ ذلك التاريخ؛ بسبب زيادة الدعم الأمريكي، والتقدُّم في الصناعة الإلكترونية الإسرائيلية، والمخطط الاقتصادي الذي وضع لهذا البلد المزروع في قلب العالم العربي لم يهدف في حد ذاته إلى تقديم خدمات مالية لبلد ما أو لشعب ما، كان يهدف إلى خلق نوع من التفوق العسكري والاقتصادي في مواجهة الجوار العربي، ومنذ سنة ١٩٦٧ بدأ الناتج المصري يبطئ؛ نتيجة ظروف الحرب، وحرب الاستنزاف، والاستعداد للمعركة القادمة بعكس الناتج الإسرائيلي الذي أخذ- كما أشرنا- ينمو، وابتدأت أمريكا

تعلن وتنادي بضرورة بقاء التفوق الإسرائيلي عسكريا علـى جميع الدول العربية مجتمعة.

هل كان باستطاعة إسرائيل البقاء والنمو والازدهار الذي تحظى به حاليا دون الدعم الهائل الذي يتدفق عليها.

"هؤلاء قالوا"

هذه التصريحات تعيد إلى الأذهان المواقف المختلفة لعدد من الشخصيات والزعماء والرؤساء، وكيف كان يجري التخطيط داخل الدول الكبرى الاستعمارية؛ لخلق كيان صهيوني في قلب العالم العربي لإبقائه ضعيفًا مفككًا.

الصهيونية العالمية رغم قوتها ونفوذها لم تكن تستطيع تحقيق حلم إسرائيل والدولة اليهودية لولا مؤازرة الدول الاستعمارية لها، وتقديم كافة المساعدات التي تدفّقت بسخاء سواء مادية أو عسكرية؛ لتحقيق هذا الهدف الصهيوني.

لا شك أن الصهيونية لعبت دورها بامتياز، واستغلت العاطفة الدينية لدى مسيحيي الغرب، وأقنعت حكومات وشعوب تلك الدول بأن مصالحها الاستراتيجية في هذه المنطقة من العالم سوف تتحقق بإنشاء الكيان الصهيوني.

ولعل تلك التصريحات تنير العقول نحو الأهداف والأخطار الحقيقية التي تلح الصهيونية العالمية ممثلة في دولة إسرائيل لتحقيقها؛ وهو خلق دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

ولا تزال الأمة العربية تشكك بل ترفض تلـك الأهـداف الصهيونية، وتعتقد باستحالة تحقيقها؛ وهذا هو الخطأ الكبيـر التي تقع فيه أمتنا العربية.

والذي استطاع أن يحوُل فكـرة داعبـت خيـال بعـض الزعماء اليهود وأمكن تحقيق حلم دولة إسـرائيل يسـتطيع بالتأكيد الوصول إلى الهدف النهائي بإنشاء دولـة إسـرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وهكذا تحقق حلم نابليون، ورغبات لويد جورج، وونستون تشرشل، وقامت الدولة العازلة، وانقطع العالم العربـي إلـى نصفين أحدهما في آسيا، والآخر في أفريقيا، ووقفت الدولـة الوليدة تتصدى للشـعوب العربيـة، وتقـف أمـام آمالهـا وطموحاتها وتقدُمها، وتحقق السيطرة على واحد مـن أهـم المواقع الاستراتيجية في العالم، وتضمن تبعية العالم العربي للغرب - وهو حاصل الآن تماما - وعرقلـة مشـروعات التحرر السياسي والاقتصادي، والحيلولة دون وحدة العـرب القومية، وإبطاء مجال التنمية.

تصريح رقم ١:

منذ أخذت الدول الأوربية تتربص بإرث الدولة العثمانيـة التي عرفت باسم "رجل أوربا المريض"، وأخذت كل دولـة ترتب حصتها من هذا الإرث بدأت تظهر المسألة اليهوديـة، وأخـذ الفكـر الاسـتراتيجي الأوربـي يجتهـد لإيجـاد حل لتلك المسألة.

كان نابليون بونابرت هو المبـادر والسـباق لاسـتغلال موضوع المسألة اليهودية، فحاول إيقاظ الـوعي اليهـودي؛ ليطالب بوطن قومي ينقذهم من الشتات، ولعب على الـوتر الديني اليهودي وأساطيره لتكون فلسطين هي المكان الموعود لعودة اليهود أرض الميعاد.

قال نابليون في نهاية القرن الثامن عشر وبدايـة القـرن التاسع عشر سنة ١٨٠٠: أيها الإسرائيليون انهضوا بقـوة، وها هي فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل؛ لكي تستعيدوا حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم وحقكم في عبادة إلهكم ياهو، طبقًا لعقيدتكم.

تصريح رقم ٢:

مع بداية القرن التاسع عشر راحت فكرة إنشـاء وطـن قومي لليهود تأخذ حيزا يزيد كل يوم، وكانت زيارة الشاعر الإنجليزي الشهير اللورد "بيرون" لليونـان حيـث ألهمتـه مجموعة من القصائد سماها الأغاني العبرية.

قال في أولها:

لليمامة عشها وللثعلب كهفه

ولكل شعب أرضه إلا اليهودي

فليس عنده غير قبره.

وقال أيضا:

اطلع أيها الإله العظيم ودع قدرتك تتجلى

وأرسل أشعتها مضيئة ودافئة على أبناء يعقوب

وأعد فلولهم التائهة إلى أرضهم الموعودة هناك

واهدهم لكي يذهبوا إلى فلسطين فهي وطنهم

تصريح رقم ٣:

في تصريح للجنرال "اللنبي" القائد البريطاني الذي احتـلّ فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧.

قال: للمرة الأولى منذ الحرب الصليبية أصبحت القـدس كما أصبح الشاطئ المعروف بسوريا خاضـعا مـن جديـد لاحتلال جيوش مسيحية أجنبية، وأصبحت الدول المسـيحية تقبض بيدها على مصير العاصـمتين التـاريخيتين دمشـق وبغداد، بالإضافة إلى العاصمة الدينية القدس.

وقد صرَح حينما دخل القـدس: "الآن انتهـت الحـروب الصليبية".

تصريح رقم ٤:

بعد أن تغلب الجنرال "غورو" على القوات العربيـة فـي معركة ميسلون سنة ١٩٢٠، ودخلت القوات الفرنسية دمشق، توجه الجنرال "غورو" مباشرة إلى قبر صلاح الدين الأيوبي.

وقال: ها قد عدنا يا صلاح الدين.

تصريح رقم ٥:

جاء في المذكرة الصهيونية التي قُدمت لمؤتمر السلام بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٩:

"إن فلسطين هي أرض اليهـود الموعـودة فـي الكتـب المقدسة لدى اليهود والمسيحية، ويجـب أن تشـمل جميـع الأماكن التي أقامت بها القبائل العبرية في الماضي.

إن فلسطين هي أرض دولة إسرائيل التاريخية والدينيـة بحكم ارتباط الدين اليهودي بالأرض المقدسة.

تصريح رقم ٦:

وفي أثناء انعقاد مؤتمر الصـلح سـنة ١٩١٩ وزَعـت الوكالة اليهودية مذكرة على أعضاء الوفود توضح فيها حدود فلسطين ومساحتها:

يجب أن تضم فلسطين النقب برمته، واليهودية، والسامرة، والجليل، وسنجق حوان، وسنجق (معناها محافظة) الكـرك بما في ذلك معان، والعقبة، وجزء من سنجق دمشق بما فيـه القنيطـــرة وهاصـــبيا، إن جبـــل الشـــيخ هـــو "أبو مياه" فلسطين الحقيقي، ولا يمكن فصله من فلسطين دون

تعريض حياتها الاقتصادية للخطر، ويجب أن يخضـع هـذا الجبل كليا لسيطرة الذين سوف يستفيدون منه إلى أقصى حد، ويجب إدخال مجرى نهر الليطـاني، ومنـابع نهـر الأردن ضمن حدود فلسطين.

تصريح رقم ٧:

صرَح "روناالد ستورز" المستشرق الإنجليزي المعـروف إثر صدور وعد بلفور سنة ١٩١٧ بما يلي:

لقي الوعد صـدى رائعـا واستحسـانًا فـي الصـحافة البريطانية، يضاف إلى ذلك ما حظي به من التأييد العام لدى آلاف من الكهنة الإنجليكـانيين والقساوسـة البروتسـتنتيين وغيرهم من الرجال المتدينين في نصف الكرة الغربي.

تصريح رقم ٨:

"ونستون تشرشل" رئيس الوزراء البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، وزعيم حزب المحافظين تحدَث في مذكراتـه بمناسبة تأليف الفياق اليهودي الذي انضم إلى قوات الحلفـاء أثناء الحرب الثانية.

قال: نصحني المارشال "ويفل" قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية بعـدم الموافقـة على تشكيل فيلق يهودي؛ خوفًا من إثـارة شـعور العـرب ولكنني تحديت ويفل، وكتبت إلى الزعيم اليهودي الـدكتور وايزمان بموافقة الحكومة البريطانية على تشكيل ذلك الفيلـق "وأنه لم يتحرك كلب عربي واحد".

تصريح رقم ٩:

الـــزعيم الصـــهيوني المعـــروف الـــدكتور "حاييم وايزمان" ـ أول رئيس لدولة إسرائيل سنة ١٩٤٨.

قال: إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة، ومواقف الحاج أمين الحسيني ضد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين هي التي أخرت تنفيذ البرنامج اليهودي إلى عام ١٩٤٨ بينمـا كـان مقررا له أن يتحقق في عام ١٩٣٤ على الأكثر.

تصريح رقم ١٠:

القاضي اليهودي "برانديس" عضو المحكمة العليـا فـي الولايات المتحدة الأمريكية، ومستشار الرئيس ولسن رئـيس الولايات المتحدة للشئون اليهودية منذ سنة ١٩١٤.

قال: إن المقصد من طلب اليهود تسهيل الهجرة اليهوديـة إلى فلسطين هو أن يصبح اليهود أكثرية السكان في فلسطين، وإن على العرب أن يرحلوا منها إلى الصحراء.

تصريح رقم ١١:

الكابتن "نورمان بنتويتش" الضابط في الجيش البريطـاني أصدر كتابا سنة ١٩١٩ بعنوان" فلسطين اليهـود الماضـي والحاضر والمستقبل" صدّره بخريطة لفلسـطين تمتـد مـن بيروت إلى الخليج يقصد (خليج العقبة) وجاء في الكتاب أنه لا حاجة لفلسطين أن تبقـى محصـورة ضـمن حـدودها التاريخية؛ فالاستعمار الاستيطاني يمكنه أن يمتد حتى يشمل الرقعة بأكملها التي تضمنها الوعد الإلهي من الفـرات إلـى النيل.

تصريح رقم ١٢:

الحاخام "حاييم ناحوم" رئيس مجلس الطائفة اليهودية فـي مصر، وكان عالما ضليعا يملك معرفـة واسـعة باللغـات الشرقية، وكان صديقًا شخصيا للملك فؤاد، وأصبح عضـوا في مجلس الشيوخ المصري وعضوا بارزا في مجمع اللغـة العربية - وفي سنة ١٩٣٣ قال: المسيحيون تركوا القـدس إلى روما، والمسلمون تركوها إلى مكة، واليهـود وحـدهم بكوا عليها.

تصريح رقم ١٣:

صرح "روزفلت" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية فـي مقابلة مع الزعماء اليهود سنة ١٩٤٤ بما يلي:

إن الحكومة الأمريكية لم توافـق مطلقًـا علـى الكتـاب الأبيض الصادر في لندن سنة ١٩٣٩، والذي حـدد هجـرة اليهود إلى فلسطين، وأعلن عن سعادته بفتح أبواب فلسـطين للهجرة اليهودية؛ لأنهم يطالبون بحقوق عادلة، ولـن ننسـى مأساة مئات الألوف منهم.

تصريح رقم ١٤:

"جان بول سارتر" الفيلسوف الوجودي الفرنسي المعروف، وكانت مواقفه باستمرار بجانب الحـق والعـدل والمسـاواة والانتصار للمضطهدين، ومعروف وقوفه في وجه الطغيـان النازي، ولكنه خرج عن هذه القاعدة، وأخذ يبرر كـل مـا صدر عن اليهود وكل ما هو يهودي.

وصرّح أن إقامة دولة يهودية قد تحـلٌ مشـكلة اليهـود وأصبح كأنه المحامي الموكل للدفاع عن القضية اليهوديـة، ونفي كل صغيرة وكبيرة ضد اليهود.

تصريح رقم ١٥:

"أبا أبيان" اليهودي الفلسطيني الذي يجيد اللغـة العربيـة، وتعمق في دراسة التاريخ العربي والتراث العربي، وتـرجم عدة كتب عربية إلى العبرية، وكان يدرس اللغـة العربيـة والأدب العربي في جامعة كامبردج بالإنجليزية.

قال: يجب أن لا يقال إن المرارة التي يعاني منها العرب سببها وجود إسرائيل، وإن العرب الذين يتحدثون عن القومية العربيــة وســعيهم إلــى الوحــدة لا يريــدون لغيــرهم

ما يريدونه لأنفسهم، وإن عليهم احترام قرارات الأمم المتحدة وفي مقدمتها احترام الشعوب والحكومات المستقلة.

إنه يطلب احترام ميثاق الأمم المتحدة من لحظـة وجـود إسرائيل.

أي من لحظة وجود وفوز المعتدي نتيجة عدوانه.

تصريح رقم ١٦:

صرَح مستر "إلا لوسون" السفير الأمريكي في إسـرائيل وهو يقدم أوراق اعتمـاده إلـى رئـيس دولـة إسـرائيل ما يلي:

"لا يسعني إلا الفخر بما قامت به بلادي في سبيل إنشـاء بلادكم، وجدير بنا نحن الأمريكيين- الذين ندين بحضـارتنا إلى الكثير من إلهام أبناء إسرائيل- أن نعمل متحـدين مـع أحفادهم في المهمة العظمى؛ وهي بناء أمة حديثة في الأرض المقدَسة".

تطور النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية وأثره على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط وإسرائيل

كيف أصبح اليهود في الولايات المتحدة الأمريكيـة قـوة مؤثرة؟ وكيف يستخدم اليهود تنظيماتهم وأدواتهـم لخدمـة الفكرة الصهيونية ودولة إسرائيل؟ كيف أصبح لليهود تـأثير بالغ خلال السنوات الأخيرة في تشكيل السياسـة الخارجيـة للولايات المتحدة، وأصبح خطرهم يتجلى في استيلائهم على وسائل الإعلام، وتغلغلهم في المراكز الحساسة فـي الإدارة الأمريكية، ودورهم البارز خصوصا أثناء الانتخابات سـواء لرئاسة الولايات المتحدة أو لأعضاء الكـونجرس بمجلسـيه الشيوخ والنواب؟.

الإجابة تعود بنا إلى البحث عن جذور النفوذ اليهودي في أمريكا، وكيف نما وتطور.

أول اتصال بين اليهود وحكومـة أمريكـا عـام ١٧٩٠ ميلادية بعد عام واحد من انتخاب جورج واشـنطن رئيسـا

للجمهورية الجديدة حيث وجه خطابـا للمهـاجرين اليهـود الأوائل في نيويورك باعتبارهم مواطنين أحرارا متساوين مع الآخرين، وتبع ذلك أول تعديل في الدستور الأمريكي برفضه الاعتراف بوضع قانوني خاص لأية هيئة دينية، ويكفل حرية العبادة للجميع.. وهكذا خرج اليهود الأمريكيون مما يعانيـه يهود أوربا وسيطرة الكنيسة واضـطهادهم؛ بسـبب عـدم اعترافهم بيسوع المسيح.

وكانت حياة اليهود مزدهرة في الأندلس الإسلامية، وسمِحَ لهم بالمشاركة الكاملة في الحياة العامة، وظهر مـنهم نخبـة لامعة من الشعراء والعلماء والموسيقيين وقوَّاد الجيش حتـى وصلوا إلى مركز الوزارة ورئاستها - ولكن بعـد وقـوع أسبانيا بيد الجيوش المسيحية، وسقطت آخر معاقل المسلمين سنة ١٤٩٢ م أصبح الخيار أمـام اليهـود قبـل المسـلمين إما التحول إلى المسيحية، أو الطرد من البلاد، ولم يكن أمام اليهود إلا الهروب، وذهب بعضهم إلى البرتغال، وبعضـهم اتجه إلى الشرق، وكانت أول مجموعة يهودية تصـل إلـى أمريكا الشمالية عبارة عـن قـارب قـادم مـن البرازيـل المستعمرة البرتغالية في ذلك الوقت.

أخذت موجات الهجرة اليهودية تتدفق على أمريكا؛ هربـا من الضغوط الأوربية فتحظى بدفء المساواة بالحقوق مـع القوميات الأخرى.

بدأت المنظمات اليهودية تظهر وتنمو ويتسـع نفوذهـا، وأخذت تضم حشدا هائلاً من الأساتذة والمحامين والعـاملين في الحقل الاجتماعي، ورجال المال والأعمال، والعاملين في وسائل الإعلام المختلفة.

وأخذت أصوات اليهود الانتخابية في الولايـات المتحـدة تلعب دورا هاما رغم أن نسبتها لا تزيد عن ٣ ٪ لكنها تعتبر عاملاً ترجيحيا في نتائج الانتخابات؛ لأن اليهود يتمركـزون في عدد من الولايات الكبرى التي تسـيطر علـى نصـف المجتمع الانتخابي، وعادة تتبرع الجاليات اليهودية بسـخاء لتمويل الحملات الانتخابية، ويقدمون بين ١/٤ و ١/٢ تمويل حملات الانتخاب للحزب الديمقراطي الأمريكي.

وقد تمكن اليهود الأمريكيون منذ منتصف هذا القرن مـن تكوين مؤسسات مترابطة بدأت "بلجنة يهود أمريكـا" التـي تأسست سنة ١٩٠٦، ثم المؤتمر اليهودي الأمريكي، ولجنـة

مكافحة تشويه صورة اليهود التابعة لمؤسسة "لبناي بـرث"، واجتمعت تلك اللجان وقررت تأسيس:

١- مؤتمر زعماء المنظمات اليهودية الكبرى، وتُعـرَفُ هذه المنظمة باسم "مـؤتمر الزعمـاء" أو مـؤتمر الرؤساء، ويتألف من قرابة أربعين جمعيـة دينيـة، ووكالات للحقوق المدنية، وبـرامج تعـديل العمـل الاجتماعي، واتجه المؤتمر إلى تأييد دولة إسـرائيل بعد إنشائها.

٢- لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية إيبـاك Aipac وتُعرَفُ باسم اللوبي اليهودي، وتعتبر إيباك جماعـة ضغط رسمية بينما اكتفى مـؤتمر الزعمـاء بمـن يشكلون ٢٠ ٪ من طلبـة الجامعـات المرموقـة، ٢٠ ٪ من المحامين العاملين في المكاتب الشـهيرة؛ وازداد إنتـاج الأفـلام السـينمائية المؤيـدة لليهود،وتمكنت الشركات اليهودية من السيطرة شبه الكاملة على إنتـاج مؤسسـات هوليـود للإنتـاج السينمائي، وكذا أفلام التاريخ اليهـودي، والأفـلام المعادية للعرب.

ويقدَّر عدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية بين ٥ ـ ٦ مليون أي بين ٢,٥ - ٣٪ من السكان، وهذه الأرقام تقديرية؛ لأن مكاتب الإحصاء الرسمية محظور عليها أن تسأل الأمريكيين عن ديانتهم، وذلك حسب الدستور الأمريكي.

وأصبح يهود الولايات المتحدة أكثر وأقوى الطوائف اليهودية في العالم ـ إن أموال اليهود ونشاطهم في أمريكا تخلق القوة ـ والقوة تخلق التأييد الأمريكي لإسرائيل، وقد استمر هذا التأييد على مدى خمسة عقود من عمر دولة إسرائيل ولا يزال مستمرا ـ واليهود حاليا يحتلون أكثر المراكز الحساسة في الحكومة الأمريكية.

وفي حكومة كلينتون اليهود يحتلون المراكز التالية:

١- وزارة الخارجية.

٢- وزارة الدفاع.

٣- رئاسة جهاز الأمن المركزي.

٤- المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض.

٥- مدير جهاز المخابرات الأمريكية.

٦- المدير الحالي لحملات الرئاسة.

٧- بعض قضاة المحكمة العليا الأمريكية.

٨- أهم ثلاثة من مساعدي وزير الخارجية من اليهود.

وأصبح مستشارو الرئاسة في البيت الأبيض من اليهـود يحتلون ٨ من ١٤ من المراكز، وأصـبحت أدوات الضـغط التي تعمل لصالح إسرائيل تتمثل في الجهازين التشريعي ـ الكونجرس بمجلسـيه ـ والتنفيـذي فـي البيـت الأبـيض والحكومة.

وانتشــرت كلمــة "إهفــات إســرائيل" العبريــة أي: حب إسرائيل في أمريكا، وأصبح من الواجـب علـى كـل يهودي أمريكي أن يقف دائما إلى جانـب إسـرائيل عنـدما تتعرض لأي هجوم أو ضغط من أي نوع، وأن يدافع عنهـا تحت كل الظروف.

وعندما يتحدث الدبلوماسيون والصحفيون عن قوة اليهود في أمريكا فإنهم يقصدون قوة الطائفة اليهودية هناك، وهي التي تحتضن دولة إسـرائيل، وتقـدم لهـا الـدعم المـادي والتكنولوجي والعسكري، والأهم أنها تقدم لإسرائيل الدعايـة في شتى أنحاء العالم.

ومن المعروف أن الدوائر السياسية في العالم اليوم طالما اتجهت إلى الطائفة اليهودية ونفوذها في أمريكا لبناء علاقتها مع الولايات المتحدة، ورؤساء الدول والوزراء والمسـئولون الذين يزورون الأمم المتحدة أو المارون بمدينة نيويورك في طريقهم إلى واشنطن يتحدثون إلى المنظمات اليهودية؛ لكسب ودها للحصول على تأييدها لدى حكومة واشنطن.

ويمكن تقدير نفوذ اليهـود بـدليل ملمـوس بالمعونـات الخارجية الأمريكية التي تتلقاها إسـرائيل سـنويا وقـدرها ٣ بلايين دولار وهو ما يوازي ٢٠ ٪ من إجمالي المعونات الأمريكية بخلاف المساعدات والهبات والتعـاون العسـكري والتكنولوجي، وفي بعض الحالات تبدو مسـاعدة واشـنطن لإسرائيل في المجال الدبلوماسي وكأنهـا متعارضـة مـع المصالح الأمريكية، هناك مثلاً القـانون المعـروف باسـم "جاكسون فنيك" الذي أقرَّه الكونجرس سنة ١٩٧٤ الذي جعل العلاقات التجارية الأمريكية - السوفيتية مرهونة ومشروطة بمعاملة السوفيت للأقلية اليهودية، وبقي هذا القـانون قائمـا رغم انهيار الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٩٠، ويمكن استشـعار قوة اليهود في مسائل الهجرة واللاجئين والحقـوق المدنيـة،

وأصبح لليهود في أمريكا دور بارز في مكافـأة الأصـدقاء وعقاب الخصوم، وأصبح كل من يعادي دولة إسرائيل هـو خصم للولايات المتحدة.

وبعد أن كانت فرنسا هي الممول الرئيسي للسلاح بالنسبة لإسرائيل عاد وتزايد النفوذ اليهودي فـي عهـد حكـومتي كيندي، وجونسون، وكان الرئيس كيندي صاحب أول صفقة سلاح أمريكي لإسرائيل؛ حيث أقرَ صفقة صواريخ هوك سنة ١٩٦٤، واستمر جونسون على نفس السياسة الدافئـة تجـاه إسرائيل حيث أقرَ صفقة سـلاح ضـخمة مـن الطـائرات الحربية، وجاء نيكسون وجعل إسرائيل أكبر متلقٍ للمساعدات الخارجية الأمريكية، واعتبـر إسـرائيل سـندا اسـتراتيجيا للولايات المتحدة، وأغدق عليها كميات هائلة مـن السـلاح وخصوصـا أثنـاء حـرب ١٩٧٣ (لعب كيسنجر الدور الرئيسي لتحقيق ذلك).

وتدفقت المساعدات المالية؛ لتسهيل هجرة اليهود السوفيت ونقلهم إلى إسرائيل، وأصبحت أمريكا المحرك الرئيسي الهام في ميزان القوى المؤيد لإسرائيل، واعتمدت سياسة التفـوق العسكري الإسرائيلي على كافة الدول العربية.

وأخذت قوة اللوبي اليهودي تتضخم وازداد نفـوذ إيبـاك اللوبي الأساسي في مجال السياسـة الخارجيـة الأمريكيـة، وتضاعف عدد النواب اليهود في الكونجرس إلى أكثر مـن ثلاثة أضعاف على مدى عقدين من الزمن، وازداد التحـالف الإسرائيلي الأمريكي التحاما ووصل إلى أعلى مستوى فـي سياسة أمريكا وخصوصا فيما يتعلق بقضية فلسطين، وشئون الشرق الأوسط.

ومنذ عدة عقود كان اليهود أكثر تصويتًا لصالح الحـزب الديمقراطي في كل انتخابات الرئاسة تقريبـا، وفـي سـنة ١٩٩٤ فشل الجمهوريون في الكونجرس فشلاً ذريعا؛ حيـث صوَت اليهود بنسبة ٨٠ ٪ لصالح الديمقراطيين، ثـم عـاد الجمهوريون وتفوَقوا على الديمقراطيين.

وقد انقسم اليهود إثر توقيع معاهدة السلام مع الفلسطينيين إلى ٣ فئات:

١- مجموعة من المتشددين اعتقدت أن حكومـة رابـين العمالية أقدمت على عمل انتحاري، وأن عليهم إنقاذ إسرائيل من هذه الورطة مع عدم الدخول بمواجهات سياسية، واكتفت بإدارة المؤسسات الخيرية والدينيـة

وجميعها معفى من الضرائب، وإرسـال المعونـات المالية لدولة إسرائيل.

ويوجد أكثر من ١٣٠ وكالة يهوديـة تعمـل فـي كافـة النشاطات المؤيدة لإسرائيل، وتبلغ ميزانيتها ثلاثة مليـارات دولار سنويا، ويشرف على هذه الوكالات مجلس الاتحـادات اليهودية CIF ومقره نيويورك، ويقدم المجلس لتلك الوكالات الأبحاث والموظفين وغير ذلك من الخدمات.

ويتفرع من تلك الوكالات الكبيرة وكالات صغيرة تُعرَفُ باسم وكالات المنظمة حيث تجمع مظلتها بعض المنظمـات التي تعمل بتنسيق مشترك تجاه المواضيع الخاصة بالطائفـة اليهودية.

وجميع هذه المراكز تعتبـر الخلايـا العصـبية للطائفـة اليهودية، وهدف جميع تلك المراكز تنظيم العلاقات بينهـا، واتصالها بدولة إسرائيل، والمحافظة على المراكز السياسـية الهامة التي تتمتع بها الطوائف اليهودية في أمريكا.

وظهرت بعض الخلافات الداخلية بين تلك المراكز بعـد اتفاقات السلام بين إسرائيل والعرب، وحصلت مواجهات بين مؤيدي ومعارضي الحكومة الإسـرائيلية، ولا تـزال تلـك

الخلافات تتفاعل حتى الآن، ولكنها لا ترقى إلـى خلافـات جذرية تضرُ بمصلحة إسرائيل.

وقد تمكنت المؤسسات اليهودية في أمريكا من حث وسائل الإعلام على عدم ذكر ديانة المتهمين بـالجرائم، وبالسـينما عدم عرض صور ساخرة باليهود، وعدم تدريس قصة "تاجر البندقية" لشكسبير في المدارس الثانوية، وكثـرت الكتيبـات والإعلانات في الجرائد والمجلات؛ لإظهار الصورة المشرفة لليهود، وتضاعف عدد الحملات المكثفة ضد معاداة السـامية وتمكن اليهود من الوصول إلى مراكز مرموقة في الجامعات الأمريكية الهامة، ومكاتـب المحامـاة الشـهيرة، ومعظـم الصناعات..

٢- مجموعة قدَمت للكونجرس اقتراحات لمنع واشـنطن من السير في عملية السلام، والتحرك الإيجابي إلـى الأمام.

٣- مجموعة بدأت تنادي بوقف التبرعـات للمنظمـات اليهودية الأمريكية التي أيدَت الاتفاقية.

ولكنها خلافات تقف عند الخط الأحمر الذي يحمي مصالح إسرائيل الأساسية.

كان لانتصار اليهود في معارك ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ بداية لعصر جديد في حياة يهود أمريكا، وأصبح بإمكـان اليهـود هناك أن يفخروا لكونهم يهودا، وزاد كثيرا الشعور بالارتباط والتعاطف مع دولة إسرائيل، وخرجت مسيرات بعضها ضم ١٥٠ ألف شخص في نيويورك مؤيدة لإسـرائيل، وبـدأت المنظمات اليهودية حملة طارئة لمساعدة إسرائيل؛ لتمويـل نفقات الحرب، وتعويض الخسائر، وخلال فترة وجيـزة تـم جمع أكثر من ٣٠٠ مليون دولار بجانب التبرعات العينيـة لصالح إسرائيل، وترك عدد من الطلاب الجـامعيين اليهـود الدراسة؛ ليتجهوا إلى إسرائيل من أجل المساعدة في جنـي محصول الربيع، وليحلوا محل المجندين في الجـيش وفـي الاحتياط، وذهب أكثر من عشرة آلاف يهودي للعمـل فـي إسرائيل كمتطوعين، وكانت صحوة يهودية عارمة في أنحاء أمريكا بعد حرب الأيام الستة ١٩٦٧، وشمل أنحاء أمريكـا شعار إنقاذ ومساعدة إسرائيل؛ وهكذا أصبحت سـنة ١٩٦٧ نقطة تحوُّل في حياة يهود أمريكا، وأصبحت قوة إسرائيل بعد انتصارها الباهر على العرب موضع ثقتهم، وقللت من ثقتهم بالمحادثات الدبلوماسية.

ولكن ذلك أدّى إلى حدوث تحوُّل ضد إسرائيل، وأخـذت وفود الدول تهاجم إسرائيل وخصوصا دول العـالم الثالـث، ووجدت إسرائيل نفسها منبوذة لدى الدول الآسيوية والأفريقية حديثة العهد بالاستقلال، وأخذ العداء السـوفيتي لإسـرائيل منعطفًـا جديـدا؛ حيـث قطعـت كـل الـدول الشـيوعية -باستثناء رومانيا- علاقتها الدبلوماسية بإسرائيل، وهنا برز الموقف الأمريكي المنحاز تماما لإسرائيل، ووقفت أمريكـا أمام أي قرار يدين إسرائيل في الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ودأبت باستمرار على استعمال حق النقض (الفيتو).

وقام اليهود بحملات واسعة؛ لتذكير الشعب الأمريكي بما لحق اليهود على أيدي النازيين، وما تم بالهولوكست، وتمكنوا في عهد الرئيس كارتر من البدء في إقامة المجلس الأمريكي لإحياء ذكرى الهولوكست، وتـم إنشـاء المتحـف القـومي للهولوكست في واشنطن بموافقة الكونجرس الأمريكي وقـد افتتحه الرئيس كلينتون سنة ١٩٩٣، وتكلـف ١٦٨ مليـون دولار من التبرعات الخاصة، وتوافد على زيـارة المتحـف عشرات من زعماء العالم، وأقام كلينتون بمناسـبة الافتتـاح حفل استقبال لخمسمائة من زعمـاء اليهـود داخـل البيـت

الأبيض، وتم تغيير اسم الشارع الذي أقيم فيه المتحف إلـى "راؤول والينبرج" وهو الدبلوماسي السويدي الـذي ضـحى بحياته لإنقاذ يهود المجر من أيدي النازي.

وهكذا أصبح اليهود في الكونجرس الأمريكي أحـد أهـم ركائز النفوذ اليهودي في أمريكا، وشكلوا جبهة واحدة للدفاع عن مصالح إسرائيل في واشنطن، ووقفوا أمام أية محاولـة تقوم بها الإدارة الأمريكية للضغط علـى إسـرائيل لتقـديم تنازلات، وأصبح اليهود وكأنهم يمثلون مجلسا تشريعيا داخل الكونجرس، وتمكنوا من الحصول على قرار من الكونجرس بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بحلول عـام ١٩٩٩، وأصبحت مصلحة إسرائيل وأمنها همـا المحـرك الرئيسي للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.

وأصبحت إسرائيل تملك رفض أي قرار لمجلس الأمن لا يتفق ومصلحتها برعاية وحماية الفيتو الأمريكي.

وفي حديث لأبا إيبان السياسـي الإسـرائيلي المعـروف وأشهر دبلوماسييها يقول إن اثنين فقط مـن يهـود أمريكـا هما اللذان حققا قوة حقيقية في الولايات المتحدة الأمريكيـة،

أما الباقون فهم أصحاب نفوذ فقط يستطيعون إقناع صـانعي القرار السياسي باتخاذ قرارات في صالح إسرائيل.

الاثنان هما آرثر جولدبرج، وهنري كيسنجر.

الأول صاحب جعل قرار ٢٤٢ أن لا يتضمن الانسـحاب من الأراضي العربية بل انسحاب بدون الألف واللام، وربط الانسحاب بضرورة أن يتم ذلك ضمن اتفاق شـامل للسـلام ليحرر إسرائيل نم انسحاب أحادي الجانـب؛ وبفضـل هـذا القرار تمكن الإسرائيليون من عدم الانسحاب حتى حصـلوا على الاعتراف العربي بدولتهم قبل مناقشة الانسحاب.

أمـــا كيســـنجر الـــذي قـــاد السياســـة الأمريكيـــة (نيكسون، وفورد) والتي شهدت حرب أكتوبر سـنة ١٩٧٣، والحظر البترولي العربي، واتفاقية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل، وسوريا وإسرائيل سنة ١٩٧٨، وتمكن من إدارة السياسة الأمريكية بمفرده، وقد جعل كيسـنجر مـن أمـن إسرائيل أولوية مهمة مـن أولويـات السياسـة الخارجيـة الأمريكية.

ولا شك أن وجود كيسنجر أيام حكم الرئيسـين نيكسـون وفورد أدّت إلى تصعيد قوة اللوبي اليهودي؛ وبالتـالي إلـى تصعيد العلاقة الأمريكية الإسرائيلية.

نذكر فيما يلي المواقع التي استطاع يهود أمريكا السيطرة عليها:

١- يسيطر اليهود على مدينة السينما في هوليـود؛ فقـد قاموا ببناء الاستديوهات، وابتكروا نظـم التوزيـع، وأقاموا دور السينما ونشروها في كل أنحاء أمريكا.

هؤلاء اليهود هم: وليم فـوكس، وصـموئيل جولـدوين، ولويس ماير، والأخوة وارنر وغيرهم.

٢- الإذاعة عن طريق الراديو ثم البث التليفزيوني، وأهم ثلاثة في أمريكا أسسوا شبكات للإذاعة والتلفزيـون كانوا من اليهود.

وهم: وليام بيلـي - ديفيـد سـارنوف - وأصـحاب: س. ب. إس - إيه - بي - سي.

٣- برز اليهود في عالم الغناء والأدب والإخراج والفن.

٤- صناعات أخرى يتركز فيها اليهود:

أ- وول ستريت وسمسرة العقارات.

ب- صناعة الأزياء وأكثرها بيد يهود أمريكا.

ج- مجال الإعلام الإخباري.

د- شركات الدخان والسجاير.

ويقوم اليهود على الصدارة في أهم الصحف والمجلات.

نيويورك تايمز ـ واشنطن بوست ـ نيوز زبابليك.

بوسطن جلوب ـ نيويورك بوست ـ ويكلي ستاندرد.

ودائما يظهر التحيز الإعلامي لليهود والصهيونية في هذه الصحف.

وتقوم دولة إسرائيل بفتح أبوابها للصحفيين، وتمدُهم بمصادر المعلومات اللازمة لتغطية الأحداث اليومية، ويظهر دائما في الصحف الأمريكية المعيار المزدوج التي تكيل به أمريكا الأمور؛ ويعود ذلك للنفوذ اليهودي.

لا شك أن النفوذ اليهودي في أمريكا خلال العشر سنوات الأخيرة وصل إلى مسافة غير مسبوقة في اتجاه تأييد إسرائيل، وأصبح اللوبي اليهودي في أمريكا يتمتع بموقع ممتاز في الساحة السياسية الأمريكية، وزاد دوره المدهش

في تشكيل سياسة أمريكـا فـي منطقـة الشـرق الأوسـط وخصوصا موضوع النزاع العربي الإسـرائيلي، وأصـبح النفوذ اليهودي يسيطر على أخطر مجـالات التـأثير علـى الرأي العام الأمريكي وخصوصـا فـي مجـال الإعـلام، وأصبحنا نرى كيف يحـدد اليهـود الأمريكـان مصـالحهم ويفرضونها على الخريطة السياسية الأمريكية سواء داخـل أمريكا أو خارجها.

أخيرا: لو قارنا بين المصـالح الأمريكيـة مـع العـرب بالمقارنة بحجمها مع إسرائيل فإن المصالح الأمريكية معنـا نحن العرب أضعاف مصالحها مع إسرائيل، وإذا قسنا عـدد اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية بعدد العرب والمسلمين لوجدنا الفرق كبيرا بيننا وبينهم؛ لأن عدد العرب المسـلمين تجاوز الملايين العشرة بينما اليهود في الولايات المتحدة أقل من نصف هذا العدد.

الفرق هو القدرة والعمل والاتجاه نحو صناع القرار فـي أقوى دولة في العالم، وقد أشرنا إلى سيطرة اليهود ونفوذهم وكيف تمكنوا من التأثير في صنع القرار السياسي الأمريكي بما يتفق ومصالح إسرائيل حتى لو كان على حساب مصالح

الولايات المتحدة ذاتها - أين وجودنا نحن العرب والمسلمين في أمريكا؟

عودة إلى النفوذ اليهودي
في الولايات المتحدة الأمريكية

لا شك أن الموقف الأمريكي فيما يتعلق بقضـية الشـرق الأوسط، والحلول المقترحة لتحريك الأوضاع المتوقعة بـين الفلسطينيين وإسرائيل، وكذلك سياسة الولايات المتحدة تجـاه العراق، هذا الموقف لا ينبع من إرادة أمريكية مستقلة ودائما يتأثر بقوة النفوذ اليهودي في أمريكا - وهي بالفعـل قـوة هائلة تقف وراء ازدواجية المواقـف الأمريكيـة خصوصـا النفاق الأمريكي بالنسبة لإسرائيل، ويظهـر هـذا الازدواج الفاضح في كافة معايير السياسة الأمريكية الخارجية.

ولدى التفتيش عن الأسماء المؤثرة في الولايات المتحـدة الأمريكية المختلفة تلمس التأثير القوي للجمعيات اليهودية.

بناي برث - هداسا - النداء اليهودي - لجان مكافحـة تشويه صورة اليهودي.

ورغم أن الطائفة اليهودية الأمريكية لـيس لهـا جهـاز رسمي يمثلها تمشيا مع القانون والدستور الأمريكـي الـذي يمنع الاعتراف بأية مؤسسة طائفيـة دينيـة إلا أن اللـوبي

اليهودي نجح في التغلب على ذلك بإنشاء عدد غير محـدود من المنظمات اليهودية بمسميات مختلفة مثل:

اتحاد المعابد - هيئات الحاخامات - جماعات المحبة - جمعية الحقوق المدنية - جمعيات مسـاعدة المهـاجرين - لجنة يهود أمريكا - المؤتمر اليهودي الأمريكـي - اتحـاد المؤتمرات العبرية - مجلس الاتحادات اليهوديـة - إلـخ.. إلخ.

كان في أوائل السبعينيات شـيخان يهوديـان فقـط فـي الكونجرس الأمريكي، وفي مجلس النواب ١٢ نائبا يهوديـا، وفي بداية التسعينيات وصل عدد اليهود في مجلس الشـيوخ إلى عشرة، وارتفع عدد النواب إلى ٣٣ نائبا، ودخـل آلاف اليهود في عصب الأجهزة الوظيفية الحساسة في المجـالس التشريعية المحلية ومجالس المـدن فـي سـائر الولايـات؛ وهكذا أصبح نفوذ اليهود في الكونجرس بمجلسيه قوة ضغط كبيرة على الإدارة الأمريكيـة لصـالح إسـرائيل وزيـادة المعونات المقدَمة إليها.

ويلاحظ أن ٢٥ ٪ من عدد العاملين في مختلف وسـائل الإعلام الأمريكية الضخمة من اليهود، وهم يسيطرون علـى وظائف المحررين والكُتاب ومنتجي البرامج.

قوة اللوبي اليهودي وسيطرته على العقل الأمريكي:

في انتخابات سنة ١٩٩٦ نجح كلينتون في البقاء في البيت الأبيض رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية لفترة ثانية، ومـن عوامل نجاحه الهامة دعم اللوبي الصهيوني لـه، وبعودتـه إلى البيت الأبيض انضم إليه كوكبة جديدة من ثمـار تأييـد اللوبي الصهيوني له تمثل في مئات الموظفين اليهود الموالين لإسرائيل، بالإضافة إلى أركان الحكم الجديـد فـي البيـت الأبيض وأكثرهم مـن غـلاة الصـهيونيين، وهـم جميعـا معروفون بتعاطفهم الشديد مع إسرائيل، وأصـبحت أخطـر القرارات الأمريكية تمرُ من خلال تلك العصابات اليهوديـة المسيطرة على صنع القرار في البيت الأبـيض الأمريكـي؛ وهكذا أصبحت قضية الشرق الأوسط، والمشكلة الفلسـطينية تخضع لتوجهات اللوبي اليهودي الأمريكي.

مصادر قوة اللوبي الصهيوني:

تُعدُّ اللجنـة الأمريكيـة الإسـرائيلية للعلاقـات العامـة "الإيباك" Aipac الذراع الصهيوني السياسي الذي تصبُّ فيه جميع المؤسسات والمنظمات اليهودية ليس فقط في الولايات المتحدة الأمريكية بل في الدول الغربيـة، وثمـة محـوران رئيسيان أساسيان تتحرك خلالهما الحركة الصـهيونية فـي الولايات المتحدة الأمريكية.

المحور الأول:

ويتركز في الخط الصناعي العملاق في غرب الولايـات المتحدة وصولاً إلى الخط الثقافي حيث تزدهر أضخم القلاع الثقافية في العالم وهي صناعة السـينما، ثـم خـط أقصـى الجنوب الغربي في كاليفورنيا إلى تكساس وفلوريدا، ويعـدُ هذا المحور هو مكان ارتكاز اللوبي الصهيوني، ويلاحظ أن معظم القيادات في وسائل الإعلام والأكاديميات غالبيتهم من اليهود أو المتعاطفين معهم في أغرب عملية سيطرة وتكتـل وعمل جماعي منظم يشهدها مجتمع غربي لأول مـرة فـي التاريخ، ويقدَر قيمة النفوذ اليهودي وكأن عددهم ٧٠ مليون

بينما عددهم الحقيقي ٥,٩ مليون نسمة فقط، ولا بد أن نذكر بعض بارونات الإعلام الصهيوني مثل:

مردوخ ـ ماكميلان ـ تيد تيرنر وغيرهم.

المحور الثاني:

ربما يقل قليلاً معدل الضغط الصهيوني في هذا المحـور الزراعي عن المحور الأول، ويقع هذا المحور في الولايات الزراعية وأصحاب المزارع الكبيرة، وتسود فيه بعض القيم المسيحية التقليدية المعادية في بعض الأحيان لليهود يضـاف إليهم أصحاب المصالح البترولية، ولكـن منـذ الثمانينيـات قررت الحركة الصهيونية تركيز جهودها في هـذا القطـاع باستعمال كافة الوسائل سواء السلمية أو الابتـزاز والقهـر لوقف أي معاداة لليهود أو أي تعاطف مـع العـرب، وقـد أثمرت جهود تلك الحركة إلى حد بعيد.

ويتركز النشاط اليهودي الجماعي في الولايات المتحدة في العاصمة واشنطن، ويضع ثقله بصفة خاصة علـى الجـزء المتعلق بالشرق الأوسط فيما يختص بخدمة مصالح الدولـة اليهودية (إسرائيل).

وهكذا أصبح اللوبي اليهودي في واشنطن يتمتـع بنفـوذ متعاظم عبر خمسين ألف منظمة ممثلة للإيبـاك، وأصـبح باستطاعته تصدير القرارات التي تريدها إسرائيل، ووضـع السياسات التي تتبناها ابتداء مـن المـواطن العـادي إلـى المسئولين في الكونجرس والبيت الأبيض.

وتعتمد الإيباك على أربع وسائل أساسية في التأثير علـى المجتمع الأمريكي من الناخب إلى صانع القرار.

١- التنظيم.

٢- الصوت اليهودي.

٣- المال اليهودي.

٤- وسائل الاتصال الجماهيري من صحافة، وإذاعـة، وتلفزيون، وسينما، وجامعات، ومراكـز علميـة وصحفية، وحركات طلابية.. إلخ.

١ ـ التنظيم:

لما كان العقل الإنساني هو محور عملية التنظـيم؛ فقـد ركزت الحركة الصهيونية على صناعة العقل، فقد أعلن أحد المفكرين اليهود في أمريكا "نحن اليهود لا نملـك صـناعة

الصلب أو السلاح أو مزارع التفاح والقمح بل نملـك فقـط صناعة العقل"، فقد تمكنت الصهيونية من التحكم في أمـور تتماشى مع العقلية الأمريكية منذ أكثر من نصف قرن مثـل صناعة الكتب/ الأفلام/ برامج التلفزيون/ الجريدة والمجلة.. إلخ، ووقفت بالمرصاد لكل نشاط معادٍ للحركة الصـهيونية وهو ما يسمونه بالمحرمات في الإعلام الأمريكـي، وعلـى رأس تلك المحرمات النشاط العربي والإسلامي، والأمريكان السود المؤيدون للعرب، وجماعات النازية الجديدة، وكل من يحاول أن ينتقد السلوك الإسرائيلي في الكونجرس الأمريكي، والتسامح في كل القضايا الأمريكية إلا قضية إسرائيل.

٢ ـ الصوت اليهودي:

ويعطَى الصوت اليهودي في أمريكا للحلفاء والأصـدقاء، ويطارد الصوت اليهودي كل من تجرأ على الكـلام بمـا لا يرضى عنه اليهود أمثال: وليم فولبريت ـ تشارلز بيرسـي ـ بول فندلي ـ بول ماكلوسكي ـ أدلاي ستيفنسون وغيرهم كثيرون.

وتلعب أجهزة الإعلام المسيطر عليها يهوديـا لتفضـيل مرشح على آخر أثناء الانتخابات، ونسـبة التصـويت بـين اليهود الأمريكان تتـراوح بـين ٨٠،٩٠٪ وهـم يملكـون ١,٧ مليون صوت بينما لا تتعدى نسبة الحضور العامة فـي الانتخابات الأمريكية ٥٠ ٪ وهذا ما يجعل للصوت اليهودي هذه القيمة الكبرى.

٣ ـ المال اليهودي:

اليهود يسيطرون على العديد مـن المؤسسـات الماليـة الأمريكية، والقوانين الأمريكية تسمح لليهود بجمـع أمـوال ضخمة من حصيلة التبرعات، ويمكن الاستفادة منهـا أثنـاء الانتخابات أو توجيهها إلى إسرائيل بدون أي عقاب، وجميع تلك التبرعات معفاة من الضرائب.

وقد صيغت عقلية اليهودي الأمريكي بأن إسرائيل أرض مقدّسة، ونبوءة العودة إلى أرض الأجداد، وتأمين لكل يهودي في حالة ظهور أية حركة عنصرية ضد اليهود في الغرب.

وتقوم الإيبـاك بتقسـيم الأمـوال المخصصـة لتمويـل المرشحين إلى ثلاثة مستويات: اليهودي يحصل على أعلـى

نسبة، يليه المسيحي الصهيوني الـذي لا شـك فـي تأييـده لإسرائيل، يلي ذلك المتعاطفون ويمكن التأثير عليهم لخدمـة إسرائيل.

٤ ـ وسائل الاتصال الجماهيري:

من صحافة وإذاعة وتليفزيون وسينما وجامعات ومراكز علمية وصحفية وحركات طلابية، وهناك سـجل يهـودي لا يتفوق عليه أحد في ذلك؛ فالاستثمار اليهودي فـي المجـال الاقتصادي يتركز في البنـوك والأعمـال الفنيـة وأجهـزة الاتصال الجماهيري وغيرها من وسائل الاتصـال المباشـر وغير المباشر.

وجعل اليهود العداء للسامية حائطًا يرهبون به كـل مـن يواجههم، وأصبحت السيف المسلط على كل شـخص ينتقـد إسرائيل أو اللوبي الصهيوني.

وقامت الحركة الصهيونية بأكبر عملية غسيل مـخ فـي التاريخ لشعوب مسيحية؛ لتبرير احتلال فلسطين، وذلك مـن خلال أجهزة الإعلام، ووسائل الاتصال الجماهيري الأخرى، وكما حصل في أوربا فقد أصدر الكونجرس قانونًا يـدين أي

شخص يشكك في مقولة الهولوكست، وقـد عمـل نصـب تذكاري لضحايا الهولوكست بجوار النصب التذكاري لضحايا فيتنام في قلب واشنطن.

وأصبح الأمريكي لا يعرف إلا التعاطف الكامل، وتبريـر احتلال فلسطين، وقيام دولة إسرائيل.

وثمة أكذوبة تروُجها الدوائر الصهيونية فـي أمريكـا أن هناك تطابقًا بين المصالح الأمريكية والمصالح الإسـرائيلية في منطقة الشرق الأوسط، وهي الأسطورة الأساسية للإعلام الصهيوني في الغرب وأمريكا.

وفيما يلي إحصاء قام به باحث أمريكي ذكر فيه البيانـات التالية:

توجد في الولايات المتحدة ثـلاث شـركات تليفزيونيـة رئيسية:

شركة A B C يرأس مجلس إدارتها ومسـاعداه مـن اليهود.

شركة C B C يرأس مجلس إداراتهـا ومسـاعداه مـن اليهود.

شركة N B C يرأس مجلس إدارتهـا ومسـاعداه مـن اليهود.

يضاف الشبكة الدولية العملاقة C. N. N التـي يملكهـا تيودرتيرنر وهو صهيوني ليبرالـي يتعـاون مـع بـارون الصحافة والإعلام المرئي مردوخ اليهودي الأسترالي الـذي سيطر بمفرده على ٦٠ ٪ من أجهزة الإعلام المرئـي فـي أمريكا، ويتبع هذه المحطات ٨٥ ٪ من المحطات التليفزيونية الفرعية في ولايات أمريكا، ونفـس النسـبة فـي محطـات الراديو.

والأشخاص المسيطرون على هذه الشبكات العملاقة بيدهم السلطة العليا، ولهم القرار النهائي في برمجة مـا يجـب أن يسمعه مئات الملايين من الأمريكيين والعالم يوميا سواء عن طريق الأقمار الصناعية أو شبكات وكالات الأنباء.

إن نجوم المسرح والسينما والتليفزيون والصحافة والفـن التشكيلي وأساتذة الجامعات والكُتاب والمثقفـين الأمـريكيين يحملون أسماء يهودية واضحة، وتعاطفهم مع إسرائيل يصبُ في نهر اللوبي اليهودي، وهنالك محطة تليفزيون رابعة P B S وهي محطة شعبية تقوم الشـركات العملاقـة بتمويلهـا،

وتحصل على دعم فيدرالي، وهي تعرض باستمرار أفلامـا ثقافية وثائقية عن الهولوكست اليهودي، وأفلاما عن تـاريخ اليهود وحضارتهم وارتبـاطهم بالمسـيحية، وتـرتبط هـذه الشبكات بشركات الإنتاج العملاقة في هوليود مثل:

وارنر - فوكس - يونفرسال - كولومبيا - برامونـت .M. G. M

وجميع هذه الشركات يهودية أو يسيطر عليها اليهود.

وهذا الجهد الجبار يقوم به اللوبي اليهودي فـي أمريكـا وهو (صناعة العقل الأمريكي) وجعله مرتبطًا بإسرائيل على الدوام.

وصناعة السينما في أمريكا تقوم بأكبر عملية غسيل مـخ بجانب المؤسسات اليهودية الأخرى في الولايـات المتحـدة، ومن أشـهر النجـوم فـي عـالم السـينما أسـماء مثـل: أنجريد برجمان - ميل بروكس - الأخوة ماركس - شارل شابلن - كيرك دوجلاس - بول نيومان - جـاك ليمـون تشارلس برونسون - مايكل دوجـلاس - بيتـي مـدلر - سالي فيلد - بربارا استريسند - ليزا مانيلي.. إلخ هم نجوم دوليون معروفون ولكنهم يهود غير بعضهم اسمه؛ ليـتلاءم

مع الثقافة الأمريكية بجانب الممثلين المسيحيين المتعـاطفين من الصهيونية إما حبا أو كرها بسبب ارتباط حياتهم علـى شاشات اللوبي اليهودي السينمائي.

وهكذا كما يقول الممثل العظيم مارلون براندو تحـوَلـت صورة اليهودي.

"التائه - البخيل - الكريه - الحقود خطوة بخطوة فـي نهاية الأربعينيات إلى صورة المكافح - الليبرالي - خفيـف الظل - المسالم - المحب للحياة - والخـارج لتـوه مـن محرقة الهولوكست".

الصحف والمجلات: دأبت الصحف والمجلات الأمريكية التي تخضع للنفوذ اليهودي على تعميق حـب اليهـود فـي المجتمع الأمريكي المعادي للعنصرية، وخلق حالة اسـتنفار دائمة ضد العرب.

فالعربي هو دائما الإرهابي - متعدد الزوجات - ضـد الحرية - ضد المسيحية واليهودية - ضد الغرب - منفر - كريه - غير مفهوم اللغة، وكل من يحاول مناصرة العـرب يتهم بمعاداة السامية، وكما قال المفكر العربـي الأمريكـي المعروف "إدوارد سعيد" فإن المجلات والصحف الأمريكيـة

تقوم بلوم الضحايا، وتحقيرهم، وتحميلهم ذنـوب المخطـئ الحقيقي.

تبيع الصحف الأمريكية حوالي ٦٠ مليون نسـخة يوميـا تصدر عن ١٧٤٥ دار نشر، ونصف تلك الـدور مملوكـة لليهـود أو أنهـم يسـيطرون عليهـا، والنصـف الآخـر لهم نفوذ كبير في النشر فيها.

هنالك خمس شركات كبرى صحفية.

١- نيوهاوس وتصدر ٤٩ صحيفة و ٢٠ مجلة بجانـب امتلاكها عدة محطات تليفزيونية رئيسية وفرعية في الولايات المتحدة لا تقل عن ٢٠ محطة، ومؤسـس هذه الشركة العملاقة اليهودي صموئيل نيوهاوس.

٢- نيويورك تايمز وهي أضخم صحيفة فـي نيويـورك والولايات المتحدة والعالم، وصاحبها أدولف أوخـس اليهودي، وتمتلك عائلة أوخس ١٢ صحيفة ومجلـة بالإضافة إلى عدد من المحطات التليفزيونية.

٣- الواشنطن بوست: تأتي بعد نيويورك تـايمز، ولهـا تأثير كبير على صانع القرار في البيـت الأبـيض، وتمتلك الصحيفة عائلة بوجين ميـر وهـي عائلـة

يهودية، وتمتلك أيضا مجلة نيوزويك وعدة محطات تليفزيونية، وأشهر معارك الواشنطن بوست الصحفية فضيحة "ووترجيت" التي أسقطت الرئيس نيكسون.

٤- وول ستريت جورنال: يرأس هذه الصحيفة الرأسمالية المشهورة في العالم وارن فيلبس اليهودي، ومعظم محرريها لهم ارتباطات وثيقة باللوبي اليهودي، وبدولة إسرائيل.

٥- مجلة تايم: ويتبعها مجلات أشهرها لايف - فورتشن - بيبول - موني، ويصدر عنها العديد من سلاسل الكتب، ويرأس تحريرها هنري ورنر وهو يهودي متعاطف مع الحركة الصهيونية.

بعد هذا العرض لنا أن نتخيل المواقف الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، وكيف أن تلك المواقف تصطبغ دائما بوجهة نظر الإيباك الصهيوني بغض النظر عن مجموع المصالح الأمريكية في المنطقة؛ ويعود ذلك - كما بينا - لقوة اللوبي اليهودي وسيطرته على العقل الأمريكي، وكذلك لأسباب انتخابية تؤثر على صنع القرار في الإدارة الأمريكية.

ويجب أن نذكر كيف يحتل اليهود معظم أعمـدة الحكـم الهامة والمؤثرة مثل الدفاع والأمن والمخـابرات والسياسـة الخارجية؟!

وهكذا نجد كيف استطاع اليهود تجسيد الـوهم، وتزويـر التاريخ، والافتراء على الأديان والكتب المقدسة مـن خـلال سيطرتهم على كافة وسائل الإعلام وشاشات السينما الأكثـر انتشارا وتأثيرا، ومن خلال الأساطير والتفاسير قام اليهـود بأكبر عملية تحريف في العقيدة، وبرعوا في استخدام ذلـك سياسيا؛ فالدين الذي يفصلونه علـى هـواهم هـو وسـيلة المواصلات التي توصلهم إلى أهدافهم السياسية فالأسـطورة الدينية جاهزة دائما لتقديم الخدمات.

أسطورة شعب الله المختار: جعلت الهجوم عليهم هجومـا على السامية.

أسطورة أرض الميعاد: قَدَّمت لهم دولة إسـرائيل علـى طبق من الفضة.

أسطورة البقرة الحمراء: يحضرونها لتعطيهم الجرأة على هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل.

ولن نندهش لو استخدم اليهود أساليبهم المذكورة لتحقيـق أهدافهم.

هل الرئيس كلينتون مؤهل لرعاية عملية السلام بين العرب وإسرائيل

منذ الحرب العالمية الأولى أخذ الموقف السياسي الأمريكي يتجه إلى تأييد الصهيونية العالمية، والموقف اليهودي؛ بهدف إنشاء وطن قومي لليهود في لفلسطين، وقد أثبتت وثائق الحرب العالمية الأولى أن نصَّ تصريح بلفور كان قد رفِعَ إلى الرئيس الأمريكي ولسن سنة ١٩١٧ فوافق عليه قبل إعلانه رسميا، وتابع رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السير بنفس الطريق، وأخذ موقفهم يزداد انحيازا لإسرائيل بازدياد النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة، وقد سارع الرئيس "هاري ترومان" بإعلان اعتراف الولايات المتحدة بدولة إسرائيل بعد ساعات قليلة من تأسيسها.

وعندما أصبحت أمريكا القطب الواحد الأقوى في العالم بعد زوال الاتحاد السوفيتي انفردت تماما الولايات المتحدة بتبني القضية الفلسطينية، ورفضت المشاركة من أحد بهذا الشأن، ولكنها بالحقيقة انحازت إلى تبني المواقف الإسرائيلية، ولم تعد الجانب المحايد كما تدعي، وأصبحت

المؤيد الوحيد تقريبا للموقف الإسرائيلي، وتابعت استعمال حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، ووقفت ضد قرارات الأمم المتحدة، وأخذت تزيد من ضغوطها على الفلسطينيين، وتملي شروط الاتفاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

وجاء الرئيس الحالي بيل كلينتون سنة ١٩٩٢ بعد هزيمة خصمه جورج بوش(الأب)، ومن المؤكد أن الرئيس كلينتون يعتبر أكثر رؤساء الولايات المتحدة السابقين تطرفًا وتأييدا لدولة إسرائيل، ومتعاطفًا مع جميع أهدافها التوسعية والاقتصادية، ودعمها عسكريا بأحدث ما تنتجه الترسانة الأمريكية من معدات عسكرية معقدة ومتطوُرة، وقد عاب أثناء حملته الانتخابية على الرئيس بوش(الأب) بأنه كان متهاونًا في حق الشعب الإسرائيلي ورعاية مصالحه.

ومن أقواله أثناء حملته الانتخابية الأولى:

نهاية الحرب الباردة لا تنهي بسهولة دور أمريكا في الشرق الأوسط؛ فما زالت إسرائيل صديقة أمريكا معرَضة للخطر، وأمريكا لها مصالح حيوية في المنطقة؛ ولذلك فقد أيدنا الرئيس بوش في طرد صدام حسين من الكويت - لقد كانت إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي

عرفت الانتقال السلمي للسلطة بالاقتراع وليس الحديد والنار، ولن نتخلى عن إسرائيل أبدا، وقد ألحقـت حكومـة بـوش ضررا بالغًا بإسرائيل عندما أخطأت في الضغط عليها؛ لكي تقدم تنازلات من جانب واحد في عملية السـلام، وتجاهلـت المقاطعة الاقتصادية القاسية ضد إسـرائيل مـن جيرانهـا العرب، وتجاهلت العقبات الأخرى التي تواجه عملية السلام، ورفضت طلب إسرائيل بالحصول على مسـاعدات إنسـانية لإعادة توطين اليهود الروس، كما أحدثت حكومة بوش تآكلاً في أمن إسرائيل ببيعها أسلحة متطورة بمليارات الـدولارات إلى جيرانها العرب، إن إسرائيل تستحق كل الرعاية؛ لأنهـا الصديق المخلص الذي يتمتع بديمقراطية مسـتقرة، وأخيـرا يقول كلينتون بمنتهى الوضوح القدس عاصمة غير مقسـمة مفتوحة لكل الأديان، وإن السـلام الـذي لا يـوفر الأمـن لإسرائيل لن يكون سلاما آمنًا، وللفلسطينيين الحق في العيش بحرية وليس لهم الحق في تقرير مستقبل إسـرائيل؛ فلـذلك نحن نعارض إنشاء دولة فلسـطين مسـتقلة، ومـن أولـى القرارات التي اتخذتها الحكومـة الأمريكيـة بعـد انتخـاب كلينتون رئيسا سنة ١٩٩٢ إنعاش الاقتصاد الإسرائيلي الذي

كان يعاني من الركود الحاد بشراء صفقة أسلحة من إسرائيل تبلغ قيمتها نصف مليار دولار، أما ثاني القرارات فكان رفض الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية التي تسعى إلى إقرار السلام في الوقت الذي تواصل فيه إسرائيل إجراءاتها الإجرامية ضد الفلسطينيين.

وأخيرا كشف كلينتون عن انحيازه الصارخ لإسرائيل فعين بعض الأمريكيين اليهود المتعصبين لإسرائيل في الأماكن السياسية الحساسة المختصة في شئون إدارة البلاد وخصوصا شئون الشرق الأوسط، وكان هؤلاء الخبراء اليهود يطرحون دائما التصورات الإسرائيلية لحل قضية الشرق الأوسط.

وبعد انتخاب كلينتون لفترة ثانية في يناير ١٩٩٧ أصبح غالبية مستشاري كلينتون ومساعديه في شئون الشرق الأوسط من اليهود وخاصة في مجال الأمن القومي الذي تجسد في تعيين يهودية لوزارة الخارجية، وثلاثة من مساعديها من اليهود أيضا، وأخيرا تعيين يهودي متعصب لإسرائيل سفيرا لأمريكا في مصر.

وأثناء حملته الانتخابية الثانية صرَح كلينتـون أن لـيس للولايات المتحدة مصلحة في أمن إسرائيل فحسب بـل فـي التعاون الاستراتيجي بين دولتي الولايات المتحدة وإسـرائيل في منطقة الشرق الأوسط، وأضـاف أنـه مـن المحظـور ممارسة ضغوط على إسرائيل من أجل تقديم تنـازلات مـن طرف واحد؛ ومعنى ذلك أن تحصل إسرائيل على تنـازلات من الجانب الفلسطيني مقابل السلام، وبذلك يعتبـر كلينتـون الضفة الغربية وقطاع غزَة والجولان وجنوب لبنـان حتـى تعود إلى أصحابها يجب تقديم تنـازلات لإسـرائيل؛ وهـو بالضبط ما تطالب بها إسرائيل.

وكما سبق وتعهد بوش(الأب) بمعاملة إسرائيل في مجال التكنولوجيا العسكرية بمثل معاملة دول حلف شمال الأطلنطي بإطلاعها على التكنولوجيا العسـكرية الأمريكيـة، أضـاف كلينتون بتشكيل لجنة أمريكية - إسرائيلية مشتركة للتعـاون في المجال التكنولوجي العسكري الدقيق، وأصبحت المعدات العسكرية الدقيقة مثل السوبر - كمبيـوتر وغيـره متاحـة لإسرائيل بالإضافة إلى تخزين أسلحة أمريكية متطورة فـي مخازن إسرائيل.

وتفرض إدارة الرئيس كلينتون الحصار علـى العـراق والجماهيرية الليبية، وتبذل قصارى جهودها للحيلولـة بـين وصول أي سلاح متطور إلى سوريا أو إيران وحتى باكستان وخصوصا في مجال الأسلحة النووية والصـواريخ وغيـر التقليدية كالأسلحة الكيماوية والبيولوجية.

وفي نفس الوقت تزيد أمريكا من هيمنتها علـى الـدول العربية الذي يسودها الانقسام والتناحر والخلافات.

إن استراتيجية الولايات المتحدة سواء في عهـد الـرئيس كلينتون أو من سبقوه من الرؤساء ترتكز على أمن إسرائيل، وأنه جزء لا يتجزأ من أمن الولايات المتحدة، وهو ما جعلها تصرُ دائما على ضمان تفوُق إسرائيل العسكري علـى كـل الدول العربية مجتمعة، وأنها ترفض أية إدانة لإسرائيل فـي مجلس الأمن، وتستخدم حق الفيتو (النقض) في إسـقاط أي قرار يدينها حتى لو صوتت لوحدها ضد جميع باقي أعضاء مجلس الأمن الـ ١٤، وكذلك يحدث في الجمعية العمومية إذ وقفت وحدها مع إسرائيل ضد الأغلبية الساحقة لدول العالم.

شبكة الإنذار المبكر اليهودية
في البيت الأبيض الأمريكي
في عهد الرئيس كلينتون

الشبكة الخطيرة المتمكنة من التأثير في مختلـف أجهـزة البيت الأبيض السياسية، والمعروف أن ولاءها الأول يخضع للقيادات اليهودية خاصة التي تدير المشروع القومي للحركة الصهيونية في العالم، وجميعهم من اليهود:

١ ـ أربعة وزراء:

مادلين أولبريت ـ وزيرة الخارجية.

وليم كوهين ـ وزير الدفاع.

روبرت روبين ـ وزير الخزانة.

دان عليكمان ـ وزير الزراعة.

٢- نواب ومساعدون:

ستيوارت إيزنستان ـ نائب وزير الخارجية.

مارتن أنديك ـ نائب وزير الخارجية.

بيتر نارتون ـ نائب وزير الخارجية.

كارين آدر ـ مدير الخارجية.

دينس روس ـ مستشار شئون الشرق الأوسط والمسئول الأمريكي لعملية السلام.

جورة تينسيت ـ رئيس وكالة المخابرات الأمريكية.

صموئيل بيرجر ـ رئيس مجلس الأمن القومي الأمريكي.

جيم مشتاينبرج ـ نائب رئيس مجلس الأمن القومي.

جوديت فيدر ـ عضو مجلس الأمن القومي.

صموئيل لويس ـ عضو مجلس الأمن القومي.

ستانلي روس ـ عضو مجلس الأمن القومي.

جاي فوتليك ـ ضابط اتصال.

نافي غرائر ـ ضابط اتصال.

جيف إيلار ـ مساعد خاص للرئيس كلينتون.

سوزان توماس ـ مساعدة خاصة لزوجة الرئيس كلينتون.

تصوَر أن ١٨ من العناصر اليهودية المختارة هي التـي يمرُ عبرها صنع القرارات الأمريكية الخطيرة، وهي تعتبـر شبكة الإنذار المبكر للحركة القومية الصهيونية بجميع أنحاء العالم.

إذن.. كيف تكون هوية تلك القرارات؟!

كيف تنتظر القضية العربية خيرا من خلال هذه الشـبكة العنصرية الصهيونية الخطيرة التي هي في الحقيقـة تحكـم البيت الأبيض وتوجه صياغة قراراته الكبرى؟!

المراجع والمصادر

	اسم الكتاب	المؤلف
١-	قضية فلسطين	نجيب صدقة
٢-	المؤامرة الكبرى	إميل الغوري
٣-	النكبة جزء ١	عارف العارف
٤-	النكبة جزء ٢	عارف العارف
٥-	عروبة فلسطين في التاريخ	محمد أديب العارف
٦-	الصراع العربي الإسرائيلي في خرائط	د. خيرية قاسمية
٧-	موسوعة فلسطين الجغرافية.	
٨-	دراسة تحليلية لوثائق الانتداب (حدود فلسطين)	قسطنطين خمار
٩-	نظرية العمل لاسترداد فلسطين	د. محمد محمود الديب
١٠-	هكذا ضاعت وهكذا تعود	
١١-	فلسطين جريمة ودفاع	صبحي محمد ياسين
١٢-	بوابة مصر الشرقية مصـر وفلسـطين عبـر	نقولا الدر
	التاريخ	أرنولد توينبي تعريب عمر الديراوي
١٣-	يقظة العرب	عبد العال الباقوري
١٤-	الفاتيكان واليهود ـ الصهيونية	جورج أنطونوس ترجمة ناصر الأسـد
١٥-	فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩	وإحسان عباس
١٦-	تصريح بلفور	محمود نعناعة

١٧-	إسرائيليات	دكتور ـ كامل محمود خلة
١٨-	أبعاد المواجهة العربية الإسرائيلية.	
١٩-	قوة اليهود في أمريكا	د. محمود صالح منسي
٢٠-	سلام أمريكي غزة ـ أريحا	أحمد بهاء الدين
٢١-	سلام بلا أرض أوسلو ٢	أحمد بهاء الدين
٢٢-	الانتفاضة	
٢٣-	يهود الدنمة	جوناثان جولدبرج
٢٤-	نهاية التاريخ	إدوارد سعيد
٢٥-	مفاوضات السـلام (المسـار ـ الخيـارات ـ الاحتمالات)	إدوارد سعيد
		د. أحمد صدقي الدجاني
٢٦-	ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية	محمد علي قطب.
٢٧-	بداية الصحوة العربية فـي مواجهـة الغـزوة الصهيونية العنصرية	د. عبد الوهاب المسيري
		برهان الدجاني.
٢٨-	اغتيال التاريخ	
٢٩-	مكان بين الأمم	وزارة الإعـلام هيئـة الاسـتعلامات المصرية.
٣٠-	تهويد فلسطين	
		د. أحمد صدقي الدجاني
		حمدان حمدان
		نتنياهو
		د. إبراهيم أبو لغـد ترجمـة د. أسـعد رزوق
٣١-	إسرائيل الكبرى	د. أسعد رزوق

٣٢- العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي ١٩٤٨ حبيب قهوجي

٣٣- عروبة بيت المقدس د. إسحاق موسى الحسيني

٣٤- القيادات والمؤسسات السياسـية فـي فلسـطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ بيان نويهض الحوت

٣٥- تاريخ القدس عارف العارف

٣٦- قبل أن يهدم الأقصى عبد العزيز مصطفى

٣٧- إسرائيل في التصور الأمريكي محمد السعيد إبراهيم

٣٨- أرشيف الفلكلور الفلسطيني (أربعة أجزاء) إعداد ـ نمر سرحان

٣٩- الشعر الحديث في فلسطين والأردن د. ناصر الدين الأسد

٤٠- المختار من شعر محمود درويش د. محمد عناني

٤١- القدس عبد الحميد الكاتب

٤٢- مشكلات تعليم أبناء فلسطين موفق ياسين

٤٣- بلادنا فلسطين مصطفى مراد الدباغ

٤٤- كارثة فلسطين مذكرات عبد الله التل

٤٥- مذكرات وايزمان حاييم وايزمان

٤٦- مذكرات مناحم بيجين مناحم بيجين

٤٧- السلام عليكم محمود عوض

٤٨- أحلام الصهيونية وأضاليلها رجاء جارودي

٤٩- كراسات استراتيجية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية (الأهرام)

٥٠- العروش والجيوش محمد حسنين هيكل

٥١- مدائن فلسطين نبيل خالد الأغا

تابع المراجع والمصادر

١- مقالات وأحاديث وتعليقات وبيانات في الصحف والمجلات.

٢- مجموعة إصدارات شئون فلسطين ـ بيروت.

٣- بعض إصدارات الشئون العربية.

٤- بيانات وكتب أصدرتها الهيئة العربية العليا لفلسطين.

٥- الموسوعة الفلسطينية بأجزائها الستة.

٦- إصدارات مركز الأبحاث الفلسطيني (سلسلة كتب فلسطينية).

٧- بعض إصدارات وكتب الجامعة العربية.

٨- بعض إصدارات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت.

٩- بعض إصدارات عالم المعرفة ـ الكويت.

١٠- بعض إصدارات مجلة العربي ـ الكويت.

١١- أحاديث أدلى بها مفتي فلسطين (الحاج أمين الحسين).

١٢- بعض المعلومات من شبكة الإنترنت.

صور تاريخية

لبعض المعلومات في الكتاب



المؤتمر الاسلامى الذى انعقد اثر ثورة البراق سنة ١٩٢٩
ومن الشخصيات الهامة التى تظهر فى الصورة
١ – الشيخ توفيق الدجاني مفتى يافا ٢– عمر البيطار ٣– امين التميمى
٤–الشيخ عبد القادر المظفر ٥– الشيخ راغب ابو السعود الدجاني
وترأس المؤتمر الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين الاكبر ويظهر فى يمين الصورة



عقد المجلس الوطنى برياسة مفتى فلسطين الاكبر اجتماعاً خطيراً بغزة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٨ حضره ٨٥ م
أعضائه، وناقش خلاله عدة مسائل كان من أبرزها مطالبة الحكومة الفلسطينية الجديدة بتعبئة جميع قوى الأمة الفلسطيني
والنظر فى الدعوة الى التجنيد العام.

حكومة عموم فلسطين



أحمد حلمي باشا

رئيس الوزراء كان مديراً للأوقاف العامة فى المجلس الاسلامى الاعلى بفلسطين برئاسة المفتى الحاج أمين الحسيني – حضر حرب العراق سنة ١٩١٤ وكان مديراً لتجنيد العشائر العربية وحضر معركة «فوق الاماره» او كوت العماره التى اسر فيها الجنرال طورن مع ١٤ الف جندى بريطانى – وكان احد اعضاء الهيئة التنفيذية الفلسطينية – قبضت عليه السلطات البريطانية ونفته الى جزيرة سيشل – انشأ مع عبد الحميد شومان البنك العربى ثم استقال وانشأ بنك الأمة العربية واختير عضواً فى الهيئة العربية العليا وعين حاكماً عسكريا فى القدس من قبل الملك عبد الله ملك شرق الاردن

جمال الحسينى
وزير الخارجية

مجاهد عربى قديم عين سنة ١٩٢١ سكرتيراً للجنة التنفيذية العربية وعندما القى القبض على اعضاء اللجنة سنة ١٩٣٦ تمكن من الافلات وسافر متخفياً الى لبنان وبقى بجانب مفتى فلسطين الحاج أمين الحسينى ونزح معه الى بغداد وبعد ثورة رشيد عالى الكيلانى القى الانجليز القبض عليه ونفى الى روديسيا بجنوب افريقيا وهو رئيس الحزب العربى الفلسطينى الذى يمثل ٩٥٪ من سكان فلسطين.

رجائى الحسينى
وزير الدفاع

متخصص فى الاقتصاد السياسى درس فى انجلترا وامريكا وعين مساعداً لمدير المالية فى حكومة الانتداب البريطانية ثم عين مديراً للمكتب العربى فى لندن وانتدب مديراً عاما للمالية فى الهيئة العربية العليا واشترك فى وفد فلسطين لدى هيئة الأمم

د/ حسين فخرى الخالدى
وزير الصحة والمعارف

بعد تخرجه من كلية الطب عُين مساعداً لمدير الصحة العامة فى فلسطين ثم فاز فى معركة الرأس لبلدية القدس وانتخب عضواً فى اللجنة العربية العليا سنة ١٩٣٦ ونفى الى جزيرة سيشل ثم انتخب عضواً في الهيئة العربية العليا لفلسطين

يوسف صهيون
وزير الدعاية

من وجهاء مدينة حيفا كان محامياً ناجحاً واشترك فى الحركة الوطنية وكان عضواً بارزاً فى الحزب العربى الفلسطينى ويجيد عدة لغات أجنبية

ميشيل ابكاريوس
وزير المالية

لبناني الأصل ومتخصص في الشئون المالية كان مساعداً لمدير خزانة فلسطين وظل موظفاً في الحكومة الفلسطينية واختير لهذا المنصب لكفاءته المالية

أمين عقل وزير الزراعة

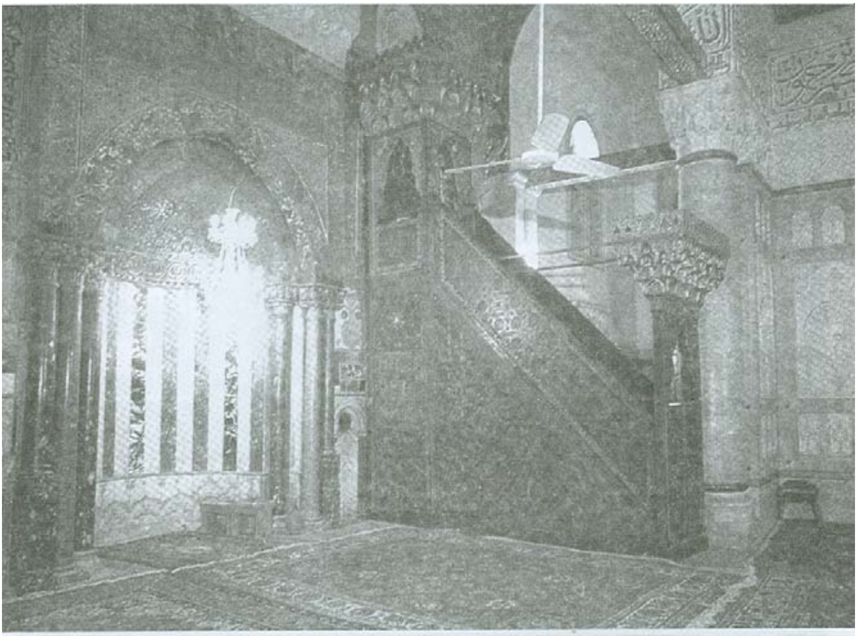
اصغر الوزراء سناً درس القانون وعين موظفاً في النيابة العامة واستقال واشتغل بالمحاماة وانخرط فى العمل السياسى وعين سكرتيراً للجنة القومية بيافا واشرف على تموين يافا بالسلاح والذخيرة

على حسنا وزير العدل

درس القانون وشغل عدة وظائف فى عهد الدولة العثمانية ثم حكومة الانتداب البريطانى كان محامياً لامعاً ووطنيا مخلصاً عرف بالنزاهة والاستقامية

عونى عبد الهادى
وزير الداخلية

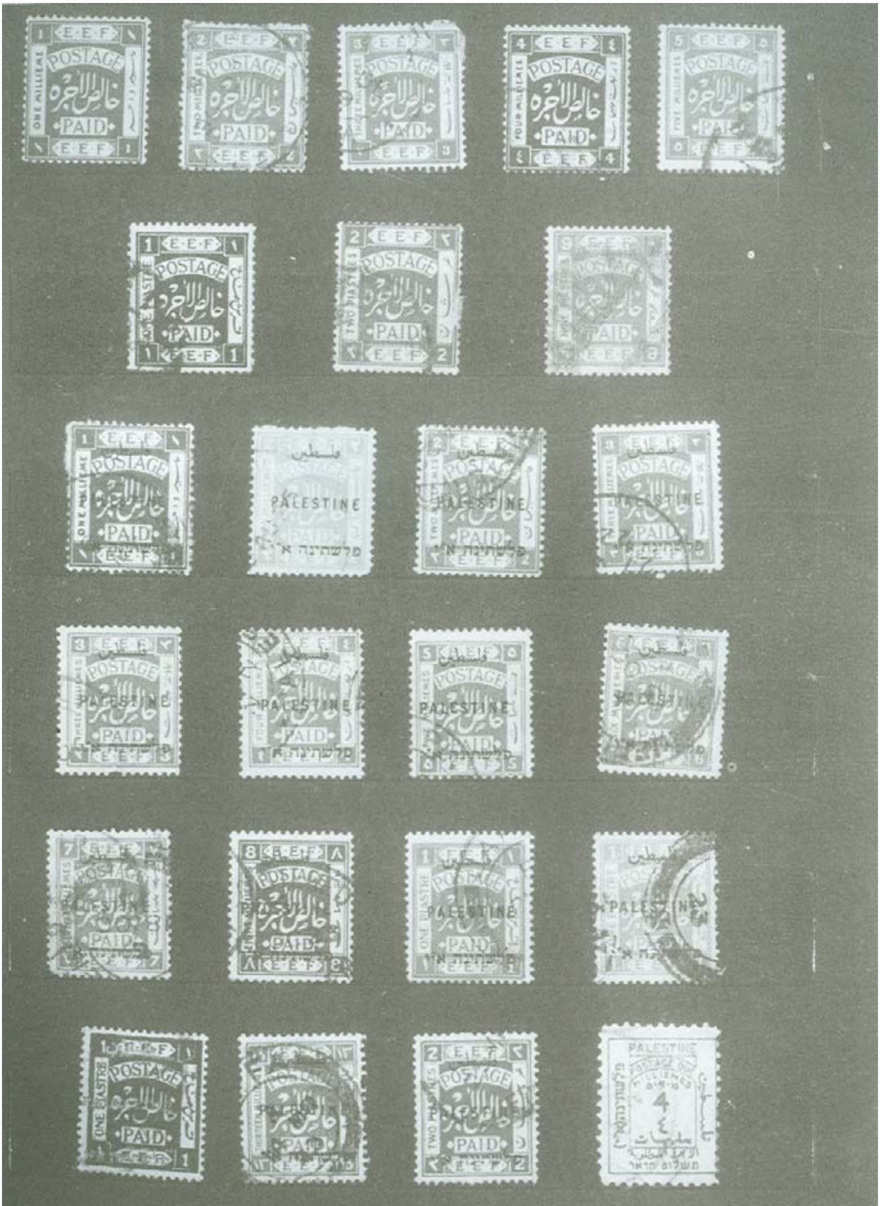
اشترك فى الحركة الوطنية منذ العهد العثمانى وكان عضواً فى الجمعيات السرية اثناء الحكم العثمانى وكان عضواً بارزاً فى جمعيات الشبان المسلمين ثم اصبح رئيساً لحزب الاستقلال العربى وطالب بسياسة اللاتعاون مع حكومة الانتداب اشترك فى الجبهة العربية العليا سنة ١٩٤٦ وترافع امام لجنة التحقيق الانجلواميركية فى القدس



صورة منبر المسجد الأقصى الذى أتى به صلاح الدين الأيوبى من مدينة حلب. ويعتبر من أقدم وأندر المنابر الإسلامية وهو مصنوع من خشب ارز لبنان ومرصع بالعاج والصدف ونقشت عل جوانبه آيات من القران الكريم.
واثناء محاولة اليهود احراق المسجد الأقصى فى ١٩٦٩/٨/٢١ احترق هذا المنبر واتت عليه النيران بكامله.



طوابع بريدية فلسطينية .


E·E·F
POSTAGE
خالص الاجرة
PAID
PALESTINE
فلسطين
פלשתינה א״י
PALESTINE
POSTAGE DUE
4



146 A



146 B



148 A



148 B



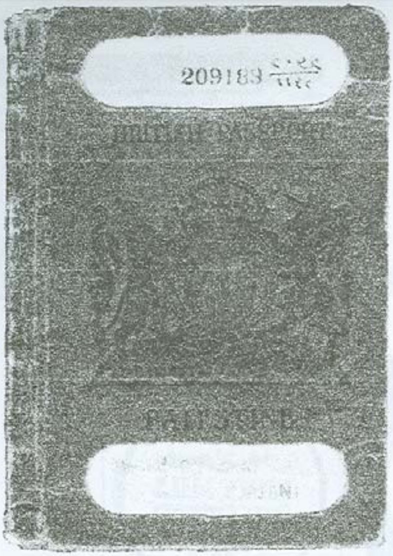
150 A



150 B



مجموعة من
العملات الفلسطينية





PASSPORT

By His Majesty's ...

... High Commissioner.

للمندوب السامي

جواز السفر

صادر من المندوب السامي لصاحب الجلالة في فلسطين

نطلب ونرجو، باسم جلالته، كل من له اختصاص ان يسمح لحامل هذا الجواز بحرية المرور من غير عوان ومنع للحامل كل صعوبة في سبيله وان يبذل له كل ما يحتاج اليه من مساعدة ورعاية

حرر في القدس في اليوم .... من .... سنة ١٩

פספורט

This Passport contains 32 pages.

Ce passeport contient 32 pages.

يحتوى هذا الجواز على ٣٢ صفحة

PASSPORT PALESTINE

جواز فلسطين

PASSEPORT.

No. OF PASSPORT / No. DU PASSEPORT 209189 رقم الجواز

NAME OF BEARER / NOM DU TITULAIRE / اسم حامل الجواز

Ahmad EFF. ZAKI DAJANI

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden name) / ACCOMPAGNÉ DE SA FEMME (Née) / مصحوب بزوجته (اسم الزوجة قبل زواجها)

(Formerly Ahmad Salameh DAJANI)

and by / et de .... children / enfants اولاد

NATIONAL STATUS / NATIONALITÉ / الجنسية

Palestinian citizen

of the Palestinian Citizenship Orders, 1925-41

صورة من جواز سفر المؤلف الصادر من حكومة الانتداب البريطانى فى فلسطين